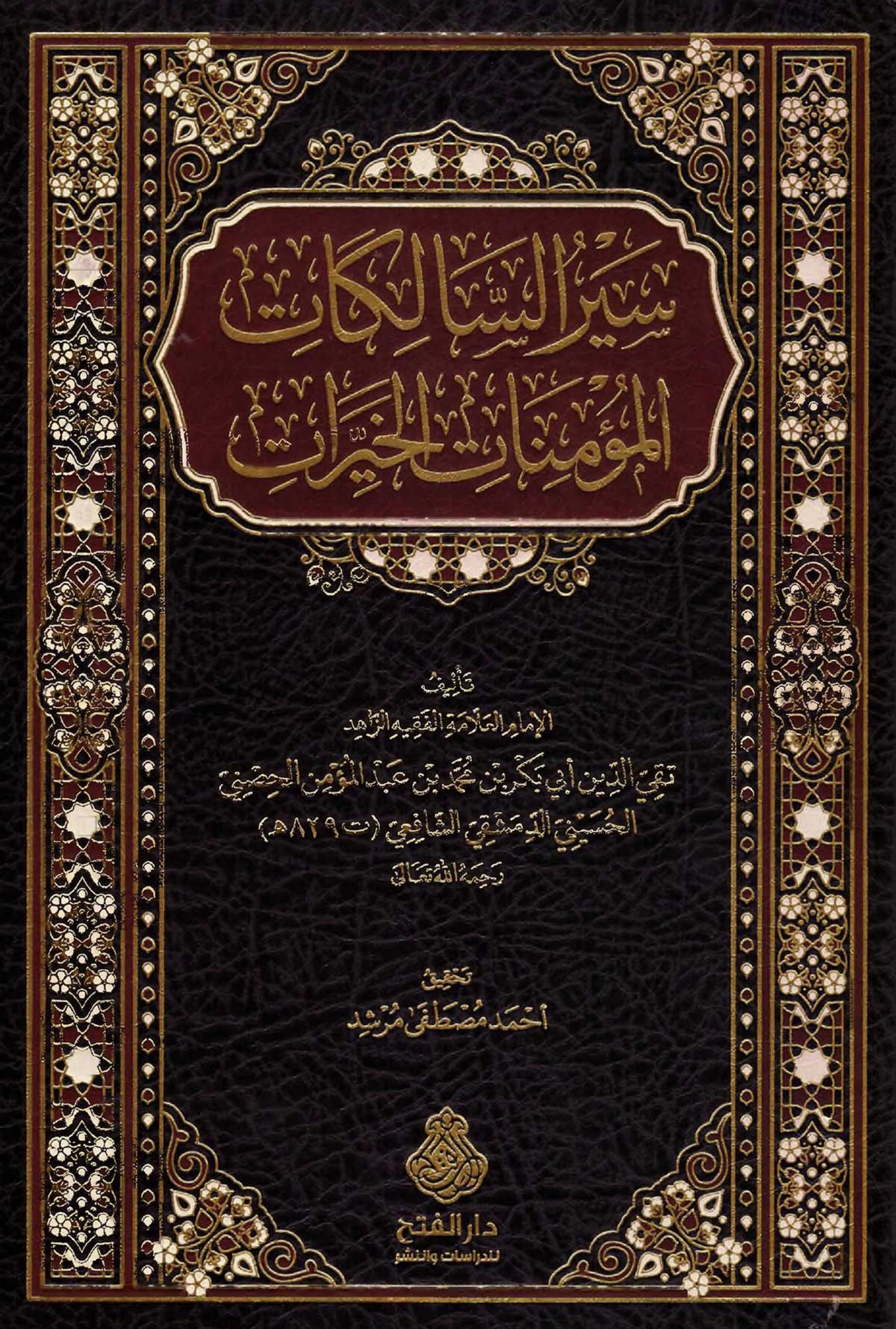


سير السالكات
المؤمنات الخيرات
تأليف
الإمام العلامة الفقيه الزاهد
تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني
الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)
رحمه الله تعالى
تحقيق
أحمد مصطفى مرشد
دار الفتح
للدراسات والنشر

بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

الشافعي، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي (ت٨٢٩هـ).

سير السالكات المؤمنات الخيرات، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي (ت٨٢٩هـ)، تحقيق: أحمد مصطفى أبو الغيط، عمّان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢٣م.

٤٧٢ص، قياس القطع: ١٧×٢٤ سم.

الواصفات: الصحابة/ التابعون/ الصفوة/ التراجم/ السنة النبوية.

التصنيف العشري (ديوي): ٢٣٩,٥

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: (٥٩٤٤/ ١١/ ٢٠٢٣)

الرقم المعياري الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٦٧٦-٢



الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م





دار الفتح للدراسات والنشر

أسسها سنة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م

د. إياد أحمد الغوج

رقم الهاتف: ٦٤ ٣٥ ٦٥١٦ (٠٠٩٦٢)

رقم الجوال: ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)

ص.ب: ١٩١٦٣ عمان ١١١٩٦ الأردن

البريد الإلكتروني: info@daralfath.com

الموقع الإلكتروني: www.daralfath.com



تأليف

الإمام العلامة الفقيه الزاهد

تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني
الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩ هـ)

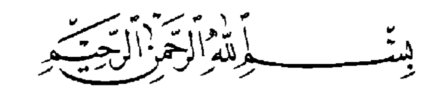
رحمه الله تعالى

تحقيق

أحمد مصطفى مرشد




بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله موفق من توكل عليه، القيوم الذي ملكوت كل شيء بيديه، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين، وخاتمًا للنبيين، وحرزًا للأميين، وإمامًا للمتقين، بأوضح دليل، وأفصح تنزيل، وأفسح سبيل، وأنفس تبيان، وأبدع برهان. اللهم آته الوسيلة، وابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين[1].

وصلى الله وسلم وبارك على محمد النبي الأمي الأمين، الذي هدى الله به العباد، وفرق به بين الحق والضلال، والحق والباطل، والظلمات والنور، والغي والرشاد، فأوضح به السبيل، وأنار به الدليل، وهدى به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وبعدُ،

فبابان خطيران استطاع الأعداء أن ينفذوا من خلالهما؛ لتدمير الأمة الإسلامية: باب العقيدة، وباب الأسرة.

أما الباب الأول: فقد استطاع الأعداء أن ينشئوا مذاهب منحرفة وعقائد باطلة

(١) مقتبس من مقدمة الإمام الذهبي لكتابه «تاريخ الإسلام» (١ : ١١).

ويدسوها في أصل ديننا؛ حتى أفسدت عقائد الكثيرين من أبناء المسلمين، فافترقوا فرقًا وصاروا شيعًا وأحزابًا، يكفر بعضهم بعضًا، ويضرب بعضهم رقاب بعض.

وأما الباب الثاني: فهو تدمير الأسرة من خلال ركنها الركين، وجانبها القوي، ألا وهو المرأة، والواقع أكبر شاهد يمكن الاستدلال به على ما نقول.

إن للأعداء وأتباعهم خُططًا عاتية في إفساد المرأة وإخراجها عن وضعها المستقيم، وقد تمكنوا من تنفيذها في بعض بلاد المسلمين، ويسعون جادّين لتنفيذها كُلًّا أو بعضًا في بلاد أخرى.

ومن جهة أخرى فقد نشأت حركة في الغرب قبل أكثر من قرن، تدعو للاعتراف بأن للمرأة حقوقًا وفرصًا مساوية للرجل، وقد كانت في الأساس تهدف إلى منح المرأة الحقوق الأساسية من التعليم والعمل التي حرمت منها في المجتمع الغربي قبل الثورة الصناعية، ثم تطورت فكرتها إلى المطالبة بالمساواة بالرجل في جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والفكرية ومماثلته في كل شيء.

ثم تسللت هذه الحركة إلى المجتمعات العربية إبان الاستعمار وحققت مكاسب خطيرة من نشر الثقافة الغربية، وضعف الولاء للإسلام، ونزع الحجاب، وانتشار الانحلال والتشكيك في الثوابت الدينية، والهجوم على القدوات الحسنة في المجتمع الإسلامي تحت شعار: العمل الحقوقي والنشاط الاجتماعي، وكان ذلك عن طريق رسالة الفن الهابط وغير ذلك.

وهذا الفكر سلاحٌ فتاك يستعمله الغرب؛ للقضاء على لُحمة المجتمعات الإسلامية وإشاعة الفوضى والانحلال الخلقي تحت شعار: حقوق المرأة ونبذ العنف.

لمثل هـذه الأمور كانت الحاجة ماسـة جدًّا؛ لإخـراج ما يُعنى ويهتم بصورة المرأة في الإسلام؛ ليكون أبرز دليل على رعاية الإسلام لحقوق المرأة وتقديره لها في كل مراحلها، أُمًّا أو زوجةً أو ابنةً كانت.

ومن هذه المصنفات التي عنيت بهذا الجانب: كتاب «**سير السالكات المؤمنات الخيِّرات**» للإمام الفقيه **تقي الدين الحصني** رحمه الله تعالى؛ فإنه قد عالج فيه كل ما يتعلق بالنساء، وقد أبان فيه مؤلفه عن شخصية ناقد بصير، يعالج معضلات الأمور وكبرياتها بجملة أو شطر جملة.

فها هو بين أيديكم أيها القرَّاء الكرام في مشارق الأرض ومغاربها، أقدمه اليوم بعد أن أصبحت الحاجة إليه ضرورية، وقد جمعتُ ما استطعتُ جمعه من نسخه، فتمت لنا ثلاث نسخٍ كاملة، وبذلتُ في خدمته ما أفاض الكريم على عبده الضعيف؛ فلم يضنّ عليه بجهد ولا وقت؛ حتى يخرج في أبهج حلة وأحسن صورة.

وقد قدَّمتُ له بدراسةٍ تحتوي على فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام الفقيه تقي الدين الحصني رحمه الله تعالى.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

فالحمد لله أولًا وآخرًا على ما منَّ سبحانه وأسدى إليَّ من عظيم نعمه، ووافر عطاياه، ثم على ما منَّ به عليَّ من سلوك سبيل طلب العلم، والأخذ من ميراث النبي ﷺ، الذي مَن أخذ به أخذ بحظ وافر، فله الحمد والشكر على ذلك كثيرًا، ظاهرًا وباطنًا، كما أسأله سبحانه المزيد من فضله.

وعرفانًا بالجميل ووفاءً لأهل الفضل، وعملًا بقوله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وتأسِّيًا بهدي الحبيب محمد ﷺ في رد الجميل إلى

أهله في قوله: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله**»[١].

وقديمًا قال الشاعر فأجاد:

فَلَوْ كانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ ماجِدٌ　　لِعِــزّةِ مُلــكٍ أَوْ عُلُــوٍّ مَــكانِ

لَمــا أمَــرَ اللهُ العِــبادَ بِشُــكْرِهِ　　فَقالَ: اشْكُرُوا لِي أَيُّها الثَّقلانِ[٢]

ـ أشكر بعد الله والديَّ الكريمين، امتثالًا لقول الحق سبحانه ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤]، جزاهما الله عني خيرًا وأحسن لهما العاقبة، بعد طول عمر وحسن عمل.

ـ كذلك لا أنسى من جعل الله بيني وبينها مودة ورحمة، زوجتي الكريمة: أم مصطفى بنت محمد رجب، بارك الله لها ولوالديها، وجعلها قرة عين لي في الدنيا والآخرة، فكم صبرت على بُعدي عنها وانشغالي، فكانت نعم الزوجة، بارك الله لها وأحسن إليها.

ـ وكذلك لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الإخوة الأفاضل الذين شاركوني في نسخ الكتاب ومقابلته وضبطه، وحل الإشكالات الموجودة في نصه، وهم: الأستاذ: مصطفى كامل، والأستاذ: كرم مسعود، والأستاذ حاتم دسوقي، وفقهم الله جميعًا.

ولا أنسى شكر السادة الأفاضل **بدار الفتح** المباركة، بداية من مديرها فضيلة الدكتور: **إياد أحمد الغوج** حفظ الله مهجته، وأدام بهجته؛ الذي أبدى اهتمامه البالغ بهذا العمل، وأكثر من السؤال عنه وتتبع أطواره، حتى وصل إلى مراحله الأخيرة،

---

(١) «جامع الترمذي» (١٩٥٥). وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) «عيون الأخبار» (٣: ١٦١) والبيت من الطويل، وهو للشاعر كلثوم بن عمر العتابي.

وتكبد في سبيل ذلك جهودًا عظيمة.

وكذلك الإخوة الكرام في هذه الدار؛ فقد قاموا بعمل عظيم في مراحل التصحيح والمراجعة والإخراج، باجتهادٍ ودأبٍ حثيثَيْن، دون فتورٍ أو مللٍ في خدمة هذا العمل العظيم.

وإلى الله أتوجه أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين أينما كانوا، وأن يثيب كل من ساعد في إخراجه خير ما يجزي الصالحين.

وختامًا: أسأل الله تعالى الذي منّ بإتمامه أن يَمُنّ بقبوله، وأن ينفع به، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا

وكتبه

أحمد مصطفى مرشد

في مصر بلد الأزهر الشريف

حفظه الله من كل مكروه وسوء

الفصل الأول

ترجمة الإمام تقي الدين الحصني

(٧٥٢-٨٢٩هـ)[١]

رحمه الله تعالى

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ومولده

هو: العارف بالله المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر، الشديد الغيرة لله[٢]، الإمام العالم، الناسك العابد، التقي الزاهد، الشيخ الصالح، الفقيه الورع، الحسيب النسيب، بقية السلف الصالحين[٣]، تقي الدين،

(١) انظر ترجمته في: «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«درر العقود الفريدة» للمقريزي (١: ١٤٢)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨١)، و«نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦)، و«الأنس الجليل» (٢: ١٧٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١: ٨٨)، و«شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣)، و«البدر الطالع» (١: ١٦٦)، و«منادمة الأطلال» (٣٠١)، و«الزيارات بدمشق» لمحمود العدوي (٧٢-٧٣)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ٦٩)، و«معجم المؤلفين» (٣: ٧٤)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦)، و«معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١: ١١٠)، و«معجم تاريخ التراث الإسلامي» لبلوط (١: ١٣٩).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

(٣) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن[١] بن حَرِيز بن مُعلَّى بن موسى بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي، بفتح المهملة واللام، اسم بلفظ النّسَب ابن ناشب ـ بنون ثم معجمة ـ بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله ابن عمر بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري ابن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب التقي الحسيني الحصني ثم الدمشقي الشافعي ويعرف بالتقي الحصني[٢].

مولده: ولد في قرية (الحصن)[٣]، في أواخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة[٤].

المبحث الثاني: نشأته وحياته ورحلاته

قدم الشيخ تقي الدين الحصني إلى دمشق؛ وسكن المدرسة البادرائية؛ وبدأ في طلب العلم؛ فأخذ عن المشايخ الموجودين؛ وجدَّ في الطلب حتى بلغ في العلم مبلغًا حسنًا؛ ثم اشتغل بالتدريس؛ وأحبه الطلبة؛ وصاروا يخرجون معه إلى أماكن النزهة.

وقد تزوج الشيخ عدة نساء[٥]، ثم إنه أقبل على العبادة قبل الفتنة[٦]؛ وتخلى عن النساء؛ وانجمع عن الناس مع المواظبة على الاشتغال بالعلم، وبعد الفتنة زاد

---

(١) في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «أبو بكر بن محمد بن عبد الله».

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨١). والحصني: نسبة إلى (الحِصْن)؛ وهي قرية من قرى حوران، وهذا هو ما ذكره معظم من ترجموا للمؤلف. وانظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٣: ٧٤).

(٤) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٥) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٦) يعني: فتنة تيمورلنك. وانظر: «منادمة الأطلال» (٣٠١).

تقشفه وإقباله على الله عز وجل وانجماعه عن الناس[١]؛ ومع ذلك فقد كثر أتباعه؛ واشتهر اسمه، وامتنع من مكالمة أكثر الناس، لا سيما من يتخيل فيه شيئًا، وأطلق لسانه في الأمراء والقضاة ونحوهم من أرباب الولايات[٢].

قال ابن قاضي شهبة: «وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات لعل أنه لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها، ولم يتقدموه إلا بالسبق في الزمان»[٣].

وقال الغزي: «وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي، وهرع إليه الناس، وكنت من جملة من سمعه، ويتكلم بكلام حسن مقبول منقول عن السلف الصالح كالحارث المحاسبي وبشر الحافي والجنيد والسري والشبلي ومشاهير أئمة الصوفية رضي الله عنهم»[٤].

هذا، وكان الشيخ قد سكن بالشاغور[٥] عند مسجد المزاز عدة سنين؛ بعد الفتنة إلى وفاته[٦].

وأصابه في آخر عمره وقر في سمعه، وضعف في بصره.

وقام في آخر حياته بعمارة رباط داخل باب الصغير، وساعده الناس في ذلك بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع في عمارة خان السبيل في محلة المصلى؛ وفرغ من عمارته في مدة قريبة؛ ولم يبق فيه عند وفاته إلا تتمات.

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«الزيارات بدمشق» للعدوي (٧٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٥) الشاغور: بالغين المعجمة: محلّة بالباب الصغير من دمشق مشهورة وهي في ظاهر المدينة. انظر: «معجم البلدان» (٣: ٣١٠)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٧٧٤).

(٦) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩).

رحلاته: أما رحلاته فقد رحل الشيخ أول أمره إلى دمشق، وبها كان معظم إقامته. كما رحل الشيخ إلى القدس، وسكن فيها مدة؛ وألف فيها بعض مؤلفاته.

كما رحل إلى حلب في سنة عشرين وثمان مئة[١].

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته

كان رحمه الله تعالى عابدًا، تقيًّا، زاهدًا، ورعًا، وكان خفيف الروح منبسطًا؛ وله نوادر؛ وقد حُببت إليه العزلة عن الناس في أخريات حياته، ومع ذلك كان خفيف الروح، ولذا كان الطلبة يخرجون معه إذا خرج إلى أماكن النزهة، وكان يحثهم على الانبساط واللعب؛ وذلك مع الدين المتين والتحرز في أقواله وأفعاله[٢].

قال الغزي: «وكان رحمة الله عليه من المهابة والأنس الكثير ما لا يخفى لمن له فطنة أنه وليّ الله في زمانه»[٣].

قال ابن خطيب الناصرية: «وكان إمامًا فاضلًا، آمرًا بالمعروف؛ ناهيًا عن المنكر، يحتقر أبناء الدنيا ويسبهم، وكان معظَّمًا عند الدماشقة إلى غاية ما يكون، وكانت ترد المراسيم الشريفة من السلطان: بأن لا يعترض عليه أحد، ولا يخالفه في أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر»[٤].

قال زين الدين الملطي: «وكان من أجلّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعفة وديانة، بل كان من الأولياء. وكان دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشدّدًا في ذلك»[٥].

---

(١) انظر: «الدر المنتخب» (٢: ٧٧٧).
(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).
(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).
(٤) «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» (٢: ٧٧٧).
(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).

المبحث الرابع: طلبه العلم

قدم الإمام تقي الدين من قريته الحصن التي ولد بها إلى بلده الثاني دمشق، وسكن المدرسة البادرائية التي أنشأها نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي، وبدأ في الجد والاجتهاد، فنهل من علماء عصره الكبار، وظل مواظبًا على طلب العلم، حتى بلغ فيه مبلغًا حسنًا، فبرع في الفقه والأصول والزهد والعقيدة، وكتب الكثير بخطه مع خلوته[1]، وتذكر المصادر: أنه تشارك هو والعز عبد السلام المقدسي في الطلب[2].

وقد عاش الشيخ في حي الشاغور بدمشق سنين عدة، بالقرب من مسجد المزاز، وتزوج عدة نساء، وذلك قبل أن يقبل على العبادة والخلوة وينزوي عن الناس، وله في الزهد حكايات عدة.

المبحث الخامس: شيوخه

جلس رحمه الله بين يدي العلماء ينهل من علمهم، ويستفيد من بحر جودهم، فقد رحل رحمه الله عدة رحلات، وأخذ العلم على يد عدد من المشايخ من كبار علماء عصره، فأفاد منهم، ونهل من معينهم، ومن أبرزهم:

١ـ الإمام نجم الدين أبو العباس، أحمد بن عثمان بن عيسى المعروف بابن الجابي، أخذ الفقه عن الشرف الغزي، والعماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، والحديث عن البهاء الإخميمي، وبرع في الفروع والأصول، ودرس وأفتى، وكان سريع الإدراك حسن المناظرة، يتوقد ذكاء، توفي سنة (٧٨٧هـ)[3].

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩). (٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «توضيح المشتبه» (٣: ٣٥)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٧)، و«الدرر الكامنة» (١: ٢٣٥).

٢ـ الإمـام صدر الديـن أبو الفضل، سليمان بـن يوسف بـن مفلح الباسوفي، أخذ الأصول عن البهاء الإخميمي، ولازم العماد الحسباني، وعـلاء الدين حجي، وولي الدين المنفلوطي، ثم حبب إليه الحديث، فأخذ في السماع، ورحل إلى حلب والقاهرة، وكان سريع الحفظ، قوي الذاكرة، درس في العزيزية وغيرها، توفي سنة (٧٨٩هـ)[١].

٣ـ الإمام شمس الدين أبو عبد الله، محمد بن سليمان الصرخدي، أخذ الفقه عن ابن قاضي شهبة، والعماد الحسباني، والنحو عن أبي العباس العنابي، وكان أجمع أقرانه للفنون، ولسانه دون قلمه، وصنف تصانيف بديعة، منها: «**شرح المختصر**»، و«**مختصر المهمات**»، و«**مختصر التمهيد**» للإسنوي، توفي سنة (٧٩٢هـ)[٢].

٤ـ الإمام شرف الدين أبو البقاء، محمود بن محمد بن أحمد البكري، أخذ عن والده، والتاج السبكي، والشمس ابن قاضي شهبة، وبرع في الأصول والنحو، والمعاني والبديع، ولازم الإفتاء والتدريس، وتخرج به خلق كثير من فقهاء البادرائية وغيرها، توفي سنة (٧٩٥هـ)[٣].

٥ـ الإمـام شهـاب الديـن أبـو العبـاس، أحمد بـن صالح بن أحمد البقاعي، أخذ عن الحافظ المزي، والنور الأردبيلي، وأبي البقاء السبكي، والبهاء الإخميمي، وغيـرهم، وبـرع فـي الفقـه وغيـره، وانتهـت إليـه رئاسـة الشافعيـة بدمشـق، ولـه:

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٢: ١١)، و«الرد الوافر» (١٠٠)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» (٥: ٢٠٣)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (١: ١٢٨)، و«الدرر الكامنة» (٥: ١٩١)، و«سلم الوصول» (٣: ٢٩٦).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٨١).

«**حل المختصر**»، و«**المنهاج**» كلاهما في الأصول، و«**التمييز**» في الفقه، و«**العمدة**»، توفي سنة (٧٩٥هـ)[١].

٦ـ الإمام بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن مكتوم، أخذ الفقه عن العماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، وحفظ «**التنبيه**» و«**الحاوي**»، وأخذ النحو عن أبي العباس العنابي، وبرع فيه حتى تولى مشيخته بالناصرية، وتوفي سنة (٧٩٧هـ)[٢].

٧ـ الإمام شرف الدين أبو الروح، عيسى بن عثمان بن عيسى الغزي، أخذ الفقه عن التاج السبكي، والجمال الإسنوي، والعماد الحسباني، والشمس ابن قاضي شهبة، وغيرهم، ودرس وأفتى، وولي القضاء وصنف التصانيف، ومنها: «**شرح المنهاج الكبير**»، و«**مختصر الروضة**»، و«**الجواهر والدرر**»، و«**الرد على المهمات**»، وتوفي سنة (٧٩٩هـ)[٣].

المبحث السادس: تلاميذه

كما ذكرنا في صفاته: أن الإمام تقي الدين كان له تلاميذ يخرج معهم إلى النزهات ويحثهم على الانبساط، وكانت له معهم نوادر، ولم نجد ممن ترجم له ذكر أسماء تلاميذه، غير أنهم صرحوا باسم ابن أخيه الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٤)، و«الدرر الكامنة» (١: ١٦٣)، و«بهجة الناظرين» (٢١٢)، و«سلم الوصول» (١: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «إنباء الغمر» (١: ٥٠٢)، و«الدرر الكامنة» (٥: ٧٨)، و«شذرات الذهب» (٨: ٥٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٤: ٢٤١)، و«البدر الطالع» (١: ٥١٥).

حسن بن محمد الحصني، وأنه تفقه على عمه وانتفع به انتفاعًا كبيرًا، ولزم طريقته في العبادة والتجرد، وقام في عمارة المدرسة البادرائية، وولي التدريس بها، ولم يقبض منها شيئًا مقابل ذلك، ودرس أيضًا بالمدرسة الشامية، وتوفي سنة (٨٣٤هـ).

وقال الإمام الغزي: «واجتمعت به مرات وكان يحبني ولي منه منزلة وترحّم على والدي، وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي وهرع إليه الناس وكنت في جملة من سمعه»(١).

المبحث السابع: ثناء العلماء عليه

قال ابن خطيب الناصرية: «الشيخ الإمام تقي الدين القدوة الرجل الصالح العالم»(٢).

وقال ابن قاضي شهبة: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع... والحاصل: أنه ممن جمع بين العلم والعمل»(٣).

وقال الغزي: «الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الرباني العابد الورع تقي الدين بقية السلف الصالحين»(٤).

وقال السخاوي: «وترجمه بعضهم: بالإمام العلامة الصوفي العارف بالله تعالى، المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر الشديد الغَيرة لله»(٥).

وقال العدوي: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع العابد القانت العامل الولي»(٦).

---

(١) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦-٧٧٧).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٦٨-١٦٩).

(٥) «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

(٦) «الزيارات» (٧٢).

وقال زين الدين الملطي: «وكان من أجلّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعفة وديانة، بل كان من الأولياء. وكان دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشدّدًا في ذلك، وشهرته تغني عن مزيد التعريف به»(١).

وقال الشيخ ابن حجر في «فتاويه»(٢): «فإن قلتَ: أتقول بمنع خروج النساء إلى المساجد والمواعيد وزيارة القبور غير قبر النبي ﷺ؟ قلتُ: كيف لا أقول به وقد صار مُتَّفقًا عليه لعدم شرط جواز الخروج في زمنه ﷺ وهو التُّقى والعفاف. وقد ذكر ذلك من المتقدمين الشيخان الإمامان الزاهدان الورعان الشيخ تقي الدين الحصني وشيخنا علاء الدين محمد بن محمد بن محمد النجاري تغمدهما الله برحمته».

المبحث الثامن: مؤلفاته

إن مما يُبيِّن مكانة العالم بين أقرانه آثارَه التي يخلفها بعد موته شاهدةً على فعاله وتمكنه مما يخوض فيه من أصناف العلوم. والناظر في جريدة مؤلفات الإمام الحصني يلمح فيها ما يلي مما يجدر التنبيه إليه، والوقوف عليه.

لقد عاش الحصني طَوالَ حياته منهمِكًا بالعلم تعلمًا، وتعليمًا، وتصنيفًا، وانصرف إلى طلب العلم في فترة مبكرة من حياته وهو لا يزال طفلًا توفيقًا من الله تعالى؛ مما كان له الأثر الكبير في نبوغه العلمي.

لقد أثرى الإمام الحصني المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات العلمية الفائقة الحسن في بابها، وقد تنوعت هذه المؤلفات في شتى العلوم والمعارف.

---

(١) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).

(٢) «الفتاوى الفقهية الكبرى» (١: ٢٠٢).

قال ابن قاضي شهبة: «والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل... وقد كتب بخطه كثيرًا قبل الفتنة وبعدها»[١].

وقال ابن حجر: «وجمع تواليف كثيرة في الزهد والفقه»[٢].

وقال الغزي: «وسكن في القدس مدة وصنف فيها بعض تصانيفه واشتهر اسمه»[٣].

وقال سبط ابن العجمي: «صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والتفسير والتصوف وغير ذلك»[٤].

وقال زين الدين الملطي: «وله عدة تصانيف جليلة في الفقه»[٥].

وقال الشوكاني: «وله في التصوف مصنفات»[٦].

أولًا: مؤلفاته في العقيدة

١ـ «دفع شُبه من شَبَّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»[٧]، مجلد.

٢ـ «شرح أسماء الله الحسنى»[٨]، مجلد.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤: ٧٦-٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤). (٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠).

(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦). (٦) «البدر الطالع» (١: ١٦٦).

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

ثانيًا: مؤلفاته في التفسير

٣ـ «**التفسير**»[١]، وهو تفسير آيات متفرقات[٢]، مجلد.

ثالثًا: مؤلفاته في الحديث

٤ـ «**تلخيص أحاديث الإحياء**»[٣]، في مجلد.

٥ـ «**شرح الأربعين النووية**»[٤]، مجلد.

٦ـ «**شرح صحيح مسلم**»[٥]، في ثلاث مجلدات.

رابعًا: مؤلفاته في الفقه

٧ـ «**آداب الأكل والشرب**»[٦].

٨ـ «**جواب في الرد على ابن تيمية في مسألة شد الرحال للزيارة**»[٧].

٩ـ «**الفوائد**» في الفقه[٨].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١ : ٨٨).

(٢) جاء في «معجم المفسرين» (١ : ١١٠): «آيات متفرقة من أول القرآن إلى سورة الأنعام».

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢ : ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) انظر: «هدية العارفين» (١ : ٢٣٦). وذكر بروكلمان: أن له نسخة في مكتبة برلين برقم (٥٤٦٨).

(٧) رسالة في مجموع بمكتبة بشير أغا برقم (١٤٢).

(٨) ذكر بروكلمان: أن له نسخة بمكتبة جامعة هايدلبرج برقم (zs vi 221). انظر: «ذيل تاريخ الأدب العربي» (٢: ١١٢).

١٠ـ **«القواعد»**[١] في القواعد الفقهية، في مجلدين[٢].

١١ـ **«تلخيص المهمات»**[٣]، في مجلدين[٤].

١٢ـ **«شرح التنبيه»**[٥]، في خمس مجلدات[٦].

١٣ـ **«شرح النهاية»**[٧].

١٤ـ **«شرح الهداية»**[٨].

١٥ـ **«كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار»**[٩]، مجلد.

١٦ـ **«كفاية المحتاج في حل المنهاج»**[١٠]، في خمس مجلدات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) في «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: «مجلد».

(٣) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) قال ابن حجر في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «في مجلد».

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) نسخه منتشرة بمكتبة آيا صوفيا بأرقام (١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣).

(٧) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ٢٠٢٢). وقد ذكر حاجي خليفة: أنه شرح لهداية المرغيناني الحنفي، والظاهر: أنه سهو.

(٩) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ١٦٢٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(١٠) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

خامسًا: مؤلفاته في الزهد والسلوك

١٧ـ «أهوال القبور»[١]، مجلد.

١٨ـ «أهوال القيامة»[٢].

١٩ـ «تأديب القوم»[٣] مجلد.

٢٠ـ «تنبيه السالك على مظان المهالك»[٤]، في ست مجلدات.

٢١ـ «قمع النفوس ورقية المأيوس»[٥]، مجلد.

سادسًا: مؤلفاته في السيرة والتاريخ والتراجم

٢٢ـ «المولد»[٦] في السيرة[٧].

٢٣ـ «سير السالك في أسنى المسالك»[٨] في تراجم الرجال.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦).

(٢) انظر: «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٦) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٧) له نسخة بجامعة الإمام برقم (٢٥٢٤)، وتقع في ثلاث ورقات.

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ١٠١٣).

٢٤ـ «سير السالكات المؤمنات الخيرات»[١] في تراجم النساء، وهو كتابنا، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الثاني.

المبحث التاسع: ذريته

لم يُخلف الشيخ تقي الدين الحصني إلا بنات، وقد تزوج إحداهن ابن أخيه، واسمه: محمد بن حسن بن محمد الحصني، أبو عبد الله، المعروف بشمس الدين؛ ومنه تفرعت الأسرة المعروفة ببني تقي الدين الحصني؛ وقد اشتهر أفراد تلك الأسرة بالنسبة إلى عمهم؛ لجلالة قدره؛ وهذه الأسرة معروفة بدمشق إلى وقتنا الحاضر، وقد خرج منها علماء وفضلاء.

المبحث العاشر: وفاته

توفي الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله يوم الثلاثاء قبيل المغرب رابع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمان مئة للهجرة[٢]، وذلك بخلوته بجامع المزاز بالشاغور في دمشق.

وصلى عليه بالمصلى: تلميذه وابن أخيه الإمام شمس الدين محمد بن حسن الحصني، كما صُلِّيَ عليه بحلب صلاة الغائب[٣].

وكانت جنازته مشهودة، وحضرها الخاص والعام، حتى بعض من كانت بينه وبينهم خلافات ومشاحنات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٣) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧).

وكان دفنه يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس.

وقد دفن بالقُبَيبات[١] في أطراف العمارة على جادة الطريق عند البوابة نهاية محلة الميدان[٢]، عند والدته[٣]؛ لأنها كانت من محلة الميدان، وعلى قبره تابوت، وهو معلوم، وقبره يزار مشهور، ويتبرك به[٤]، وختم عند قبره ختمات كثيرة، وصلى عليه أمم ممن فاتتهم الصلاة على قبره، ورؤيت له منامات صالحة في حياته وبعد موته[٥].



---

(١) القبيبات: محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق. انظر: «معجم البلدان» (٤ : ٣٠٨).

(٢) انظر: «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤ : ٧٧).

(٤) انظر: «الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٥) انظر: «شذرات الذهب» (٩ : ٢٧٥).

الفصل الثاني
التعريف بالكتاب

المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب

على غير عادة المصنِّف في ذكره لأسماء كتبه، كان هذا الكتاب الذي تركه دون أن يدوّن في مقدمته على طريقته عنوانه، وبعد تتبع ونظر في الأصول الخطية وكذا في المصادر، تبين أن العنوان لا يخرج عن أربع صيغ:

الأولى: «**سير نساء السلف العابدات**»، وتكاد المصادر تتفق عليها؛ فقد ذكرها الإمام ابن قاضي شهبة[1]، والحافظ ابن حجر[2]، والإمام الغزي[3]، والحافظ السخاوي[4]، والمؤرخ ابن العماد[5].

الثانية: «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**»، وقد وردت على صفحة العنوان في النسخة الألمانية والفرنسية.

الثالثة: «**سير المؤمنات**»، وقد ذكرها القاضي العدوي، في كتابه «**الزيارات بدمشق**»[6].

---

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٥) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).

(٦) «الزيارات» (٦٠).

الرابعة: «**الأسبابُ المُهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات وما لهم من الكرامات والعلامات**»، وقد وردت على غلاف النسخة المصرية.

وباستبعاد الصيغة الثالثة والرابعة، فالثالثة التي ذكرها القاضي العدوي؛ لا يظهر إلا أنها مختصرة من الثانية، والرابعة تفردت بها النسخة المصرية، ولم ترد في شيء من المصادر، ويظهر أنه منظور فيها إلى موضوع الكتاب ومادته، لا إلى تسمية مؤلفه له.

يقع عنوان الكتاب تحت الصيغتين الأوليين.

وبعد النظر ترجح أن عنوان الكتاب: «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**»، وهذا للأسباب التالية:

الأول: أنه متفق عليه في الأصلَيْن اللذين كان عليهما الاعتماد، وأحدهما قريب العهد من المؤلف[1].

الثاني: أن للمؤلف كتابًا آخر قريبًا من هذا العنوان، وهو: «**سير السالك في أسنى المسالك**»، وقد خصه بتراجم الرجال، فلا يستبعد أن يكون الكتاب المختص بتراجم النساء بعنوان: «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**».

الثالث: أن المؤلف قد شحن كتابه بمفردات العنوان، فتراه يعبر ويقول: «ومن علامات صدق حال **السالكة**... ومن علامة طرد **السالكة**... وقد ذكرت في كتابي «**سير السالك**» جملة من الرجال، ولم أذكر ما يتعلق **بالخَيِّرات**... قد ذكرنا نبذة يسيرة من صفات هذه **الخيِّرات**» إلى آخره، مما يؤكد ما ذهبنا إليه.

---

(١) يعني: نسخة باريس، ورمزها (س)، وراجع وصفها وبياناتها في المبحث الخامس من هذا الفصل.

الرابع: أن عادة المؤرخين وأصحاب الطبقات: أنهم ينقلون عن بعضهم، فربما ترجم أحدهم لفقيه من الفقهاء، فلا إشكال أن يأتي إمامٌ بعده ويترجم لنفس الفقيه، فيأخذ الترجمة بنصها ممن ترجم قبله، وهذا واقع كثيرًا في طبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، وعليه فلا يشكل إذا وجدناهم ذكروا كتابًا معينًا بلفظ معين على غير الموجود في الأصول الخطية؛ فإنما تناقلوه. والله أعلم.

المبحث الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه

لا ريب في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام التقي الحصني رحمه الله تعالى، وذلك لعدة دلائل منها:

أولًا: ثبوت اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه على صفحة العنوان في جميع النسخ.

ثانيًا: أحال المصنف فيه إلى كتابه الآخر: «**سير السالك**» في عدة مواضع.

ثالثًا: نسبه إليه بعض من ترجم له، كالإمام التقي ابن قاضي شهبة في «**طبقات الشافعية**»[١]، والحافظ ابن حجر في «**إنباء الغمر**»[٢]، والإمام الغزي في «**بهجة الناظرين**»[٣]، والحافظ السخاوي في «**الضوء اللامع**»[٤]، والمؤرخ ابن العماد في «**شذرات الذهب**»[٥].

رابعًا: هذا الكتاب هو تتمة اختصار المؤلف لكتاب «**صفة الصفوة**»، وقد اختصر الجزء المتعلق بتراجم الرجال في «**سير السالك**»، والجزء المتعلق بالنساء في كتابنا «**سير السالكات**».

---

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٥) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).

خامسًا: اتفاق الأسلوب والعبارات وطريقة العرض فيه مع غيره من كتب الإمام الثابتة المعروفة بـ: «**قمع النفوس**» و«**سير السالك**» و«**تنبيه السالك**» مما يؤكد على ثبوت هذا الكتاب للإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

سادسًا: عدم وجود أية نسبة للكتاب لغير الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

وهذه الدلائل كافية لإثبات نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

المبحث الثالث : منهج المؤلف

ذكرنا في دراسة الكتاب الآخر للمؤلف أعني: «**سير السالك**» أن المؤلف عمد إلى كتاب «**صفة الصفوة**»، فجعله مادة تراجمه، فانتقى ما شاء أن ينتقي منه في تراجم الرجال، وفي كتابنا «**سير السالكات**»، رأى أن يتمم انتقاءه؛ لتعم الفائدة وتكمل المادة، فأخذ من «**صفة الصفوة**» الجزء المتعلق بتراجم النساء، فذكره هنا وعلق عليه.

ويمكن اختصار منهج المؤلف في تكوين مادة كتابه في الأمور التالية:

أولًا: بدأ المصنف بمقدمة للكتاب، ثم أشار إلى ما فعله في كتابه «**سير السالك**» من ذكر أخبار الرجال، فرأى أن يتمم الأمر فيذكر جملة من أخبار النساء الصالحات؛ ليُقتدى بهن، ويُقتفى أثرهن.

ثانيًا: أشار المصنف إلى بعض ما يصيب القلوب من الأمراض، فذكر الرياء، والعجب، وأكثر من سرد الأحاديث والآثار التي تبين عاقبتهما.

ثالثًا: ذكر نبذًا وأخبارًا من عَيْشِ النبي ﷺ وصبره على الجوع والفاقة.

رابعًا: مضى المصنف في تراجم الصحابيات، فأول ما بدأ به: ابنة النبي ﷺ، السيدة فاطمة الزهراء، ثم انتقل إلى زوجات النبي ﷺ، فذكر خديجة، ثم عائشة، ثم

حفصة، ثم أم سلمة، ثم أم حبيبة، ثم زينب بنت جحش، ثم جويرية بنت الحارث، ثم صفية بنت حيي، ثم أم شريك، ثم مضى يذكر باقي النساء في زمن النبوة، ومن بعدهن، حتى انتهى من تراجمهن.

خامسًا: عقد المصنف بعد انتهاء التراجم فصلًا يتعلق بالمحبة في تعريفها وأسبابها ومراتبها وعلاماتها.

سادسًا: ثم عقد فصلًا طويلًا، فصل فيه: الأسباب المهلكات، فذكر فيه من الأسباب: الحسد، وحب الدنيا، والاحتقار، ولبس ثياب الظلمة، ووصل الشعر والوشم والوشر، وحقوق الآدميين، وأخذ أموال اليتامى، والذهاب إلى المنجمين، والنياحة، وسوء العشرة بين الزوجين، والتجسس، والنميمة، وآفات اللسان، والاستدراج والغفلة عن سكرات الموت وهول المطلع وأهوال القبر، فيذكر كل سبب، ويبين معناه، ومقصوده، وأقسامه، ويورد الأدلة الواردة في ذمه ويشرحها، ويعلق عليها.

سابعًا: انتقل المؤلف إلى الحديث عن حقارة الدنيا، وهول الموت والقبر وسؤال الملكين، وشدة الموقف يوم القيامة؛ فذكر الميزان والصراط وختم كتابه بذكر حوض النبي ﷺ.

المبحث الرابع: أثره في الكتب اللاحقة

لم أقف على من نقل عن المؤلف في كتابه هذا إلا الإمام القاضي محمود العدوي رحمه الله، المتوفى سنة (١٠٣٢هـ) في كتابه: «**الزيارات بدمشق**»؛ فقد نقل عنه في (٦٠-٦١).

ولعل عدم اشتهار الكتاب واعتماد العلماء عليه، راجع إلى وجود أصله أعني: «**صفة الصفوة**» وانتشاره، مع شهرة مؤلفه التي فاقت وعمت أرجاء البلاد.

المبحث الخامس : النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا المصنف على ثلاث نسخ كاملة، لم أظفر بغيرها بعد بحث وطلب.

النسخة الأولى: ورمزها: «س».

وهي من محفوظات دار الكتب الوطنية بباريس، برقم حفظ (**٢٠٤٢**).

وهي نسخة تامة[1] نفيسة متقنة، يقل فيها التصحيفات والتحريفات.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكتبت العناوين الرئيسية والفرعية بالمداد الأحمر.

تقع في (٨٣ لوحة)، ومسطرتها: (٢١ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع كلمات إلى أربعة عشر كلمة.

جاء على صفحة العنوان: «كتاب سير السالكات المؤمنات الخيرات، تصنيف الإمام العالم العابد، الزاهد الورع، شيخ الإسلام، تقي الدين أبي بكر الحصني، السيد الجليل، الحسيني، أعاد الله تعالى علينا من بركاته، وجمعنا الله وإياه دار كرامته، بمنه وكرمه، آمين آمين آمين».

وجاء في قيد الفراغ: «فرغ من كتابته: نهار الأحد سلخ شهر شوال سنة خمس وسبعين وثمان مئة.

والحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين، يا رب العالمين، آمين آمين آمين».

جاء على الحواشي تعليقات عديدة، ومطالب وعناوين توضح ما في النص.

---

(١) سقطت اللوحة (٢١) من هذه النسخة، والظاهر أنها موجودة إلا أنها لم تصور؛ بدليل تغير الترقيم، فدل على أن اللوحة موجودة في أصل النسخة.

ولقد تميزت النسخة بأنها **قريبة العهد من زمن المؤلف** رحمه الله تعالى، وتميزت كذلك بأنها خالية عن الآفات، سليمة عما يعيبها مما يصيب النسخ القديمة عادة من تفكك وتمزق وأرضة، أو رطوبة تؤثر على حبرها أو ورقها.

جاء بعد نهايتها عبارات وأبيات منقولة عن المصنف، ومنتقى من كتاب «**سير السالك**» للمصنف في سبع لوحات.

النسخة الثانية: ورمزها: «ب».

وهي من محفوظات مكتبة لايبزيغ الألمانية، برقم حفظ **(٦٩٣)**.

وهي نسخة تامة متقنة، من أنفس نسخ الكتاب؛ لأنها منسوخة عن نسخة المصنف، كما صرح به في عدد من حواشيها.

كتب النص بالمداد الأسمر، وكذا العناوين الرئيسية والفرعية.

تقع في **(١٣٤** لوحة)، ومسطرتها: **(١٧** سطرًا).

جاء على صفحة العنوان: «كتاب سير السالكات المؤمنات الخيرات، تصنيف الشيخ العالم العلامة، والحبر الفهامة، الشيخ تقي الدين، أبي بكر الحصني، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، بمنه وكرمه».

جاءت عدة أخبار ونقول بعد انتهاء نص التقي الحصني.

جاءت عدة تملكات على صفحة العنوان، منها:

- «من فضل ربّ واهب... البركات ابن فتى الكيال».
- «ثم انتقل إلى ولده كمال الدين محمد، جمع الله بينهما في مقعد صدق، وحبذا ذلك المقعد».
- «ملكه المفتقر إلى... الهادي، أبو بكر بن محمد السكري في جمادى...».

ـ «ساقته يد المقادير حتى انتظم في سلك الحقير: زين العابدين بن أبي الجود الأنصاري الحنفي».

وجاءت عدة تملكات أخرى غير واضحة.

ولقد تميزت النسخة بأنها كاملة لا سقط فيها، وكتب الناسخ على حاشيتها بعض التعليقات والنقول التي كان يراها مناسبة لما في سياق المؤلف، وتميزت كذلك بأنها خالية عن الآفات، سليمة عما يعيبها مما يصيب النسخ القديمة عادة من تفكك وتمزق وأرضة، أو رطوبة تؤثر على حبرها أو ورقها عدا بعض البقع القليلة التي لم تؤثر على سلامة النص ووضوحه.

النسخة الثالثة: ورمزها: «د».

وهي من محفوظات دار الكتب المصرية حرسها الله، برقم حفظ (٩٣ تصوف).

وهي نسخة تامة قيمة، لا يعيبها إلا كثرة السقط فيها، الذي كان سببه انتقال النظر غالبًا.

كُتب النص كاملًا بالمداد الأسمر.

تقع في (١١٤ لوحة)، ومسطرتها: (١٩ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من عشر كلمات إلى ثلاث عشرة كلمة.

جاء على صفحة العنوان: «هذا كتاب الأسباب المهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات، وما لهم من الكرامات والعلامات، ونسأل الله تعالى الثبات على طريقتهم للممات. آمين».

وجاء في قيد الفراغ: «وكان الفراغ من تعليقه في اليوم السبت المبارك في سابع يوم من شهر ربيع الثاني، من شهور سنة ألف ومائة وثمانية وأربعين، على يد كاتبه مصطفى بن محمد، أحسن الله عاقبتها. آمين آمين».

جاء على الحواشي عناوين ومطالب توضح ما في النص.

ولقد تميزت النسخة بوضوحها وحسن خطها وجودته، إضافة إلى سلامتها من الآفات والتفكك والتمزق وغيره.

المبحث السادس: منهج التحقيق

جهدت في ضبط نص الكتاب، من خلال التأمل الشديد في نسخه، والرجوع إلى «الأصل»[1] الذي نقل منه المصنف، وتخريج النصوص والأقوال المنقولة قدر الاستطاعة، وعلقت على بعض المواضع تعليقًا مختصرًا أحيانًا ومسهبًا في قليلٍ من المواضع، مشيرًا إلى المصادر لمن أراد أن يتوسع في البحث.

ويمكن اختصار منهج العمل في الأمور التالية:

أولًا: نسخنا الكتاب نسخًا دقيقًا متقنًا، ثم نسقنا فقراته، ووضعنا علامات الترقيم المناسبة.

ثانيًا: قابلنا الكتاب كاملًا على نسخه التي وقفنا عليها، ثم بعد الضبط أعدنا المقابلة مرةً ثانيةً على النسخة (س)، ووضعنا ترقيمها بين معقوفين [ ].

ثالثًا: اتبعنا منهج النص المختار في إثبات النص، حيث هو الأنسب في مثل هذه الحالة.

رابعًا: أثبتنا في النص كل ما يعين على تجليته وإيضاحه، من تقسيمه إلى فقرات، مع تحديد بداية الأسطر ونهايتها، وغير ذلك.

خامسًا: وضعنا الآيات التي ذكرها المصنف بالرسم العثماني المعروف، مع عزوها بجوارها.

---

(١) أعني: «صفة الصفوة».

سادسًا: خرجنا الأحاديث تخريجًا متوسطًا، فإذا كان الحديث في «**الصحيحين**» أو في أحدهما اكتفينا بذلك، ولم نتوسع إلا لحاجة، مع نقل أحكام العلماء على الأحاديث.

سابعًا: عزونا الآثار والنقول التي ذكرها المصنف إلى أصحابها من مصادرها الأصلية، فإن لم نقف على المصادر الأصلية، عزوناها لمصادر أخرى وسيطة تنقل عنها.

ثامنًا: خرجنا الأبيات الشعرية المذكورة.

تاسعًا: عرفنا معاني الكلمات الغريبة، واستعنا في ذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة، من قواميس لغوية ومعاجم فقهية.

عاشرًا: قمنا بترقيم التراجم؛ ليسهل الرجوع إليها.

حادي عشر: وضعنا بعض العناوين المتعلقة برؤوس الأعلام والموضوعات بين معقوفين.

ثاني عشر: وضعنا مقدمة علمية للكتاب في فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

ثالث عشر: وضعنا في نهاية الكتاب فهارس علمية اشتملت على الآتي:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.

ـ فهرس المحتويات.

وبعدُ فهـذا جهدنا المتواضع الذي قمنا به فـي خدمة الكتـاب، والتعليق علـيه، راجيـن من الله عـز وجل الذي منَّ علينا بإخراجه على هذا النحو؛ أن يتقبله منا، إنه جواد كريم.

وعلى الله قصد السبيل






نماذج من صفحات المخطوطات المعتمدة في التحقيق




١

كتاب سير السالكات المؤمنات الخيرات

تصنيف الإمام العالم العابد الزاهد
الورع شيخ الإسلام الشيخ تقي الدين
أبي بكر الحصني السيد الجليل
الحسيني أعاد الله تعالى
علينا من بركاته
وجعل الله وإياه
دار كرامته
بمنه وكرمه
آمين
آمين
آمين



صفحة عنوان النسخة (س)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذي خلق الأرضين والسموات، وبث فيهما من بدايع المصنوعات، وجعل ذلك دليلاً لوحدانيته فقبل ذلك أولو الألباب من المومنين والمومنات، وشرع شرعاً اختاره لنفسه وارسل به رسله وانزل به كتبه البينات، فانقاد له وللعمل به أهل السعادة من القانتين والقانتات، وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع في الخسران المهلك والحسرات، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ذخيرة ليوم الممات، واصلي على سيد السابقين واللاحقين صلاة تملأ جميع المخلوقات، ورضي الله عن الصحابة وعمن شمر خلفهم بصدق لينيل الدرجات العليات. وبعد، فان الله عز وجل لما خاطب الخلق بالانقياد الى الطاعات لم يخص الذكور بل قال سبحانه وتعالى ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات، والآيات في ذلك كثيرة وليس بالخفيات، فلما سمعت الانفس الزكيه كلام حبيبها سمت الى الخلوة به في الظلمات، وتشعبت هممهن فمنهن من لزمت في خلوتها ومنهن من لم يسعها الا الفلوات، وقد ذكرت في كتابي سير السالك جملة من الرجال ولم اذكر ما يتعلق بالخيرات، فاردت في هذه الورقات ان اذكر جملة يسيرة من سير الصالحات، لعل بذكر ذلك يحصل لبعض من سمعت احوالهن التنفع خلفهن فان ذكر احوالهم لا شك ولا ريب من المشوقات، وباعث على اللحوق بهن لمن تسمع ما يحصل به من الكرامات، وههنا نكتة دقيقة ينبغي لطالبة

هذا

الصفحة الأولى من النسخة (س)

الف عقرب ٥ رواه بعض الايمه حديثا عافانا الله عز وجل واحسانا من
ذلك ومن جميع الاهوال انه على ما يشا قدير وبالاجابه جدير والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيد الاولين والاخرين واكرم السابقين
واللاحقين ورضي الله عن الصحابه اجمعين وعن التابعين لهم باحسان
الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل

فرغ من كتابته نهار الاحد سلخ شهر
شوال سنه خمس وعشر ماية
والحمد لله وكفى وسلام
على عباده
الذين اصطفى
رب اغفر
وارحم
وانت
خير الراحمين
يا رب العالمين
امين
امين
امين

بعض الاوليا

اذا ما عدت النفس عن الحق زجرناها
وان مالت الى الدنيا بالاخرى منعناها
تخادعنا ونخدعها وبالصبر غلبناها
لها خوف من الفقر وفي الفقر اغناها

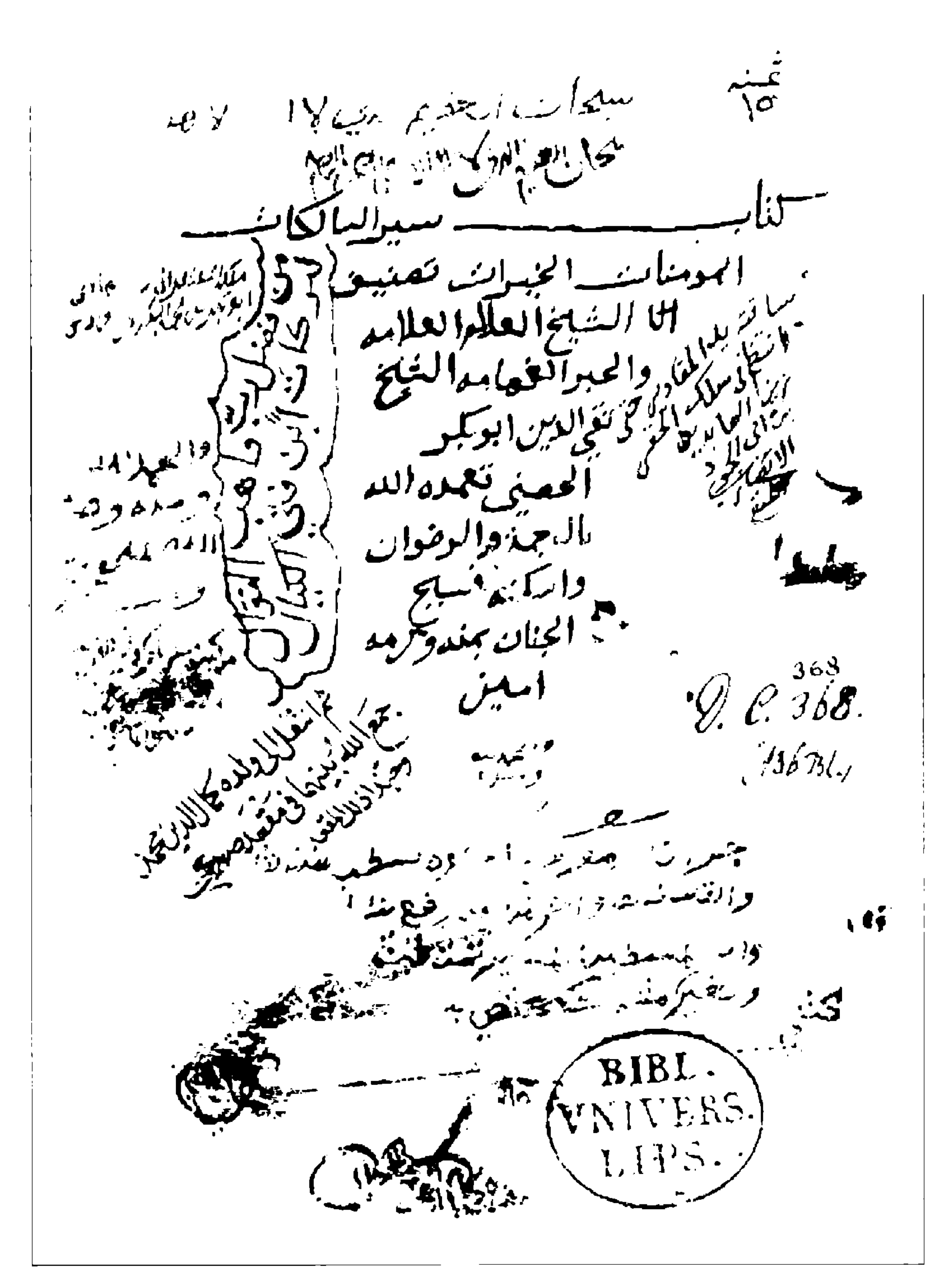
وما شيت في هواك اختري نعيمي
يا سيدي في رضاكا

من كلام الشيخ الحصني

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر
غيره
ان القناعه من حل بساحتها
لم يلق في ظلها هما يورقه

لعمري ان المدعين لكثيرون وان النازلين هذه المنزله لقليل ماهم
نزلوا بمكة في قبايل هاشم ونزلت بالبيدا ابعد منزل

الصفحة الأخيرة من النسخة (س)



صفحة عنوان النسخة (ب)

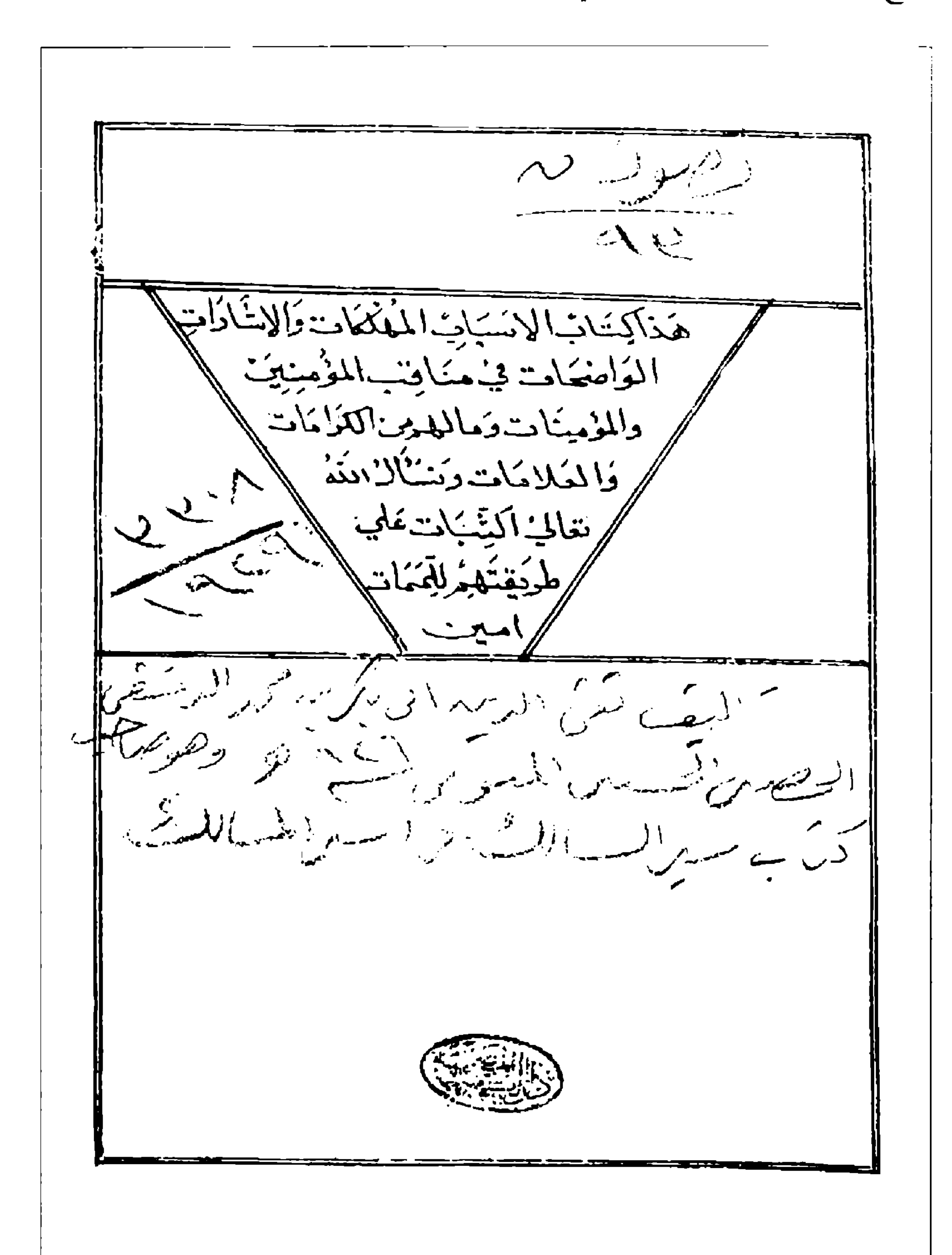
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق الارضين والسموات وبث فيهما من
بدايع المصنوعات وجعل ذلك دليلا لوحدانيته فقبل ذلك
الالباب من المومنين والمومنات وشرع شرعا اختاره
لنفسه وارسل به رسله وانزل به كتبه البينات فانقاد له
وللعمل به اهل السعادة من القانتين والقانتات
وحاد عن اتباعه من حقت نقمه فوقع في الخسارات المهلكات
والحسرات واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
شهادة اعدها ذخيرة ليوم الممات واصلي على سيد السابقين
واللاحقين صلاة تملا جميع المخلوقات ورضي الله عن
الصحابة وعمن تبعهم خلفهم بصدق لنيل الدرجات العليات
وبعد فان الله سبحانه عز وجل لما خاطب الخلق بالانقياد
الى الطاعات لم يقصر الذكور بل قال سبحانه وتعالى ان
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات والقانتين
والقانتات والصادقين والصادقات والايات في ذلك كثيرة
وليست بالخفيات فلما سمعت الانفس الزكية كلام حبيبهم
سمت الى الخلوة به في الظلمات وتشعبت همومهن
فمنهم

الصفحة الأولى من النسخة (ب)

والسابقين واللاحقين ورضي الله عن الصحابة اجمعين
وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وحسبنا الله
ونعم الوكيل

حج بعض المتقدمين فبات بمكة مع
قوم لهم معصية فسمع هاتفا يهتف يقول ويلك الهم
نحج فعصمه الله مما هم به وخرج بعضهم مع رفقة الى الكعبة
فلما هم بمواقعتها هتف به هاتف كل نفس بما كسبت
رهينة فتركها ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال
لو خلوت هاهنا بمعصية من كان يراني فسمع صوتا
ملأ ما بين جانبي الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير وهم رجل بمعصية فخرج اليها فمر في طريقه
بقاص يقص على الناس فوقف على حلقته فسمعه
يقول ايها الهام بالمعصية اما علمت ان خالق
الهمة مطلع على همتك فوقع مغشيا عليه فلما افاق
الا عن توبة كان لبعض الملوك الصالحين فتعلق
قلبه بمملوك له جميل فخشي على نفسه فقام ليلة
واستغاث الله فمرض المملوك من ليلته ومات بعد ثلاث

الصفحة الأخيرة من النسخة (ب)



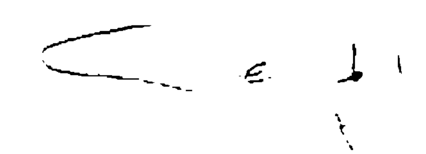
هذا كتاب الاسباب المهلكات والاشارات
الواضحات في مناقب المؤمنين
والمؤمنات وما لهم من الكرامات
والعلامات ونسأل الله
تعالى الثبات على
طريقتهم للممات
امين

صفحة عنوان النسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي خلق الأرضين والسموات وبث فيهما من
بدايع المصنوعات، وجعل ذلك دليلا لوحدانيته فعقل
ذلك الأولياء من المؤمنين والمؤمنات، وشرع شرعا
اختاره لنفسه، وأرسل به رسله وأنزل به كتبه البينات
وانقاد له وللعمل به أهل السعادة من القانتين والقا
نتات، وحاد عن اتباعه من خسر نفسه فوقع
في المهالك والخسارات، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم الممات وأصلي
على سيد السابقين واللاحقين صلاة تملأ جميع
المخلوقات ورضي الله تعالى عن الصحابة ومن شرح خلفهم
بصدق لينال الدرجات العليات وبعد فإن الله عز وجل
لما خاطب الخلق بالانقياد إلى الطاعات لم يخص الذكور بل
قال سبحانه وتعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين
والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات
والآيات في ذلك كثيرة وليس بالخفيات فلما سمعت الأنفس
الزكية كلام حبيبهم سمت إلى الخلوة به في الظلمات وتشعشعت

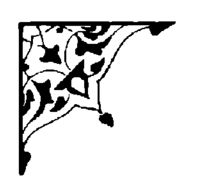
همهم

الصفحة الأولى من النسخة (د)



وفي كل شعب سبعون ألف شعبات وسبعون ألف عقرب رواه
بعض الأئمة رحمه الله حديثاً عافانا الله سبحانه وتعالى
واحبابنا من ذلك ومن جميع الأهوال انه على ما يشاء قدير
وبالإجابة جدير انه هو الغفور الرحيم ٭ تواب ٭ رحيم
جواد ٭ كريم ٭ رؤف ٭ ودود ٭ ذو العرش المجيد ٭ فعال لما
يريد ٭ والحمد لله رب العالمين تمت بعون الله سبحانه
وتعالى وصلى اللهم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي
الأمي وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وسلم تسليما
ورضي الله تعالى عن كل الصحابة أجمعين
وكان الفراغ من تعليقه في اليوم السبت
المبارك في سابع يوم مضى من شهر ربيع
الثاني من شهور سنة ألف ومائة
وثمانية وأربعين على يد كاتبه
مصطفى بن محمد لحسن الله
عاقبتهما آمين
آمين

الصفحة الأخيرة من النسخة (د)




النّصّ المحقّق




بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه ثقتي[١]

الحمدُ لله الـذي خلَقَ الأرَضيـنَ والسَّمـاواتِ، وبثَّ فيهمـا مِـن بدائـعِ المَصنوعاتِ، وجعَلَ ذلكَ دليلًا لوَحدانيَّـتِه، فَعَقلَ ذلك الأولياءُ[٢] مِن المؤمنينَ والمُؤمنـاتِ، وشـرَعَ شرعًا اختـارَه لنفسِهِ، وأرسَـلَ به رُسلَه، وأنـزلَ به كُتبَـه البيِّناتِ، فانقادَ[٣] له وللعمَلِ به أهلُ السَّعادةِ مِن القانتينَ والقانتاتِ، وحادَ عنِ اتِّباعِه مَن خسِرَ نفْسَه فوقَعَ في الخُسرانِ المُهلِكِ والحَسراتِ[٤].

وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً أعُدُّها ذَخيرةً[٥] ليومِ المَماتِ، وأصلِّي على سيِّدِ السّابقينَ واللاحقينَ، صلاةً تملَأُ جميعَ المخلوقاتِ، ورضِيَ الله تعـالى عنِ الصَّحابةِ وعمَّنْ شمَّـرَ خَلْفَهم بصدقٍ لنيلِ الدَّرجـاتِ العَلِيّاتِ.

وبعدُ،

فإنّ الله عزَّ وجلَّ لـمّا خاطَبَ الخلْقَ بالانقيادِ إلى الطّاعاتِ لم يخُصَّ الذُّكورَ،

---

(١) قوله: «وبه ثقتي» مثبت من (س).

(٢) قوله: «فعقل ذلك الأولياء» في (ب) و(س): «فقبل ذلك ذوو الألباب».

(٣) في (د): «وانقاد».

(٤) في (د): «فوقع في المهلك والخسارات».

(٥) «ذخيرة» ليس في (د).

بلْ قالَ سُبحانَه وتعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، والآياتُ في ذلكَ كثيرةٌ وليسَ بالخفيّاتِ، فلمّا سمِعَتِ الأنفُسُ الزَّكيّةُ كلامَ حَبيبِهم سمَتْ إلى الخلْوةِ به في الظُّلماتِ، وتشعَّبَتْ هِمَمُهُنَّ[١]؛ فمنهُنَّ[٢] مَن ركَدَتْ في خلْوَتِها، ومنهُنَّ[٣] مَن[٤] لم يسَعْها إلا الفلَواتُ.

وقد ذكَرْتُ في كتابِي «**سيرِ السّالِكِ**» جملةً[٥] مِن الرِّجالِ، ولم أذكُرْ ما يتعلَّقُ بالخَيِّراتِ، فأرَدْتُ في هذه الوَرَقاتِ أنْ أذكُرَ جملةً يسيرةً[٦] مِن سِيرةِ الصّالحاتِ، لعلَّ بذكْرِ ذلكَ يحصُلُ لبعضِ مَن سمِعَتْ أحوالَهُنَّ التَّقفي خلْفَهُنَّ؛ فإنّ ذِكْرَ أحْوالِهنَّ[٧] لا شكَّ ولا ريبَ مِن المُشوِّقاتِ، وباعِثٌ على اللُّحوقِ بِهِنَّ لمَنْ تسمَعُ[٨] ممّا تُحِفْنَ[٩] به مِن الكراماتِ.

[٢/أ] وهاهُنا نُكتَةٌ دقيقةٌ[١٠] ينبَغِي لطالبةِ[١١] هذا الشَّأنِ أن تنتَبهَ[١٢] لها، وهيَ: أنّها إذا سمِعَتْ ما فُتِحَ عَلى إحداهُنَّ مِن الفُتوحاتِ الخارقاتِ للعاداتِ، تهِشُّ نفْسُها إلى أنْ تكونَ مثْلَها، فتشرَعُ تتعبَّدُ بهذا القصْدِ، وهوَ عيْنُ الحِرْمانِ والطَّردِ، بل ترْكُ التَّعبُّدِ لها[١٣] بهذا أحَبُّ إليها.

فإذا سَلِمَتْ مِن هذه الآفَةِ المُزمنَةِ[١٤] وفُتِحَ عليها بخيرٍ، فالوصيّةُ المتأكِّدَةُ

---

(١) في النسخ: «هممهم».
(٢) في (د): «فمنهم».
(٣) في (د): «وإن منهم».
(٤) «من» ليس في (د).
(٥) في (ب): «جمل».
(٦) قوله: «جملة يسيرة» في (د): «شيء».
(٧) في (س) و(ب): «أحوالهم».
(٨) في (د): «سمع».
(٩) في (ب): «تحضن»، وفي (د): «تحقق».
(١٠) في (د): «رقيقة».
(١١) في (د): «لطلبة».
(١٢) في (د): «تتنبه».
(١٣) «لها» ليس في (د).
(١٤) في (د): «الآفات المؤمنة».

لها: ألا تُعلِمَ أحدًا؛ فإنَّ الإعلامَ[1] أيضًا عيْنُ الحِرْمانِ، وما أخوَفَنِي على مَنْ فُتِحَ عليها أن يحْلُوَ لها ذكْرُ ذلكَ، فيتحَكَّمُ الشَّيطانُ منها فيضِلُّ سعْيُها معَ الأخسرينَ أعمالًا، وهيَ تظُنُّ أنّها تُحسِنُ صُنعًا، وحينئذٍ فهيَ بذلكَ ساعيةٌ في رِضا نفْسِها الأمّارَةِ ورِضا الشَّيطانِ، وقد حادَتْ عَن سَبيلِ الرَّحمنِ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ مِن هذه المُصيبةِ التي[2] نزَلَتْ بهذه المِسكينةِ.

فينبَغِي المُبادرَةُ إلى التَّوبةِ مِن هذه العباداتِ المُهلكاتِ التي نزَلَتْ بهذه المِسكينةِ[3] التي تؤدِّي إلى الموتِ على غيرِ دِينِ الإسلامِ، عافانا[4] اللهُ عزَّ وجَلَّ من ذلكَ ومِن جَميعِ أسبابِ المهالِكِ، ففي الحديثِ الصَّحيحِ أنّه ﷺ قالَ: **«إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فيما يَبْدُو لِلنّاسِ، حَتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وبَيْنَها إلا ذِراعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النّارِ فَيَدْخُلُها»**[5]. وهذه الرِّوايةُ ساقَها مُسلمٌ في كتابِ (الإيمانِ)[6].

وفي هذه الرِّوايةِ إشارةٌ[7] إلى أنّ الأعمالَ التي هيَ طاعةٌ إذا شِيبَتْ بالرِّياءِ تكونُ سَببًا للموْتِ على غيرِ الإسلامِ[8]، فنسألُ[9] اللهَ العليَّ[10] الحليمَ العافيةَ

(١) في (س) و(ب): «فالإعلام». (٢) في (د): «الذي».

(٣) قوله: «التي نزلت بهذه المسكينة» ليس في (د).

(٤) في (ب): «فأجارانا».

(٥) «صحيح البخاري» (**٣٣٣٢**)، و«صحيح مسلم» (**٢٦٤٣**).

(٦) كذا في جميع النسخ، والصواب: «في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته».

(٧) قوله: «إشارة» ليس في (س) و(ب)، ومثبت من (د).

(٨) في (د): «دين الإسلام». (٩) في (د): «نسأل».

(١٠) «العلي» مثبت من (د).

مِن أعمالٍ تؤدِّي بنا إلى ذلكَ؛ فإنّ عملًا يؤدِّي إلى عذابٍ لا آخِرَ له لمُصيبَةٌ عظيمَةٌ، والرِّياءُ سببُ ذلكَ، وهوَ مِن البلاءِ العامِّ الذي لا يكادُ ينجُو منه إلا ذاكَ وذاكَ، ولهذا قالَ رَسولُ الله ﷺ: [٢/ب] «**إنّ أَخْوَفَ ما أخافُ عَلَى أُمَّتِي: الرِّياءُ، والشَّهْوَةُ الخَفيةُ**». رواه ابنُ ماجَه[١]، والحاكِمُ[٢]، وابنُ المُبارَكِ في كتابِه «**الزُّهدِ**»[٣]، والبيْهقِيُّ في «**شُعبِ الإيمانِ**»[٤].

وفي بعضِ الرِّواياتِ: «**الشِّرْكُ**» بدَلَ «**الرِّياءُ**».

فقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أَخْوَفُ**» صيغةٌ تدُلُّ على أنّ الخوفَ مِن الرِّياءِ أعظَمُ مِن غيْرِه مِن المُهلكاتِ، فينبَغِي أن تَتنَبَّهَ لذلكَ[٥]، وهذا كما تقولُ المرأةُ: أخافُ على ولَدِي مِن كذا وكذا، وأكثَرُ خَوفي عَلَيْهِ من كَذا.

ووجْهُ **شدَّةِ الخوفِ مِنه**: أنّه خفي، ولا يكادُ أحَدٌ يطَّلِعُ عليه إلا مَن وفَّقَه الله عزَّ وجَلَّ؛ لأنّه مِن قَبيلِ النَّفسِ الأمّارةِ، وهيَ الحاكِمةُ والنّاصحةُ، ومَنْ ركَنَ إلى حاكِمةٍ وناصحَةٍ وسلَّمَ انقيادَه إليها، كيفَ يُهدى[٦] ويطَّلعُ على ما هو أخْفَى مِن دَبيبِ النَّملِ؟

ولهذا قالَ ﷺ: «**الشِّرْكُ أخْفَى في قَلْبِ[٧] ابْنِ آدمَ مِنْ دَبيبِ النَّمْلَةِ السَّوْداءِ في الظُّلْمَةِ[٨] الظَّلْماءِ عَلَى الصَّخْرَةِ**»[٩].

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٢٠٤). وانظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٥: ١٣٧).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٧٩٤٠).

(٣) «الزهد» لابن المبارك (١١١٤).

(٤) «شعب الإيمان» (٦٤٠٥).

(٥) في (د): «من ذلك».

(٦) في (د): «يهتدي».

(٧) في (د): «أقلب».

(٨) في (د): «الليل».

(٩) «مستدرك الحاكم» (٣١٤٨)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٠)، و«عمل اليوم والليلة» لابن السني (٢٨٦)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٩٨١). وانظر: «علل الدارقطني» =

وفي رِوايـةٍ: «**في الرِّيـاءِ شَوائِبُ أَخْفَى مِـنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**». خـرَّجَه الإمامُ أحمَدُ[(١)]، والطَّبرانِيُّ[(٢)].

وفـي رِوايةٍ: «**اتَّـقُوا هَـذا[(٣)] الشِّرْكَ؛ فإنّهُ أخْفَى مِـن دَبِيبِ النَّمْـلِ**». رَواهُ[(٤)] ابنُ حِبّانَ[(٥)]، والدّارقُطنِيُّ[(٦)].

وقد سمّاهُ رَسولُ الله ﷺ: شِرْكًا.

قالَ الإمـامُ أحمَدُ رضِيَ الله عنه: «سَمَّى رَسولُ الله ﷺ الـرِّياءَ الشِّرْكَ الأصغَرَ». رَواهُ[(٧)] الطَّبرانِيُّ[(٨)]، والحاكِمُ[(٩)]، وقال: «إسنادُه صحيحٌ».

وقد جاءَ في الحديثِ: «**يقولُ الله عَزَّ وجَلَّ: مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أشْرَكَ فيهِ غَيْـرِي، فهُـوَ لَهُ كُلُّهُ**». رَواهُ مالِكٌ[(١٠)] رحمهُ الله.

وفـي رِوايةٍ: «**وَإنّهُ مِنْـهُ بَـرِيءٌ**». رَواهُ[(١١)] ابـنُ ماجَه[(١٢)]، ورَواهُ مُسلمٌ[(١٣)] مـعَ تَقديمٍ وتأخيرٍ في اللَّفظِ.

ولا فرْقَ في الرِّياءِ بينَ القليلِ والكثيرِ[(١٤)]، وإنْ كانَ[(١٥)] نَزْرًا يَسيرًا أم كثيرًا،

= (١٤: ١٩١) (٣٥٣٩).

(١) «مسند أحمد» (١٩٦٠٦).

(٢) «المعجم الأوسط» (٣٤٧٩).

(٣) «هذا» ليس في (د).

(٤) في (س): «ورواه».

(٥) «الثقات» لابن حبان (٥: ٣٤٢) (٥١٣٧).

(٦) «علل الدارقطني» (١: ١٩١) (١٥) و(١٤: ١٩١) (٣٥٣٩).

(٧) في (د): «ورواه».

(٨) «المعجم الكبير» (٤٣٠١).

(٩) «مستدرك الحاكم» (٧٩٣٧).

(١٠) «الموطأ» (٤٤).

(١١) في (س): «ورواه».

(١٢) «سنن ابن ماجه» (٤٢٠٤).

(١٣) «صحيح مسلم» (٢٩٨٥).

(١٤) «والكثير» مثبت من (د).

(١٥) «كان» ليس في (د).

ولهذا جاءَ في حديثِ مُعاذٍ رضِيَ الله عنه: «**أَدْنَى الرِّياءِ شِرْكٌ**». كذا رَواهُ الطَّبرانِيُّ(١)، وكذا رَواهُ الحاكِمُ(٢)، ولفظُه: «**اليَسيرُ مِنَ الرِّياءِ شِرْكٌ**».

[٣/أ] وفي روايةٍ: «**لا يَقْبَلُ الله عَمَلًا فيهِ مِثْقالُ**(٣) **حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ رِياءٍ**»(٤).

وفي الحديثِ: «**إنّ الله عَزَّ وجَلَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ: إنّ هَذا لَمْ يُرِدْنِي بعَمَلِهِ، فاجْعَلُوهُ في سِجِّينٍ**»(٥). رَواهُ ابنُ المُبارَكِ في كتابِه «**الزُّهد**»(٦)، وابنُ أبي الدُّنيا(٧)، وأبو الشَّيخِ(٨).

وفي الحديثِ: أنّه ﷺ قالَ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، ومَنْ يُرائِي يُرائِي الله بِهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ(٩) ومُسلمٌ(١٠).

---

(١) «المعجم الأوسط» (٤٩٥٠).

(٢) «المستدرك» للحاكم (٤). وقال: «هذا حديث صحيح، ولم يخرج في «الصحيحين»، وقد احتجا جميعًا بزيد بن أسلم، عن أبيه، عن الصحابة، واتفقا جميعًا على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد، عن عياش بن عباس القتباني، وهذا إسناد مصري صحيح ولا يحفظ له علة».

(٣) في (س): «مثقال ذرة».

(٤) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٥١)، وابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٨١).

(٥) «المجالسة وجواهر العلم» (١٤٧٩)، و«حلية الأولياء» (٣: ٦٩)، وهو من كلام يحيى بن أبي كثير رحمه الله، وكذا في المصادر التالية.

(٦) «الزهد» لابن المبارك (٤٥٢). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٢٠٣): «أخرجه ابن المبارك في «الزهد»، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص»، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة»، من رواية حمزة بن حبيب مرسلًا، ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات»».

(٧) «الإخلاص والنية» لابن أبي الدنيا (١٧).

(٨) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٥٢٠).

(٩) «صحيح البخاري» (٦٤٩٩). (١٠) «صحيح مسلم» (٢٩٨٧).

ومَعْنى «سَمَّعَ» أي: مَنْ أظهَرَ عمَلَهُ للنّاسِ رِياءً؛ «سَمَّعَ الله بِهِ»، أي: فضَحَه يومَ القيامةِ[1].

ومَعْنى «مَنْ يُرائِي يُرائِي[2] الله بِهِ»؛ أي: من أظهَرَ للنّاسِ العمَلَ الصّالحَ؛ ليعْظُمَ عندَهم، «راءى الله عَزَّ وجَلَّ بِهِ»، أي: أظهَرَ سريرَتَه على رُؤوسِ الخلائقِ[3].

وفي روايةِ الطَّبرانِـيِّ[4] والبيْهقِيِّ[5]: «مَنْ سَمَّعَ النّاسَ سَمَّعَ الله بِهِ سامِعَ خَلْقِهِ، وحَقَّرَهُ وصَغَّرَهُ».

وفـي الحديثِ: «إنّ المُرائِـيَ يُنادَى عليهِ[6] يَوْمَ القِيامَةِ: يا فاجِرُ، يا غادِرُ، يا مُرائِـي، ضَلَّ عَمَلُكَ وحَبِطَ أجْرُكَ»[7]. رَواهُ ابـنُ أبي الدُّنيا[8]. وفـي رِوايـةٍ: «يا كافِـرُ، يا خاسِرُ»[9].

وفـي هذا أحاديثُ كثيرَةٌ، مـعَ ما نطَقَ به كلامُ رَبِّنا عـزَّ وجَلَّ مِن الأمْـرِ بالإخلاصِ في غيرِ موضعٍ، فمَنْ راءَى، فقد خالَفَ القُرآنَ، قالَ الله عـزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ومَن راءَى لـم يُخلِصْ.

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨: ١١٦)، و«شرح المشكاة» للطيبي (١١: ٣٣٧٠)، و«فتح الباري» لابن حجر (١١: ٣٣٧).

(٢) في (س) و(د): «من رائى رائى».

(٣) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (١١: ٣٣٧٠)، و«التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢: ٤٤٨).

(٤) «المعجم الأوسط» (٤٩٨٤)، والحديث صحيح، انظر: «مجمع الزوائد» (١٠: ٢٢٢).

(٥) «شعب الإيمان» (٦٤٠٢).

(٦) «عليه» مثبت من (د).

(٧) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (١٦)، و«الفردوس بمأثور الخطاب» (٦٦١٩).

(٨) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٢٠٤): «أخرجه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يُسَمَّ وزاد: «يا كافر يا خاسر» ولم يقل: «يا مرائي» وإسناده ضعيف».

(٩) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (١٦)، و«إحياء علوم الدين» (٣: ٢٩٤).

وقد جاءَ في الحديثِ: «أنّ رجلًا قالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنّي أقِفُ الموقِفَ[١]؛ أبتَغِي به[٢] وجْهَ اللهِ عزَّ وجَلَّ، وأحِبُّ أنْ يُرى موْطِنِي، فلم يرُدَّ عليه حتَّى نزَلَتْ هذه الآيةُ الكريمَةُ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[٣]» [الكهف: ١١٠].

وإذا عرَفْتِ أيَّتها[٤] المؤمنَةُ الطّالبةُ للخيْرِ ما تقدَّم لكِ مِن هذه الأخبارِ[٥] والآياتِ، فلا بدَّ مِن معرفَةِ الإخلاصِ، وإلا فقد تُلَبِّسُ عليكِ النَّفسُ[٦] شيئًا تظنِّينَ أنّكِ مُخلصةٌ وأنتِ مُرائيَةٌ ولا تشعُرين[٧]، وللنّاسِ في الإخلاصِ أقاويلُ كثيرةٌ، وليسَ[٨] الغرَضُ في التَّطويلِ، فلنذكُر[٩] / [٣/ب] نُبْذةً يسيرةً مِن ذلكَ؛ لتعرِفَ المتعبِّدةُ حالَها، أهيَ في النارِ أم في الجنَّةِ؟

ولتعلَمَ أيضًا قبلَ شُروعِها في العبادَةِ وفي شُروعِها في الطاعاتِ[١٠]: أنّ اللهَ عزَّ وجَلَّ مُطَّلعٌ عليها وعلى سِرِّها؛ فإنْ أحسَّتْ بشيءٍ[١١] مِن الرِّياءِ فلتبادِرْ[١٢] إلى ترْكِه، وإلا فما أخوَفَنِي عليها مِن مُصيبةٍ وقعَتْ فيها، وقد قالَ العُلماءُ: «من تزيَّنَ للناسِ بما ليسَ فيه فقد سقَطَ مِن عيْنِ اللهِ تعالى[١٣]، ولن

---

(١) في (ب) و(د): «المواقف».
(٢) «به» ليس في (د).
(٣) «المستدرك» للحاكم (٧٩٣٩)، و«الجهاد» لابن المبارك (١٢).
(٤) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٥) «الأخبار» ليس في (ب).
(٦) في (د): «الشيطان والنفس».
(٧) في (س) و(ب) و(د): «تشعري».
(٨) في (ب): «ليس».
(٩) في (س) و(ب): «فنذكر».
(١٠) في (د): «الطاعة».
(١١) في (س) و(ب): «من شيء».
(١٢) في (د): «فيتبادر».
(١٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦١)، و«إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك» (١٧٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨١).

يهلِكَ أحَدٌ حتَّى يؤثِـرَ هَواهُ على دِينِه»[١]. فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ.

قالَ أهْلُ التحقيقِ: «الإخلاصُ أنْ تكونَ حركَةُ الشخصِ وسُكونُه[٢] فـي سرِّه وعلانيتِـه لله، لا يختلِطُ بذلكَ هوًى ولا دُنيا»[٣].

وقالَ بعضُهم: «الإخلاصُ: التوقِّي عن ملاحظَةِ الخَلْقِ، والصدقُ: التوقِّي عن مُطالعةِ النفسِ، فالمخلِصُ لا رِيـاءَ له، والصّادقُ والصّادقـةُ لا إعجابَ لهُما»[٤].

وقالَ بعضُهم: «الإخلاصُ أن يريدَ بطاعتِه التقرُّبَ إلى الله عزَّ وجَلَّ دُونَ التصنُّعِ للخَلْقِ، أو تَحصيلِ أنْ يُحمَدَ عندَ النّاسِ ويُثنَى[٥] عليه، أو قصْدِ معنًى مِن المعانِي غيْرِ التقرُّبِ إلى الله عزَّ وجَلَّ»[٦].

قالُوا: «وللإخلاصِ علاماتٌ[٧]:

منها: استواءُ المدْحِ والذمِّ.

ومنها: أن ينْسَى أن يرَى[٨] أنّه يعمَلُ في حالِ طاعتِه.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٧). (٢) في (ب): «وفي سكوته».

(٣) انظر: «أصول الوصول إلى الله تعالى» (٩٣)، و«الأذكار» للنووي (٧).

(٤) قوله: «وقال بعضهم: الإخلاص: التوقي عن ملاحظة الخلق، والصدق: التوقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له، والصادق والصادقة لا إعجاب لهما» ليس في (ب). وانظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦٠)، و«الأذكار» للنووي (٧)، و«بستان العارفين» للنووي (٢٧).

(٥) في (د): «أو يثنى».

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٥٩)، و«الأذكار» للنووي (٧).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٣٦٠)، و«الغنيـة لطالبي طـريق الحق» (٢: ١١٢)، و«بستـان العارفين» للنووي (٢٧).

(٨) في (ب): «أيرى».

ومنها: طلَبُ ثوابِ الآخرَةِ.

وقالَ[١] بعضُهم: الصادقُ هو الذي لا يُبالِي لو خرَجَ كلُّ قدْرٍ له في قُلوبِ الخلْقِ مِن أجْلِ صلاحِ قلْبِه، ولا يحِبُّ أن يطَّلعَ النّاسُ على مَثاقيلِ الذَّرِّ[٢] مِن حَسَنِ عمَلِه، ولا يكْرَهُ أن يطَّلِعَ النّاسُ على السيِّئِ مِن عمَلِه»[٣].

وهذا كلامٌ حَسنٌ؛ لأنّ مَن وصَلَ إلى ذلكَ فقَدْ أخلَصَ وماتَ عندَه[٤] ما سِوى الله عزَّ وجَلَّ، وهذا في الحقيقَةِ هو مَعْنى لا إلهَ إلا الله، فهذا هوَ الموحِّدُ بالله تعالى، والله أعلَمُ.



(١) في (د): «قال».

(٢) في (د): «الذرة».

(٣) قوله: «ولا يكره أن يطلع الناس على السيِّئ من عمله» ليس في (ب).

(٤) في (د): «عند».

فَصْلٌ
[في عيش النبي ﷺ][1]

نذكُرُ فيه شيئًا مِن عَيشِ سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ ﷺ؛ لأنّه المُشَرِّعُ، وقد قالَ[2] الله عزَّ وجَلَّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾، الآية [الأحزاب: ٢١]. [٤/أ]

وإنما أذكُرُ[3] ذلكَ؛ ليتبيَّنَ الحقُّ مِن الباطِلِ، ويُعلَمَ بذلكَ الموفي مِن المُماطِلِ، فأوَّلُ ما نذكُرُه[4] سؤالُه لربِّه معَ ما أكرَمَه الله عزَّ وجَلَّ مِن فُتوحِ كُنوزِ الأرضِ عليه فأبَى ذلكَ، ثمَّ كانَ معَ هذا الإكرامِ يقولُ: «**اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**[5]». كذا رَواهُ البُخارِيُّ[6] ومُسلمٌ[7]، مِن رِوايةِ أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه.

فكانَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يطلُبُ مِن ربِّه عزَّ وجَلَّ القُوتَ لا الشِّبعَ، والنّاسُ عكْسُ ذلكَ يطلُبونَ السَّعةَ، ويفرَحُونَ بما هوَ فتنةٌ، وهوَ المالُ والولَدُ، قالَ الله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

قالَ أبو حازمٍ رحمه الله: رأيْتُ أبا هُريرةَ رضي الله عنه قالَ بإصبعِه مِرارًا[8]:

---

(١) جاء في حاشية (د): «مطلب من عيش رسول الله ﷺ».
(٢) في (ب): «وقال».
(٣) في (د): «نذكر».
(٤) في (ب): «نذكر».
(٥) في (د): «كفافًا قوتًا».
(٦) «صحيح البخاري» (٦٤٦٠).
(٧) «صحيح مسلم» (١٠٥٥).
(٨) «مرارًا» ليس في (د).

«والذي نفْسُ أبي هُريرةَ بيدِه، ما شبِعَ نبيُّ الله ﷺ وأهْلُه ثلاثةَ أيّامٍ تِباعًا مِن خُبزِ حِنطةٍ حتَّى فارَقَ الدُّنيا». رَواهُ البُخارِيُّ[(١)] ومُسلمٌ[(٢)].

وقال عُمرُ بنُ الخطّابِ رضِيَ الله عنه: «كانَ رَسولُ الله ﷺ يظَلُّ اليومَ يلْتَوِي ما يجِدُ دَقَلًا يَمْلَأُ بَطْنَه». رَواهُ مُسلمٌ[(٣)].

والدَّقَلُ: رَديءُ التَّمرِ[(٤)].

وقالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: «ما أعلَمُ رَسولَ الله ﷺ رَأى رَغِيفًا مُرقَّقًا، ولا شاةً سَمِيطًا[(٥)]». رَواهُ البُخارِيُّ[(٦)].

ومرَّ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه بقومٍ بينَ أيدِيهِم شاةٌ مَصْليّةٌ، فدَعَوْه فأبَى، ثمَّ قالَ: «خرَجَ رَسولُ الله ﷺ مِن الدُّنيا ولم يشبَعْ مِن خُبْزِ[(٧)] الشَّعيرِ»[(٨)].

وقالَ[(٩)] ابنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهما: «كانَ رَسولُ الله ﷺ يَبِيتُ اللَّياليَ المُتتابعَةَ طاويًا هوَ وأهْلُه لا يَجِدونَ عَشاءً، وكانَ أكثَرُ خُبْزِهم الشَّعيرَ»[(١٠)].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٣٧٤). (٢) «صحيح مسلم» (٢٩٧٦).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٧٨).
(٤) «الصحاح» (٤: ١٦٩٨)، و«لسان العرب» (١١: ٢٤٦)، و«المصباح المنير» (١: ١٩٧)، و«القاموس المحيط» (٩٩٩).
(٥) السميط: المنزوع منه شعره. انظر: «تهذيب اللغة» (٧: ١١٨)، و«الصحاح» (٣: ١١٣٥)، و«لسان العرب» (٧: ٢٩٦).
(٦) «صحيح البخاري» (٥٤٢١). (٧) في (س): «الخبز».
(٨) «صحيح البخاري» (٥٤١٤).
(٩) في (د): «وقال».
(١٠) «جامع الترمذي» (٢٣٦٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣٣٤٧)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وانظر: «الأحكام الوسطى» (٤: ٢٨٤).

وقالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: «**كانَ يمُرُّ بنا**[١] **هِلالٌ وهِلالٌ**[٢] **ما يُوقَدُ في بيتٍ مِن بُيوتِ رَسولِ الله ﷺ نارٌ**». قال عُروةُ: قلْتُ: يا خالَةُ فعلى أيِّ شيءٍ كُنْتُم تَعِيشونَ؟ قالت: «عَلَى الأسودَينِ: التَّمرِ، والماءِ»[٣]. [٤/ب]

وقالَ[٤] ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «**قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ وإنّ دِرْعَهُ لَمَرهونَةٌ**[٥] **عندَ رجلٍ مِن يهودَ على ثلاثينَ صاعًا مِن شَعيرٍ، أخَذَها رِزْقًا لعيالِه**»[٦].

وقالَ[٧] أنسٌ: «جاءَتْ فاطمَةُ رضِيَ الله عنها بكِسْرةِ خُبزٍ إلى النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: «**ما هَذِهِ الكِسْرَةُ يا فاطِمَةُ؟**» فقالَتْ: قُرْصٌ خبَزْتُه[٨] فلم تَطِبْ نفْسِي حتَّى أتيْتُكَ[٩] بهذه الكِسْرةِ[١٠]، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**أما إنّه أوّلُ طَعامٍ دَخَلَ فمَ أبيكِ مُنْذُ ثَلاثَةِ أيّامٍ**»[١١].

وقالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: خـرَجَ رَسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ، أو ليلةٍ، فإذا هوَ بأبي بكرٍ وعُمرَ رضِيَ الله عنهُما، فقالَ: «**ما أخْرَجَكُما مِـنْ بُيُوتِكُما هَـذِهِ السّاعَةَ؟**» قالا: الجـوعُ يا رَسولَ الله، فقالَ: «**وَأنا، والذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ،**

---

(١) في (د): «علينا».

(٢) جاء بعدها في (س): «وهلال»، وفي (د): «الهلال وهلال».

(٣) «صحيح البخاري» (٦٤٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٩٧٢).

(٤) في (د): «قال».

(٥) «لمرهونة» ليس في (د).

(٦) «مسند أحمد» (٢١٠٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٢٠٠٢٢).

(٧) في (د): «قال».

(٨) في (د): «خبزته قرصًا».

(٩) في «شعب الإيمان»: «آتيك».

(١٠) قوله: «فقال: ما هذه الكسرة يا فاطمة» إلى هنا ليس في (ب).

(١١) «مسند أحمد» (١٣٢٤٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٥٠)، و«شعب الإيمان» (٩٩٤٥)، والحديث ضعيف انظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٤: ١٦٠٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣١٢): «رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات».

لَأَخْرَجَنِـي[1] **الذِي أَخْرَجَكُما، قُوما**[2]»، فقامُوا معَه فأتَى[3] رجُلًا مِن الأنصارِ فإذا هوَ ليسَ في بيتِه، فلمّا رأتْه المرأةُ، قالَتْ[4]: مَرْحبًا وأهلًا، فقالَ لها رَسولُ الله ﷺ: «**أيْنَ فُلانٌ؟**» قالَتْ: ذهَبَ؛ يَستعذِبُ لنا الماءَ؛ إذ جاءَ الأنصاريُّ فنظَرَ إلى رَسولِ الله ﷺ وصاحبَيْه، فقالَ: الحمْدُ لله ما أحدٌ[5] اليومَ أكرَمَ أضيافًا منِّي، فانطلَقَ فجاءَهُم بعِذْقٍ فيه بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ، فقالَ: كُلُوا، وأخَذَ المُدْيةَ[6]، فقالَ له رَسولُ الله ﷺ: «**إيّاكَ والحَلُوبَ**» فذبَحَ لهم، فأكَلُوا[7] مِن الشّاةِ ومِن ذلكَ العِذْقِ وشَرِبُوا، فلمّا أن شبِعُوا ورَوَوا، قالَ رَسولُ الله ﷺ لأبي بكرٍ وعُمرَ رضِيَ الله عنهُما: «**والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أصابَكُمْ هَذا النَّعِيمُ**». رَواهُ مُسلمٌ[8].

إذا كانَ هذا قولُه ﷺ في أكلَةٍ بعدَ هذا الجوعِ الشَّديدِ[9]، فكيفَ حالُ سؤالِ مَن لم يزَلْ يأكُلُ ويترفَّهُ؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعونَ على ما نفعَلُ/ بأنفُسِنا. [٥/أ]

والعِذْقُ: الغُصنُ[10]، والمُدْيةُ: السكِّينُ[11]، والحَلُوبُ: ذاتُ اللَّبنِ[12].

---

(١) في (د): «أخرجني».
(٢) في (س) و(ب): «قوموا».
(٣) في (د): «فأتيا».
(٤) في (س): «قال»، وفي (د): «فقالت».
(٥) في (س): «أجد».
(٦) في (د): «المذية».
(٧) في (د): «وأكلوا».
(٨) «صحيح مسلم» (٢٠٣٨).
(٩) «الشديد» ليس في (د).
(١٠) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣: ٢١٣)، و«شرح المشكاة» (٩: ٢٨٦٨)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٢٧٣٤).
(١١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣: ٢١٤)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٢٧٣٤).
(١٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٣: ٢١٤)، و«شرح المشكاة» (٩: ٢٨٦٨)، و«مرقاة المفاتيح» (٧: ٢٧٣٤).

وهذا الأنصارِيُّ الذي أتَوْه هوَ: أبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ رضِيَ الله عنه، ذكَرَه الترمذِيُّ[١] وغيْرُه[٢]، وجاءَ مُبيَّنًا في بعضِ الرواياتِ.

وقالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: «رهَنَ رَسولُ الله ﷺ دِرعَهُ على شعيرٍ، ومشَيْتُ إلى النَّبيِّ ﷺ بخُبزِ شعيرٍ وإهالةٍ سَنِخَةٍ، ولقد سمِعْتُه يقولُ: «**ما أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ إلا صاعٌ، ولا أمْسَى، وإنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أبْياتٍ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٣].

والإهالةُ بكسْرِ الهمزةِ: الشَّحمُ الذّائبُ[٤]، والسَّنِخَةُ: المتغيِّرةُ[٥].

وَيْحَكُنَّ، بل ويْلَكُنَّ يا نساءَ زَمانِنا، يا عدوّاتِ أنفسِهِنَّ، تسمَعْنَ بحالَةِ أزواجِ رَسولِ الله ﷺ، وما هُنَّ فيه مِن ضِيقِ العَيشِ، وهنَّ زوجاتُ[٦] رسولِ اللهِ ﷺ وهو أفضَلُ الخلْقِ، ولا تَتأَسَّيْنَ[٧] بهِنَّ، بل تطلُبُ إحداكُنَّ أنْ تكونَ في رغَدٍ مِن العيشِ، وإن فاتَها ثوابُ ما عندَ الله تَعالى مِن الخيْرِ.

بل مِن المُصيبةِ العَظيمةِ على الواحدَةِ منكُنَّ أنّ زوْجَها يأتِي بالشَّيءِ[٨] بعدَ أنْ كابَدَ المَشاقَّ فتُظْهِرُ الكراهيَةَ لِما[٩] أتَى به، وتعْبِسُ لذلكَ.

فكأنِّي بها وقد تشنَّجَ وجْهُها في ظُلمةِ القبْرِ، وفي نارٍ لو نزَلَت[١٠] مِنها شرارَةٌ لأحرَقَتِ الدُّنيا وما عَلَيْها، وما أخوَفَني على الواحدَةِ منكُنَّ، وقد قالَتْ:

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٣٦٩)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٢) «سنن النسائي» (٦٥٨٣)، و«مستخرج أبي عوانة» (٨٣٠٤)، و«شعب الإيمان» (٤٢٨٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٢٥٠٨).

(٤) في (د): «المذاب». وانظر: «لسان العرب» (٣: ٢٧)، و«تاج العروس» (٣٢: ١٦).

(٥) انظر: «لسان العرب» (٣: ٢٧).

(٦) في (د): «أزوج».

(٧) في (د): «تتشبهن».

(٨) في (د): «بشيء».

(٩) في (س) و(ب): «كراهية ما».

(١٠) في (س): «نزل».

إنّ بيتَ فُلانٍ وفُلانٍ في عَيشٍ طيِّبٍ، ونحنُ يا خَيْتي في هذِهِ[١] الحالِ، فيقولُ لها زوْجُها: إنّ بيتَ فُلانٍ وفُلانٍ قد آثَرُوا دُنْياهُم على دِينِهم، واقتداؤُنا[٢] برَسولِ الله ﷺ وبنسائِهِ أمَّهاتِ المُؤمنينَ أحبُّ إلينا[٣] وأقرَبُ إلى رِضا[٤] الله عزَّ وجَلَّ علينا، فتقولُ في جوابه: وأيُّ شيء أعمَلُ بدينِكَ؟ اذهَبْ واقطَعْ رُؤوسَ الأحياءِ والأمواتِ وأطعِمْني طَيِّبًا، وألبسْني[٥] النّاعِمَ[٦] مِن الثِّيابِ، والآخِرَةُ مُؤخَّرةٌ، ونحْوَ ذلكَ مِن الكلامِ السيِّءِ، فهذه [٥/ب] امرأةٌ قد أوقعَتْ نفْسَها في حُفرةٍ مِن[٧] حُفرِ جهنَّمَ بهذه الكلمَةِ الخبيثةِ.

ففي حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنهُ أنّهُ قالَ: سمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: **«إنّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بِها إلَى النّارِ أبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»**. رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩].

نعُوذُ باللهِ تعالى مِن بَطْنٍ تؤدِّي إلى هذه البليّةِ، وأيُّ شيءٍ أعظَمُ على العبْدِ مِن هذا؟

قالَ عبدُ الله بن مَسعودٍ رضِيَ الله عنه[١٠]: قالَ رَسولُ الله ﷺ: **«يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَها سَبْعُونَ ألْفَ زِمامٍ، مَعَ كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها»**. رَواهُ مُسلمٌ[١١].

---

(١) في (ب) و(د): «هذا».
(٢) في (د): «واقتدينا».
(٣) في (د): «النساء».
(٤) «رضا» ليس في (د).
(٥) في (س): «ولبسني».
(٦) في (د): «ناعمًا».
(٧) قوله: «حفرة من» ليس في (د).
(٨) «صحيح البخاري» (٦٤٧٧).
(٩) «صحيح مسلم» (٢٩٨٨).
(١٠) بعدها في (ب) و(س): «قال: قال».
(١١) «صحيح مسلم» (٢٨٤٢).

وقالَ أسامَةُ رضِيَ الله عنه: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**قُمْتُ عَلَى بابِ الجَنَّةِ، فكانَ عامَّةَ مَنْ دَخَلَها المَساكِينُ، وأصْحابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أنّ أصْحابَ النّارِ[1] قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إلَى النّارِ، وقُمْتُ عَلَى بابِ النّارِ فإذا عامَّةُ مَنْ دَخَلَها النِّساءُ**». رَواهُ البُخارِيُّ[2] ومُسلمٌ[3].

والجَدُّ ـ بفتْحِ الجيمِ ـ: هوَ الحظُّ والغِنَى[4].

فعليكِ أيَّتها[5] المسكينةُ بالمُبادرةِ إلى التوبةِ مِن هذه الحالةِ الخبيثَةِ التي تؤدِّي إلى هذه النارِ المَهولةِ، واحرصِي على أن تكونِي[6] ممَّنْ أخبرَ سَيِّدُ الأوَّلينَ والآخِرينَ بفلاحِهِ، ففي حديثِ عبدِ الله بنِ عُمرَ[7] رضِيَ الله عنهُما، أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «**قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسْلَمَ، وكانَ رِزْقُهُ كَفافًا، وقَنَّعَهُ الله بِما آتاهُ**». رَواهُ مُسلمٌ[8].

وفي رِوايةِ فضالةَ الأنصاريِّ رضِيَ الله عنه، أنّه سمِعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإسْلامِ، وكانَ عَيْشُهُ كَفافًا، وقَنَعَ**». رَواهُ الترمذِيُّ[9]، وقالَ: «حديثٌ صحيحٌ»[10].

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**اطَّلَعْتُ عَلَى الجَنَّةِ فرَأيْتُ أكْثَرَ أهْلِها الفُقَراءَ،**

---

(١) «النار» ليس في (ب).
(٢) «صحيح البخاري» (٥١٩٦).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٧٣٦).
(٤) انظر: «المصباح المنير» (١: ٩٢)، و«تاج العروس» (٧: ٤٧٣).
(٥) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٦) في (ب): «تكون».
(٧) «ابن عمر» ليس في (د).
(٨) «صحيح مسلم» (١٠٥٤).
(٩) «جامع الترمذي» (٢٣٤٩).
(١٠) في (د): «حديث حسن صحيح».

واطَّلَعْتُ عَلَى النّارِ فرَأيْتُ أكْثَرَ أهْلِها الأغْنِياءَ[(١)]». رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[(٢)] بإسنادٍ جيِّدٍ[(٣)].

[٦/أ] واعلَمِي أيَّتها[(٤)] المُؤمنةُ الطّالبةُ للخيْرِ إن لم تتَّعظِي بما ذكَرْتُ لكِ، فاعلَمِي أنّكِ مَطرودَةٌ عنِ الخيْرِ، مُلقيةٌ نفْسَكِ في حُفرةٍ مِن حُفرِ النارِ؛ فإن لم تقْدِري على حبْسِ نفْسِكِ عن هذا البلاءِ الذي نزَلَ بكِ مِن حُبِّ المأكَلِ والملبَسِ والشَّهواتِ، فضَعِي يدَكِ في النارِ؛ تحصُلْ[(٥)] لكِ اليقظَةُ، واللهُ أعلَمُ.

وإذا عرَفْتُنَّ أيَّتها[(٦)] المُؤمناتُ الطّالباتُ للخيْراتِ ما تقدَّمَ، فعليكُنَّ بالاقتداءِ بمَنْ عِندَ ذكْرِهِنَّ تتنَزَّلُ الرَّحمةُ والخَيْراتُ، وبالتأسِّي بهِنَّ يُنالُ رِضوانُ الله عزَّ وجَلَّ[(٧)] والدَّرجاتُ السنِيَّاتُ.

* * *

فأوَّلُ ما أبدَأُ بهِ:

[فاطمة بنت محمد ﷺ]

[١] فاطمَةُ رضِيَ الله عنها، بنتُ سيِّدِ السّابقينَ واللاحقينَ رَسولِ الله ﷺ[(٨)].

---

(١) جاء بعدها في «مسند أحمد»: «والنساء».
(٢) «مسند أحمد» (٦٦١١).
(٣) انظر: «المطالب العالية» (١٨ : ٦٢٨)، و«مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠ : ٢٦١).
(٤) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٥) في (د): «ليحصل».
(٦) في (س) و(ب): «أيها».
(٧) في (د): «رضوان الله عليكن».
(٨) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٩)، و«الاستيعاب» (٤ : ١٨٩٣)، و«المنتظم» (٤: ٩٥).

وأمُّها خديجةُ[١] رضِيَ الله عنها، ولدَتْها وقريشٌ تبْنِي البيتَ الحَرامَ[٢] قبلَ النبوَّةِ بخمْسِ سِنينَ، وهيَ أصغَرُ بَناتِه[٣].

وتزوَّجَها[٤] عليٌّ رضِيَ الله عنه في السنةِ الثانيةِ مِن الهجْرةِ في رَمضانَ، وبَنَى بها في ذي الحجَّةِ.

وقيلَ: تزوَّجَها في رَجبٍ، وقيلَ: في صَفرٍ، فولَدَتْ له الحسَنَ، والحُسينَ، وزينَبَ، وأمَّ كُلثومٍ[٥].

قالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «لقد تزوَّجْتُ فاطمَةَ وما لي ولها فراشٌ غيْرَ جلْدِ كبشٍ نَنامُ[٦] عليه باللَّيلِ، ونعلفُ عليه الناضِحَ بالنهارِ، وما لي ولها خادِمٌ غيْرُها»[٧].

قالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «لمّا زوَّجَنِي رَسولُ الله ﷺ بفاطمَةَ رضِيَ الله عنها بعَثَ معَها خميلَةً، ووِسادَةَ أدَمٍ حشْوُها لِيفٌ، ورَحًى[٨]، وسِقاءً، وجَرَّتينِ».

والأدَمُ: الجلْدُ[٩]، والرَّحَى: الطّاحونَةُ[١٠].

---

(١) في (د): «خديجة الكبرى». (٢) «الحرام» ليس في (س).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٩٣)، و«المنتظم» (٤: ٩٥).

(٤) في (د): «تزوجها».

(٥) وولدت له أيضًا من الذكور: مُحسنًا، ولكنه مات صغيرًا. وانظر: «سيرة ابن إسحاق» (٢٤٧)، و«مسند أحمد» (٧٦٩)، و«المنتخب من ذيل المذيل» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٨).

(٦) في (د): «تنام».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢)، و«المجالسة وجواهر العلم» (١٣٦١).

(٨) في «مسند أحمد»: «ورحيين».

(٩) انظر: «الصحاح» (٥: ١٨٥٨)، و«لسان العرب» (١٢: ١٠)، و«القاموس المحيط» (١٠٧٤).

(١٠) انظر: «لسان العرب» (١٣: ٢٦٤)، و«المصباح المنير» (٢: ٣٧٠)، و«تاج العروس» (٣٥: ٣٤٩).

قالَ[(١)] عليٌّ ذاتَ يومٍ لفاطمَةَ: لقد سَنَوْتُ حتَّى اشتكَيْتُ صَدْرِي، وقدْ جاءَ الله تعالى أباكِ بسبْيٍ، فاذهَبِي فاستخْدِمِيهِ يعْنِي: اطلُبِي منه خادمًا، فقالَتْ فاطمَةُ رضي الله عنها: وأنا والله طحَنْتُ حتَّى مَجَلَتْ يَداي أي: نفطَتْ[(٢)]، فلمّا أتَتِ النَّبيَّ ﷺ، قالَ: «ما جاءَ بِكِ أيْ بُنَيّةُ؟» فقالَتْ: جِئْتُ؛ [٦/ب] لأسلِّمَ عَليكَ، واسْتَحْيَتْ أنْ تسألَه، فرجَعَتْ، فقالَ عليٌّ: ما فعَلْتِ؟

فقالَتْ: استحيَيْتُ أنْ[(٣)] أسألَه، فأتياهُ[(٤)] جميعًا، فقالَ عليٌّ: يا رَسولَ الله، لقد سَنَوْتُ حتَّى اشتكَيْتُ صَدْرِي، وقالَتْ فاطمَةُ: قد[(٥)] طحَنْتُ حتَّى مجَلَتْ يَداي، وقدْ جاءَ الله عزَّ وجَلَّ بهذا السَّبيِ وبسَعَةٍ فأخْدِمْنا، فقالَ ﷺ: **«لا والله، لا أُعْطِيكُما وأدَعُ أهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوَى بُطُونُهُمْ، لا أجِدُ ما أُنْفِقُ عَلَيْهِمْ، ولَكِنِّي أبيعُهُمْ وأُنْفِقُ عَلَيْهِمْ أثْمانَهُمْ»**. فرجَعا، فأتاهُما النَّبيُّ ﷺ وقد دَخَلا في قَطيفتِهما، وكانا إذا غَطَّيا رُؤوسَهما تكشَّفَتْ أقدامُهما، وإذا غَطَّيا أقدامَهُما تكشَّفَتْ رُؤوسُهما، فثارا، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: **«مَكانَكُما»**، ثمَّ قالَ: **«ألا أُخْبِرُكُما[(٦)] بِخَيْرٍ مِمّا[(٧)] سَأَلْتُمانِي؟»** قالا: بَلَى، فقالَ: **«كَلِماتٌ[(٨)] عَلَّمَنِيهِنَّ[(٩)] جِبْرِيلُ: إذا أَوَيْتُما إلَى فِراشِكُما، فَسَبِّحا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، واحْمَدا ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وكَبِّرا أرْبَعًا وثَلاثِينَ»**[(١٠)].

---

(١) في (د): «فقال».

(٢) في (د): «انقطعت». وانظر: «الصحاح» (٥: ١٨١٦)، و«لسان العرب» (١١: ٦١٦)، و«القاموس المحيط» (١٠٥٦).

(٣) في (ب): «أني».

(٤) في «مسند أحمد»: «فأتيناه».

(٥) في (د): «وقد».

(٦) في (د): «أخيركما».

(٧) في (ب): «ما».

(٨) في (د): «كلمتان».

(٩) في (د): «علمني».

(١٠) «صحيح البخاري» (٥٣٦١).

فقالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: فوالله ما تركتُهُنَّ منذُ عَلَّمنِيهِنَّ رَسولُ الله ﷺ، فقالَ له ابـنُ الكَوّاءِ[١]: ولا ليلةَ صِفيـنَ؟ فقالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: قاتلَكُمُ الله يا أهْلَ العِراقِ، نعَمْ ولا ليْلَةَ صِفينَ[٢].

وقـالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «لَقَدْ كانَتْ فاطمَةُ بنتُ رَسولِ الله ﷺ أكرَمَ أهْلِه عليه[٣]، وكانَتْ زوجَتِي، فجرَّتْ[٤] بالرَّحَى حتَّى أثَّرَتِ الرَّحا بيدِها[٥]، واستَقَتْ[٦] بالقِرْبةِ حتَّى أثَّرَتِ القِرْبةُ بنَحْرِها، وقمَّتِ البيتَ أي: كنسَتْه[٧] حتَّى اغبَرَّتْ ثِيابُها، وأوقَدَتْ تحتَ القِـدْرِ حتَّى دنِسَتْ ثِيابُها، وأصابَها مِـن ذلكَ ضرٌّ»[٨]. والله أعلَمُ.

ويْحَكُنَّ بل ويْلَكُنَّ يا نساءَ هذا الزمانِ! بمَنِ اقتديْتُنَّ في تكبُّرِكُنَّ وترفُّهِكُنَّ[٩] وأكلِكُنَّ الطَّيِّبَ ولُبْسِكُنَّ النّاعِمَ وإخـدامِكُنَّ الأرِقّـاءَ والأحـرارَ؟ وهذه بنـتُ سيِّدِ الأوَّلينَ والآخِرينَ تفعَلُ هذه الأمورَ، وتقبَلُ وصيّةَ أبيها مُعلِّمِ الخيْرِ ﷺ [٧/أ] فـي التعوُّضِ عن هذه التـرفُّهاتِ بهذه الباقيـاتِ الصالحـاتِ، وهيَ التَّسبيـحُ والتَّحميـدُ والتَّكبيرُ، فكأنِّـي بِكُنَّ وقد ذهَبَتْ[١٠] عنكُنَّ هـذه الشَّهواتُ، وبقِيَتِ التَّبِعاتُ والمُطالَباتُ.

---

(١) في (د): «ابن اللاوي».
(٢) «مسند أحمد» (٨٣٨).
(٣) «عليه» ليس في (د).
(٤) في (ب): «فحدت».
(٥) في (د): «في يدها».
(٦) في (د): «واستقيت».
(٧) انظر: «الصحاح» (٥: ٢٠١٥)، و«لسان العرب» (١٢: ٤٩٣).
(٨) «سنن أبي داود» (٢٩٨٨)، و«الدعاء» للطبراني (٢٣٥).
(٩) «وترفهكن» ليس في (د).
(١٠) في (د): «ذهب».

ويْحَكُنَّ؛ اتَّقِينَ الله عزَّ وجَلَّ في أزواجِكُنَّ وفي أنفسِكُنَّ، فما أشدَّ أهوالِ الآخرَةِ، يا نساءَ المُؤمناتِ، انتصِحْنَ فإنّي والله لكُنَّ مِن النّاصحينَ، ولئنْ[١] أطعْتُنَّ ما نبَّهتُكُنَّ عليه واقتدَيْتُنَّ باللاتي[٢] أذكُرُهُنَّ لَتكونُنَّ مِن الفائزاتِ بالدَّرجاتِ العَلِيّاتِ[٣] في جنّاتِ النعيمِ.

وما هذه الدارُ الغرّارةُ التي وصَفَها الله تعالى بما وصَفَ به إبليسَ، عافانا[٤] الله تعالى وإيّاكُنَّ[٥] مِن شَرِّهَا[٦] وبلائِها، فلَكَمْ والله قد أهلَكَتْ مِن شَخصٍ، وكانَ يوَدُّ أنّه[٧] لم يشبَعْ يومًا؛ لِما رَأى مِنَ النَّعيمِ المُقيمِ للمُقِلِّينَ، والعذابِ الكبيرِ[٨] الأليمِ للمُترفِّهينَ، والله أعلَمُ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ اللِّباسَ؛ تَواضُعًا لله عَزَّ وجَلَّ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعاهُ الله[٩] يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ أيَّ حُلَلِ الإيمانِ شاءَ يَلْبَسُها**»[١٠].

رَواهُ الترمِذيُّ[١١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يُنْظَرْ الله[١٢] إلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ**».

---

(١) في (ب): «ولأن».
(٢) في (س) و(د): «بالتي».
(٣) في (د): «العاليات».
(٤) في (د): «عافاكن».
(٥) في (د): «وإيانا».
(٦) «شرها» مثبت من (د).
(٧) في (ب): «أن».
(٨) «الكبير» ليس في (د).
(٩) لفظ الجلالة مثبت من (د).
(١٠) «مسند أحمد» (١٥٦٣١)، و«مستدرك الحاكم» (٧٣٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
(١١) «جامع الترمذي» (٢٤٨١).
(١٢) لفظ الجلالة مثبت من (د).

رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

والأخبارُ بمثْلِ[٢] ذلكَ كثيرةٌ، واللهُ أعلَمُ[٣].

قالَ عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ: «كانَتْ فاطمَةُ بنتُ رَسولِ اللهِ ﷺ لَتعجِنُ وَإنّ قُصَّتَها[٤] تكادُ تضرِبُ الجَفْنَةَ»[٥].

تُوفيتْ فاطمَةُ رضِيَ اللهُ عنها بعدَ رَسولِ اللهِ ﷺ بستّةِ أشهُرٍ في ليلةِ الثلاثاءِ لثلاثٍ خلَوْنَ مِن رَمضانَ سنةَ اثنَتَي عشْرَةَ، وهيَ بنتُ ثمانٍ وعشرينَ سنَةً ونصْفٍ، وغسَّلَها عليٌّ رضِيَ اللهُ تعالى عنهُما، وصلَّى عليها[٦]، وقيلَ: صلَّى عليها العبّاسُ رضي الله عنه، ودُفِنَتْ ليلًا، وقيلَ غيرُ ذلكَ[٧]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[خديجة بنت خويلد]

[٢] **ومِنْهُنَّ**[٨]: خديجَةُ بنتُ خُويلدٍ رضي الله عنها[٩].

سافَرَ لها رَسولُ اللهِ ﷺ في تجارةٍ، فرَأتْ عندَ قُدومِه غَمامةً تُظِلُّه، فتزوَّجَتْه،

---

(١) «جامع الترمذي» (١٧٣١).

(٢) في (د): «مثل».

(٣) قوله: «والأخبار بمثل ذلك كثيرة، والله أعلم» ليس في (ب).

(٤) في (س) و(ب): «قصبتها»، وفي (د): «قبضتها».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٥١٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٣: ٣١٢).

(٦) قوله: «وصلى عليها» ليس في (د).

(٧) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣١٨٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ١٦١).

(٨) في (س): «ومنهم».

(٩) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٤)، و«الإصابة» (٨: ٩٩).

[٧/ب] وكانَتْ تزوَّجَتْ قبْلَه بزوجينِ[١]، ثمَّ تزوَّجَها رَسولُ الله ﷺ وهيَ بنتُ أربعينَ سنَةً، وجاءَتْه[٢] عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ النبوَّةُ فأسلَمَتْ، فهيَ أوَّلُ امرأةٍ آمنَتْ به، ولم ينكِحْ غيْرَها حتَّى ماتَتْ، وجميعُ أولادِه منها سِوى إبراهيمَ[٣].

قالَ أبو هُريرةَ: «أتَى جِبْريلُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ: «يا رَسولَ الله هذه خديجَةُ قد أتَتْكَ بإناءٍ فيه إدامٌ، أو طعامٌ، أو شَرابٌ[٤]، فإذا هيَ أتَتْكَ فاقرَأْ عليها السَّلامَ مِن ربِّها ومِنِّي، وبشِّرْها ببيتٍ في الجنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخبَ فيه ولا نَصَبَ».

رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦].

وهذا الخيْرُ العظيمُ الّذي حصَلَ لها، إنّما كانَ بحُسنِ أدبِها معَه ﷺ، وبإيثارِها له بمالِها ونفْسِها، فعليكُنَّ بالإحسانِ إلى أزواجِكُنَّ الأخيارِ، ومَن كانَتْ معَ زوجٍ عَريفٍ أو نَقيبٍ أو ظالمٍ أو فاسقٍ فلتتخلَّصْ[٧] منه، وإلا فقد أوقَعَتْ نفْسَها في بلاءٍ عظيمٍ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**كلُّ[٨] جِسْمٍ نَبَتَ عَلَى حَرامٍ فالنّارُ أوْلَى بِهِ**»[٩]. عافانا الله تعالى وإيّاكُنَّ[١٠] مِن أسبابِ النارِ، والله أعلَمُ.

---

(١) «بزوجين» ليس في (د). (٢) في (د): «وجاءت».
(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٥: ٢٩٣)، و«الإصابة» (٨: ٩٩).
(٤) في (ب) و(د): «وطعام وشراب». (٥) «صحيح البخاري» (٣٨٢٠).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٤٣٢).
(٧) في (د): «فلتتخلص».
(٨) «كل» مثبت من (ب).
(٩) «جامع الترمذي» (٦١٤) بلفظ: «لا يربوا لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به»، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من هذا الوجه».
(١٠) في (د): «وإياك».

وقالَتْ[١] عائشَةُ رضِيَ الله عنها: كانَ رَسولُ الله ﷺ لا يكادُ يخْرُجُ مِن البيتِ حتَّى يذكُرَ خديجَةَ فيحْسِنُ عليها الثَّناءَ، فذكَرَها يومًا مِن الأيّامِ فأدرَكَتْنِي الغَيرَةُ، فقلْتُ: هل كانَتْ إلا عَجوزًا قد أخلفَكَ الله تعالى خَيرًا منها؟

فغضِبَ حتَّى اهتَزَّ مقدَّمُ شعْرِه، ثمَّ قالَ: «**لا والله، ما أخْلَفَ الله خَيْرًا مِنْها؛ لَقَدْ آمَنَتْ إذْ[٢] كَفَرَ النّاسُ، وصَدَّقَتْنِي إذْ كَذَّبَنِي النّاسُ، وواسَتْنِي بِمالِها إذْ حَرَمَنِي النّاسُ**»[٣]. قالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: فقُلْتُ بَيْنِي وبينَ نفْسِي[٤]: لا أذكُرُها بسُوءٍ[٥] أبدًا[٦].

تُوفيتْ خديجَةُ رضِيَ الله عنها بعَدْ أنْ مَضَى مِن النبوَّةِ عشْرُ سِنينَ، وهيَ بنتُ خمسٍ وستِّينَ سنَةً، ودُفِنَتْ بالحَجُونِ، ونزَلَ رَسولُ الله ﷺ في حُفْرتِها، والله أعلَمُ[٧].

* * *

---

(١) في (س): «قالت».

(٢) في (د): «حين».

(٣) «مسند أحمد» (٢٤٩٠٨)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢١)، والحديث حسن، انظر: «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٩: ٢٢٤)، والحديث في «صحيح البخاري» (٣٨٢١)، و«صحيح مسلم» (٢٤٣٧) بمعناه.

(٤) في (د): «فقلت في نفسي».

(٥) في (د): «بشر».

(٦) انظر: «المنتظم» (٣: ١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٨)، قال ابن حجر في «الإصابة» (٨: ١٠٣): «قالت عائشة: فقلت في نفسي: لا أذكرها بعدها بسبة أبدًا. أخرجه أبو عمر أيضًا، ورويناه في كتاب «الذرية الطاهرة» للدولابي من طريق وائل بن أبي داود، عن عبد الله البهي عن عائشة».

(٧) انظر: «مقاتل الطالبيين» (٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٨)، و«جامع الأصول» (١٢: ٩٧).

[عائشة بنت أبي بكر الصديق]

[٣] ومِنْهُنَّ: عائشَةُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضِيَ الله عنهُما[١].

[٨/أ] وكانَتْ مُسماةً لجُبيرِ[٢] بنِ مُطعِمٍ، فخطَبَها رَسولُ الله ﷺ، فقالَ أبو بكرٍ رضِيَ الله عنه: «دعْنِي حتَّى أسُلَّها مِن جُبيرٍ سَلًّا رفيقًا»، ففعَلَ وتزوَّجَها[٣] رَسولُ الله ﷺ بمكَّةَ في شوّالٍ قبلَ الهجْرةِ بسنتينِ، وقيلَ: بثلاثٍ، وهيَ بنتُ ستِّ سِنينَ، وبَنَى بها بالمدينةِ أي: دخَلَ بها وهيَ بنتُ تِسعِ سِنينَ، ولم يتزوَّجْ بِكْرًا غيْرَها[٤].

قالَ[٥] هِشامُ بنُ عُروةَ: «كانَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها تسرُدُ الصَّومَ»[٦].

وقالَ عبدُ الرحمنِ بنُ القاسِمِ: قالَ أبي: «كانَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها تَصومُ الدَّهرَ، لا تفطِرُ إلا يومَ الأضْحَى أو يومَ الفِطْرِ»[٧].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها كثيرةَ الاجتهادِ في العبادَةِ.

قالَ القاسِمُ[٨]: «كنْتُ إذا غدَوْتُ أبدَأُ ببيتِ عائشَةَ رضِيَ الله عنها؛ أسلِّمُ عليها، فغدَوْتُ يومًا، فإذا هيَ تُصلِّي وتقرَأُ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدْعُو وتبْكِي، وتُرَدِّدُها حتَّى مَلِلْتُ القيامَ، فذهبتُ إلى

---

(١) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٨٨١)، و«المنتظم» (٥: ٣٠٢).

(٢) في (س) و(ب): «بجبير».

(٣) في (د): «فتزوجها».

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٥٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢).

(٥) قوله: «قال» مكررة في (س).

(٦) انظر: «الصيام» للفريابي (١٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩).

(٧) «مسند ابن الجعد» (٢٦٣٦)، و«الطبقات الكبرى» (٨: ٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩).

(٨) «القاسم» ليس في (د).

السُّوقِ لحاجَتِي وجئتُ[١]، فإذا هيَ قائمةٌ كما هيَ[٢] تُصلِّي وتبْكِي»[٣].

ومِن كلامِها النّافعِ رضِيَ الله عنها: «إنّكُم لنْ تلْقُوا الله تعالى بشيءٍ خيْرٌ لكُمْ مِن قلَّةِ الذُّنوبِ، فمَنْ سرَّهُ أن يسبِقَ الدّائبَ[٤] المُجتهِدَ فليكُفَّ عنِ الذنوبِ»[٥].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها زاهدَةً راغبَةً في الإيثارِ معَ كثْرَةِ عِبادتِها.

قالَ عَطاءٌ رحمه الله: «بعَثَ مُعاويةُ رضِيَ الله عنه إليها بطوقٍ مِن ذهَبٍ فيه جوْهَرٌ قُوِّمَ بمئةِ ألفٍ، فقسَّمَتْه بينَ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ»[٦].

قالَ محمَّدُ بنُ المنكدِرِ: قالَتْ أمُّ ذرَّةَ[٧] وكانَتْ تخدُمُ عائشَةَ رضِيَ الله عنها: «بعَثَ[٨] إليها ابنُ الزُّبيرِ رضي الله عنهُ بمالٍ في غِرارتَيْنِ، قالَتْ: أراه ثمانينَ أو مئةَ[٩] ألفٍ، فدَعَتْ بطَبقٍ، وهيَ يومئذٍ صائمةٌ، فجلَسَتْ تقسِّمُه بينَ

(١) «وجئت» ليس في (د).
(٢) قوله: «كما هي» ليس في (د) ومضروب عليه في (ب).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٥-٤٠٦)، وهذا الأثر في «شعب الإيمان» (١٩٢٤)، و«حلية الأولياء» (٢: ٤٨)، و«الزهد» لأحمد بن حنبل (٩٠٩)، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «أنها كانت إذا قرأت: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، قالت: «اللهم مُنَّ عليَّ وقني عذاب السموم».
(٤) في (د): «التائب».
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٧٣٨)، و«الزهد» لأبي داود (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٦).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٠٣٣٣)، و«الزهد» لهناد بن السري (٦١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).
(٧) في (د): «درة».
(٨) في (د): «فبعث».
(٩) في (د): «ومئة».

الناسِ، فأمسَتْ وما عندَها مِن ذلكَ دِرهمٌ، فلمّا أمسَتْ، قالَتْ: يا جاريةُ هلُمِّي فِطْرِي[1]، فجاءَتْها بخُبزٍ وزَيتٍ، فقالَت لها أمُّ ذرَّةَ: أما استطَعْتِ مِمّا قسَمْتِ اليومَ أن تشترِيَ لنا[2] بدِرهمٍ لَحْمًا[3] نفطِرُ عليه[4]؟ فقالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: لا تعنِّفينِي؛ لو كنْتِ ذكَّرتِنِي لفعَلْتُ»[5]، والله أعلَمُ.

[٨/ب] هذا شأْنُ طالباتِ الآخرَةِ نسِيَتْ نفْسَها رضِيَ الله عنها، وآثَرَتْ بهذا المالِ العظيمِ رجاءَ ثوابِ الله عزَّ وجَلَّ ورِضاهُ.

وأنتُنَّ يا نساءَ هذا الزَّمانِ عكْسُ ذلكَ، تترُكْنَ ما يقرِّبُ[6] إلى الله عزَّ وجَلَّ وتفعَلْنَ ما يُبعِدُكُنَّ عنه، وتخْشَينَ الفقْرَ، ولا تتَّقِينَ الله عزَّ وجَلَّ لا في مأكلٍ ولا مَلبَسٍ، أيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ ممّا أنتُنَّ[7] علَيْهِ[8] مِن هذه الخِصالِ الخَبيثةِ؟ فعليكُنَّ بالتَّوبةِ والاقتداءِ بأمِّكُنَّ[9] رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

قالَ عُروةُ: «لقد رأيتُ عائشةَ رضِيَ الله عنها تُقسِّمُ سَبعينَ ألفًا وهيَ ترقِّعُ دِرْعَها»[10].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها شديدَةَ الخوفِ مِن الله عزَّ وجَلَّ، لمّا مرِضَتْ جاءَ عبدُ الله بنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما يستأذِنُ عليها وعندَ رأْسِها ابنُ أخِيها

---

(١) في (د): «أفطر».
(٢) في (د): «لها».
(٣) كأنها في (س): «مما».
(٤) في (د): «عليها».
(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٦٧)، و«حلية الأولياء» (٢: ٤٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).
(٦) في (د): «يتقرب».
(٧) في (ب) و(س): «أنتم».
(٨) في (د): «فيه».
(٩) في (د): «بعائشة».
(١٠) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٧٤٠)، و«حلية الأولياء» (٢: ٤٧).

عبدُ الله بـنُ عبدِ الرحمنِ[١]، فقالَتْ: «دَعْنِـي مِنِ ابنِ عبّاسٍ»، فقالَ: «يا أمّاهُ، إنّ[٢] ابنَ عبّاسٍ مِن صالحِي بَنِيكِ، يُرِيدُ أنْ[٣] يُسلِّمَ عليكِ»، فقالَت: «ائذَنْ لهُ إنْ شئْتَ»، فأدْخَلْتُهُ، فلمّا جلَسَ، قالَ: «أبشِرِي فما بينَكِ وبينَ أنْ تلْقَيْ مُحمَّدًا ﷺ والأحِبَّةَ إلا أنْ تخرُجَ الرُّوحُ مِن الجسَدِ، كنْتِ أحَبَّ نِساءِ رَسولِ الله ﷺ إلـى رَسولِ الله، ولـم يكُنْ رَسـولُ الله ﷺ يحِبُّ إلا طَيِّبًا، وسقَطَتْ قِـلادَتُكِ يومَ الأبواءِ[٤]، فأصبَحَ رَسولُ الله ﷺ حتَّى تصبَّحَ فـي المنزِلِ، وأصبَحَ النّاسُ وليسَ معَهُم ماءٌ، فأنزَلَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فكانَ ذلكَ بسبَبِكِ، ومـا أنزَلَ الله تعالـى لهذه[٥] الأمَّةِ مِـن هذه الرُّخصةِ، وأنزَلَ الله عزَّ وجَلَّ براءَتَكِ مِن فوقِ سَبْعِ سَماواتٍ، جاءَ بها الرُّوحُ الأمينُ، فأصبَحَ ليسَ مسجِدٌ مِن مساجِدِ الله عزَّ وجَلَّ يُذكَرُ فيه الله عزَّ وجَلَّ إلا يُتْلَى فيه آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهارِ».

فقالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: «دَعْنِي مِنكَ يا ابنَ عبّاسٍ، فوالذي[٦] نفْسِي بيدِه، لودِدْتُ أنِّي كنْتُ نَسيًا مَنْسِيًّا»[٧].

قالَ الواقـدِيُّ: «تُوفيتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها ليلَةَ الثُّلاثاءِ لسبْعَ عشْـرَةَ مَضَتْ مِن رَمضانَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ، وهيَ ابنةُ ستٍّ وستِّينَ سنَةً»[٨].

---

(١) جاء بعدها في «مسند أحمد»: «فقلت: هذا ابن عباس يستأذن».
(٢) «إن» ليس في (د).
(٣) «أن» مثبت من المصادر.
(٤) في (د): «الأنواء».
(٥) في (د): «بهذه».
(٦) في (ب): «فوالله الذي».
(٧) «مسند أحمد» (٢٤٩٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٠٧٨٣)، وأصل الحديث في «صحيح البخاري» (٤٧٥٣).
(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٧٨)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤: ١٨٨٥)، و«أسد الغابة» (٦: ١٩٢).

[٩/أ] وقالَ غيْرُه: «تُوفيتْ سنةَ سبعٍ وخمسينَ».

وأوصَتْ أنْ تُدفَنَ بالبقيعِ معَ صَواحِباتِها، وصلَّى عليها أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، وكانَ خليفةَ مَرْوانَ بالمدينةِ[1]، واللهُ أعلم.

*

[حفصة بنت عمر بن الخطاب]

[٤] ومنهُنَّ: حفصةُ بنتُ عُمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ اللهُ عنهُما.

وكانَتْ عندَ خُنَيْسِ بنِ حذافةَ السَّهمِيِّ، وهاجَرَتْ معَه إلى المدينةِ، فماتَ عنها بعدَ الهجْرةِ لمّا قدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ مِن بدْرٍ[2].

قالَ عمرُ: «تأيَّمتْ حفصةُ مِن خُنيسٍ، وكانَ ممَّنْ شهِدَ بَدرًا، فلقِيتُ عُثمانَ ابنَ عفّانَ، فعَرَضْتُ عليه حفصةَ، فقلْتُ: إن شئْتَ أنكحْتُكَ حفصةَ، فقالَ: سأنظُرُ[3] في أمْرِي، فبقِيتُ لَيالِيَ، فلقِيَنِي، فقالَ: ما أريدُ أن أتزوَّجَ يومِي هذا.

قالَ عمرُ: فلقِيتُ أبا بكرٍ، فقُلْتُ: إن شئْتَ أنكحتُكَ حفصةَ، فلم يَرجِعْ إليَّ شيئًا، فكنْتُ أوجَدَ عليه منِّي على عُثمانَ، فلبِثْتُ ليالِيَ فخطَبَها إليَّ[4] رَسولُ اللهِ ﷺ، فأنكَحْتُها إيّاهُ، فلقِيَنِي أبو بكرٍ، فقالَ: لعلَّكَ وجَدتَ عليَّ حينَ عرَضتَ عليَّ حفصةَ فلم أرجِعْ إليكَ شيئًا؟

---

(١) «بالمدينة» ليس في (ب). وانظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٢٠٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢).

(٢) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٨١)، و«أسد الغابة» (٦: ٦٥).

(٣) في (ب): «سأنظري».

(٤) «إلي» ليس في (د).

قالَ: قلْتُ: نعَمْ، قالَ: فإنّه لم يمنَعْنِي أنْ أرجِعَ إليكَ شيئًا حينَ عرَضْتَها عليَّ، إلا أنِّي سمِعتُ رَسولَ الله ﷺ يذْكُرُها، ولم أكُنْ لأفشِيَ سرَّ[1] رَسولِ الله ﷺ، ولو ترَكَها لنكَحتُها». رَواهُ البُخارِيُّ[2].

وأخَذَ العُلماء رضِيَ الله عنهم مِن ذلكَ استحبابَ عرْضِ الرَّجلِ مُوليتَه على الرَّجلِ الصّالحِ[3]؛ لأنّ الله تعالى يتولَّى الصّالحينَ، ومَن يتولاه الله عزَّ وجَلَّ فهوَ سعيدٌ[4] الدُّنيا والآخرَةِ، ولهذا كانَتِ الملوكُ تخطُبُ بناتِ واحدٍ منهم[5] فيأبَى ذلكَ، ويحرِصُ على أنْ تكونَ مُوليتُه تحتَ مَن يعلِّمُها الخيرَ؛ ليسْلَمَ دينُها، وتفرَحُ بذلكَ، وتحزَنُ إذا كانَتْ تحتَ مَن هوَ مِن أبناءِ الدُّنيا؛ لأنّ السَّعةَ مفسدِةٌ للدِّينِ، والفقْرُ شِعارُ الأنبياءِ ودِثارُ الأولياءِ، أعادَ الله تعالى علَيْنا مِن بركاتِهم.

وقد ماتَ بينَ مكَّةَ والمدينةِ سبعون نبيًّا عليهم الصلاة والسلام بالقَمْلِ[6]

---

(١) في (د): «بسر». (٢) «صحيح البخاري» (٤٠٠٥).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧: ٢٢٩)، و«عمدة القاري» (٢٠: ١١٤)، و«شرح القسطلاني» (٨: ٤٥)، وقد وضعه البخاري تحت (باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير) «صحيح البخاري» (٧: ١٣).

(٤) في (د): «سيد». (٥) في (د): «منهن».

(٦) أخرج الحاكم في «المستدرك» (٧٨٤٨)، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو محموم فوضعت يدي من فوق القطيفة فوجدت حرارة الحمى فقلت: ما أشد حماك يا رسول الله! قال: «إنا كذلك معشر الأنبياء، يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر» قال: فقلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء» قلت: ثم من؟ قال: «ثم الصالحون، إن كان الرجل ليبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيحويها ويلبسها، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل، وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، وهو في: «الزهد» للإمام أحمد (٣٣٦)، و«المرض والكفارات» لابن أبي الدنيا (١).

والجُوعِ[١]؛ وذلكَ لكرامتِهم على الله عزَّ وجَلَّ.

قالَ[٢] ثابتٌ: «خطَبَ يزيدُ بنُ مُعاويةَ الدَّرداءَ، فردَّه أبو الدَّرداءِ، فخطَبَها شخْصٌ مِن ضُعفاءِ المُسلمينَ فأنكَحَه إيّاها، فتحدَّثَ النّاسُ في ذلكَ[٣] أنّه [٩/ب] ردَّ يزيدَ بنَ مُعاويةَ، وزوَّجَ شخصًا مِن ضُعفاءِ المُسلمينَ، فلمّا بلَغَ ذلكَ أبا الدَّرداءِ، قالَ أبو الدَّرداءِ: إنّي نظَرْتُ للدَّرداءِ، فما ظنُّكُم بالدَّرداءِ إذا قامَتْ على رأسِها الخِصْيانُ أي: الطَّواشيةُ[٤]، ونظَرَتْ في بُيوتٍ يلتمِعُ فيها بصَرُها، أينَ دِينُها منها يومئذٍ؟!»[٥]. والله أعلَمُ.

قالَ قيسُ بنُ زيدٍ[٦]: لمّا طلَّقَ رَسولُ الله ﷺ حفصةَ، قالَ له جِبْريلُ عليه السلام: «**راجِعْ حَفْصةَ؛ فإنّها صَوّامَةٌ قَوّامَةٌ، وإنّها زَوْجَتُكَ في الجَنَّةِ**»[٧].

وفي رِوايةِ عمّارِ بنِ ياسِرٍ: أرادَ رَسولُ الله ﷺ أنْ يطلِّقَ حفصةَ، فجاءَ جِبْريلُ عليه السَّلامُ، فقالَ: «**لا تُطَلِّقْها؛ فإنّها صَوّامَةٌ قَوّامَةٌ، وإنّها زَوْجَتُكَ في الجَنَّةِ**»[٨].

---

(١) انظر: «نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١: ١٨٤)، و«بريقة محمودية» (٣: ١١٦).

(٢) في (د): «وقال».

(٣) في (س): «بذلك».

(٤) انظر: «تاريخ إربل» (١: ٤٨٨)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» (٧: ٣٥٦).

(٥) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٧٦١)، و«شعب الإيمان» (١٠١٧٧)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢١٥).

(٦) في (د): «يزيد».

(٧) «مسند الحارث» (١٠٠٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٩٣٤)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٧٥٣)، قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٧: ٢٥١): «رواه الحارث بن أبي أسامة مرسلًا، ورواته ثقات»، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٥: ٤١٨-٤١٩): «وفي سياق المتن وهم آخر؛ لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يتزوج النبي ﷺ حفصة».

(٨) «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (٣٠٥٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٦)، و«معرفة =

قالَ الواقدِيُّ: «تُوفيتْ حفصةُ في شَعبانَ سنَةَ خمسٍ وأربعينَ في خلافةِ مُعاويةَ رضي الله عنه، وهيَ بنتُ[١] ستِّينَ سنَةً».

وقيلَ: ماتَتْ في خِلافةِ عُثمانَ بالمدينةِ[٢]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم سلمة]

[٥] ومِنْهُنَّ: أمُّ سلمةَ رضي الله عنها[٣].

هندُ بنتُ أَبِي أُميَّة، تَزوَّجَها النَّبيُّ ﷺ بعد وَفاةِ أبي سَلمةَ[٤]، وكانَتْ عندَ أبي سلمةَ، فهاجَرَ بها الهجْرتَينِ جميعًا، وماتَ أبو سلمةَ سنةَ أربعٍ مِن الهجْرةِ، فتزوَّجَها[٥] رَسولُ الله ﷺ[٦].

جاءَ أبو سلمَةَ يومًا إلى أمِّ سلمَةَ، فقالَ: لقَدْ سمِعْتُ مِن رَسولِ الله ﷺ

= الصحابة» لأبي نعيم (٧٤٠٢)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩: ٢٤٤): «وفي إسناديهما الحسن بن أبي الجعفر، وهو ضعيف».

(١) في (س): «ابنة».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢٠٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٨٦)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٥٦). جاء في (س): «أم المؤمنين هند بنت أبي أمية، حذيفة، وقيل: سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشية، المخزومية، كانت أولًا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد، وكانت من حسان النساء وعابداتهن، رضي الله عنها». اهـ.

(٤) من قوله: «هند بنت أمية» إلى هنا ليس في (س) و(ب).

(٥) في حاشية (س): «تزوجها في شوال سنة اثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر». اهـ.

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢١٧)، و«المنتخب من ذيل المذيل» (٩٥-٩٦)، و«تاريخ الطبري» (٣: ١٦٤).

حديثًا أَحَبَّ إليَّ مِن كذا وكذا، سمِعْتُه يقولُ: «**لا يُصِيبُ أحَدًا مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ، ويَقُولُ: اللَّهُمَّ أَحْتَسِبُ عندك**[١] **مُصِيبَتِي هَذِهِ**[٢]**، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِي فيها خَيْرًا مِنْها، إلا أَعْطاهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ**».

قالَتْ أمُّ سلمةَ: فلمّا أُصِبْتُ بأبي سلمةَ، قلْتُ: اللَّهمَّ عندَكَ أحتسِبُ مُصيبتِي هذه، ولم تطِبْ نفْسِي بقولِ: «أخلفْنِي فيها خيرًا[٣] منها»، ثمَّ قلْتُ: مَن خيرٌ مِن أبي سلمةَ؟ أليسَ أليسَ[٤]؟ ثمَّ قلْتُ ذلكَ، فلمّا انقَضَتْ عِدَّتِي أرسَلَ إليَّ أبو بكرٍ يخطُبُنِي، فأبَيْتُ، ثمَّ أرسَلَ إليَّ عُمرُ[٥]، فأبَيْتُ، ثمَّ أرسَلَ إليَّ رَسولُ الله ﷺ يخطُبُنِي، فقلْتُ: مرحبًا برَسولِ الله ﷺ، إنّ فيَّ خِلالًا ثلاثًا: إنّي[٦] امرأةٌ شديدَةُ الغَيرةِ، ولي صِبيةٌ، وليسَ لي أَحَدٌ هاهنا[٧] مِن أوليائِي فيزوِّجَنِي، فغضِبَ عُمرُ رضِيَ الله عنه لرَسولِ الله ﷺ حينَ ردَّتْه، فقالَتْ: يا ابنَ الخطّابِ فيَّ كذا وكذا، فأتاها رَسولُ الله ﷺ، فقالَ: «**أمّا ما ذَكَرْتِ مِن غَيرَتِكِ فإنّي أدْعُو اللهَ عَزَّ وجَلَّ** [١٠/أ] **أنْ يُذْهِبَها عَنْكِ، وأمّا ما ذَكَرْتِ مِنْ صِبْيَتِكِ فإنّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ سَيَكْفيهِمْ، وأمّا ما ذَكَرْتِ مِنْ أوْلِيائِكِ فلَيْسَ أحَدٌ شاهِدٌ أوْ غائِبٌ يَكْرَهُنِي**»، ثمَّ قالَ: «**أما إنّي لَمْ أُنْقِصْكِ مِمّا أعْطَيْتُ فُلانَةً**»، وكانَ قد أعطاها جَرَّتينِ[٨] تضَعُ فيهِما حاجتَها، ورَحًى، ووسادَةً مِن أدَمٍ حشْوُها لِيفٌ[٩].

---

(١) «عندك» مثبت من المصادر. (٢) في (د): «هذا».

(٣) في (س): «بخير». ومن قوله: «اللهم أخلفني فيها خيرًا منها» إلى هنا ليس في (ب).

(٤) في (د): «الكيس الكيس». (٥) في (ب): «عثمان».

(٦) في (ب) و(د): «أنا».

(٧) في (د): «وليس هاهنا أحد».

(٨) في (د): «حجرتين».

(٩) «مسند أبي يعلى» (٦٩٠٨)، وأصله في «صحيح مسلم» (٩١٨).

قيلَ: إنها كانَتْ في النِّساءِ كأنّها ليسَتْ فيهِنَّ، لا تجِدُ ما يجِدْنَ مِن الغَيرةِ؛ ببركَةِ دعْوَةِ رَسولِ الله ﷺ[١].

تُوفيتْ أمُّ سلمَةَ رضِيَ الله عنها في سَنةِ تسعٍ وخمسينَ[٢]، وقُبِرَتْ بالبَقيعِ، وهيَ ابنةُ أربعٍ وثمانينَ سنةً[٣]، والله أعلَمُ.

[أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب]

[٦] ومِنْهُنَّ: أمُّ حبيبةَ رضي الله عنها.

واسمُها: رملةُ بنتُ أبي سُفيانَ بنِ حربٍ[٤].

وكانَتْ تحتَ عُبيدِ الله بنِ جحشٍ، وهاجَرَ بها إلى الحبشَةِ في الهجْرةِ الثّانيةِ، ثمَّ ارتَدَّ عنِ الإسلامِ وتنصَّرَ، وماتَ هناكَ، نسألُ الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ من ذلكَ ومِن جَميعِ المعاصِي؛ فإنّها بريدُ[٥] الكفْرِ[٦]، وثبَتَتْ أمُّ حبيبَةَ على دِينِها، فبعَثَ رَسولُ الله ﷺ عَمْرَو بنَ أميّةَ[٧] الضَّمْرِيَّ إلى النَّجاشِيِّ؛ ليخطُبَها،

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٦٩٠٨).

(٢) في حاشية (س): «وصلى عليها أبو هريرة. قال الواقدي: قال ابن أبي خيثمة: توفيت في أيام يزيد بن معاوية.
قلت: والأحاديث الواردة في مقتل الحسين تدل على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله، والله أعلم». اهـ.

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٩٢١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٣٦٢).

(٤) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٩٦)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٤٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٣٠).

(٥) في (ب): «بريدة»، وفي (س): «بريدية». (٦) قوله: «فإنها بريد الكفر» ليس في (د).

(٧) في (د): «أبي أمية».

فزوَّجَها إيّاه، وأصدَقَ عنْهُ النَّجاشِيُّ، وذلكَ في سنةِ سبعٍ مِن الهجْرةِ[1].

قالَ الزُّهرِيُّ: «لمّا قدِمَ أبو سُفيانَ بنُ حربٍ المدينةَ، جاءَ إلى رَسولِ الله ﷺ وهوَ يريدُ غزْوَ مكَّةَ، فكلَّمَه أنْ يزيدَ في هُدنةِ الحُديبيةِ، فلم يُقبلْ عليه رَسولُ الله ﷺ، فقامَ فدخَلَ على ابنتِه أمِّ حبيبَةَ، فلمّا ذهَبَ؛ ليجلِسَ على فِراشِ رَسولِ الله ﷺ طوَتْه دُونَه، فقالَ: يا بنيّةُ، أرَغِبْتِ بهذا الفراشِ عنِّي، أم بي عنه؟ فقالت: بل هوَ فراشُ رَسولِ الله ﷺ، وأنتَ امرؤٌ نَجسٌ مُشرِكٌ»[2].

قالَتْ عائشَةُ: «دعَتْنِي أمُّ حبيبَةَ عندَ موْتِها، فقالَتْ: قد كانَ بينَنا ما يكونُ بينَ[3] الضَّرائرِ فغفَرَ[4] الله لي ولكِ ما كانَ مِن ذلكَ، فقلْتُ: غفَرَ الله لكِ ذلكَ كلَّهُ وتجاوَزَ، حللْتُكِ[5] مِن ذلكَ كلِّه [١٠/ب] فقالَتْ: سَرَرْتِنِي[6] سرَّكِ الله عزَّ وجَلَّ، وأرسَلَتْ إلى أمِّ سلمةَ، فقالَتْ لها مثْلَ ذلكَ»[7].

تُوفيتْ[8] أمُّ حبيبةَ رضي الله عنها سنةَ أربعٍ وأربعينَ في خلافةِ مُعاويةَ[9]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر: «المنتخب من ذيل المذيل» (٩٧)، و«تاريخ الطبري» (١١: ٦٠٥-٦٠٧)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٤: ١٨٤٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٠٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٥٠)، و«الإصابة» (٨: ١٤٢).

(٣) «بين» ليس في (ب).

(٤) في (د): «يغفر».

(٥) في (ب) و(د): «خللك».

(٦) في (د): «سررتيني».

(٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٢: ٢٢٣)، و«البداية والنهاية» (٨: ٢٨)، و«الإصابة» (٨: ١٤٢).

(٨) في (د): «وتوفيت».

(٩) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٠٠)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٣٥).

[زينب بنت جحش]

[٧] ومِنْهُنَّ: زينبُ بنتُ جَحشٍ[١].

أمُّها: أُمَيمةُ[٢] بنتُ عبدِ المطَّلبِ عمَّةُ رَسولِ الله ﷺ، زوَّجَها رَسولُ الله ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ، فلمّا طلَّقَها زيدٌ تزوَّجَها رَسولُ الله ﷺ في سنةِ خمسٍ مِن الهجْرةِ، وكانَتْ مِن المُهاجراتِ رضِيَ الله عنها[٣].

قالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: لما انقَضَتْ عِدَّةُ[٤] زينبَ، قالَ رَسولُ الله ﷺ لزيدِ ابنِ حارثَةَ: «**اذْهَبْ فاذْكُرْنِي لَها**»، قالَ: فذهَبْتُ إليها[٥]، فجعَلْتُ ظَهْري إلى البابِ[٦]، وقلْتُ: يا زينَبُ بعَثَنِي إليكِ رَسولُ الله ﷺ يذْكُرُكِ، فقالَتْ: ما كنْتُ أُحْدِثُ شيئًا حتَّى أؤامِرَ ربِّيَ عزَّ وجَلَّ، فقامَتْ إلى مسجدٍ لها، فأنزَلَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]، فجاءَ رَسولُ الله ﷺ فدخَلَ عليها بغيرِ إذنٍ. رَواهُ مُسلمٌ[٧].

وفي **البُخاريِّ**[٨] مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه: أنّ زينَبَ كانَتْ تفخَرُ على أزواجِ النَّبيِّ ﷺ وتقولُ: «زوَّجَكُنَّ أهاليكُنَّ، وزوَّجَنِي الله عزَّ وجَلَّ مِن فوقِ سبْعِ سماواتٍ».

---

(١) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٠١)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٦٠)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٤٩).

(٢) في (د): «أمية».

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٨٤٩)، و«المنتظم» (٣: ٢٢٥).

(٤) في (س): «عدتها».

(٥) «إليها» ليس في (د).

(٦) في (د): «ظهري للباب».

(٧) «صحيح مسلم» (١٤٢٨).

(٨) «صحيح البخاري» (٧٤٢٠).

قالَتْ عائشَةُ رضِيَ الله عنها: «كانَتْ زينبُ هيَ التي تُسامِينِي مِن أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، فعَصَمَها الله عزَّ وجَلَّ[١] بالوَرعِ، ولم أرَ امرأةً أكثَرَ خيرًا وأكثَرَ صدقةً وأوصَلَ للرَّحمِ وأبذَلَ لنفْسِها في كلِّ شيءٍ يُتقرَّبُ به إلى الله عزَّ وجَلَّ مِن زينبَ، ما عدا سَوْرةً مِن[٢] حِدَّةٍ كانَتْ فيها[٣] توشِكُ منها الفيئةُ»[٤].

قالَتْ بَرْزةُ ابنةُ رافعٍ: لمّا جاءَ العطاءُ، بعَثَ عمرُ إلى زينَبَ بالذي لها، فلمّا دخَلَ عليها، قالَتْ: «غفَرَ الله عزَّ وجَلَّ لعُمرَ، لَغيْرِي مِن أخَواتِي[٥] كانَ أقْوَى على قَسْمِ هذا منِّي»، فقالُوا: هذا كلُّه لكِ، فقالَتْ: «سُبحانَ الله»، ثمَّ قالَتْ: «صُبُّوهُ واطْرَحُوا/ عليه ثوبًا»، ففعَلُوا، فقالَتْ لي[٦]: «أدخِلِي يدَكِ[٧] [١١١/أ] واقبِضِي[٨] منه قبضَةً، فاذهَبِي بها إلى آلِ[٩] فُلانٍ، وآلِ فُلانٍ» مِن أيتامِها وذوي رحِمِها، فقسمَتْها[١٠] حتَّى بقِيَتْ منه بقيّةٌ، فقالَتْ لها بَرزةُ: غفَرَ الله لكِ، والله لقد كانَ لنا في هذا حظٌّ، قالَتْ: «فلَكُمْ ما تحتَ الثَّوبِ»، قالَتْ: فرفَعْنا الثَّوبَ، فوجَدْناه خمسًا وثمانينَ دِرهمًا، ثمَّ رفَعَتْ زينبُ يدَيْها، فقالَتْ: «اللَّهمَّ لا يدرِكْنِي عطاءٌ لعُمرَ بعدَ عامِي هذا، فماتَتْ»[١١].

قالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: قالَ رَسولُ الله ﷺ لأزواجِه: «**أوَّلُكُنَّ تَتْبَعُنِي**

---

(١) قوله: «أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله عز وجل» ليس في (ب).
(٢) «من» ليس في (د).
(٣) «فيها» ليس في (د).
(٤) في (د): «الفتنة»، وفي (ب): «الفته». والحديث في «صحيح مسلم» (٢٤٤٢).
(٥) في (ب) و(د): «إخواني».
(٦) «لي» ليس في (د).
(٧) في (د): «أدخلني يديك».
(٨) في (د): «فاقبضي».
(٩) «آل» ليس في (د) في الموضعين.
(١٠) في (ب) و(د): «فقسمته».
(١١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٣٠٠)، و«كرامات الأولياء» للالكائي (٩: ١٧٧)، و«المنتظم» (٤: ٣٠٠).

أَطْوَلُكُنَّ يَدًا»، قالَتْ عائشَةُ: فكُنّا إذا اجتَمَعْنا بعدَ وفاةِ رَسولِ الله ﷺ نمُدُّ يدَيْنا في الحائطِ نتطاوَلُ، فلم نزَلْ نفعَلُ[١] ذلكَ حتَّى تُوفيتْ زينبُ، وكانَتِ امرأةً قَصِيرةً، ولم تكُنْ أطولَنا يدًا، فعرَفْتُ أنّ النبيَّ ﷺ أرادَ بطُولِ اليدِ الصدقةَ، وكانَتِ امرأةً صَناعًا، وكانَتْ تعمَلُ بيدِها[٢] وتتصدَّقُ به في سبيلِ الله عزَّ وجَلَّ[٣].

تُوفيتْ زينبُ في سنةِ عِشرينَ، وهيَ بنتُ ثلاثٍ وخمسينَ[٤] سنةً[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[جويرية بنت الحارث]

[٨] ومِنْهُنَّ: جُويريةُ[٦] بنتُ الحارِثِ رضي الله عنها[٧].

قالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: «أصابَ رَسولُ الله ﷺ نساءَ بني المُصطَلِقِ، فوقَعَتْ جُويريةُ[٨] في سهمِ ثابتِ[٩] بنِ قيسٍ، فكاتَبَها على تِسعِ أواقٍ، وكانَتِ

---

(١) قوله: «فلم نزل نفعل» في (ب): «فلم نفعل».

(٢) في (د): «بيديها».

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣٣)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ٥٤)، وأصل الحديث في «صحيح مسلم» (٢٥٢) بمعناه.

(٤) في (د): «وستين».

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١١٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢١٣).

(٦) في (س): «جويرة».

(٧) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١١٦)، و«كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين» (٤٣)، و«مرآة الزمان» (٧: ١٦٢).

(٨) في (س): «جويرة».

(٩) في: (س) و(ب) و(د): «ابن ثابت».

امرأةً حُلوةً[١] لا يكادُ يَراها أحَدٌ إلا أخذَتْ بنفْسِه، فَبَيْنا رَسولُ الله ﷺ عِنـدِي إذْ دخَلَتْ عليه جُويريةُ[٢] تسألُه عن كتابتِها، فوالله ما هوَ إلا أنْ رأيتُها فكرِهْتُ دُخولَها[٣] على رَسولِ الله ﷺ، وعرَفْتُ[٤] أنّه سيَرَى منها مثْلَ الذي[٥] رأيْتُ، فقالَتْ: يا رَسولَ الله، أنا جُويريةُ[٦] بنتُ[٧] الحارِثِ سيِّدِ قومِه، وقد أصابَنِي مِـن الأمْرِ ما قـد عِلمْتَ، ووقَعْتُ فـي سهمِ ثابتِ[٨] بنِ قيسٍ، فكاتَبَنِي على تِسعِ أواقٍ، فأعِنِّي على كِتابتِي، فقالَ[٩]: «أوَخَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟» فقالَتْ: ما هوَ؟ فقـالَ: «أُؤَدِّي عَنْكِ كِتابَـتَكِ وأَتَزَوَّجُكِ» فقالَتْ: نَعَمْ يا رَسولَ الله، فقالَ: «قَدْ فعَلْتُ»، فخرَجَ الخبَرُ إلى الناسِ[١٠]، فقالُوا: أصهارُ رَسولِ الله ﷺ يُسترَقُّونَ، فأعتَقُوا ما كانَ في أيدِيهِم[١١] مِن نساءِ بني المُصطَلِقِ، فبلَغَ عتْقُهم مئةَ بيتٍ بتزويجِه إيّاها، فلا أعلَمُ امرأةً أعظَمَ بركةً على قومِها منها[١٢]. [١١/ب]

تزوَّجَ رَسولُ الله ﷺ جُويريةَ[١٣] وهيَ بنتُ[١٤] عشرينَ سنةً، وتُوفيتْ سنةَ خمسينَ، وهيَ بنتُ خمسٍ وستِّينَ سنةً[١٥]، والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (ب): «خلوة».

(٢) في (س) و(ب): «جويرة»، وقد تكرر قوله: «جويرة» مرتين في (ب).

(٣) في (ب): «دخلوها».

(٤) في (د): «وعلمت».

(٥) في (د): «ما».

(٦) في (س): «جويرة».

(٧) في (د): «ابنة».

(٨) في: (س) و(ب): «ابن ثابت».

(٩) «فقال» ليس في (د).

(١٠) في (د): «الخبر للناس».

(١١) في (د): «يديهم».

(١٢) «سنن أبي داود» (٣٩٣١).

(١٣) في (س): «جويرة».

(١٤) في (د): «ابنة».

(١٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ١٦٤).

[صفية بنت حيي]

[٩] ومِنْهُنَّ: صفيّةُ بنتُ حُييٍّ[١].

مِن سبْطِ هارونَ بنِ عِمرانَ عليه السلام[٢]، سَباها[٣] النَّبيُّ ﷺ لنفْسِه، فأسلَمَتْ وأعتَقَها، وجعَلَ عِتْقَها صَداقَها[٤].

وقيلَ: وقعَتْ في سَهمِ دِحيةَ الكلبِيِّ، فاشْتَراها رَسولُ الله ﷺ بسبعةِ أرْؤُسٍ[٥].

قالَ جابرٌ: أُتِيَ رَسولُ الله ﷺ بصفيّة[٦] يومَ خيبَرَ وقد قُتِلَ أخوها[٧] وزوجُها، وقالَ لبلالٍ: خُذْها، فأخَذَ بيدِها، ثمَّ دخَلَ عليها رَسولُ الله ﷺ، فنزَعَتْ شيئًا كانَتْ عليه جالسةً فألقَتْه لرسولِ الله ﷺ، ثمَّ خيَّرَها بينَ أن يعتِقَها فترجِعَ إلى مَنْ بقِيَ مِن أهْلِها، أو تُسلِمَ فيتَّخِذَها لنفْسِه، فقالَتْ: أختارُ اللهَ ورسولَه، فلمّا كانَ عندَ رحيله[٨] احتقب[٩] بعيرَه ثمَّ خرَجَتْ معَه تمشِي حتَّى ثَنَى لها رُكبتَه[١٠]، فأجَلَّتْ رَسولَ الله ﷺ أنْ تضَعَ قدَمَها على فخِذِه، فوضَعَت رُكبتَها ثمَّ

---

(١) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٢٠)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٧١)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥: ٢٣٤).

(٢) قوله: «ابن عمران» ليس في (ب).

(٣) في (د): «اصطفاها».

(٤) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (٢٦٥).

(٥) في (د): «رؤوس». وانظر: «المعارف» (١: ١٣٨)، و«تاريخ الطبري» (١١: ٦١٠)، و«التاريخ المعتبر» (١: ٢٠٩-٢١٠).

(٦) في (س): «لصفية».

(٧) في (س) و(ب): «أخاها».

(٨) في «صفة الصفوة»: «رواحه».

(٩) في (س) و(د): «أحقب»، وفي (ب): «أعقب».

(١٠) في (د): «ركبتيه».

رِكِبَ رَسولُ الله ﷺ، فألْقَى عليها كِساءً، فقالَ المُسلمونَ: حجَبَها رَسولُ الله ﷺ، حتَّى إذا كانَ(١) على ستَّةِ أميالٍ مِن خيبَرَ مالَ(٢) يريدُ أن يعرِّسَ بها، فأبَتْ صفيّةُ، فلمّا كانَ بالصهباءِ مالَ إلى دُومةٍ هناكَ فطاوَعَتْه، فقالَ لها عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ما حَمَلَكِ عَلى إبائِكِ مِنَ المنزلِ(٣) الأوَّلِ؟**».

قالَتْ(٤): يا رَسولَ الله خشِيتُ عليكَ قرْبَ يَهودَ(٥)، فأعرَسَ(٦) بها رَسولُ الله ﷺ بالصهباءِ، وباتَ أبو أيوبَ الأنصاري يحرُسُ رَسولَ الله ﷺ، فلمّا سمِعَ رَسولُ الله ﷺ الوطْءَ، قالَ: «**مَنْ هَذا؟**» قالَ: أنا خالِدُ [١٢/أ] بنُ زيدٍ، فقالَ: «**ما لَكَ؟**» فقالَ: ما نمْتُ هذه اللَّيلةَ مخافَةَ هذه الجاريةِ عليكَ(٧).

تُوفيتْ صفيّةُ سنةَ خمسينَ، وقيلَ: اثنينِ وخمسينَ، ودُفِنَتْ بالبقيعِ(٨). والله أعلَمُ.

* * *

[أم شريك]

[١٠] ومِنْهُنَّ: أمُّ شَريكٍ رضي الله عنها، واسمُها غُزَيّةُ(٩).

---

(١) «كان» ليس في (ب).

(٢) في (د): «قلب».

(٣) في (س) و(ب): «النزول».

(٤) في (د): «فقالت».

(٥) في (د): «يهود خيبر».

(٦) في (د): «فعرس».

(٧) «المعجم الكبير» للطبراني (١٢٠٦٨)، و«مسند أبي يعلى» (٣٤٧٩) بمعناه عن أنس بن مالك، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٠)، و«البداية والنهاية» (٤: ٢١٢).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ١٢٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣: ٢٢٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥: ٢٣٤).

(٩) انظر ترجمتها في «الطبقات الكبرى» (٨: ١٥٤)، و«الطبقات» لخليفة بن خياط (٦٢٦)، =

وهيَ التي وهَبَتْ نفْسَها للنبيِّ ﷺ فلم يقْبَلْها، على ما قالَه الأكثرونَ[١]، فلم[٢] تتزوَّجْ حتَّى ماتَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ[٣].

قالَ ابنُ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما: «وقَعَ في قلْبِ أمِّ شَريكٍ الإسلامُ وهيَ بمكَّةَ، فأسلَمَتْ، ثمَّ جعَلَتْ تدخُلُ على نِساءِ قُريشٍ سرًّا فتَدعوهُنَّ وترغِّبُهُنَّ في الإسلامِ، حتَّى ظهَرَ أمْرُها لأهْلِ مكَّةَ، فأخَذُوها، وقالُوا: لولا قومُكِ لفعَلْنا بكِ وفعَلْنا، ولكِنْ نُسيِّرُكِ إليهِم، قالَتْ: فحمَلُونِي على بَعيرٍ ليسَ تحْتِي شيءٌ، ثمَّ ترَكُونِي ثلاثًا لا يطْعِمُونِي ولا يسْقُونِي، وكانُوا إذا نـزَلُوا مَنزلًا أوثَقُونِي في الشمسِ، واستظَلُّوا هم منها، وحبَسُونِي عنِ الطَّعامِ والشَّرابِ، فبينا[٤] هم قدْ نَزَلُوا مَنزلًا أوثَقُونِي في الشَّمسِ، إذا أنا بأبرَدِ شيءٍ على صدْرِي فتناوَلْتُه، فإذا هوَ دَلْوٌ مِن ماءٍ، فشرِبْتُ منه قليلًا، ثمَّ نُزِعَ منِّي ورُفِعَ ثمَّ عادَ، فتناوَلْتُه فشَرِبْتُ منهُ، ثمَّ رُفعَ ثمَّ عادَ[٥]، ثمَّ رُفعَ مِرارًا، فشرِبْتُ منهُ حتَّى رَوِيتُ، ثمَّ

= و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤: ١٧٨٧)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٦)، قال أبو عمر في «الاستيعاب» (٤: ١٨٨٨): «ويقال: غزية، أم شريك الأنصارية، من بني النجار، والصواب غزيلة إن شاء الله تعالى»، وانظر: «المستخرج من كتب الناس» (٢: ٥٢٥)، و«أسد الغابة» (٦: ٢١١).

(١) قال الطبري في «تاريخه» (٣: ١٦٨): «وذكر عن ابن الكلبي أنه قال: غزية بنت جابر، هي أم شريك، تزوجها رسول الله ﷺ بعد زوج كان لها قبله، وكان لها منه ابن يقال له: شريك، فكنيت به، فلما دخل بها النبي ﷺ وجدها مسنة، فطلقها، وكانت قد أسلمت، وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهن إلى الإسلام».

(٢) في (د): «ولم».

(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٣٦)، وفيه: «فلم تتزوج حتى ماتت»، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٠).

(٤) في (ب): «فبينما».

(٥) قوله: «فتناولته فشربت منه، ثم رفع ثم عاد» ليس في (ب).

أَفَضْتُ سائرَه على جسَدِي وثيابِي، فلمّا استيقَظُوا إذا هم بأَثَرِ الماءِ، ورأَوْنِـي[1] حسَنةَ[2] الهيئةِ، فقالُوا لي: انحلَلْتِ فأخَذْتِ سِقاءنا فشَرِبْتِ، فقلْتُ: لا واللهِ، ولكنَّه كانَ مِن الأمْرِ كذا وكذا، فقالُوا[3]: لئِنْ كُنْتِ صادقةً لَدِينُكِ خيرٌ مِن دِينِنا، فلمّا نظَرُوا إلى أسقيـتِهم وجَدُوها كما ترَكُوها، فأسْلَمُوا عندَ ذلكَ.

وأقبلَتْ إلى النَّبيِّ ﷺ فوَهَبَتْ نفْسَها له بغيرِ مَهرٍ[4]، فقَبِلَها ودخَلَ علَيْها»[5]. واللهُ أعلَمُ.

وفي قصَّتِها رضِيَ اللهُ عنها فائدةٌ جَليلةٌ، وهيَ: أنَّ مَن صدَقَ فـي حُسنِ الاعتمادِ على اللهِ تعالى، وقطَعَ طمَعَه عمّا سِواهُ، جاءَتْه الفُتوحاتُ مِن الغَيبِ، فسُبحانَ العزيزِ الوهّابِ. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[فاطمة بنت أسد]

[١١] ومِنْهُنَّ: فاطمَةُ بنتُ أَسَدِ بنِ هاشمِ بنِ عبد منافٍ[6].

وهيَ: أمُّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنها، [١٢/ب] وكانَتِ امرأةً صالحةً، وكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَزُورُها ويَقيلُ في بيْتِـها[7].

---

(١) في (د): «وزادني». (٢) في (ب): «حسن».

(٣) «فقالوا» ليس في (ب). (٤) في (ب): «مهرها».

(٥) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ٦٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٥١٨)، وانظر: «الإصابة» (٨: ٤١٨).

(٦) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٥١)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨٩١)، و«أسد الغابة» (٦: ٢١٧).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢٢)، و«المنتظم فـي تاريخ الملوك والأمم» (٣: ٢١٣)، =

قالَ لها عليٌّ[١]: «اكْفي فاطمَةَ بنتَ رَسولِ الله ﷺ سِقايةَ الماءِ والذهابَ إلى الحاجةِ، وتكْفيكِ خدمةَ الداخلِ والطحنَ والعَجينَ»[٢]، والله أعلَمُ.

هكذا كُنَّ رضِيَ الله عنهُنَّ، وأنتُنَّ يا نساءَ زَمانِنا تَرَينَ أنّ ذلكَ نقْصٌ في حقِّكُنَّ وتتشبَّهنَ بنساءِ الظَّلَمةِ في التَّرفُّعِ والتَّكبُّرِ، إنّ الله لا يحِبُّ المُتكبِّرينَ. والله أعلَمُ.

* *

[أم أيمن]

[١٢] ومِنْهُنَّ: أمُّ أيمَنَ.

واسمُها: بَرَكَةُ رضِيَ الله عنها[٣].

وهيَ مولاةُ رَسولِ الله ﷺ وحاضِنتُه، ورِثَها مِن أبيهِ، وأعتَقَها حينَ تزوَّجَ خديجةَ[٤]، وهاجَرَتْ إلى رَسولِ الله ﷺ مِن مكَّةَ إلى المدينةِ، وهيَ ماشيةٌ، ليسَ مَعَها زادٌ، وكانَتْ صائمةً في يومٍ شديدِ الحرِّ، فأصابَها عطَشٌ شديدٌ حتَّى كادَتْ تموتُ وهيَ بالرَّوحاءِ أو قريبًا منها، قالَتْ: «فلَمّا غابَتِ الشَّمْسُ إذا أنا

= و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢٨).

(١) «علي» ليس في (ب).

(٢) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٣: ٢١٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٢٨).

(٣) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢٣)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧٩٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ٣٤٠).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٤٦٦)، و«أسد الغابة» (٦: ٣٠٣)، و«تهذيب الأسماء» (٢: ٣٥٧).

بِحَفيفِ[١] شيءٍ فوقَ رأسِي، فرفَعْتُ رأسِي، فإذا أنا بدَلوٍ مِن السَّماءِ مُدَلًّى بِرِشاءٍ[٢] أبيَضَ، فدَنا منِّي حتَّى إذا كانَ بحيثُ أستمكِنُ منه تناوَلْتُه[٣] فشرِبْتُ منه حتَّى رَوِيتُ، فلقد كنْتُ بعدَ ذلكَ في اليومِ الحارِّ أطوفُ في الشمسِ كي أعطَشَ فما عطِشْتُ بعدَها»[٤].

وحضَرتْ رضِيَ الله عنها غزوةَ أُحُدٍ، فكانَتْ تسْقِي الماءَ، وتُداوِي الجَرْحَى[٥]، وشهِدَتْ غَزوةَ خيبَرَ، وتُوفيتْ في آخِرِ خِلافةِ عُثمانَ رضِيَ الله عنها[٦].

*

[أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط]

[١٣] ومِنْهُنَّ: أمُّ كُلْثومٍ بنتُ عُقْبةَ بنِ أبي مُعيطٍ لعَنَه الله تعالى[٧].

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «بخفيق». قال ابن منظور في «لسان العرب» (٩: ٥١): «والحفيف: صوت الشيء تسمعه كالرنة أو طيران الطائر أو الرمية أو التهاب النار ونحو ذلك، حف يحف حفيفًا. وحفحف وحف الجعل يحف: طار، والحفيف صوت جناحيه، والأنثى من الأساود تحف حفيفًا، وهو صوت جلدها إذا دلكت بعضه ببعض. وحفيف الريح: صوتها في كل ما مرت به»، وانظر: «تاج العروس» (٢٣: ١٤٧).

(٢) في (ب): «برش».

(٣) في (د): «فتناولت».

(٤) «حلية الأولياء» (٢: ٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٥).

(٥) في (د): «الجروحات».

(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٢٥)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ٣٤١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٣٦١).

(٧) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٩٥٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٥: ١٨٠)، و«أسد الغابة» (٦: ٣٨٦).

أسلَمَتْ[١] وبايعَتْ قبلَ الهجْرةِ، وهيَ أوَّلُ مَن هاجَرَ[٢] مِن النساءِ بعدَ أن هاجَرَ رَسولُ الله ﷺ إلى المدينةِ[٣].

قالَ قُدامَةُ: «لا نعلَمُ[٤] قرشِيَّةً خرَجَتْ مِن بينِ أبوَيْها مُسلمةً مِن أَبَوَيْهَا[٥] مهاجِرةً إلا أمَّ كُلثومٍ رضِيَ الله عنها»[٦].

وخبَرُها في هجرتِها عَجيبٌ، قالَتْ: «كنْتُ أخرُجُ إلى باديةٍ لنا فيها أهْلٌ، فأقيمُ بِهَا[٧] الثَّلاثَ والأربَعَ، وهيَ ناحيةُ التنعيمِ، ثمَّ أرجِعُ إلى أهْلِي فلا يُنْكِرونَ ذهابِي إلى الباديةِ، حتَّى إذا جمَعْتُ[٨] على المَسيرِ خرَجْتُ يومًا مِن مكَّةَ كأنِّي أرِيدُ الباديةَ، فلمّا رجَعَ مَن يتَّبعُنِي إذا رَجلٌ مِن خُزاعةَ، فقالَ: أينَ [١٣/أ] تُرِيدينَ؟

فقلت: وما مسألَتُكَ، ومَنْ أنتَ؟ فقالَ: رَجلٌ مِن خُزاعةَ، فلمّا ذكَرَ خزاعةَ اطمأنَّتْ نفْسِي إليه؛ لدُخولِ خُزاعةَ في عهْدِ رَسولِ الله ﷺ، فقلْتُ: إنِّي[٩] امرأةٌ مِن قُريشٍ، وإنِّي[١٠] أُريدُ اللُّحوقَ برَسولِ الله ﷺ، ولا علمَ لي[١١] بالطريقِ، فقالَ: أنا صاحِبُكِ حتَّى أُورِدَكِ المدينةَ، ثمَّ جاءَنِي ببعيرٍ فركِبْتُه، فكانَ يقودُ البعيرَ، ولا والله لا يكلِّمُني بكلمةٍ، حتَّى إذا أناخَ[١٢] البَعيرَ تنَحَّى عنِّي، فإذا

---

(١) في (د): «وهي أسلمت».
(٢) في (ب): «جاهر»، وفي (د): «هاجرت».
(٣) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٩٢٦).
(٤) في (د): «يعلم».
(٥) قوله: «من أبويها» مثبت من (د).
(٦) انظر: «المنتظم» (٥: ١٨١)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٢)، و«الإصابة» (٨: ٤٦٣).
(٧) في (س) و(د): «ثَمَّ».
(٨) في (د): «اجتمعت».
(٩) «إني» ليس في (د).
(١٠) في (د): «وأنا».
(١١) «لي» ليس في (س).
(١٢) في (ب): «ناخ».

نَزَلْتُ[١] جاءَ إلى البعيرِ فقيَّدَه بالشجرِ، وتنَحَّى إلى فيءِ شجرةٍ، حتَّى إذا كانَ الرَّواحُ خَدَجَ البعيرَ فقرَّبَه إليَّ، ووَلَّى عنِّي، فإذا ركِبْتُ أخَذَ برأسِه[٢] ولم يلتفِتْ وراءَه حتَّى أنزِلَ، فلم يزَلْ كذلكَ حتَّى قَدِمْنا المدينةَ، فجزاهُ الله عزَّ وجَلَّ مِن صاحبٍ خيْرًا.

فدخَلْتُ على أمِّ سلمَةَ رضي الله عنها وأنا مُتنقبةٌ فما عرَفَتْنِي حتَّى انتسَبْتُ وكشَفْتُ النقابَ، فالتزَمَتْنِي[٣] وقالَتْ: هاجَرْتِ إلى الله ورَسولِه؟ قلْتُ: نعَمْ، وأنا أخافُ أنْ يرُدَّنِي[٤] أهْلِي كما ردَّ أبا جَندلٍ وأبا بَصيرٍ، وحالُ الرِّجالِ ليسَ كحالِ النِّساءِ، والقومُ مُصبِحِيَّ، قد طالَتْ غَيْبَتِي عنهم اليومَ خمسَةَ أيّامٍ، فدخلَ رَسولُ الله ﷺ على أمِّ سلمةَ فأخبَرَتْه خبَرِي، فرَحَّبَ بي وسهَّلَ، فقلْتُ: إنِّي فرَرْتُ بدِينِي فامنَعْنِي ولا ترُدَّنِي إليهِم؛ يفتِنُونِي ويعذِّبُونِي ولا صبْرَ لي على العذابِ، إنّما أنا امرأةٌ، وضعْفُ النساءِ إلى ما تعرِفُ، فقالَ لي رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله قَدْ نَقَضَ العَهْدَ في النِّساءِ، وحَكَمَ في ذَلِكَ بِحُكْمٍ رَضُوهُ كُلُّهُمْ**»، وكانَ يرُدُّ النِّساءَ، فقدِمَ أخواها[٥]: الوليدُ[٦] وعُمارَةُ مِن الغدِ، فقالا: أوفِ لنا شرْطَنا وما عاهَدْتَنا عليه، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**قَدْ نَقَضَ الله تَعالَى ذَلِكَ**[٧]» فانْصَرِفا.

ونَقَضُ العهْدِ في النساءِ آيةُ الامتحانِ، فامتَحَنَها رَسولُ الله ﷺ وامتحَنَ النساءَ [١٣/ب] بعدُ؛ فكانَ يقولُ لهُنَّ: «**والله ما أخْرَجَكُنَّ إلا حُبُّ الله ورَسُولِهِ والإسْلامِ،**

---

(١) في (ب): «نزل».
(٢) في (د): «بزمامه».
(٣) في (د): «فأكرمتني».
(٤) في (د): «يردوني».
(٥) في (ب): «أخوها».
(٦) في (د): «الوائل».
(٧) في (د): «قد نقضنا ذلك».

وما خَرَجْتُنَّ لِزَوْجٍ[١] ولا مالٍ؟» فإذا قُلْنَ ذلكَ تَركهُنَّ[٢] ولم يَرُدْهُنَّ إلى أهليهِنَّ». رضِيَ الله عنهُنَّ[٣]. والله أعلَمُ.

* * *

[الحولاء بنت تويت]

[١٤] ومِنْهُنَّ: الحَوْلاءُ بنتُ تُوَيْتٍ رضي الله عنها[٤].

أسلَمَتْ وبايعَتْ.

قالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: مرَّتِ الحولاءُ وعندِي رَسولُ الله ﷺ، فقلْتُ: هذه الحولاءُ، زعَمُوا أنّها لا تنامُ الليلَ، فقالَ رَسول الله ﷺ: «**لا تَنامُ اللَّيْلَ؟! خُذُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ، فوالله لا يَسْأمُ الله حَتَّى تَسْأمُوا**»[٥].

* * *

[أسماء بنت أبي بكر الصديق]

[١٥] ومِنْهُنَّ: أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضِيَ الله عنهُما[٦].

---

(١) في (د): «وما خرجتن لا لحب زوج». (٢) في (د): «تركن».

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٢٢-٣٢٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٢)، وهو في «المستدرك» للحاكم (٦٩٢٧) بمعناه.

(٤) في (ب): «ثويب». وانظر ترجمتها في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٢٩٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٨١٥).

(٥) «صحيح البخاري» (٤٣)، و«صحيح مسلم» (٧٨٥)، واللفظ لمسلم.

(٦) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٢٤٩)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧٨١)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٦: ١٣٠).

أسلَمَتْ بمكَّةَ قديمًا، وبايعَتْ، وشقَّتْ نِطاقَها ليلةَ خرَجَ رَسولُ الله ﷺ إلى الغارِ، فجعَلَتْ واحِدًا لسُفرةِ رَسولِ الله ﷺ، والآخَرَ عِصامًا لقِرْبتِه، فسُمِّيَتْ: «ذاتُ النطاقينِ»، تزَوَّجَها الزُّبيرُ، وكانَتْ صالحَةً تُمرِّضُ المَرْضَى، وتعتِقُ كلَّ مَملوكٍ لها[١].

قالَ[٢] عبدُ الله بنُ الزُّبيرِ رضي الله عنهما: «ما[٣] رأيْتُ امرأتينِ قطُّ أجوَدَ مِن عائشةَ وأسماءَ، وجُودُهُما مختلِفٌ، أمّا عائشةُ فكانَتْ تجمَعُ الشيءَ إلى الشيءِ ثمَّ تقْسِمُه، وأمّا أسماءُ كانَتْ لا تمسِكُ شيئًا»[٤].

لقد تُوفيتْ بَعْدَ[٥] قتْلِ ابنِها عبدِ الله بليالٍ[٦].

* * *

[أم عمارة نسيبة]

[١٦] ومِنْهُنَّ: أمُّ عِمارَةَ.

واسمُها نَسِيبَة، بفتْحِ النونِ وكسْرِ السينِ[٧].

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ١٧٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٢٣)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٩٨٢).

(٢) «قال» ليس في (د). (٣) «ما» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٩)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٣٣٠)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٣٥٦).

(٥) كذا في المصادر، وفي (س) و(ب) و(د): «قبل». وفي حاشية (س): «قول المصنف: أن أسماء ماتت قبل موت ابنها عبد الله بن الزبير بليالٍ، وهم منه، والصحيح: أنها غسلته بعد صلبه سنة.. ثم ماتت». اهـ.

(٦) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٨٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ٩).

(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٦)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» =

وهـيَ أنصاريّةٌ رضـي الله عنها، أسلمَتْ وبايعَتْ وشهـدَتْ غزاةَ أُحُدٍ[١] والحُديبيةِ وخيبَرَ وحُنينٍ، وعمرَةَ القضيّةِ، ويومَ اليمامةِ[٢].

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما التَفَتُّ يَوْمَ أُحُدٍ[٣] يَمِينًا ولا شِمالًا إلا وأراها تُقاتِلُ دُونِي**»[٤].

قالَ الواقِدِيُّ: «قاتَلَتْ يومَ أُحُدٍ، وجُرِحَتِ اثنَتَي[٥] عشْرَةَ جراحةً، وداوَتْ جرحًا[٦] في عُنُقِها سَنةً، ثمَّ نادَى مُنادِي رَسولِ الله ﷺ إلى حَمراءِ الأسَدِ، فشدَّتْ عليها[٧] ثِيابَها فما استطاعَتْ مِن نَزفِ الدَّمِ»[٨].

قالَ ابنُ إسحاقَ: «خرَجَتْ في خِلافةِ أبي بكرٍ رضِيَ الله عنه في قِتالِ الردَّةِ، فباشَرَتِ الحرْبَ بنفْسِها حتَّى قتَلَ الله عزَّ وجَلَّ مُسيلمَةَ، ورجَعَتْ وبِها عشْرُ [١٤/أ] جِراحاتٍ مِن طعنةٍ وضرْبةٍ، رضِيَ الله عنها»[٩]. والله أعلَمُ.

*

= (٤: ١٨٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٤٤١).

(١) «أحد» ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٦)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ١٨٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٤٤١).

(٣) «يوم أحد» ليس في (د).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٨: ٤١٣)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ١٨٩)، و«مناقب النساء الصحابيات» لعبد الغني المقدسي (٥٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٨: ٤٤٢).

(٥) في (د): «ثنتي».

(٦) «جرحًا» مثبت من المصادر.

(٧) «عليها» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٦)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٤: ١٨٩).

(٩) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٨٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣٧).

[أم سليم بنت ملحان]

[١٧] ومِنْهُنَّ: أمُّ سُليم بنتُ مِلْحانَ.

واختُلِفَ في اسْمِها، فقيلَ: سهلةُ، وقيلَ: رُميلةُ، وقيلَ: رُميثةُ[١].

تزوَّجَها مالِكُ بنُ النضرِ، فولَدَتْ له أنسَ بنَ مالِكٍ، ثمَّ قُتلَ، فخَطَبَها أبو طلحةَ قبلَ أن يُسْلِمَ، فقالَتْ: «إنِّي فيكَ لَراغبةٌ، وما[٢] مثْلُكَ يُرَدُّ، ولكنَّكَ رجلٌ كافِرٌ، وأنا امرأةٌ مُسلمةٌ، فإنْ تُسْلِمْ فذلكَ[٣] مَهْرِي لا أسأَلُكَ غيْرَه»، فأسلَمَ أبو طلحةَ، وتزوَّجَها رضِيَ الله عنهُما[٤].

وفي رِوايةٍ: قالَتْ: «يا أبا طلحةَ، ألسْتَ تعْلَمُ أنّ إلهَكَ الذي[٥] تعبُدُ خشبةٌ[٦] نجَرَها حبشِيٌّ بني فُلانٍ؟» قالَ: «بلى»، قالَتْ: «أفلا تسْتَحِي أن تعبُدَ خشبةً مِن نباتِ الأرضِ؟ إنْ أنتَ أسلَمْتَ لم أُرِدْ منكَ صَداقًا غيْرَه»، فقالَ: «حتَّى أنظُرَ[٧] في أمْرِي»، فذهَبَ ثمَّ جاءَ فقالَ: «أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنَّ محمَّدًا رَسولُ اللهِ»، فقالَتْ: «يا أنسُ، زوِّجْ أبا طلحةَ»[٨].

قالَ ثابتٌ: «فما سمِعْنا بمهرٍ قطُّ كانَ أكرَمَ مِن مهرِ أمِّ سُليمٍ: الإسلامُ»[٩].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٧)، و«جامع الأصول» (١٢: ٤٨٩).

(٢) في (س) و(ب): «ما».

(٣) في (ب): «فلك».

(٤) «سنن النسائي» (٣٣٤١).

(٥) في (ب): «التي».

(٦) في (د): «خشية».

(٧) في (ب): «انظري».

(٨) «السنن الكبرى» للنسائي (٥٣٧٤)، قال ابن حجر في «الإصابة» (٨: ٤٠٩): «ولهذا الحديث طرق متعددة».

(٩) «معجم الصحابة» للبغوي (٨٢٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٤٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣٨).

قالَ أنسٌ: «**كان النَّبيُّ ﷺ يدخُلُ على أمِّ سُليمٍ فتبسُطُ له النِّطْعَ فيَقِيلُ عندَها، فتأخُذُ من عَرَقِه فتجعَلُه في طِيبِها**»[1].

قالَ أنسٌ: جاءَ أبو طلحَةَ يومَ حُنينٍ يُضحِكُ رَسولَ[2] الله ﷺ مِن أُمِّ سُليمٍ، فقالَ: يا رَسولَ الله ألمْ ترَ إلَى أمِّ سُليمٍ معَها خِنجرٌ؟ فقالَ لها رَسولُ الله ﷺ: «**ما تَصْنَعِينَ بِهَذا يا أُمَّ سُلَيمٍ؟**» فقالَتْ: أَرَدْتُ إنْ دَنا مِنِّي[3] أحَدٌ منهم طعَنْتُه[4].

قالَ أنسٌ: «لمَّا كانَ يومُ أُحُدٍ رأيتُ عائشةَ وأمَّ سُليمٍ وإنَّهُما لمُشمِّرتانِ ينقلانِ القِربَ على مُتونِهما[5] ثمَّ تُفْرِغَانِه[6] في أفواهِ القومِ وتَرْجعانِ، وتَملآنِها وتُفْرغانِها في أفواهِ القومِ»[7]، رضِيَ الله عنهُما.

قالَ أنسٌ: «كانَ ابنٌ لأبي طلحةَ مِن أمِّ سُليمٍ، فمرِضَ، فخرَجَ أبو طلحةَ، فقُبِضَ الصبيُّ، فقالَتْ لأهْلِها: لا تحدِّثُوا أبا طلحةَ بابنِهِ حتَّى أكونَ أنا أحدِّثُه، فلمّا رجعَ، قالَ: ما فعَلَ ابْنِي؟ قالَتْ: هوَ أسكَنُ ما كانَ/ [١٤/ب]، ثُمَّ قرَّبَتْ له العَشاءَ فتعَشَّى وشرِبَ، ثمَّ تصنَّعَتْ له أحسَنَ ما كانَتْ تصَنَّعُ قبلَ ذلكَ، فوقَعَ بها، فلمّا رأتْه أنّه قد شبِعَ وأصابَ منها، قالَتْ: يا أبا طلحةَ، أرأيْتَ لو أنّ قومًا أعارُوا عارِيَتَهم أهْلَ بَيتٍ فطَلَبوا عارِيَتَهم؛ أَلَهُمْ أن يمْنَعُوهم؟ قالَ: لا، قالَتْ: فاحتَسِبِ ابْنَكَ[8]، فانطلَقَ حتَّى أتَى رَسولَ الله ﷺ فأخْبَرَه بما كانَ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**بارَكَ الله لَكُما في لَيْلَتِكُما**»، فولَدَتْ له[9] غُلامًا، وقالَتْ لي أمِّي: يا أنسُ،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٨).
(٢) في (د): «لرسول».
(٣) في (د): «منك».
(٤) «مسند أحمد» (١٣٠٦٥).
(٥) في (د): «ظهورهما».
(٦) في (د): «تفرغان».
(٧) «صحيح البخاري» (٢٨٨٠)، و«صحيح مسلم» (١٨١١).
(٨) «ابنك» ليس في (د).
(٩) «له» ليس في (د).

لا يرْضِعُه أحَدٌ حتَّى تغْدُوَ به إلى رَسولِ الله ﷺ، فانطلقْتُ به إلى رَسولِ الله ﷺ، فلمّا رَآنِي[١] قالَ: «لَعَلَّ أُمَّ سُلَيم ولَدَتْ؟» قلتُ: نعَمْ، فوَضَعْتُه في حِجْرِه[٢]، فدَعا رَسولُ الله ﷺ بعجْوةٍ مِن عجْوةِ المدينةِ، فلاكَها في فيهِ حتَّى ذابَتْ، ثمَّ قذَفَها في في[٣] الصبيِّ، فجعَلَ الصبيُّ يتلمَّظُ، فقالَ رَسولُ الله: «**انْظُرُوا إلَى حُبِّ الأنْصارِ**[٤] **التَّمْرَ**»، فمسَحَ وجْهَه وسمّاه: عبدَ الله[٥].

قالَ رجلٌ مِن الأنصارِ: فرأيْتُ تسعةَ أولادٍ[٦] كلُّهم قد قرَأ القُرآنَ مِن أولادِ عبْدِ الله المولودِ». رَواهُ البُخاريُّ[٧]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم حرام أخت أم سليم]

[١٨] ومِنْهُنَّ: أمُّ حرامٍ أخْتُ أمِّ سُليمٍ رضي الله عنهما[٨].

أسلَمَتْ وبايعَتْ رَسولَ الله ﷺ، وكانَ يَقِيلُ في بيْتِـها، وتزَوَّجَها عُبادَةُ بنُ الصامتِ[٩].

قالَتْ[١٠]: سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**أوَّلُ جَيشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ البَحْرَ قَدْ أوْجَبُوا**»، قالَتْ أمُّ حرامٍ: أنا فيهم[١١]؟ قالَ: «**أنْتِ فيهم**»[١٢].

---

(١) في (ب): «رآه».
(٢) في (د): «حجر النبي ﷺ».
(٣) في (د): «فم».
(٤) في (ب): «الأنصاري».
(٥) «صحيح مسلم» (٢١٤٤).
(٦) في (د): «تسعة من أولاده».
(٧) «صحيح البخاري» (١٣٠١).
(٨) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣١)، و«المنتظم» (٥: ٢٨٨).
(٩) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣١)، و«المنتظم» (٥: ٢٨٨).
(١٠) في (د): «فقالت».
(١١) في (ب) و(س) و(د): «منهم».
(١٢) في (ب) و(س) و(د): «منهم». والحديث في «صحيح البخاري» (٢٩٢٤).

قالَ هشامٌ: «قبْرُ أمِّ حرامٍ بقُبرسَ، وهُم يقولونَ: هذا قبْرُ المرأةِ الصالحةِ»[١].
رضِيَ الله عنها. والله أعلَمُ[٢].

* *

[امرأة من المهاجرات]

[١٩] ومِنْهُنَّ: امرأةٌ مِن المهاجراتِ[٣].

قالَ ابنُ سِيرينَ رحمه الله: «جاءَ أبا بكرٍ مالٌ، فقَسَمَه في الناسِ، فبعَثَ إلى تلكَ المرأةِ منه، فقالَتْ: ما هذا؟ فقالُوا: بعَثَه أبو بكرٍ لكِ كما في نُظرائِكِ، فقالَتْ: أتخافونَ أنْ أدَعَ الإسلامَ؟ قالُوا: لا، فقالَتْ: أفترشُونَني على دِينِي؟ قالُوا[٤]: لا، فقالَتْ[٥]: فلا حاجةَ لي فيه»[٦]، رضِيَ الله عنها.

هكذا كُنَّ يأتيهنَّ[٧] المالُ الحلالُ الطيِّبُ فلا يقبَلْنَهُ؛ مخافَةَ أن يتدنَّسَ[٨] دينُهُنَّ.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٣١٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣٤٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٠).
(٢) في حاشية (س): «تُوفيت أم حرام سنة سبع وعشرين في خلافة عثمان، وكانت هي وزوجها مع معاوية حين دخل قُبرس، وقصتها بغلتُها فماتت هناك».
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٣٤٢).
(٤) قوله: «أفترشونني على ديني؟ قالوا» ليس في (ب).
(٥) قوله: «لا، فقالت» ليس في (س).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٤٢).
(٧) في (س) و(ب): «يأتيهم»، ولعل الصواب ما أثبت.
(٨) في (د): «يدنسن».

[١٥/أ] وأنتُنَّ ويْحَكُنَّ يا نساءَ زمانِنا، تأخُذْنَ[١] المالَ الحرامَ وتتكثَّرْنَ بهِ[٢] وتتزيَّنَّ به، فكأنِّي بِكُنَّ وقد صارَ ذلكَ نارًا على أجسادِكُنَّ[٣] وفي بُطونِكُنَّ، لا سيَّما امرأةُ العَريفِ والنقيبِ وجميعِ أعوانِ الظَّلَمةِ مِن المَكَسَةِ والمُحتسِبِ وقضاةِ البراطيلِ[٤] وشُهودِ القسمِ[٥]؛ فإنّ ذلكَ تُكسَوْنَ[٦] به حُللًا مِن النّارِ، بل هوَ عيْنُه، يُكوى[٧] ويلتهِبُ[٨] عليكُنَّ نارًا، كما في الحديثِ الصحيحِ مِن رِوايةِ عمرَ بنِ الخطابِ رضِيَ الله عنه، قالَ:

لمّا كانَ يومُ خَيبَرَ، أقبَلَ نفرٌ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ فقالُوا: فلانٌ شهيدٌ، وفلانٌ شهيدٌ، حتَّى مَرُّوا على رجُلٍ، فقالُوا: فلانٌ شهيدٌ، فقالَ: «**كَلا؛ إنّي رَأَيْتُهُ في النّارِ في بُرْدَةٍ غَلَّها أوْ عَباءَةٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٩].

ورَواهُ البُخارِيُّ[١٠] مِن رِوايةِ عبدِ الله بنِ عمْرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنهما، أنّه كانَ على ثَقَلِ النبيِّ ﷺ رجلٌ يقالُ له: كِرْكِرَةُ، فماتَ، فقالَ[١١] رَسولُ الله ﷺ: «**هُوَ في النّارِ**»، فذَهَبُوا يَنْظرونَ إليه فوَجَدُوا عباءةً غلَّها، وفي رِوايةٍ: «**إنّها لَتَشْتَعِلُ[١٢] عَلَيْهِ نارًا**»[١٣].

---

(١) في (د): «تأخذ».

(٢) «به» ليس في (ب).

(٣) في (س): «أجسامكن».

(٤) البراطيل: هي الأموال التي تؤخذ من ولاة البلاد، ومحتسبيها وقضاتها وعمالها. انظر: «المصباح المنير» (١: ٤٢)، و«القاموس المحيط» (٩٦٦)، و«المواعظ والاعتبار» (١: ٢٠٩).

(٥) في (د): «القسمة».

(٦) في (ب): «يكتسون»، وفي (د): «ستكون».

(٧) في (ب): «يكون».

(٨) في (س) و(ب): «يلتهب» بدون الواو.

(٩) «صحيح مسلم» (١١٤).

(١٠) «صحيح البخاري» (٣٠٧٤).

(١١) في (د): «فقال له».

(١٢) في (ب): «لتشعل»، وفي (د): «تشعل».

(١٣) «صحيح البخاري» (٤٢٣٤).

وإذا كانَ هذا شهيدٌ مِن أصحابِ رَسولِ الله ﷺ، قاتَلَ لتكُونَ كلمةُ الله عزَّ وجَلَّ هيَ العُلْيا، وله حقٌّ[١] في الغَنيمةِ، والذي أخَذَه كانَ للنبيِّ أنْ يعْطِيَه إيّاهُ، ومعَ هذا كلِّه فالشملةُ أو[٢] العباءَةُ تشتعِلُ عليه نارًا، فكيفَ حالُ الذي يأخُذُ أموالَ الناسِ ولا حقَّ له البتَّةَ[٣]، وإنّما يأخُذُه على سَبيلِ الظُّلمِ والعُدوانِ؟

فهذا شخصٌ قد أوقَعَ[٤] نفْسَه الخبيثةَ في حِبالٍ من نارٍ، وإذا عَلِمَتْ زوجتُه أو سُرِّيّتُه بذلكَ، أو مَن تخدُمُه وجَبَ عليها التَّبرُّؤُ منه ومن فعْلِه الخبيثِ، ولا يخلِّصُها عندَ الله تعالى إلا الفِرارُ والخَلاصُ منه.

وقولُ بعضِ الناسِ: أنا ما عليَّ في ذمَّةِ الذي يَجبيه[٥] زوجِي أو سيِّدي[٦]، هذا ما يقولُه إلا مَن قدْ أتعَسَها الله وألْقاها في المهالِكِ وأسبابِها[٧]؛ فإنَّ دِينَ الله حقٌّ وصدْقٌ لا شكَّ فيه ولا ريبَ، وقد نَهَى الله تعالى عنِ الظُّلمِ، وبعَثَ رَسولَه ﷺ بذلكَ. [١٥/ب]

وفعْلُ هؤلاءِ[٨] الظَّلَمةِ مِن أخْذِهم أموالَ النّاسِ بالباطِلِ حرامٌ حتَّى في دِينِ اليَهودِ والنَّصارى المتعبِّدينَ بالقَذَرِ[٩]، وحتَّى في دِينِ[١٠] المَجوسِ، وعندَ كلِّ ملَّةٍ.

فالحذَرَ يا نساءَ المُؤمناتِ مِن ذلكَ، فما أقرَبَ الموتَ، وما أشدَّ أهوالَ الآخرةِ، وأنا والله لَكُنَّ ناصحٌ أمينٌ، والحمْدُ لله ربِّ العالمينَ.

---

(١) في (د): «جزء».
(٢) في (د): «و».
(٣) في (د): «ولا حق له فيه».
(٤) في (د): «أوقد».
(٥) في (س): «يجيبه».
(٦) في (س): «سيد».
(٧) في (د): «وأشبابها».
(٨) في (س) و(ب) و(د): «هذه».
(٩) في (ب) و(د): «بالقدر».
(١٠) قوله: «في دين» ليس في (ب).

وقد ذكَرْتُ في كتابِي «قمْعِ النُّفوسِ» شيئًا له وقْعٌ، فينبَغِي سماعُه؛ فإنّه إنْ شاءَ الله تعالى مُفيدٌ. والله أعلَمُ.

* *

[مليكة بنت المنكدر]

[٢٠] ومِنْهُنَّ: مَلِيكَةُ بنتُ المُنكدِرِ[١].

وهيَ مِن عابداتِ المدينةِ النبويّةِ.

قالَ مالِكُ بنُ دِينار: «بيْنا أنا أطوفُ[٢] بالبيتِ إذا أنا بامرأةٍ في الحِجْرِ، وهيَ تقولُ: «أتيتُكَ مِن شُقَّةٍ بَعيدةٍ مؤمِّلةً[٣] لمعروفِكَ، فأنِلْنِي[٤] مَعروفًا مِن مَعروفِكَ تُغنيني[٥] به عن مَعروفِ مَن[٦] سِواكَ، يا معروفًا[٧] بالمعروفِ[٨]»، فعرَّفْتُ أيوبَ السَّخْتِيانِيَّ، وسَألْنا[٩] عن منزِلِها وقصَدْناها، وسلَّمْنا عليها، فقالَ لها أيوبُ: «قُولِي خيرًا يرحَمُكِ الله عزَّ وجلَّ»، فقالَتْ: «وما أقولُ؟ أشْكُو إلى الله عزَّ وجَلَّ قلْبِي وهوايَ، فقد أضرّا بِي[١٠] عن عبادَةِ ربِّي، قُوما فإنّي أبادِرُ صَحيفتِي».

قالَ أيوبُ: «فما حدَّثْتُ نفسِي بامرأةٍ قبْلَها، فقلْتُ: لو تزوَّجْتِ رجلًا يُعينُكِ على ما أنتِ عليه؟»، فقالَتْ: «لو كانَ مالِكَ بنَ دِينارٍ أو أيوبَ السَّخْتِيانِيَّ ما

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٠٩).
(٢) في (د): «في الطواف».
(٣) في (د): «متأملة».
(٤) في (د): «فأتني».
(٥) في (س): «تعينني».
(٦) «من» ليس في (س).
(٧) في (س): «يا معروف».
(٨) في (ب): «يا معروف المعروف».
(٩) في (س): «فسألناها»، وفي (ب): «فسألها».
(١٠) في (س): «أضراني».

أَرَدْتُه»، فقلتُ: «أنا مالِكُ بنُ دِينارٍ، وهذا أيوبُ»، فقالَتْ: «أفٍّ، لقد ظَنَنْتُ أنّه يشغَلُكُما ذكْرُ الله عزَّ وجَلَّ عنْ مُحادثةِ النساءِ، وأقبَلَتْ على صلاتِها».

قالَ البرّاد: «كلَّمْناها في تَخفيفِ بعضِ العبادَةِ، فقالَتْ: دَعُونِـي أبادِرُ طيَّ صحيفتِي»، رضِيَ الله عنها(١).

*

[فاطمة بنت محمد بن المنكدر]

[٢١] ومِنْهُنَّ: فاطمَةُ بنتُ محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ(٢).

قالَ إبراهيمُ بنُ مُسلمٍ القرشِيُّ: «كانَتْ فاطمَةُ هذه نَهارُها صائمةً، فإذا جنَّها اللَّيلُ تُنادِي بصوتٍ حَزينٍ: هذا اللَّيلُ قد اختلَطَ بالظَّلامِ(٣) وأوَى كلُّ حَبيبٍ إلى حَبيبِه، وخلْوتِي بكَ أيُّـها المحبوبُ أن تعتقَنِي مِن النارِ»(٤). رضِيَ الله عنها. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة كانت بمكة]

[٢٢] ومنهُنَّ: عابدةٌ/ كانَتْ بمكَّةَ(٥). [١٦/أ]

---

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٥٧).

(٢) انظر ترجمتها في: «المنتظم» (٨: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٠٩).

(٣) في (س): «الظلام».

(٤) «شعب الإيمان» (٢٩٥٦)، و«المنتظم» (٨: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٠٩).

(٥) صرح ابن الجوزي باسمها في «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧)، واسمها: «نقيش بنت سالم».

سُمِعَتْ وهيَ تقولُ: «يا سيِّدَ الأنامِ، هذا مقامُ العائذِ[١] بعفْوِكَ مِن سخَطِكَ، وبرحمَتِكَ مِن غضَبِكَ، يا حبيبَ الأوّابينَ[٢]، يا ذا المِننِ والآلاءِ[٣]، زِدْنِي بالثقةِ منكَ وصْلةً، واجعَلْ قِرايَ منكَ عتْقَ رقَبَتِي وإقرارَ عيْنِـي بِرضاكَ».

فلمّا كانَتْ بالموقِفِ قالَتْ: «بهظتني[٤] الآثامُ يا سيِّدَ الأنامِ، كحَلَتْ عينـي بملمولِ[٥] الحزْنِ، فوَعِزَّتِـكَ لا نعِمْتُ بضحكٍ أبـدًا حتَّى أعلَمَ أينَ قرارِي، وإلى أينَ تصيرُ دارِي»[٦]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عائشة المكية]

[٢٣] ومِنْهُنَّ: عائشةُ المكيّةُ[٧].

قالَ أبو عُبيدٍ القاسِمُ بنُ سلَام: «دخلْتُ مكَّةَ وربَّما كنْتُ أقعُدُ بحذاءِ الكعبةِ، وربَّما كنْتُ أستلْقِي وأمُدُّ رجْلِي، فجاءَتْنِي عائشةُ المكيّةُ[٨]، وكانَتْ مِن العابداتِ ممَّن صحِبَ الفُضيلَ بنَ عياضٍ، فقالَتْ لي: يا عبدَ الله، إنّكَ عالِمٌ اقبَلْ منِّي[٩] كلمـةً؛ لا تجالِسْه إلا بـأدَبٍ، وإلا فيمْحُـو[١٠] اسمَكَ مِـن دِيـوانِ القُـربِ»[١١]. واللهُ أعلَمُ.

---

(١) في (ب): «العائذ».
(٢) في (ب): «الوابين».
(٣) في (د): «المن والإحسان».
(٤) في (ب): «هظتني»، وفي (د): «ثقلتني».
(٥) كذا في «صفة الصفوة»، وفي (س) و(د): «بملول»، وفي (ب): «بملوك».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧).
(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧).
(٨) في (ب): «الملكية».
(٩) «مني» ليس في (ب).
(١٠) في (د): «فيمحى».
(١١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٧)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ٦٤)، و«قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر» (٢: ٤٥٩).

[ابنة أبي الحسن]

[٢٤] ومنهُنَّ: ابنةُ أبي الحسَنِ[١].

وكانَتْ مُقيمةً[٢] بمكَّةَ، وكانَتْ لا تقتاتُ إلا بثلاثيـنَ دِرهمًا يبعَثُها إليها أبُوها في كلِّ سَنةٍ ممّا يستفضِلُه[٣] مِن ثَمنِ الخُوصِ، وكانَ التمّارُ جارًا له[٤]، فقالَ: «جئْتُ أودِّعُه للحجِّ، وأستعرِضُ حاجتَه، وأسألُه أن يدْعُوَ لي، فسلَّم إليَّ قِرطاسًا، وقالَ: اسألْ في مكَّةَ في الموضِعِ الفلانِيِّ عن فلانةٍ، وسلِّمْ إليها هذا، فعلِمْتُ أنّها ابنتُه[٥].

فلمّا جئْتُ مكَّةَ سألْتُ عنـها، فوجَدْتُها فـي العبادَةِ والزُّهدِ أشدَّ اشتهارًا مِن أنْ تخْفَى، فانبعَثَتْ نفْسِي أن يصِلَ إليها مِن مالِي شيءٌ[٦] يكونُ لي ثوابُه، وعلِمْتُ أنّني إن دفعْتُ إليها ذلكَ لم تأخُذْه[٧]، ففتَحْتُ القِـرطاسَ وجعَلْتُ الثَّلاثيـنَ خمسينَ دِرهمًا، وردَدْتُه كما كانَ، وسلَّمْتُه إليها، فقـالَتْ: أيُّ شيءٍ خبَرُ أبي؟

فقلْتُ: بسلامةٍ، فقالَتْ: قد خالَطَ أهْلَ الدُّنيا وترَكَ الانقطاعَ إلى الله عزَّ وجَلَّ، ثمَّ قالَتْ: أسألُكَ بالله وبمَنْ حجَجْتَ إليه، أسألُكَ عن شيءٍ فتصْدُقُنِي؟ قلت: نعَمْ، فقالَتْ: أخلَطْتَ هذه الدراهمَ بشيءٍ مِن عندِكَ؟

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٤: ٧٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٧: ٢٦٦)، و«العقد الثمين» (٦: ٤٦٦).

(٢) كأنها في (ب): «فقيهة».

(٣) في (ب): «يستفضل».

(٤) في (د): «جارًا لوالدها فخرج حاجًّا».

(٥) في (ب): «بنته».

(٦) في (ب): «شيء من مالي».

(٧) في (د): «تقبله».

[١٦/ب] فقلْتُ: نعَمْ، فمِنْ أينَ علِمْتِ ذلكَ؟ فقالَتْ: ما كانَ أبي يزيدُ على الثَّلاثينَ شيئًا؛ لأنَّ حالَه لا يحتمِلُ، ثمَّ قالَتْ: خُذِ الجميعَ؛ فقدْ(١) عقَقْتَني من حيثُ ظنَنْتَ أنّكَ تبُرُّني(٢)، فقلْتُ: ولِمَ؟

فقالَتْ: لا آكُلُ شيئًا ليسَ هوَ مِن كسْبِي ولا مِن كسْبِ أبي، ولا آخُذُ مِن مالٍ لا أعرِفُ كيفَ هوَ، فقلْتُ: خُذِي ما أنفَذَ(٣) أبوكِ، ورُدِّي الباقِيَ، فقالَتْ: لو عرَفْتُها بعيْنِها لأخَذْتُها، وقد اختلَطَتْ فلا آخُذُ شيئًا، وأنا أقتاتُ إلى الموسِمِ الآخَرِ مِنَ المزابِلِ؛ لأنّها كانَتْ قُوتِي طُولَ السَّنةِ، وقد أجعْتَنِي، ولولا أنّكَ ما قصَدْتَ أذايَ لدعَوْتُ عليكَ.

قالَ: فاغتمَمْتُ لذلكَ وعُدْتُ(٤) إلى البصرَةِ وجئْتُ إلى أبيها، فأخبَرْتُه واعتذَرْتُ إليه، فقالَ: لا آخُذُها وقد اختلَطَتْ بغيرِ مالِي، وقد عقَقْتَني وإيّاها، فقلْتُ(٥): ما أصنَعُ بالدراهمِ؟ فقالَ: لا أدْري، فما زِلْتُ مُدَّةً أعتذِرُ إليه، وأسألُه ما أعمَلُ بالدراهمِ، حتَّى قالَ لي بعدَ مُدَّةٍ: تصدَّقْ بها»(٦) رضِيَ الله عنها وعن أبيها، والله أعلَمُ.

*

(١) «فقد» مثبت من (د).
(٢) في (ب): «ترني».
(٣) في (د): «أرسل».
(٤) في (د): «ورجعت».
(٥) في (د): «قلت».
(٦) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٤: ٧٠-٧١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٧: ٢٦٦)، و«العقد الثمين» (٦: ٤٦٦-٤٦٧).

[عابدة بمكة]

[٢٥] ومِنْهُنَّ: عابدَةٌ بمكَّةَ[١].

وكانَ قد فُتِحَ عليها بالكلامِ النّافعِ.

قالَ المَغازِليُّ: «قد دخَلْنا[٢] عليها ذاتَ يومٍ؛ لننتفِعَ بكلامِها، فبكَتْ بُكاءً طويلًا، ثمَّ أقبلَتْ علينا، وقالَتْ: «يا إخوتِي، مَثِّلُوا القيامَةَ نُصْبَ أبصارِ قُلوبِكُم[٣]، ورُدُّوا على أنفسِكُم[٤] ما قد[٥] تقدَّمَ مِن أعمالِكم، فما ظَنَنْتُم أنّه يجوزُ في ذلكَ اليومِ، فارغَبُوا إلى السيِّدِ في قبولِه وتمامِ النِّعمةِ فيه، وما خِفْتُم أن يُرَدَّ في ذلكَ اليومِ عليكم فخُذُوا[٦] في إصلاحِه مِن اليومِ، ولا تغْفَلُوا عن أنفسِكُم فتُرَدَّ عليكم حيثُ لا يُؤخَذُ[٧] البدَلُ، ولا يُقدَرُ على الفداءِ».

ثمَّ بكَتْ طويلًا، ثمَّ أقبلَتْ علينا، وقالَتْ: «يا إخوانِي[٨]، إنّما صلاحُ الأبدانِ وفسادُها حُسنُ النيّةِ وسُوؤُها، إنّما نالَ المتَّقونَ المحبّةَ؛ لمحبَّتِهم له وانقطاعِهم إليه، ولولا الله ورسولُه ما نالُوا ذلكَ، ولكنَّهم أحَبُّوا الله ورسولَه فأحبَّهم، كَلَمَ الخوفُ قلوبَ أهلِهِ فاقتطعَهُم[٩] وشغَلَهم عنِ الشَّهواتِ واللَّذاتِ، وبقدْرِ ما تُعرِضُونَ عنِ الله عزَّ وجَلَّ يُعرِضُ عنْكُم،/ وبقدْرِ ما تُقْبِلُونَ عليه يُقْبِلُ عليكُم [١٧/أ] ويزيدُكُم مِن فضْلِه، إنّه واسِعٌ كريمٌ»[١٠]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٩).

(٢) في (س) و(ب): «فدخلنا».

(٣) في (س): «قوبكم»، وفي (ب): «قربكم».

(٤) في (د): «أنفسهم».

(٥) «قد» ليس في (د).

(٦) في (ب): «فجدوا».

(٧) في «صفة الصفوة»: «يوجد».

(٨) في (د): «يا إخواني».

(٩) في (د): «فأقطعهم».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٩).

[عابدة بمكة]

[٢٦] ومِنْهُنَّ: عابدَةٌ بمكَّةَ(١).

قالَ ابنُ أبي رَوّادٍ(٢): «كانَتْ(٣) تسبِّحُ كلَّ يومٍ(٤) اثنَتي عشْرَةَ ألفَ تَسبيحةٍ، فماتَتْ، فلمّا بلَغَتِ القبْرَ اختُلِسَتْ مِن أيدِي الرِّجالِ»(٥). واللهُ أعلَمُ.

*

[عابدة بمكة]

[٢٧] ومِنْهُنَّ(٦): عابدةٌ بمكَّةَ(٧).

قالَ أبو الحسَنِ الرامُّ وكانَ مِن خيارِ النّاس: قالَ: «كانَتِ امرأةٌ بمكَّةَ يأتِيها العُبّادُ فيتحدَّثونَ عِندَها ويتواعَظُونَ، فقالَتْ لهُم: حجَبَتْ قُلوبَكم الدُّنيا عنِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، فلو خلَّيْتُمُوها لجالَتْ في مَلكوتِ السَّماواتِ، ولأَتَتْكُم بطرائفِ الفوائدِ»(٨)، واللهُ أعلَمُ.

* *

---

(١) انظر ترجمتها في: «العقد الثمين» (٦: ٤٦٧).
(٢) في (د): «داود».
(٣) في (د): «وكانت».
(٤) قوله: «يوم» ليست في (س).
(٥) انظر: «العقد الثمين» (٦: ٤٦٧).
(٦) «ومنهن» ليس في (س) و(ب).
(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).

[عابدة]

[٢٨] ومِنْهُنَّ[١]: عابدةٌ[٢].

قالَ محمَّدُ بنُ بكّارٍ: «دُلِلْتُ على امرأةٍ بمكَّةَ مِن قُريشٍ تأْوِي في سِربٍ ليسَ لها بيتٌ غيْرُه، فقيلَ لها: أترضينَ بهذا[٣]؟ فقالَتْ: أوَليسَ هذا لمَنْ يموتُ كثيرٌ»[٤]. والله أعلَمُ.

وقيلَ لما كانَتْ تقتاتُ الشَّعيرَ وتلْبَسُ خَشِنَ[٥] الثيابِ: ما هذا؟ فقالَتْ:

لَقَدْ نادَتِ الدُّنْيا بِأفْصَحِ[٦] مَنْطِقٍ ... لَقَدْ صَدَقَتْ فيما إلَيْهِ تُشِيرُ

ألا إنَّ قُرْصًا مِن شَعِيرٍ وخِرْقَةً ... مِنَ الخامِ في عَبْدٍ يَمُوتُ كَثِيرُ

* * *

[خنساء بنت خدام]

[٢٩] ومِنْهُنَّ: خنساءُ[٧].

وليسَتِ الصحابيّةَ.

وكانَتْ مِن عابداتِ اليمنِ، وكانَتْ ذاتَ حُسنٍ وجمالٍ كأنّها بَدَنةٌ، فصامَتْ أربعينَ سنةً حتَّى لصِقَ جلْدُها بعظْمِها، وبكَتْ حتَّى ذهَبَتْ عَيناها، وقامَتْ حتَّى

---

(١) «ومنهن» ليس في (س) و(ب).
(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).
(٣) في (د): «بذلك».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٠).
(٥) في (س): «حسن».
(٦) في (ب): «بأفضح».
(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).

أُقعدَتْ مِن رجلَيْها، وكانَ طاوسُ ووهبُ بْنُ مُنبِّهٍ رحمهما الله يُعظِّمانِ قدْرَها معَ علْمِها، وكانَتْ إذا جَنَّ عليها اللَّيلُ وهدَأتِ العُيونُ وسكَنَتِ الحَركاتُ تُنادِي بصوتٍ لها حزينٍ: «يا حبيبَ المُطيعينَ[1]، إلى كمْ تحبسُ[2] خُدودَ المُطيعينَ في التُّرابِ، ابعثهم[3] حتَّى تنجِزَ موعدَكَ[4] الصّادقَ الذي أتعَبُوا له أنفسَهم، ثمَّ أنصَبُوها؟»، فيُسمَعُ البُكاءُ مِن الدُّورِ حوْلَها[5]، والله أعلَمُ.

* * *

[سوية]

[٣٠] ومِنْهُنَّ: سويّةُ[6].

قالَ رجلٌ من قُريشٍ: «قدِمَتْ علينا امرأةٌ مِن أهْلِ اليمنِ يُقال لها: سويّةُ، فنزَلَتْ في بعضِ رِباعنا، فكنْتُ[7] أسمَعُ لها مِن اللَّيلِ نَحيبًا[8]، فقلْتُ للخادِمِ[9]: [١٧/ب] أشرِفي على هذه المرأةِ فانظُري ما تصنَعُ؟

فأشرَفَتْ[10]، فإذا هيَ قائمةٌ مستقبلةُ القبلَةِ، فقلْتُ: اسمَعِي ما تقولُ، فقالَتْ: ما أفهَمُ كثيرًا مِن قوْلِها، غيرَ أنِّي أسمَعُها تقولُ: «أراكَ خلقتَ سويّةَ مِن طينةٍ لازبةٍ، وغمَرْتَها[11] بنِعمِكَ، وكلُّ أحوالِكَ لها حسنَةٌ، وكلُّ بلائِكَ عندَها

---

(١) في (د): «المنقطعين».
(٢) في (ب): «تجلس».
(٣) في (س) و(ب): «أبعتهم».
(٤) في (د): «وعدك».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).
(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).
(٧) في (ب): «فنكت».
(٨) في (ب): «نحيبٌ».
(٩) في (ب): «للخدام»، وفي (د): «للخادمة».
(١٠) يعني: الخادمة.
(١١) في (ب): «وعمرتها».

جَميلٌ، وهيَ معَ ذلكَ متعرِّضةٌ لسخطِكَ بالتوثُّبِ على معاصِيكَ، فلتةً في إثرِ فلتةٍ، أتَرَى أنّها تظُنُّ أنك لا تَرَى سُوءَ فِعالِها؟ بَلَى وأنتَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ»، ثمَّ صرَخَتْ وسقَطَتْ، فنزَلَتِ الجاريةُ وأخبرَتْني بسُقوطِها[1]، فلمّا أصبَحْنا نظَرْنا[2] فإذا هيَ قد ماتَتْ»[3].

رحمَةُ الله عزَّ وجَلَّ عليها وعلى نُظرائِها، والله أعلَمُ.

* * *

[جوهرة العابدة]

[٣١] ومِنْهُنَّ: جوهرَةُ، العابدَةُ البراثيّةُ[4].

نزَلَت بَراثا[5] معَ زوجِها، قالَت لزوجِها يومًا: «يا أبا عبدِ الله، النساءُ يُحَلَّينَ في الجنَّةِ إذا دخلْنَها؟».

قلْتُ: نعَمْ، فصاحَتْ صيحةً غُشِيَ عليها، فلمّا أفاقَتْ، قلْتُ: ما هذا الذي أصابَكِ؟ قالَتْ: «ذكَرْتُ حالِي تلكَ[6] وما كنْتُ أصبْتُ، فخشِيتُ والله حِرمانَ الآخرةِ»[7].

---

(١) في (س): «بسقطتها».

(٢) في (د): «فنظرنا».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦١).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).

(٥) بَراثا: بالثاء المثلثة والقصر؛ محلة كانت في طرف بغداد في قبلة الكرخ وجنوبي باب محوّل. انظر: «معجم البلدان» (١: ٣٦٢)، و«مراصد الاطلاع» (١: ١٧٤).

(٦) في (د): «ذلك».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).

أشارَتْ رضِيَ الله عنها إلى حالِها التي كانَتْ عليها مِن الترفُّهِ والسَّعةِ مِن الحُليِّ والأقمشةِ وغيْرِها، ففزِعَتْ أن يكونَ ذلكَ حظَّها وقد عُجِّلَ[١] لها ذلكَ في الدُّنيا، وهكذا كُنَّ وكانُوا.

ولهذا قالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ رضِيَ الله عنه وهوَ مِن ساداتِ الصحابةِ، وقد قُرِّبَ له طعامٌ ليأكُلَ ـ وكانَ صائمًا[٢] ـ: «قُتلَ مُصعبُ بنُ عُميرٍ وهوَ خيرٌ منِّي، فكُفِّنَ في بُردةٍ إن غُطِّيَ رأسُهُ بدَتْ رِجْلاهُ، وإن غُطِّيَ رِجْلاهُ بدَتْ رأسُه، وقُتلَ حمزَةُ وهوَ خيرٌ منِّي، فلم يُوجَد[٣] له ما يُكفَّنُ فيه إلا بُردةٌ، ثمَّ بُسِطَ لنا مِن الدُّنيا ما بُسِطَ، وأُعطِينا مِن الدُّنيا ما أُعطِينا، وقد خَشِينا أنْ تكونَ حَسناتُنا قد عُجِّلَتْ لنا»، ثمَّ جعَلَ يَبْكي حتَّى ترَكَ الطَّعامَ»[٤]، والله أعلَمُ.

قالَ زوْجُ جَوهرةَ[٥]: «رأَتْ جوهرةُ في منامِها خِيامًا[٦] مضروبةً، فقالَتْ: لمَنْ هذه الخيامُ؟ فقيلَ: للمُجتهدينَ بالقُرآنِ، فكانَتْ بعدَ ذلكَ تقولُ: [١٨/أ]

أمّـا الخِيـامُ فإنّهـا كخِيامِهمْ وأرَى نِساءَ الحَيِّ غَيْرَ نِسائِها[٧]

كانَ[٨] زوْجُ جوهرَةَ مِن العُبّادِ الزُّهّادِ، وكانَ يجلِسُ على حَصيرةِ خوصٍ بحرانيَةٍ[٩]، وكانَتْ زوجتُه جوهرةُ تجلِسُ بحذائِهِ[١٠] على أُخرى مثْلِها مستقبلَةَ القبلَةِ.

---

(١) في (د): «أعجل».
(٢) قوله: «وهو من سادات الصحابة، وقد قرب له طعام ليأكل» ليس في (ب).
(٣) في (ب): «يؤخذ».
(٤) «صحيح البخاري» (١٢٧٥).
(٥) «جوهرة» ليس في (ب).
(٦) في (ب): «خيامها».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).
(٨) في (د): «قال: كان».
(٩) في (ب): «بحراثية».
(١٠) في (ب): «بحذاه».

قالَ بعضُهم: فأتيناه يومًا فوجَدْناه جالسًا على الأرضِ، فقلْنا له: يا أبا عبدِ الله، ما فعَلَتِ الحصيرةُ التي كانَتْ تحتَكَ؟

فقالَ: إن جوهرةَ أيقظَتْنِي البارحَةَ فقالَتْ: أليسَ يقالُ: إنّ الأرضَ تقولُ[١] لابنِ آدمَ: تجعَلُ بينِـي وبينَكَ سِترًا، وأنتَ غدًا في بطْنِي؟

فقلْتُ: نعَمْ، فقالَتْ: أخـرِجْ عنّا هذه الحُصرَ لا حاجَةَ لنا فيـها، فقمْتُ والله[٢] فأخرَجْناها[٣]، والله أعلَمُ.

* *

[زوجة أبي شعيب العابد]

[٣٢] ومِنْهُنَّ: زوجةُ أبي شُعيبٍ العابِدِ[٤].

قالَ الجُنيدُ: «كانَ أبو شُعيبٍ يتعبَّدُ في كُوخٍ، فمرَّتْ ببابِه جاريةٌ مِن بناتِ الكِبارِ مِن أبناءِ الدنيا، وكانَتْ قد ترَبَّتْ في قُصورِ المُلوكِ، فنظَرَتْ إلى أبي[٥] شُعيبٍ فاستحسَنَتْ حالَه وما كانَ[٦] عَلَيْهِ، فصارَتْ كالأسيرِ له، فعزَمَتْ على التَّجرُّدِ مِن الدُّنيا والاتصالِ بأبي شُعيبٍ، فجاءَتْ إليه، وقالَتْ: أريدُ أن أكونَ خادمَةً لكَ، فقالَ: إن أردْتِ ذلكَ فغيِّري مِن هيأتِكِ وتجرَّدِي عمّا أنتِ فيهِ؛ حتَّى تصْلُحِي لما أردْتِ.

---

(١) «تقول» ليس في (ب). (٢) لفظ الجلالة ليس في (ب).

(٣) في (د): «وأخرجتها». وانظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٥).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٥)، و«التوابين» لابن قدامة (١١٨).

(٥) قوله: «أبي» ليس في (س). (٦) في (د): «كانت».

فتجرَّدَتْ عن كلِّ ما تملِكُ[١]، ولبِسَتْ لُبسَةَ[٢] النُّسّاكِ - أي: العُبّادِ - وحضَرَتْهُ فتزوَّجَها[٣]، فلمّا رأتِ الكُوخَ[٤] رأتْ قطعةَ خِصافٍ كانَ يجلِسُ عليها تقيه مِن النَّدى، فقالَتْ: ما أنا بمُقيمةٍ في الخُصِّ حتَّى تُخْرِجَ ما تحتَك، فأخَذَ أبو شُعيبٍ الخِصافَ ورَمَى بها، فمكَثَتْ معَه سِنينَ كثيرةً يتعبَّدانِ، رضِيَ الله عنهُما»[٥]. والله أعلَمُ.

هكذا كُنَّ يترُكْنَ الدُّنيا لآجِلِ الآخرةِ ونعيمِها المُقيمِ، ويترُكْنَ التَّرفُّهَ ويعدِلْنَ إلى خُشونةِ العيشِ، بعكْسِ نِساءِ[٦] زَمانِنا الخَمِلاتِ اللاتي[٧] شأنُهُنَّ ودأْبُهُنَّ في التَّرفُّهِ والتَّوسُّعِ مِن هذه المَزبَلةِ، سواءٌ كانَ مِن حلالٍ أو حرامٍ.

[١٨/ب] فكأنِّي بكُنَّ وقد اسْتَلَّ ملَكُ الموتِ أرْواحَكُنَّ استلالًا عنيفًا، فذقْتُنَّ غُصصَ سَكَراتِ الموتِ، وضيقَ القُبورِ، وشدائدَ الحسابِ، فنَدِمْتُنَّ حينَ لا ينفَعُ الندَمُ، فالبدارَ البدارَ يا نساءَ المُؤمناتِ إلى ما يحْمِي مِن عذابِ النارِ وغضَبِ الجبّارِ[٨]، ولا تستهْجِنَّ ما سلَفَ؛ فإنّه غفارٌ ستّارٌ، والله أعلَمُ.

* * *

[أخوات بشر: مضغة ومخة وزبدة]

[٣٣] ومِنْهُنَّ: أخواتُ بِشرٍ، رضِيَ الله عنه وعنهُنَّ، وكنَّ ثلاث: مضغةُ

---

(١) في (د): «تملكه».
(٢) في (ب) و(د): «لبس».
(٣) في (ب): «فتزوجتها».
(٤) في (د): «الكرخ».
(٥) «حلية الأولياء» (١٠: ٣٢٣)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٦٠١)، و«المنتظم» (٩: ١٥٢).
(٦) في (ب): «نسان».
(٧) في (س) و(ب): «الذي».
(٨) في (د): «القهار».

وهيَ الكُبْرى، ومخةُ، وزبدةُ[١].

وكانَتْ مضغَةُ أكبَرُ مِن بشرٍ فماتَتْ قبْلَه، فتوجَّعَ عليها توجُّعًا شديدًا، فقيلَ له في ذلكَ، فقالَ: قرأْتُ في الكُتبِ: إنّ العبْدَ إذا قصَّرَ في خدمةِ ربِّه ـ وفي رِوايةٍ: في طاعةِ ربِّه ـ سلَبَه مَن يؤنِسُه[٢].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها صوّامةً قوّامةً وَرِعةً.

قالَ: «تعلَّمْتُ الورَعَ مِن أُختِي؛ فإنّها كانَتْ تجتهِدُ ألا[٣] تأكُلَ ما للمَخلوقِ فيه صنعٌ»[٤].

قالَ عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمَدَ رضِيَ الله عنه: «كنْتُ معَ أبي يومًا مِن الأيامِ في المنزلِ فدَقَّ داقٌّ البابَ، فقالَ لي أَبِي: اخرُجْ فانظُرْ مَن بالبابِ، فخرَجْتُ فإذا امرأةٌ[٥]، فقالَتْ: استأذِنْ لي على أبي عبدِ الله، قالَ: فاستأذَنْتُه، فقالَ: أدخِلْها، قالَ: فدخَلَتْ، فقالَتْ: يا أبا عبدِ الله، أنا امرأةٌ أغزِلُ باللَّيلِ على السِّراجِ، فربَّما طُفِئَ[٦]، فأغزِلُ في القمرِ، فهل عليَّ أن أبينَ غزْلَ القمَرِ من غزْلِ[٧] السِّراجِ؟

فقالَ لها: إن كانَ عندَكِ بينَهما فرْقٌ فعليكِ أن تُبيِّنِي ذلكَ، ثمَّ قالَتْ: يا أبا عبدِ الله، أنينُ المريضِ شَكْوَى؟ فقالَ: أرْجُو ألا يكونَ شَكْوى، ولكنَّه

---

(١) انظر ترجمتهم في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ١١٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣)، و«البداية والنهاية» (١٠: ٢٩٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٦)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣).

(٣) في (ب): «أن».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٦)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٤).

(٥) قوله: «فإذا امرأة» ليس في (ب).

(٦) بعدها في (د): «السراج».

(٧) قوله: «القمر من غزل» ليس في (ب).

اشتكاءٌ[١] إلى الله عزَّ وجَلَّ، ثمَّ ودَّعَتْه وخرَجَتْ، فقالَ لي: يا بُني ما سمِعْتُ إنسانًا قطُّ سألَ عن مثْلِ هذا، اتْبَعْ هذه المرأةَ فانظُرْ أينَ تَدْخُلُ[٢]؟

قالَ: فاتَّبعْتُها، فإذا هيَ قد دخلَتْ في بيتِ بشرِ بنِ الحارثِ، وإذا هيَ أختُه، فرجَعْتُ وقلْتُ له ذلكَ، فقالَ: مُحالٌ أنْ تكونَ مثْلُ هذه إلا أختَ بشرٍ، [١٩/أ] وكانَتْ هذه أختُه مخةُ»[٣].

قالَ عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمَدَ: «جاءَتْ هذه مخةُ إلى أبي، فقالَتْ لَهُ: إنِّي امرأةٌ رأْسُ مالي دانِقَيْنِ، أشترِي القطْنَ فأردِنُه فأبيعُه بنصْفِ درهمٍ، فأتقوَّتُ بدانقٍ مِن الجُمُعةِ إلى الجُمُعةِ، فمرَّ[٤] الطّائفُ ومعَهُ مِشعلٌ، فوقَفَ يكلِّمُ أصحابَ المسالحِ[٥]، فاستغنمْتُ ضَوءَ المِشعلِ فغزَلْتُ طاقًا ثمَّ غابَ عنِّي المشعَلُ، فعلمْتُ أنّ لله[٦] فيَّ مطالبةً بذلكَ، فخلِّصْني خلَّصَكَ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَ: تُخرجِينَ الدّانقينِ وتَبْقِينَ بلا رأسِ مالٍ حتَّى يعوِّضَكِ الله عزَّ وجَلَّ.

قالَ عبدُ الله: فقلْتُ لأبي: لو أمَرْتَها فأخرجَتِ الغزل[٧] الذي أدرَجَتْ فيه الطّاقاتِ؟ فقالَ: يا بُني، إنّ سُؤالَها لا يحتمِلُ التَّأويلَ»[٨].

---

(١) في (س): «شكو»، وقوله: «فقال: أرجو ألا يكون شكوى، ولكنه اشتكاء» ليس في (ب).

(٢) في (س): «ترحل».

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٣)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٤٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٦-٥٧٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٤).

(٤) جاء بعدها في «صفة الصفوة»: «ابن الطاهر».

(٥) في (س) و(د): «المسالخ».

(٦) في (د): «الله».

(٧) كذا في المصادر، وفي (س) و(ب) : «المغزل».

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٣)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٤٢٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣).

قالَ عبدُ الله البردانِيُّ: «كانَتْ هذه مخةُ تقصِدُ الإمامَ أحمَدَ، وتسألُه عنِ الورَعِ والتَّقشُّفِ، وكانَ الإمامُ أحمَدُ يعْجِبُه مَسائِلَها»[١].

وأما زبدةُ فلها كلامٌ حسَنٌ نافِعٌ.

قالَ السُّلمِيُّ: قالَت زبدةُ: «أثقَلُ شيءٍ على العبْدِ: الذُّنوبُ، وأخفُّ شيءٍ عليه: التَّوبةُ، فما لهُ لا يدفَعُ أثقَلَ شيءٍ بأخفِّ شيءٍ!»[٢]، والله أعلَمُ.

*

[امرأة أبي الفرج العابد]

[٣٤] ومِنْهُنَّ: امرأةُ أبي الفرجِ العابِدِ[٣].

قالَ أبو بكرٍ الآجُرِيُّ: «بلغَنِي عن أبي الفرَجِ العابِدِ: أنّه لَمّا ماتَ لم تُعْلِمْ زوجتُه إخوانَه بموتِه، وهُم جلوسٌ بالبابِ ينتَظِرونَ الدخولَ عليه في علَّتِه، فغسَّلَتْه وكفَّنَتْه في كِساءٍ كانَ له، وأخَذَتْ فردةَ بابٍ مِن أبوابِ بيتِه وجعَلَتْه فوقَها وشَدَّتْهُ[٤] بشريطٍ، ثمَّ قالَتْ لإخوانِه: قد ماتَ، وقد فرغْتُ[٥] مِن جهازِه، فدخَلُوا واحتمَلُوه إلى قبْرِه وأغلَقَتِ البابَ خلْفَهم»[٦]، والله أعلَمُ.

* *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧).

(٢) قوله: «بأخف شيء» ليس في (ب). وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٤: ٣٦٣).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧).

(٤) كذا في «صفة الصفوة»، وفي (س) و(ب): «وشرطه».

(٥) في (ب): «فغرت».

(٦) في (ب): «خلفه». وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٧).

[ميمونة أخت إبراهيم الخواص لأمه]

[٣٥] ومِنْهُنَّ: ميمونةُ أُخْتُ إبراهيمَ الخوّاصِّ لأُمِّه[١].

وكانَتْ سالكةً مسلَكَ أخِيها في الزُّهدِ والتَّقلُّلِ والورَعِ والتَّوكُّلِ[٢].

دقَّ يومًا داقٌّ بابَ إبراهيمَ، فقالَتْ ميمونةُ هذه: مَن تريدُ؟ فقالَ: إبراهيمَ [١٩/ب] الخوّاصَّ، فقالَتْ: قد خرَجَ، فقالَ: متى يَعودُ؟ فقالَتْ: مَن رُوحُه بيدِ غيْرِه متى يعلَمُ متى يعودُ؟[٣] والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة كانت ببغداد]

[٣٦] ومنهُنَّ: عابِدةٌ كانَتْ ببغدادَ[٤].

قالَ نوحٌ الأسوَدُ: «كانَتِ امرأةٌ تأتِي أبا عبْدِ الله البراثي[٥]، فتجلِسُ وتسمَعُ كلامَه، ولا تكادُ تتكلَّمُ، ولا تسألُ عن شيءٍ، فقيلَ لها في ذلكَ، فقالَتْ: قليلُ[٦] الكلامِ خيرٌ مِن كثيرِه[٧]، إلا ما كانَ من ذكْرِ الله عزَّ وجَلَّ، والمُنصِتُ[٨] أفهَمُ للموعظَةِ، ولن ينصحَكَ امرؤٌ لا ينصَحُ نفْسَه، وجملةُ الأمْرِ يا أخِي إن أردْتَ الله عزَّ وجَلَّ بطاعتِه أرادَكَ برحمتِه، وإن أردْتَ سَبيلَ المعرضينَ[٩] فلا تلُمْ إلا

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٨).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٨).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦: ٦٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٧٨).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٩).

(٥) في (س) و(ب) و(د): «البرثاني».

(٦) في (د): «قلة».

(٧) في (د): «كثرته».

(٨) في (د): «والصمت».

(٩) في (س): «المعوضين».

نفسَكَ غدًا إذا حُشِرَتْ[١] في زُمرةِ الخاسرينَ، ثمَّ بكَتْ وقامَتْ»[٢].

قالَ: «وسمِعْتُها وهيَ تعِظُ لابنِها[٣] وتقولُ له: ويْحَكَ يا بُنيَّ، احذَرْ بطالاتِ اللَّيلِ والنَّهار، فتنقَضِي[٤] مهلاتُ الأعمارِ وأنتَ غيرُ ناظرٍ لنفسِكَ، ولا مستعِدٌّ لسفرِكَ، يا بُنيَّ، مهِّدْ لنفسِك قبلَ أن يُحالَ بينَكَ وبينَ ذلكَ، وجِدَّ قبلَ أن يجِدَّ الأمرُ بكَ، واحذَرْ سطواتِ الدهورِ[٥] وكيدَ الملعونِ عندَ هُجومِ الدُّنيا بالفتنِ وتقلُّبِها بالعِبَرِ[٦]، فعندَ ذلكَ يهتَمُّ التَّقِيُّ كيفَ ينجو مِن مصائبِها، بؤسًا لكَ يا بُنيَّ إن عصيْتَ الله عزَّ وجَلَّ وقدْ عرَفْتَه وعرفْتَ إحسانَه، وأطعْتَ إبليسَ وقد عرفْتَه وعرفْتَ طُغيانَه»[٧]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

هَكَذا كُنَّ، وأنتُنَّ ويحَكُنَّ يا نساءَ زمانِنا، تَرَينَّ أولادَكُنَّ يرتكِبونَ[٨] المَعاصِيَ[٩] والأهوالَ بحُبِّ هذه المَزبَلَةِ، بَلْ والله ترينهم[١٠] يرتكِبونَ المعاصِيَ ولا تنكرن[١١] عليهم، بل فيكُنَّ والله مَن تُعْطِيهِ ما يتقوَّى به على معاصِي الله عزَّ وجَلَّ بما أنعَمَ عليْكُنَّ بِهِ، فكأنِّي بكُنَّ وقد صارَ ما بذلتُنَّه[١٢] لهم جمْرًا على أجسامِكُنَّ في قُبورِكُنَّ، لا سيَّما معَ علْمِكنَّ[١٣] بأنَّ الأيتامَ والعجائزَ والزَّمِناتِ

---

(١) في «صفة الصفوة»: «صرت»، وفي (د): «خسرت».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٩).

(٣) في (د): «ابنها».

(٤) في (ب): «فتقضي».

(٥) في (د): «الدهر».

(٦) في (س) و(ب): «بالغير».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٧٩).

(٨) في (د): «يرتكبن».

(٩) «المعاصي» مثبت من (د).

(١٠) في (س) و(ب) و(د): «ترونهم»، ولعل المثبت هو الصواب.

(١١) في (س) و(ب): «تنكرون».

(١٢) في (ب): «تبذلينه».

(١٣) في (س) و(ب) و(د): «علمها»، ولعل المثبت هو الصواب.

لهم حاجَةٌ إلى ما يَقِيهم[1] مِن الحرِّ والبرْدِ والجُوعِ، فالويلُ لكُنَّ مِن مالِكِ يومِ الدِّينِ. والله أعلَمُ.

* *

[عابدة ببغداد]

[٣٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بِبَغْدادَ.

[٢٠/أ] قالَ أبو الحسَنِ البَحْرانِيُّ ـ صاحِبُ الخوّاصِ ـ: «جاءَتِ امرأةٌ إلى الخوّاصِ فسألَتْه عن تَغَيُّرٍ وجَدَتْه في قلْبِها وفي أحوالِها، فقالَ لها: عليكِ بالتفَقُّدِ، فقالَتْ: قد تفقَّدْتُ فما رأيتُ شيئًا، فأطرَقَ الخوّاصُ ساعةً ثمَّ رفَعَ رأسَه، وقالَ: أما تذكُرينَ ليلةَ المِشْعلِ؟

فقالَتْ: بَلَى، فقالَ: هذا التغيُّرُ مِن ذلكَ، فبكَتْ، وقالَتْ: نعَمْ كنْتُ أغزِلُ فوقَ السَّطحِ فانقطَعَ خيْطِي، فمرَّ مِشعلُ السُّلطانِ فغزَلْتُ في ضَوْئِه خيطًا ثمَّ أدخلْتُ الخيْطَ في غزْلِي ونسَجْتُه قَميصًا ولَبِسْتُه، ثمَّ قامَتْ إلى ناحيةِ البيتِ فنزَعَتِ القميصَ، وقالَتْ: يا إبراهيمُ، إذا بعتُه وتصدَّقْتُ بثمَنِه يرجِعُ إليَّ الصفاءُ؟ فقالَ: إنْ شاءَ الله»[2]، والله أعلَمُ.

إذا كانَ هذا الجَفاءُ قد حصَلَ من خيطٍ غُزِلَ في ضَوءِ مِشْعلِ سُلطانِ ذلكَ الزمانِ، الذي كانَ العدْلُ فيه ظاهِرٌ والحدودُ تُقامُ فيه، وإذا ظُلِمَ فيه شخصٌ أزالَ الحُكّامُ مَظلمَتَه، فكيفَ الحالُ اليومَ، لا سيَّما المرأةُ المتزوِّجةُ مِن أعوانِ الظَّلَمةِ؛ كالعَرِّيفِ والنَّقيبِ، وامرأةِ المُحتسِبِ، وامرأةِ الحاجِبِ، ونائبِ البلَدِ،

---

(١) في (ب): «يقهم».

(٢) انظر: «قوت القلوب» (٢: ٤٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٨٠)، و«مرآة الزمان» (١٦: ٢٩٥).

وقُضاةِ البراطيلِ الذين[١] أخَذُوا[٢] في السُّلوكِ في طريقِ اليَهودِ مِن الرِّشى والبراطيلِ وأخْذِ الأموالِ على وجْهِ الخَديعةِ.

وكذلكَ زوجةُ فُقراءِ هذا الزمانِ[٣]، لا سيَّما الفقيرُ الذي يأخُذُ جوائزَ هؤلاءِ[٤] الظَّلَمةِ، وقد نصَّبَ نفْسَه شَيخًا مُربيًا يعِظُ النّاسَ مِن كُتبِ القومِ، قبَّحَه الله وقاتَلَه؛ قُطّاعُ الطريقِ أحسَنُ حالًا منه؛ لأنّهم يأخُذونَ أموالَ الناسِ ويعتقِدونَ أنّهم عُصاةٌ، وهؤلاءِ يأخُذونَ أموالَ الناسِ بالباطِلِ، ويُظْهِرونَ أنّهم دعاةٌ إلى الله، كذَبُوا والله في ذلكَ.

وَلَقَد أجمَعَ المُسلمونَ على أنّ الشخصَ إذا كانَ يُظَنُّ به أنّه سالِكٌ وهوَ ليسَ[٥] كذلكَ، فالذي يأخُذُه حرامٌ لا نزاعَ فـي ذلكَ، ومَن ظَنَّ منهم أنّهُ سالِكٌ فلينظُرْ في كتابِ الله عزَّ وجَلَّ وفي السُّنَّةِ الشَّريفةِ/ يَجِدِ[٦] الأمْرَ كَما ذَكَرْنا، [٢٠/ب] فإنْ كانَ لا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ، فعَلَيْهِ بِكِتابِنا «**سَيْر السّالِك**»؛ ففيهِ ما أشَرْنا إلَيْهِ وزِيادة.

وَإذا عَرَفْتِ أيَّتُها[٧] المُؤْمِنَةُ الصادِقَةُ المُحِبَّةُ للخَيْرِ ما ذَكَرْناهُ[٨]، فبادِري أنْ تَخلصِي[٩] مِن هذِهِ الثِّيابِ القاطِعَةِ عَن التَّلَذُّذِ بِالعِبادَةِ، بَل المانِعَةِ مِنْ[١٠] عَدَمِ قَبُولِها؛ ففي الحَديثِ مِن رِوايَةِ ابنِ عُمَر[١١] رَضِيَ الله عَنْهُما: أنّ رَسُولَ الله

---

(١) في (س) و(د): «الذي».
(٢) في (د): «يأخذون».
(٣) في (ب): «الزمنان».
(٤) في (س) و(ب) و(د): «هذه».
(٥) في (د): «وليس هو».
(٦) من هنا وقع سقط في (س) بمقدار لوحة كاملة.
(٧) في (ب) و(د): «أيها».
(٨) في (س): «ذكرنا».
(٩) في (ب): «تخلصكي».
(١٠) في (د): «عن».
(١١) في (د): «عبد الله بن عمر».

ﷺ قال: «مَنِ اشْتَرَى ثَوْبًا بِعَشَرَةِ دَراهِمَ، في ثَمَنِهِ دِرْهَمٌ حَرامٌ، لَمْ يَقْبَلِ الله صَلاتَه وعَلَيْهِ منهُ شيءٌ». رَواهُ الإمامُ أَحْمَدُ[١] رحمةُ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ.

وَإِذا كانَ هَذا في ثَوْبٍ فيهِ دِرْهَمٌ، فكَيْفَ الحالُ في ثَوْبٍ كُلّهُ حَرامٌ، كَما يَفْعَلُهُ هَؤلاءِ الظَّلَمَة من الأخْذِ بالقَهرِ والغَلَبَةِ، وكَذا ما يُرْسِلُهُ الشخْصُ عَلى وجْهِ البَراطِيلِ[٢]، أو يَبْعَثُهُ خَوفًا مِنْ أنْ يَطْلُبَ مِنْهُ شَيءٌ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ، فكُلُّ هَذا وأشباهُه حَرامٌ لا نِزاعَ فيه بَيْنَ المُسْلِمِينَ، ومَن اعْتَقَد حِلَّ ذَلِكَ بَعْدَ العِلْمِ بِما ذَكَرْنا فهُو كافِرٌ، وقَدْ خَرجَ بِذَلكَ عَن دِينِ الإسْلامِ، وإنْ صامَ، وصلَّى، وحجَّ، واعْتمرَ.

وَفي الحَديثِ الصَّحيحِ: «إنّ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَهُ[٣] إلَى السَّماءِ: يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، وغُذِّيَ بِالحَرامِ، فأنّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ». رواه مسلم[٤]، أيْ: كَيفَ يُسْتَجابُ لَهُ!

وَفي الحَديثِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: أنّهُ قالَ: «كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنْ حَرامٍ، فالنّارُ أوْلَى بِهِ»[٥].

رَواهُ الترمِذيُّ[٦] مِن حَدِيثِ كَعْبِ بن عُجْرَة، وحَسَّنَهُ، ورَواهُ أبو نُعَيمٍ[٧]، وأصْلُهُ في البُخارِي من حديثِ عائِشةَ رَضِيَ الله عَنْها.

---

(١) «مسند أحمد» (٥٧٣٢).
(٢) في (ب) و(د): «البرطيل».
(٣) في (د): «يديه».
(٤) «صحيح مسلم» (١٠١٥).
(٥) «مسند أحمد» (١٤٤٤١).
(٦) «جامع الترمذي» (٦١٤)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبيد الله بن موسى».
(٧) «حلية الأولياء» (١: ٣١).

وفي الحديثِ أنّهُ[١] عليه الصلاة والسلام قال: «**مَن لَم يُبالِ مِن أينَ اكتسبَ المالَ، لَمْ يُبالِ الله تعالى من أينَ أدْخَلهُ النّارَ**»[٢].

وَعَنْ أبي بَرْزَةَ، واسمُه: نضْلةُ[٣] رَضِي الله عَنْهُ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَما[٤] عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فيما أفْناهُ، وعَن مالِه مِنْ أيْنَ اكْتَسَبَهُ[٥]، وفيما أنْفَقَهُ، وعَن جِسْمِه فيما أبْلاهُ**». رواه الترمِذي[٦]، وقالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ».

وعن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قَـرَأ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قالَ: «**أتَدْرُونَ ما أخْبارُها؟**» قالُوا: الله ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قالَ: «**فَإنّ أخْبارَها أنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أوْ أمَةٍ بِما عَمِلَ عَلَى ظَهْرِها، تَقُولُ: عَمِلَ كَذا وكَذا يومَ كَذا وكَذا، فهَذِهِ أخْبارُها**»[٧].

---

(١) «أنه» ليس في (ب).

(٢) «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» للمروذي (٢٠٥)، و«تاريخ أصبهان» (١: ٣٩٩). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥٣٦): «أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عمر، قال ابن العربي في «عارضة الأحوذي شرح الترمذي»: إنه باطل لم يصح ولا يصح».

(٣) قيل اسمه: نضلة بن عبد الله، وقيل: عبد الله بن نضلة، وقيل: نضلة بن عبيد الله بن الحارث. انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٤: ٢٩٨)، و«الطبقات» لخليفة بن خياط (١٨٤)، و«التاريخ الكبير» (٨: ١١٨)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (٣: ١٥٨) (١١٣٢).

(٤) في (ب): «قدم».

(٥) في (د): «اكتسب».

(٦) «جامع الترمذي» (٢٤١٦)، وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود، عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه. وفي الباب عن أبي برزة، وأبي سعيد رضي الله عنهم».

(٧) «مسند أحمد» (٨٨٦٧)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٦٢٩)، و«صحيح ابن حبان» =

رواه الترمذي[١]، وقال: «هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»[٢].

وَمِمّا يَفْعَلُه الجَهَلَةُ، وأَشَدُّهُم جَهْلًا الظَّلَمةُ الذِينَ يَأْخُذُونَ مِنْ أَمْوالِ النّاسِ بالباطِلِ، ثُمَّ يَتَصَدَّقُونَ مِنْهُ[٣]، هُمْ ونِساؤُهُم، وهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُثابُونَ[٤] عَلى ذَلِكَ، ولَعَمْرِي إنّهُم بِصَدَقَتِهِم يَزْدادُونَ عَذابًا؛ لِأَنّهُم عَصَوُا الله عَزَّ وجَلَّ ورسولَه[٥] بِصَدَقَتِهِم، وآذَوا أَنْفُسَهُم، وآذَوا الفُقَراءَ؛ لِأَنَّهُم أَطْعَمُوهُمُ الحَرامَ.

وَقَد قالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَنِ اكْتَسبَ مالًا حَرامًا، فإنْ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وإنْ تَرَكَهُ وراءَهُ كانَ زادَهُ إلَى النارِ»**[٦].

رَواهُ الإمامُ أَحمدُ[٧] من حديثِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنهُ.

وَرَواهُ ابنُ حِبّانَ[٨] مِن حَدِيثِ أَبي هُرَيرةَ رَضِي الله عَنْهُ: **«مَنْ جَمعَ مالًا مِنْ حَرامٍ ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ فيهِ أَجْرٌ، وكانَ إصْرُهُ[٩] عَلَيْهِ»**.

ثُمَّ إنَّ الفَقِيرَ والفَقِيرَةَ[١٠] تَدْعُو لِأَجْلِ هَذِهِ الصَّدَقَةِ الخَبِيثَةِ، ويُثْنَى[١١] أَيْضًا[١٢] عَلَى المُتَصَدِّقِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فيَقَعُ الفَقِيرُ أَيْضًا في أَشَرِّ أَعْمالِهِ؛ لِجَهْلِهِ[١٣].

= (٧٣٦٠)، و«مستدرك الحاكم» (٣٠١٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه».

(١) «جامع الترمذي» (٣٣٥٣).

(٢) في (ب): «وقال: حديث حسن».

(٣) في (د): «به».

(٤) في (د): «يثابون».

(٥) «ورسوله» مثبت من (د).

(٦) «الزهد» لابن المبارك (١١٣٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٩٩٠).

(٧) «مسند أحمد» (٣٦٧٢).

(٨) «صحيح ابن حبان» (٣٣٦٧).

(٩) «إصره» ليس في (ب)، وموضعها بياض.

(١٠) في (د): «أو الفقيرة».

(١١) في (د): «ويثنيا».

(١٢) «أيضًا» مثبت من (د).

(١٣) في (د): «بجهله».

فَفي الحَديثِ: «**مَنْ دَعا لِظالِمٍ بالبَقاءِ، فقَدْ أَحَبَّ أنْ يُعْصَى الله عَزَّ وجَلَّ في أرْضِهِ**». رَواهُ ابنُ أبي الدُّنْيا[١]، إلا أَنَّهُ رَواهُ مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ، وهُو الصَّواب[٢].

نَعَمْ؛ في الحديثِ الصَّحِيحِ: «**إنّ الله عزَّ وجَلَّ لَيَغْضَبُ إذا مُدحَ الفاسِقُ**». رَواهُ ابْنُ أبي الدُّنْيا[٣]، والبَيْهَقِيّ[٤]، وأبُو يَعْلَى[٥]، وابْنُ عَدِيٍّ[٦].

وَمِمّا يَتَعَلَّقُ بِما ذَكَرْنا مِن أَخْذِ المالِ بالباطِلِ: ما يَفعلُهُ هـؤلاءِ[٧] التُّجّار والسُّوقَة مِن غِشِّهِم وحَلِفِهِم الأيْمانَ الكاذِبَةَ لِيُرَوِّجُوا به سِلَعَهُم[٨]، ويَكْذِبُوا[٩] [٢١/ب] في الأخْذِ والعطاءِ، وهؤلاءِ لهم عذابٌ شديدٌ أليمٌ، والويلُ لهم مِن هذه الأفعالِ الخَبيثةِ؛ ففي الحديثِ عنِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه، أنّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مالِ امْـرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْـرِ حَقٍّ[١٠] لَقِيَ الله وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبـانُ**». رَواهُ البُخارِيُّ[١١] ومُسلمٌ[١٢].

وفي الحديثِ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بيَمِينِهِ، فقَدْ أَوْجَبَ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُ النّارَ، وحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، فقالَ رجلٌ: وإن كانَ شيئًا يسيرًا يا رَسولَ الله؟ فقالَ

---

(١) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٦٠٠)، و«شعب الإيمان» (٨٩٨٦).

(٢) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢: ١٥١): «قلت غريبٌ مرفوعًا، وذكره الغزالي كذلك مرفوعًا في موضعين من كتابه «إحياء علوم الدين» ولم نجده إلا من قول الحسن، رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن عبد الله بن عمر الرقي عن يونس بن عبيد سمعت الحسن يقول.. فذكره» وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (٥٣٢).

(٣) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٢٩).

(٤) «شعب الإيمان» (٤٥٤٣).

(٥) «معجم أبي يعلى الموصلي» (١٧٢).

(٦) «الكامل في ضعفاء الرجال» (٦: ٤٩٠).

(٧) في (ب) و(د): «هذه».

(٨) هنا انتهى السقط الواقع في (س).

(٩) في (د): «ويكذبون».

(١٠) في (د): «حقه».

(١١) «صحيح البخاري» (٢٣٥٦).

(١٢) «صحيح مسلم» (١٣٨).

عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «وَإِنْ كانَ قَضِيبًا[١] مِنْ أراكٍ». رَواهُ مُسلمٌ[٢].

وفي الحديثِ عن أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه، أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنا السِّلاحَ فلَيْسَ مِنّا[٣]، ومَنْ غَشَّنا فلَيْسَ مِنّا». رَواهُ مُسلمٌ[٤].

وفي رِوايةٍ: أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مَرَّ على صُبْرَةِ طَعامٍ، فأدخَلَ يدَه الكريمَةَ فيها، فنالَتْ أصابِعُه بلَلًا، فقالَ: «ما هَذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟» فقالَ: أصابَتْه السَّماءُ يا رَسولَ الله، قالَ: «أفَلا جَعَلْتَهُ فوْقَ الطَّعامِ حَتَّى يَراهُ[٥] النّاسُ؛ مَنْ غَشَّنا فلَيْسَ مِنّا»[٦].

وهذا وأمثالُه كثيرةٌ، فالمرأةُ الموفَّقةُ تتَّعِظُ بدونِ ذلكَ؛ ولتحرِصْ على خَلاصِها وفِكاكِها[٧] مِن أسبابِ العذابِ، فالموتُ[٨] قريبٌ، والحسابُ شديدٌ، قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ❋ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]، والله أعلَمُ.

❋ ❋

[عابدتان ببغداد]

[٣٨] ومِنْهُنَّ: عابِدتانِ ببغدادَ[٩].

---

(١) في (س): «قضيب».
(٢) «صحيح مسلم» (١٣٧).
(٣) في (د): «فليس هو منا».
(٤) «صحيح مسلم» (١٠١).
(٥) في (د): «ليراه».
(٦) «صحيح مسلم» (١٠٢).
(٧) في (د): «وانفكاكها».
(٨) في (س): «والموت».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٨٠).

كانَ رجلٌ تاجرٌ بها له ثروةٌ، فبينا[١] هوَ في حانوتِه إذ أقبلَتْ صبيّةٌ فطلَبَتْ[٢] منه شيئًا تشتَرِيه، ثمَّ كشفَتْ عن وجْهِها، فنظَرَ إليها فتحيَّرَ مِن حُسْنِها، ثمَّ قالَتْ له: واللهِ ما بي ريبةٌ، وإنّما أردْتُ أن أتزوَّجَ بخيِّرٍ، وقد وقعْتَ فِي[٣] قلْبِي، فهل لكَ في ذلكَ؟

فقالَ: إنّ لي ابنةَ عمٍّ وهيَ زوجَتِي، وقد عاهَدْتُها أنْ لا أغيِّرَها، ولي منها [٢٢/أ] ولَدٌ، فقالَتْ: رضِيتُ أن تَجيءَ إليَّ[٤] في الأسبوعِ نَوبتَينِ[٥]، فرضِيَ وقامَ معَها، وعقَدَ العقْدَ، ومَضَى إلى مَنزِلِها، فدخَلَ[٦] بها، ثمَّ جاءَ إلى منزِلِه، ثمَّ قالَ[٧] لابنةِ عمِّه: إنّ بعضَ أصدقائِي سألَنِي أنْ أكونَ اللَّيلةَ عندَه، وكانَ يمْضِي كلَّ يومٍ بعدَ الظُّهرِ إليها، فبقِيَ على هذا ثَمانيةَ أشهرٍ، فأنكَرَتِ ابنةُ عمِّه أحوالَه، فقالَتْ لجاريتِها: إذا خرَجَ فانظُرِي إِلَى[٨] أينَ يمْضِي؟

فتبِعَتْه الجاريةُ، فجاءَ إلى الدُّكّانِ، فلمّا جاءَ[٩] الظُّهرُ قامَ فتبِعَتْهُ الجاريةُ وهوَ لا يدْرِي، إلى أنْ دخَلَ[١٠] بيتَ تلكَ المرأةِ، فجاءَتْ إلى الجيرانِ فسألَتْهم لمَنْ هذهِ المرأةُ[١١]؟ فقالُوا: قد تزوَّجَتْ برجلٍ بزّازٍ، فعادَتْ إلى سيِّدتِها فأخبَرَتْها الخبَرَ، ثمَّ قالَتْ للجاريةِ: إيّاكِ أن يَعْلَمَ[١٢] بهذا أحدٌ، ولم تُظْهِرْ لزوجِها شيئًا، فأقامَ الرَّجلُ تمامَ السَّنةِ على ذلكَ.

---

(١) في (د): «فبينما».
(٢) في (د): «تطلب».
(٣) في (س): «من».
(٤) في (د): «لي».
(٥) في (د): «يوم».
(٦) في (د): «ودخل».
(٧) في (د): «فقال».
(٨) «إلى» مثبت من (د).
(٩) في (س): «جاءت»، وكتب فوقها: «كذا».
(١٠) في (ب): «تدخل».
(١١) «المرأة» مثبت من (د).
(١٢) في (ب): «تُعْلِم».

ثمَّ مرِضَ وماتَ في بيتِ ابنةِ عمِّه، وخلَّفَ ثمانيةَ[1] آلافِ دِينارٍ، فقامَتِ ابنةُ عمِّه فأفرَدَتْ[2] ما يستحِقُّه الولَدُ، وهوَ سبعةُ آلافِ دينارٍ[3] وقسَّمَتِ الألْفَ الباقيةَ نِصفينِ، وجعَلَتِ النِّصفَ في كيسٍ، وقالَتْ للجاريةِ: خُذِي هذا الكيسَ واذهَبي إلى المرأةِ، وأعلِميها أنّ الرَّجلَ قد ماتَ وخلَّفَ ثمانيةَ آلافِ دِينارٍ، وقد أخَذَ الابنُ سبعةً وبقِيَتْ ألفٌ قسَمْتُها بيني وبينكِ[4]، وهذا حقُّكِ، فمضَتِ الجاريةُ فطرَقَتِ البابَ، ودخَلَتْ فأخبَرَتْها خبَرَ الرَّجلِ وحدَّثَتْها بموتِه، وأعلَمَتْها الحالَ، فبكَتْ، ثمَّ فتحَتْ صُندوقًا وأخرجَتْ منه رُقعةً يعْنِي: ورقةً، وقالَتْ: عُودِي إلى سيِّدَتِكِ وسلِّمِي عليها منِّي[5]، وأعْلِمِيها أنّ الرَّجلَ طلَّقَنِي وكتبَ لي[6] براءةً، ورُدِّي عليها هذا المالَ؛ فإنّي ما أستحِقُّ منه شيئًا، فرجَعَتِ الجاريةُ وأخبَرَتْها بذلكَ[7]. رضِيَ الله عنهُما، والله أعلَمُ.

* *

[أم حسان الكوفية]

[٣٩] ومِنْهُنَّ: أمُّ حسّانَ[8] الكُوفيّة[9].

وكانَ سُفيانُ وابنُ المُباركِ وغيرُهما مِن السّاداتِ يزُورُونَها[10]، وكانَتْ صاحبةَ اجتهادٍ وعبادةٍ[11].

---

(١) «وخلف ثمانية» في (ب): «وثمانية».
(٢) في (ب): «فأفرددت».
(٣) «دينار» مثبت من (د).
(٤) في (س) و(ب): «بينك وبينها».
(٥) في (ب): «عني».
(٦) «لي» ليس في (ب).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٨١).
(٨) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٩) في (س): «الكوفة».
(١٠) في (د): «يزوروها».
(١١) في (د): «وعبادات». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).

قالَ ابنُ المُباركِ: «دخَلْتُ أنا وسُفيانُ بيتَها فلم نَرَ فيه شيئًا غيرَ قطعةِ حَصيرٍ خَلَقٍ، فقالَ لها سُفيانُ الثوريُّ: لو كتبْتِ[1] رُقعةً إلى[2] بعضِ بنـي أعمامِكِ [٢٢/ب] لغيَّرُوا مِن سُوءِ حالِكِ، فقالَتْ له: يا سُفيانُ، قد كنْتَ في عيني أعظَمَ، وفي قلْبي أكبَرَ منذُ ساعتِكِ هذهِ؛ إنّي ما أسألُ الدُّنيا مَن يقْدِرُ عليها ويملِكُها ويَحْكُمُ فيها، فكيفَ أسألُ مَن لا يقدِرُ ولا يقْضِي ولا يحْكُمُ فيـها؟ يا سُفيـانُ، واللهِ ما أحِبُّ أن يأتـيَ عليَّ وقتٌ وأنا مُتشاغِلَةٌ فيه عنِ اللهِ عزَّ وجَلَّ بغيرِ اللهِ تعالى، فأبكَتْ سُفيانَ».

قالَ ابنُ المُبارِكِ: «فبلَغَنِي[3] أنّ سُفيانَ تزوَّجَ بها»[4]. واللهُ أعلَمُ.

[أم سفيان الثوري]

[٤٠] ومِنْهُنَّ: أمُّ سُفيانَ الثوريِّ[5].

قالَ وكيعٌ: قالَتْ أمُّ سُفيانَ: «يا بُنيَّ، اطلُبِ العلْمَ وأنا أكْفيكَ بمِغـزلِي، يا بُنيَّ، إذا كتبْتَ عشرَةَ أحرفٍ؛ انظرْ هل تَرَى في نفْسِكَ زيادةً فـي مشْيِكَ وحلْمِكَ ووقارِكَ؟ فإن لم تَرَ ذاك، فاعلَمْ أنّه يضرُّكَ ولا ينفَعُكَ»[6]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) في (ب): «كتب»، وفي (د): «كنت كتبت».
(٢) «إلى» ليس في (ب).
(٣) في (د): «بلغني».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).
(٦) انظر: «تاريخ جرجان» (٤٩٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ١٧٤).

[أم الحسن وعلي]

[٤١] ومِنْهُنَّ: أمُّ الحسَنِ وعليٍّ[١].

وكانَتْ تقومُ ثُلُثَ اللَّيلِ، والآخَرُ الثُّلُثَ، والثّالثُ الثُّلُثَ الأخيرَ، وكانَتْ تبْكِي اللَّيلَ والنَّهارَ مِن خشيةِ الله تعالى[٢].

قالَ رجلٌ: «فرأيْتُ الحسَنَ بعدَ موتِه في المنامِ، فقلْتُ: ما فعَلَتِ[٣] الوالدَةُ؟ فقالَ: بُدِّلَتْ بذلكَ البُكاءِ سُرورَ الأبَدِ»[٤]. والله أعلَمُ.

* *

[أخت فضيل بن عبد الوهاب]

[٤٢] ومِنْهُنَّ: أختُ فُضيلِ بنِ[٥] عبدِ الوهّابِ[٦].

قالَ فُضيلٌ: سمِعْتُ أختي تقولُ: «الآخرَةُ أقربُ مِن الدُّنيا، وذلكَ أنّ الرَّجلَ يَهُمُّ بطلَبِ الدُّنيا فلعَلَّه[٧] أنْ ينشِئَ لذلكَ سَفرًا يكونُ فيه قد تسبَّبَ لإتلافِ مالِه[٨]، ثمَّ لا[٩] ينالُ[١٠] بُغيتَه[١١]، والرَّجلُ يطلُبُ الآخرَةَ، فمُنتَهى طَلِبتِه

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٠-١١١)، و«المنتظم» (٨: ٣١٣).

(٣) في (د): «بدلت».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١)، و«المنتظم» (٨: ٣١٣)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣٦٢).

(٥) في (د): «وهو ابن».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١).

(٧) في (د): «فلعله بذلك».

(٨) في (د): «يكون نصب بدنه وهلاك ماله».

(٩) «لا» ليس في (ب).

(١٠) في (د): «يناله».

(١١) في (د): «بنيته».

في حُسنِ نيَّتِه حيثُ ما كانَ، مِن غيرِ أنْ يُنشِئَ سَفرًا، أو ينفِقَ مالًا، أو يُتعِبَ[١] بَدنًا، ما هوَ إلا أن يُجمعَ على طاعةِ الله عزَّ وجَلَّ، فإذا هوَ قد أدرَكَ ما عندَ الله عزَّ وجَلَّ»[٢].

وسمِعْتُها تقولُ: «ما بينَنا وبينَ أن نَرَى السُّرورَ أو يُنادَى بالويْلِ والثُّبورِ، إلا خُروجُ هذه الأرواحِ مِن هذهِ الأبدانِ، فانظُرُوا أيَّ عبيدٍ تكونونَ حينئذٍ»، قالَ: ثمَّ صرَخَتْ وغُشِيَ عليها، ثمَّ قالَ: «ما رأيْتُ رَجلًا ولا امرأةً أطولَ حُزنًا [٢٣/أ] منها»[٣]، يعْنِي: مِن خَوفِ الآخرةِ، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من نساء الكوفة]

[٤٣] ومنهُنَّ: عابدةٌ مِن نساءِ الكُوفةِ[٤].

وكانَتْ في زمنِ الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ[٥]، وكانَتْ ذاتَ جمالٍ بارعٍ، فقالَ لها قومٌ: لو تعرَّضْتِ للرَّبيعِ؛ لعلَّكِ تفْتِنيهِ، ولكِ إن فعَلْتِ ذلكَ ألْفُ درهمٍ، فقالَتْ: نَعَمْ، فلبِسَتْ أحسَنَ ما قدرَتْ عليه مِن الثيابِ الحِسانِ، وتطيَّبَتْ بأحسَنَ ما قدرَتْ عليه مِن الطِّيبِ، ثمَّ تعرَّضَتْ له حينَ خرَجَ[٦] مِن المسجدِ، فنظَرَ إليها فراعَه أمْرُها، فأقبَلَتْ عليه وهيَ سافِرةٌ عن وجْهِها، فقالَ لها الرَّبيعُ: كيفَ بكِ لو قد نزَلَتِ الحُمَّى[٧] بجسْمِكِ، فغيَّرَتْ ما أرَى مِن لونِكِ وبهجَتِكِ؟

---

(١) في (د): «ينصب».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١).
(٣) في (س) و(ب): «منهما». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١١).
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٢).
(٥) في (د): «خيثم».
(٦) في (د): «خروجه».
(٧) في (د): «الجمرة».

أم كيفَ بكِ لو قدْ نزَلَ بكِ ملَكُ الموْتِ فقطَعَ منكِ حبْلَ الوَتينِ؟
أم كيفَ بكِ لو قدْ سألَكِ مُنكرٌ ونَكيرٌ؟
فصرَخَتْ صرخَةً سقَطَتْ مَغشيًّا عليها، فوالله لقد أفاقَتْ وشَرعَتْ في العبادَةِ، حتَّى إنها بلغَتْ في عبادَةِ ربِّها أنّها يومَ ماتَتْ كأنّها عودٌ مُحترِقٌ[1].
والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة في الكوفة]

[٤٤] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ في الكُوفةِ[2].

دخَلَ عليها شخصٌ مِن ولدِ ابنِ أبي[3] لَيْلَى وهوَ يقرأُ في «سُورةِ هودٍ» عليه السَّلامُ، فقالَتْ: «أهكذا تقرأُ سُورةَ هودٍ! إنّي لَفيها منذُ ستَّةِ أشهرٍ ما فرَغْتُ مِن[4] قراءتِها»[5].

* * *

[عابدة أخرى]

[٤٥] ومِنْهُنَّ: عابدة[6].

وكانَتِ[7] امرأةٌ أُخرى مِن بني تميمٍ مجتهدةً في العبادةِ، وكانَتْ تفطِرُ في

(١) في (د): «محترقة». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٢)، و«التوابين» لابن قدامة (١٥٧).
(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٢).
(٣) «أبي» ليس في (ب).
(٤) قوله: «من» ليست في (س).
(٥) «شعب الإيمان» (١٨٨٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٢).
(٦) قوله: «ومنهن عابدة» مثبت من (د).
(٧) «وكانت» ليس في (د).

كلِّ ثلاثة أيامٍ يوم[1]، ولا تخرُجُ مِن مسجدِ الحيِّ إلا لحاجةٍ، فقالَ لها إبراهيمُ التَّيمِيُّ: «صلاتُكِ في بيْتِكِ أفضَلُ مِن صلاتِكِ في مسجدِ الحيِّ»، ففعَلَتْ ولزِمَت بيتَها، فلم تزْدَدْ إلا خيرًا[2]. واللهُ أعلَمُ.

[عابدتان أختان]

[٤٦] ومِنْهُنَّ: عابِدتانِ، وكانَتا أُختينِ.

قالَ أبو بشرٍ: «كانَتْ جارةٌ لمنصورِ بنِ المُعتمرِ، وكانَ لها ابنتانِ لا يَصعدانِ إلى السَّطحِ إلا بعدَ أنْ ينامَ النّاسُ، فقالَتْ إحداهُما ذاتَ ليلةٍ: يا أمَّاهُ[3] ما فعلَتِ القائمةُ التي كنْتُ أراها على سطحِ فُلانٍ؟

فقالَتْ: يا بنيّةُ لم تكُنْ تلكَ قائمةً؛ إنّما كانَ ذلكَ منصورٌ يُحيِي اللَّيلَ كلَّه [٢٣/ب] في ركعةٍ لا يركَعُ فيها ولا يسجُدُ.

فقالَتْ: يا أمّاه بلَغَ به الفَرَقُ مِن النّارِ هذا، فما فعَلَ؟ فقالَتْ: يا بنيّةُ[4] ماتَ، فقالَتْ: يا أمّاه انطلِقِي[5] فاشْتَرِي لي مِدْرعةً أتعبَّدُ فيها، فواللهِ لا يجتمِعُ رأْسِي ورأسُ رجلٍ أبدًا، رجلٌ[6] لا ينامُ اللَّيلَ عِشرينَ سنةً فرَقًا[7] من النّارِ، فاشترَتْ لها مِدْرعةً مِن شعرٍ، فدخلَتِ البيتَ ودخَلَتْ أختُها[8] معَها في العبادَةِ فتعبَّدَتا بعدَ ذلكَ عشرينَ سنةً لا تَنامانِ اللَّيلَ، ولا تفطرانِ النَّهارَ[9]. رضِيَ الله

---

(١) في (س): «في كل ثلاث مرة».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).
(٣) في (س): «يا أمتاه».
(٤) قوله: «يا بنية» ليس في (ب).
(٥) في (ب): «أنطقي».
(٦) «رجل» ليس في (ب).
(٧) في (د): «خوفًا».
(٨) في (د): «بأختها».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٨٥).

عنهُما وعن أمِّهما التي أعانَتْهما على عبادَةِ ربِّهما[١].

فهـذه هيَ الأمُّ الحَنونَةُ المُساعدةُ على الخيـرِ، الدّافعةُ عن بناتِـها النّارَ، بخلافِ نساءِ زمانِنا الغاشّاتِ لأنفسِهِنَّ ولأولادِهِنَّ[٢]، فكأنِّي بهِنَّ وقد تناثَرَتْ لُحومُهُنَّ، وسعَتِ الدِّيدانُ في خُدُودِهِنَّ وشُعورِهِنَّ، وتتابَعَتْ عليهِنَّ الأفاعِي وغيرُ ذلكَ، فندِمْنَ[٣] حينَ لا ينفَعُهُنَّ النَّدمُ.

اللَّهمَّ سلِّمْ مِن ذلكَ، فما أصعَبَه وأشدَّ هوْلَه، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[٤٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ[٤].

وكانَ قد فُتحَ عليها في الكلامِ النافعِ، وكانَ سُفيانُ يذكُرُ عبادتَها وفضْلَها، قالَ له عبدُ الله بنُ الزُّبيـرِ[٥] ما تحفَظُ مِن كلامِها؟ فقـالَ: كانَتْ تقولُ: «طولُ الأمل بَطّأَ بِي[٦] عن سَبيلِ النَّجاةِ»[٧]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (س) و(ب): «ربها».
(٢) في (د): «وأدولادهن».
(٣) في (ب): «فقدمن».
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).
(٥) لم يرد في أيِّ مصدر: أن السائل هو عبد الله بن الزبير، إضافة إلى أن سفيان لم يدرك عبد الله ابن الزبير رحمهما الله تعالى.
(٦) «بي» ليس في (س) و(ب).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٣).

[عابدة بالكوفة]

[٤٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بالكُوفةِ.

وكانَتْ مُوسِرةً، وكانَتْ لا تنامُ مِن اللَّيلِ إلا يَسيرًا، فعُوتِبَتْ في ذلكَ، فقالَتْ: «كَفَى بالموتِ[١] وطُولِ[٢] الرَّقدةِ في القُبورِ للمُؤمنينَ رُقادًا»[٣].

وكانَتْ تَصومُ في شدَّةِ الحرِّ حتَّى يسوَدَّ لونُها، ويتغيَّرَ[٤] وجْهُها، فيُقالُ لها في ذلكَ، فتقولُ: «إنَّما أدوِّرُ على طولِ الرِّيِّ والشِّبعِ في الآخرةِ»[٥].

وكانَتْ بكَتْ[٦] حتَّى اسوَدَّتْ مَجاري دُموعِها مِن وجْهِها، وكانَ يأتِيها محمَّدُ بنُ النَّضرِ[٧] وأصحابُه، فتقولُ: «قُومُوا، فالحديثُ هنالكَ[٨] يَطِيبُ في دارٍ لا همَّ فيها ولا موتَ ولا تعبَ»[٩]، واللهُ أعلَمُ. [٢٤/أ]

* * *

[ميمونة السوداء]

[٤٩] ومِنْهُنَّ: ميمونةُ السَّوداءُ[١٠].

وكانَتْ بُهْلُولة.

---

(١) في (د): «بالموت واعظًا». (٢) في (د): «فطول».
(٣) انظر: «المدهش» (٤٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٤)، و«البحور الزاخرة» (٣: ١٥٧٨).
(٤) في (د): «وتغير». (٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٤).
(٦) قوله: «وكانت بكت» في (د): «وبكت».
(٧) في (ب): «النصر». (٨) في (د): «هناك».
(٩) في (ب): «ولا نعث». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ١١٤).
(١٠) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ١١٥).

قالَ الفُضيلُ بنُ عِياضٍ: قالَ عبدُ الواحد[١] بنُ زيدٍ: «سألْتُ الله عزَّ وجَلَّ ثلاثَ ليالٍ أنْ يرِيَنِي رَفيقِي في الجنَّةِ، فقيلَ لي: رفيقُكَ في الجنَّةِ ميمونةُ السَّوداءُ، فقلْتُ: وأينَ أجِدُها؟

فقيلَ: في آلِ فلانٍ بالكُوفةِ، فخرَجْتُ إلى الكُوفةِ، فسألْتُ عنها؟ فقيلَ: إنّها مَجنونةٌ تَرْعَى غُنيماتٍ لنا، فقلْتُ: أريدُ أنْ أراها، فقالُوا: اخرُجْ إلى الجَبّانِ، فخرَجْتُ فإذا بها قائمةٌ تُصلِّي وبينَ يدَيْها عكازةٌ، وعليها جُبّةٌ مِن صُوفٍ مكتوبٌ عليها: لا تُباعُ ولا تُشترَى، وإذا الغنَمُ معَ الذِّئابِ، فلا الذِّئابُ تأكُلُ الغنَمَ، ولا الغنَمُ[٢] تخافُ مِن الذِّئابِ، فلمّا رأتْنِي أوجَزَتْ في الصَّلاةِ، ثمَّ قالَتْ: ارجِعْ يا ابنَ زيدٍ، ليسَ الموعِدُ هاهنا، إنّما الموعِدُ ثَمَّ.

فقلْتُ: يرحَمُكِ الله تعالى، ومَنْ أعلَمَكِ أنِّي ابنُ زيدٍ؟ فقالَتْ: أما علِمْتَ أنّ **الأرواحَ جُنودٌ مجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ وما تناكَرَ منها اختلَفَ**[٣].

فقلْتُ لها: عِظِيني[٤]، فقالَتْ: واعجبًا؛ الواعظُ[٥] يُوعَظُ! ثمَّ قالَتْ: يا ابنَ زيدٍ، إنّه بلغَنِي[٦]: أنّه ما مِن عبدٍ أُعْطِيَ مِن الدُّنيا شيئًا فابْتَغَى إليه ثانيًا إلا سلَبَه الله عزَّ وجَلَّ حُبَّ الخَلْوةِ معَه، وبدَّلَه بعدَ القُرْبِ البُعدَ، وبعدَ الأنسِ الوحشَةَ، فقلْتُ: إنّي أرَى هذه الذِّئابَ معَ الغَنمِ، فأيُّ شيءٍ هذا؟ قالَتْ: إليكَ

---

(١) في (س): «عبد الرحمن». (٢) قوله: «ولا الغنم» في (ب): «والغنم».

(٣) تشير رحمها الله إلى الحديث المروي في «صحيح البخاري» (٣٣٣٦)، و«صحيح مسلم» (٢٦٣٨).

(٤) في (د): «عظني».

(٥) في (س): «لواعظ».

(٦) قوله: «إنه بلغني» ليس في (ب).

عنِّي، فإنّي أصلَحْتُ ما بينِـي[١] وبينَ سيِّدِي، فأصلَحَ بينَ الذِّئابِ والغَنمِ»[٢].
والله أعلَمُ.

[معاذة بنت عبد الله العدوية]

[٥٠] ومِنْهُنَّ: مُعاذةُ بنتُ عبدِ الله العدويّةُ.

وتُكَنَّى: أمُّ الصَّهباءِ[٣] رحمة الله عليها.

وهيَ مِن عابِداتِ البصرةِ.

قالَ محمَّدُ بنُ فُضيلٍ: قالَ أبي: «كانَتْ مُعاذةُ العَدويّةُ إذا جاءَ[٤] النَّهارُ قالَتْ: هذا يومِي الذي أموتُ فيه، فلا تنامُ حتَّى تمْسِيَ، وإذا جاءَ اللَّيلُ، قالَتْ: هذه ليلتِي التي أموتُ فيها، فلا تنامُ حتَّى تصْبِحَ، وإذا جاءَ البرْدُ لبِسَتِ الثيابَ الرِّقاقَ حتَّى يمَنَعَها البرْدُ مِن النَّومِ»[٥].

قالَ الحكَمُ بنُ سِنانٍ: حدَّثَتْنِي امرأةٌ كانَتْ تخدُمُ مُعاذةَ، قالَتْ: «كانَتْ[٦]

---

(١) في (د): «بين».

(٢) «حلية الأولياء» (٦: ١٥٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٧: ٢٣٣-٢٣٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ١١٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «المنتظم» (٦: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٠)، و«جامع الأصول» (١٢: ٩٢٣).

(٤) في (د): «جاءها النهار».

(٥) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١١٥٦)، و«مختصر قيام الليل» (٦٢)، و«حفظ العمر» لابن الجوزي (٤٢).

(٦) «كانت» ليس في (د).

تحْيي اللَّيلَ صلاةً، فإذا غلَبَها النَّومُ قامَتْ فجالَتْ في الدّارِ، وهيَ تقولُ: يا نفْسُ، [٢٤/ب] النومُ أمامَكِ، لو قَدْ مُتِّ لطالَتْ رقدَتُكِ في القُبورِ على حسرَةٍ أو سُرورٍ، فهيَ كذلكَ حتَّى تصْبِحَ»[١].

وكانَتْ تصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ستَّ مئةِ ركعةٍ، وتقرَأُ جُزْءَها مِن اللَّيلِ؛ تقومُ به، وكانَتْ تقولُ: عجبْتُ لعينٍ تنامُ وقد عرَفَتْ طُولَ الرُّقادِ في القُبورِ[٢].

وكانَتْ[٣] مُعاذةُ لها ابنٌ وزوجٌ[٤] فخرَجا إلى الغزاةِ، فقالَ له أبوه: «أيْ بنيَّ تقدَّمْ؛ فقاتِلْ حتَّى أحتَسِبَكَ»، فحمَلَ على الكفّارِ وقاتَلَ حتَّى قُتِلَ، ثمَّ تقدَّمَ أبوه فَقَاتَل[٥] فَقُتِلَ[٦] كذلكَ، فاجتمَعَتِ النساءُ عندَ امرأتِه مُعاذةَ، فقالَتْ: «مرحبًا إن كنتُنَّ جئتُنَّ لتهنِّئنَنِي، وإن كنْتنَّ جئتُنَّ لغيرِ ذلكَ فارجِعْنَ»[٧]. رضِيَ الله عنها.

هكذا كُنَّ رضِيَ الله عنهُنَّ، يفرَحْنَ بما يحِبُّه الله تعالى ورسولُه، ويجعلنه[٨] فرحًا وسرورًا، وأنتُنَّ يا نِساءَ زمانِنا ترينَّ ذلكَ مصائبَ، فتجزَعْنَ لذلكَ جزعًا شديدًا حتَّى ترتكِبْنَ العظائمَ مِن أمْرِ الجاهليّةِ.

فلهذا كانَ جَزاؤكُنَّ ما حذَّرَ منه رَسولُ الله ﷺ؛ ففي الحديثِ الصحيحِ مِن رِوايةِ أبي مالِكٍ[٩] الأشعرِيِّ رضِيَ الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**النّائِحَةُ إذا**

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ٣٢٩).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) في (س): «كانت».

(٤) في (د): «زوج».

(٥) «فقاتل» مثبت من (د).

(٦) في (س) و(ب): «ففعل».

(٧) «الزهد» لأحمد بن حنبل (١١٥٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ٢٣٩).

(٨) في (س) و(ب) و(د): «ويجعلونه»، ولعل المثبت هو الصواب.

(٩) في (د): «أبي موسى».

لَمْ تَـتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَوْمَ القِيامَةِ وعَلَيْها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ». رَواهُ مُسلمٌ(١).

وعن أبي بُرْدَةَ رضِيَ الله عنه، قالَ: وجِعَ(٢) أبو مُوسى الأشعرِيُّ، فغُشِيَ عليه، ورأسُه في حِجْرِ امرأةٍ مِن أهْلِه، فأقبلَتْ تَصِيحُ برَنَّةٍ، فلم يستَطِعْ(٣) أن يردَّ عليها شيئًا، فلمّا أفاقَ قالَ(٤): أنا بريءٌ ممَّن بَرِئَ منه رَسولُ(٥) الله ﷺ؛ إنَّ رَسولَ الله ﷺ(٦) بَرِئَ مِـن الصّالقةِ والحالقَةِ والشّاقَّـةِ. رَواهُ البُخـارِيُّ(٧) ومُسلمٌ(٨).

وأيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ على المرأةِ مِن أنْ يتبَرَّأ منها رَسولُ الله ﷺ؟ هذه أعظَمُ مِن موتِ أولادِها، والمُصيبةُ بفواتِ الأجْرِ أيضًا عظيمةٌ، وربَّما تمادَى بها ذلكَ فوقَعَتْ فـي كلمةٍ هبطَتْ بها فـي النارِ سبعينَ خريفًا(٩)، وربَّما كانَتِ الكلمةُ تتضمَّنُ كفْرًا وهيَ لا تعلَمُها؛ لقلَّةِ علْمِها، وتعلَمُها مِن الجهلةِ، فتكفُرُ، فتخسَرُ نفْسَها مـعَ مُصيبتِها،/ وتقَـعُ بذلكَ فـي العذابِ الذي لا آخِـرَ له، عافـانا الله [٢٥/أ] عزَّ وجَلَّ مِن ذلكَ، واللهُ أعلَمُ.

---

(١) «صحيح مسلم» (٩٣٤).
(٢) في (د): «رجع».
(٣) في (ب): «يستطيع».
(٤) في (د): «فقال».
(٥) في (د): «برئ الله ورسوله منه».
(٦) قوله: «إن رسول الله ﷺ» ليس في (ب).
(٧) «صحيح البخاري» (١٢٩٦).
(٨) «صحيح مسلم» (١٠٤).
(٩) يشير إلى حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالًا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، يهوي بها في جهنم». رواه البخاري (٦٤٧٨).

والصّالقَةُ: هيَ التي ترفَعُ صوْتَها بالنِّياحةِ والنَّدبِ[١]، كأنْ تقولَ: واعضُداهُ، وانَصْراهُ[٢]، ونحْوَ ذلكَ[٣]، ففي حديثِ أبي مُوسى رضِيَ الله عنه: أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «**ما مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فيَقُومُ باكِيهم**[٤]، **فيَقولُ: واجَبلاهُ واسيِّداهُ أو نحوَ ذلكَ، إلا وُكِّلَ به مَلَكانِ يَلْهَزانِه**[٥]: **أهَكَذا كنْتَ**[٦]**؟**» رَواهُ التِّرمذِيُّ[٧]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ غَرِيبٌ[٨]».

واللَّهزُ: اللَّكْمُ باليدِ مَطبوقةً في الصَّدْرِ[٩].

كذا يفعلانِ الملكانِ بالميِّتِ، فعادَ شُؤمُ النّائحةِ عليها وعلى ميِّتِها، فالحذَرَ[١٠] الحذَرَ من ذلكَ يا نساءَ المُؤمناتِ، والله أعلَمُ.

والحالقَةُ: هيَ التي تحلِقُ رأْسَها عندَ المُصيبةِ[١١].

---

(١) في (د): «والندم». وانظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٦٨٨)، و«المعلم بفوائد مسلم» للمازري (١: ٣٠٤)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠)، و«فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام» (٣١٥).

(٢) في (ب): «وأنصاراه».

(٣) قوله: «ونحو ذلك» تكرر مرتين في (ب).

(٤) في (د): «باكية».

(٥) في (ب) و(س): «ملكين يلهزمانه».

(٦) كذا في «جامع الترمذي» و(د)، وفي (س) و(د): «أنت».

(٧) «جامع الترمذي» (١٠٠٣)، وهو في «صحيح البخاري» (٤٢٦٧) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: أغمي على عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي واجبلاه، واكذا واكذا، تعدد عليه، فقال حين أفاق: «ما قلت شيئًا إلا قيل لي: آنت كذلك؟».

(٨) «غريب» مثبت من «جامع الترمذي».

(٩) انظر: «العين» (٤: ١٤)، و«الجمهرة» (٢: ٨٢٧)، و«الصحاح» (٣: ٨٩٥)، و«لسان العرب» (٥: ٤٠٧)، و«تاج العروس» (١٥: ٣٢٥).

(١٠) في (د): «والحذر».

(١١) انظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٦٨٨)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠)، و«العدة في شرح العمدة» لابن العطار (٢: ٧٨١)، و«فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث =

والشّاقّةُ: هيَ التي تشُقُّ ثَوبَها[١]، والله أعلَمُ.

وعن عمرَ بنِ الخطّابِ رضِيَ الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بما نِيحَ عَلَيْهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ[٣].

وقد أجمَعَ[٤] المُسلمونَ على تحريمِ النِّياحةِ والدُّعاءِ[٥] بدَعْوى الجاهليّةِ والدُّعاءِ بالويْلِ والثُّبورِ عندَ المُصيبةِ[٦].

ففي حديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «**لَيْسَ مِنّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيّةِ**»[٧].

ولا خلافَ أنّه يحرُمُ نشْرُ الشَّعرِ، وضرْبُ الخدِّ[٨] والصدْرِ، وخمْشُ الوجْهِ، وتسود الحالِ بالرَّمادِ ونحْوِه، ومَن فعَلَ ذلكَ فهوَ[٩] ملعونٌ، وكذا مَن حضَرَه وأعانَ عليه، أوِ استمَعَ النِّياحةَ؛ ففي «**سُننِ أبي داودَ**»[١٠] مِن حديثِ أبي سعيدٍ الخدْريِّ رضِيَ الله عنه، أنّ رَسولَ الله ﷺ لعَنَ النّائحةَ والمُستمِعةَ.

= الأحكام» (٣١٥).

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٨٠)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٠٤)، و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» للفاكهاني (٣: ٢٤٩)، و«فتح العلام بشرح الإعلام بأحاديث الأحكام» (٣١٥).

(٢) «صحيح البخاري» (١٢٩٢).

(٣) «صحيح مسلم» (٩٢٧).

(٤) في (س) و(ب) و(د): «أجمعت».

(٥) في (ب): «والدعو».

(٦) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢: ٥٨٩)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ٢٣٦).

(٧) «صحيح البخاري» (١٢٩٤).

(٨) في (د): «الخدود».

(٩) «فهو» ليس في (د).

(١٠) «سنن أبي داود» (٣١٢٨)، والحديث ضعيف، انظر: «مجمع الزوائد» (٣: ١٤)، و«البدر المنير» (٥: ٣٦٢).

وكما تحرُمُ النِّياحةُ[١] كذا يحرُمُ رفْعُ الصوتِ في البُكاءِ، ويلحَقُ الميِّتَ مِن ذلكَ عذابٌ أليمٌ[٢] إلا ألا يرْضَى[٣]، ففي الأحاديثِ[٤] الصحيحة: «**إنّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»[٥]، وهيَ محمولةٌ على ما إذا أوْصَى، أو كانَ له سببٌ في ذلكَ[٦].

وأمّا دمْعُ العيْنِ وحزْنُ القلْبِ فهوَ معفوٌّ عنه؛ ففي الحديثِ الصحيحِ أنّه [٢٥/ب] عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «**إنّ الله لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، ولا بِحُزْنِ القَلْبِ، ولكِنْ يُعَذِّبُ بِهذا أوْ يَرْحَمُ**». وأشارَ إلى لسانِه. رَواهُ البُخارِيُّ[٧] ومُسلمٌ[٨].

وفي حديثِ أسامَةَ بنِ زيدٍ رضِيَ الله عنهُما: أنّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ رُفِعَ إليه ابنٌ لِبنتِه وهوَ في الموتِ، ففاضَتْ عَيْناهُ ﷺ، فقالَ له سعدٌ: ما هذا يا رَسولَ الله؟! فقالَ: «**هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَها الله عَزَّ وجَلَّ في قُلُوبِ عِبادِهِ، وإنّما يَرْحَمُ الله مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ**»[٩]. والله أعلَمُ.

ويجوزُ نصْبُ «**الرُّحَماءَ**» على أنّه مفعولُ «**يَرْحَمُ**»، ويجوزُ ضمُّها على أنّه خبَرُ «إنّ» وتكونُ «ما» بمَعْنى «الذي»، والله أعلَمُ.

---

(١) «النياحة» ليس في (د). (٢) «أليم» مثبت من (د).
(٣) قوله: «إلا ألا يرضى» في (ب): «إلا أن يوصي».
(٤) في (د): «الحديث».
(٥) «صحيح البخاري» (١٣٠٤)، و«صحيح مسلم» (٩٢٧).
(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٧٣)، و«الاستذكار» (٣: ٧٠)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٤٨٤)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» لابن قرقول (٤: ٣٩٣).
(٧) «صحيح البخاري» (١٣٠٤).
(٨) «صحيح مسلم» (٩٢٤).
(٩) «صحيح البخاري» (١٢٨٤)، و«صحيح مسلم» (٩٢٣).

ويجوزُ البُكاءُ على الميِّتِ بعدَ موتِه[١] وقبْلَه، وقبْلَه أوْلى؛ لقولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «فَإذا وجَبَتْ؛ فلا تَبْكِيَنَّ باكِيَةٌ»[٢]؛ ولهذا الحديثِ قالَ أصحابُ الشافعيِّ: «إنّه يُكرَهُ البُكاءُ بعدَ الموتِ كراهةَ تنزيهٍ ولا يحرُمُ، وقد نصَّ الشافعيُّ رضِيَ الله عنه على الكراهةِ»[٣]. والله أعلَمُ.

وهذه مُعاذةُ تابعيّةٌ أدركَتْ عائشَةَ رضِيَ الله عنها، ورَوَى عنها الحسَنُ البصريُّ، وأبو قِلابةَ وغيرُهما[٤]، رضِيَ الله عنها[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[حفصة بنت سيرين]

[٥١] ومِنْهُنَّ: حفصةُ بنتُ سِيرينَ[٦].

---

(١) في (د): «الموت».

(٢) «سنن النسائي» (١٨٤٦)، و«سنن أبي داود» (٣١١١)، وهو حديث صحيح، انظر: «خلاصة الأحكام» (٢: ١٠٥٥-١٠٥٦)، و«البدر المنير» (٥: ٣٥٨-٣٥٩).

(٣) قال النووي في «المجموع» (٥: ٣٠٧): «ولفظ الشافعي في «الأم»: وأرخص في البكاء قبل الموت فإذا مات أمسكن، وقال صاحب «الشامل» وطائفة: يكره البكاء بعد الموت؛ لظاهر الحديث في النهي، ولم يقل الجمهور: ويكره؛ وإنما قالوا: الأولى تركه، قالوا: وهو مراد الحديث، ولفظ الشافعي محتمل هذا كله في البكاء بلا ندب ولا نياحة»، وانظر: «كفاية النبيه» (٥: ١٧٨)، و«كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار» (١٦٥).

(٤) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٦: ٢٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٠)، و«جامع الأصول» (١٢: ٩٢٣).

(٥) في (ب): «عنهما».

(٦) انظر ترجمتها في: «الطبقات الكبرى» (٨: ٤٨٤)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٧١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٤٨)، و«النجوم الزاهرة» (١: ٢٧٥).

وهيَ سيِّدةٌ جليلةٌ لم تزَلْ تُحَرِّضُ[١] الناسَ على الخيْرِ والعِبادةِ، وقرأتِ[٢] القُرآنَ وهيَ ابنةُ اثنَتَي عشْرةَ سنةً[٣].

قالَ مهديُّ بنُ مَيمونٍ: «مكَثَتْ حفصَةُ في مُصلاها ثلاثينَ سنةً لا تخرُجُ إلا لحاجةٍ، وسُئلَتْ عنها امرأةٌ فارسيّةٌ؟ فقالَتْ بلسانِها: إنّ حفصَةَ امرأةٌ صالحةٌ، إلا أنّها كأنّها أذنَبَتْ ذنبًا عظيمًا، فقيلَ: لِمَ؟ قالَ: لأنّها كانتْ[٤] تبْكِي اللَّيلَ كلَّه وتصلِّي»[٥].

وكانَ وِرْدُها كلَّ ليلةٍ نصْفَ ختمةٍ، وكانَتْ تصومُ الدهرَ لا تفطِرُ إلا العيدينِ وأيّامَ التشريقِ، وكانَتْ إذا أسرَجَتْ سِراجَها وقامَتْ[٦] تتعبَّدُ فينطفِئُ، فيضِيءُ لها بيتُها حتَّى تُصبِحَ[٧].

ماتَتْ وهيَ بنتُ تسعينَ سنةً، رضِيَ الله عنها[٨]، والله أعلَمُ.

[٢٦/أ] وكان لحفصةَ ابنٌ يكرِمُها ويبالِغُ في إكرامِها وبرِّها، قالَتْ: «كنتُ أريدُ أن أقولَ له: يا بُنيَّ اذهَبْ إلى أهلِكَ، وأذكُرُ[٩] ما يُريدُ فَأَدَعُهُ، فلمّا ماتَ رزَقَ[١٠] الله تعالى عليه مِن الصَّبرِ ما شاءَ الله أن يرزُقَ، غيرَ أنّي كنْتُ أجِدُ غُصَّةً لا تذهَبُ، قالَتْ: فبيْنا أنا ذاتَ ليلةٍ أقرَأُ سُورةَ النَّحلِ؛ إذْ أتيْتُ على هذه الآيةِ:

---

(١) في (ب): «تحرص». (٢) في (ب): «وقراءة».
(٣) انظر: «المنتظم» (٧: ١٧١). (٤) «كانت» ليس في (س).
(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢).
(٦) في (د): «وماتت».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢-٢٤٣).
(٨) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٧١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٤٨)، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (١: ٢٧٥).
(٩) في (د): «فاذكر». (١٠) في (د): «ارزقني».

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٥-٩٦] الآية» قالَتْ: «فأعدْتُها، فأذهَبَ الله عزَّ وجَلَّ عنِّي ما كنْتُ أجِدُ»[١].

وكانَ مِن جُملةِ برِّهِ بوَالِدتِه[٢]: أنَّه كَانَ يَجمعُ الحطَبَ فينزِعُ القشورَ[٣] وييبِّسُ اللُّبَّ[٤]، فإذا جاءَ وقْتُ البرْدِ أوقَدَه عندَها؛ لئلا يؤذِيَها دُخانُ القشورِ[٥].

وكانَ لحفصةَ أختٌ اسمُها: كريمةُ[٦]، وكانَتْ خيِّرةً؛ جلسَتْ[٧] في مُصلاها خمس عشرة سنةً ما تخرُجُ منه إلا لحاجةٍ[٨]. والله أعلَمُ.

* * *

[رابعة العدوية]

[٥٢] ومِنْهُنَّ: رابِعةُ العدويّةُ[٩].

---

(١) انظر: «مختصر قيام الليل» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢).

(٢) في (س): «من جملة برها».

(٣) في (س): «القشر».

(٤) في (د): «القلب».

(٥) في (س): «القشر». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٢).

(٦) انظر ترجمتها في: «الثقات» لابن حبان (٥: ٣٤٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٣)، و«ميزان الاعتدال» (٤: ٦٠٩).

(٧) في (د): «وجلست».

(٨) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (٤: ١٩٨٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٣).

(٩) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٤: ٦١٨).

وكانَتْ بالبَصرةِ[١]، وكانَتْ عجوزًا كبيرةً بنتَ ثمانينَ سنةً، كأنّها الشَّنُّ تكادُ تسقُطُ، وتحتَها باريَّةٌ[٢]، وكانَ إذا ذكَرَتِ الموتَ انتفَضَتْ وأصابَتْها رِعدَةٌ[٣].

قالَ مِسمعٌ ورياحٌ[٤]: «أتاها رجلٌ بأربعينَ دِينارًا، فقالَ: استعِينِي بهذه الدَّنانيرِ على بعْضِ[٥] حوائجِكِ، فبكَتْ ثمَّ قالَتْ: هوَ يعلَمُ أنِّي أستحْيِي منه أنْ أسألَه الدُّنيا وهوَ يملِكُها، فكيفَ أريدُ أنْ آخُذَها[٦] ممَّن لا يملِكُها؟»[٧].

قالَ عبدُ الله بنُ عِيسى: «دخَلْتُ على رابعَةَ فرأيْتُ على وجْهِها النُّورَ، وكانَتْ كثيرةَ البُكاءِ، فقرَأ رجلٌ آيةً فيها ذكْرُ النّارِ فسقَطَتْ، وسمِعْتُ وقْعَ دُموعِها على الباريّةِ[٨] مثْلَ الوَكْفِ، وصاحَتْ، فقُمْنا وخرَجْنا»[٩].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها إذا مرَّتْ بقومٍ وعرَفُوا فيها العبادةَ، فقالَ لها رجلٌ: ادعي لي، تلتصِقُ[١٠] بالحائطِ، وتقولُ[١١]: «مَن أنا يرحَمُكَ الله عزَّ وجَلَّ؟ أطِعْ ربَّكَ وادْعُه؛ فإنّه يُجِيبُ المضطَرَّ إِذَا دعاهُ»[١٢].

---

(١) «وكانت بالبصرة» مثبت من (د). (٢) في (د): «بادية».
(٣) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٢٧-٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤).
(٤) في (د): «ورباح».
(٥) «بعض» ليس في (ب).
(٦) في (ب): «خذها».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٢٨٦).
(٨) في (د): «البادية».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ٣٢٧).
(١٠) في (ب): «تلصق»، وفي (د): «فالتصقت».
(١١) في (د): «وقالت».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩).

قالَ ابنُ مَنظورٍ[١]: «دخَلْتُ على رابعةَ وهيَ ساجدةٌ، فلمّا أحسَّتْ بمكانِي، رفَعَتْ رأسَها، فإذا موضِعُ سُجودِها كهيئةِ الماءِ المستنقَعِ مِن دُموعِها، فسلَّمَتْ ثمَّ أقبَلَتْ عليَّ، وقالَتْ: يا بُنيَّ أَلَكَ حاجةٌ؟ فقلْتُ[٢]: جئْتُ؛ لأسلِّمَ عليكِ، قالَ: فبكَتْ وقالَتْ: سَتْرَكَ اللَّهمَّ سَتْرَكَ[٣]، ودَعَتْ بدعواتٍ، ثمَّ قامَتْ إلى [٢٦/ب] الصَّلاةِ وانصرَفْتُ»[٤].

وقالَتْ: «أستغفِرُ الله عزَّ وجَلَّ مِن قلَّةِ صدْقِي في قولِي: أستغفِرُ الله عزَّ وجَلَّ»[٥].

لله[٦] درُّها مِن امرأةٍ ما أنوَرَ قلْبَها.

قالَ أزهَرُ بنُ هارونَ: «دخَلَ على رابعةَ رياحٌ[٧] القيسِيُّ، وصالحُ بنُ عبدِ الجليلِ، وكلابٌ، فتذاكَرُوا الدُّنيا فأقبَلُوا يذمُّونَها، فقالَتْ رابعةُ: إنِّي لأرَى الدُّنيا بِتُرًا نَبْعُها في قُلوبِكم، فقالُوا: ومن[٨] أينَ توهَّمْتِ علينا ذلكَ؟ فقالَتْ: إنَّكُم نظَرْتُم إلى أقرَبِ الأشياءِ مِن قُلوبِكم فتكلَّمْتُم فيه»[٩].

---

(١) هو: سجف بن منظور. انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٣٢٧)، و«الثقات» لابن حبان (٨: ٣٠٦)، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» لابن قطلوبغا (٤: ٤١٤).

(٢) في (ب): «فقال».

(٣) في (د): «ستره».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩-٣٠).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (ب).

(٧) في (د): «ورباح».

(٨) في (د): «من».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩).

وقالَ[١] لَها[٢] شيخٌ من قُـريشٍ: «هل عملْتِ عملًا تـرَينَ أنّه يُقبَلُ منكِ؟»، فقالَتْ: «إنْ كانَ فمخافَتِي أن يُردَّ عليَّ»[٣].

قالَ جعفرُ بنُ سُليمانَ: «أخَذَ بيديَّ سُفيانُ الثَّوريُّ، وقالَ: مُرَّ بنا إلى المؤدِّبةِ التي لا أجِدُ مَن أستريحُ إليه إذا فارَقْتُها، فلمّا دخَلْنا عليها رفَعَ سُفيانُ يدَيْه، وقالَ: اللَّهمَّ إنّي أسألُكَ السَّلامةَ، فبكَتْ رابعةُ، فقالَ[٤] لها: ما يُبْكيكِ؟

فقالَتْ: أنْتَ عرَّضْتَنِي للبُكاءِ، فقالَ لها: وكيفَ ذَلِك[٥]؟ فقالَتْ: أما عِلِمْتَ أنّ السَّلامةَ مِن الدُّنيا ترْكُ ما فيها، فكيفَ وأنتَ مُتلطِّخٌ بها، فقالَ سُفيانُ: واحزناهُ، فقالَتْ: لا تكذِبْ؛ قل: واقلَّةَ حُزناهُ؛ لو كنْتَ مَحزونًا ما هنَّأكَ[٦] العيشُ، قالَتْ: يا سُفيانُ، إنّما أنتَ[٧] أيّامٌ مَعدودةٌ، فإذا ذهَبَ يومٌ ذهَبَ بعضُكَ[٨]، ويوشِكُ إذا ذهَبَ البعضُ أن يذهَبَ الكلُّ، وأنتَ تعلَمُ فاعمَلْ»[٩].

كانَتْ[١٠] عبدةُ تخدُمُ رابعةَ وكانَتْ تقولُ عن رابعـةَ: إنّها تصلِّي اللَّيـلَ كلَّه، فإذا طلَعَ الفجْرُ هجَعَتْ في مُصلاها هجعَةً خفيفةً حتَّى يُسفِرَ[١١] الفجْرُ، فكنْتُ أسمَعُها تقولُ إذا وثبَتْ[١٢] مِن مرقدِها وهيَ فَزِعةٌ: «يا نفْسُ، كم تَنامِينَ وإلى كمْ تَقومِينَ؟ يوشِكُ أن تنامِي نَومةً لا تقومِينَ عنها[١٣] إلا لصرخةِ يومِ النُّشورِ[١٤]».

---

(١) في (س): «قال».
(٢) «لها» ليس في (ب).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤).
(٤) في (د): «قال».
(٥) «ذلك» مثبت من (د).
(٦) في (ب) و(د): «هنأ لك».
(٧) في (د): «هي».
(٨) في (د): «حظك».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٤-٢٥٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٢٩).
(١٠) في (د): «وكانت».
(١١) في (د): «يصفر».
(١٢) قوله: «إذا وثبت» ليس في (ب).
(١٣) في (د): «منها».
(١٤) في (د): «القيامة».

قالَت عبدَةُ: «وكانَ هذا دأْبَ رابعةَ دهْرَها حتَّى ماتَتْ، فلمّا حضَرَتْها الوفاةُ قالَتْ: يا عبدَةُ، لا تُؤذِني بموتِي أحدًا، وكفِّنِيني في جُبَّتِي هذه، وكانَتْ مِن شَعرٍ تقومُ فيها إذا هدَأتِ العُيونُ. [٢٧/أ]

قالَتْ: فكفَّنّاها في تلكَ الجُبَّةِ وخمارِ صوفٍ كانَتْ تلبَسُه».

قالَت عبدَةُ: «فرأَيْتُها بعدَ سنةٍ أو نحْوِها في منامِي وعليها حلَّةُ إستبرقٍ خضراءَ وخمارٌ مِن سُندسٍ أخضَرَ[1] لم أرَ شيئًا مثْلَهُ، فقالَتْ: يا رابعةُ، ما فعَلَتِ الجبَّةُ التي كفَّنّاكِ فيها والخمارُ الصُّوفُ؟

فقالَتْ: واللهِ نُزِعَ منِّي فأُبدِلْتُ به هذا الذي ترينَه[2] عليَّ، وطُويَت أكفانِي وخُتِمَ عليها، ورُفعْتُ في عِلِّيينَ؛ ليكونَ لي ثوابُها يومَ القيامَةِ، فقلْتُ[3]: لهذا[4] كنتِ تَعْمَلينَ في الدُّنيا؟

فقالَتْ: وما هذا عندَ ما رأيتُ مِن كرامةِ الله عزَّ وجَلَّ لأوليائِهِ[5]، فقلْتُ: فما فعَلَتْ عبدَةُ[6] بنتُ أبي كِلابٍ؟ فقالَتْ: هَيْهاتَ هَيْهاتَ[7] سبَقَتْنا واللهِ[8] إلى الدَّرجاتِ العُلى، فقلْتُ: وبِمَ[9] وقد كنْتِ عندَ الناسِ أكثَرَ[10] منها؟

فقالَتْ: لم تكُنْ تُبالِي على أيِّ حالةٍ أصبَحَتْ مِن الدُّنيا وأمسَتْ، فقلْتُ:

---

(١) في (د): «خضر». (٢) في (د): «ترين».
(٣) في (د): «قلت». (٤) في (د): «بهذا».
(٥) في (د): «لأولياء الله تعالى».
(٦) كذا في النسخ و«صفة الصفوة»، وهي: عبيدة بنت أبي كلاب، وستأتي ترجمتها برقم (٥٨).
(٧) قوله: «هيهات هيهات» ليس في (ب). (٨) في (س) و(د): «والله سبقتنا والله».
(٩) في (ب): «ولم».
(١٠) في (د): «أكبر».

ما فعَلَ[1] بشْرُ بنُ مَنصورٍ؟ فقالَتْ: بخٍ بخٍ أُعطِيَ واللهِ فوقَ ما كانَ يأمَلُ[2]، قلْتُ: فمُرينِـي بأمْرٍ أتقرَّبُ به إلى اللهِ عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ: عليكِ بكثرةِ ذكْرِه، فيوشِكُ أن تغتبطِي[3] بذلكَ في قبْرِكِ»[4]، واللهُ تعالى أعلَمُ.

[عجردة العمية]

[٥٣] ومنهُنَّ: عَجْردَةُ العَمِّيةُ[5].

من عابِداتِ البصرةِ.

قالَ رجاءُ بن مُسلمٍ العبدِيُّ: «كنّا نَـكُونُ عِنْدَ عَجْردَةَ العَمِّيةُ[6] في الدّارِ، قالَ[7]: فكانَتْ تُحْيِـي اللَّيلَ صلاةً، وربَّما تقـومُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ إلـى السَّحَرِ، فإذا كانَ وقْتُ السَّحَرِ نادَتْ بصوتٍ لها مَحزونٍ: «إليكَ قطَعَ العابِدونَ دُجى اللَّيالي بتبكيرِ الدُّلَجِ[8] إلـى ظُلمةِ[9] الأسحارِ، يسْتَبِقونَ إلـى رحمَتِكَ وفضْلِ مَغفرتِكَ، فبكَ[10] إلهِـي لا بغيْرِكَ أسألُكَ أن تجعَلَنِي فـي أوَّلِ زُمرةِ السابقينَ إليكَ، وأنْ ترفَعَنِي في دَرجةِ المقرَّبينَ، وأنْ تُلحقَنِي بعبادِكَ الصالحينَ، فأنتَ أكرَمُ الكُرماءِ، وأرحَمُ الرُّحماءِ، وأعظَمُ العُظماءِ، يا كريمُ».

---

(١) في (ب): «فعلت».
(٢) في (د): «يؤمل».
(٣) في (ب): «تغبطي».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٢-٣٣).
(٥) كأنها في (ب): «العجمية». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٦) في (ب) و(س) و(د): «العبدية».
(٧) في (ب): «قالت».
(٨) في (ب) و(د): «الريح».
(٩) في (س) و(ب): «ظلم».
(١٠) في (د): «فيك».

ثمَّ تخِرُّ ساجِدةً، فلا تزالُ تبْكِي وتدْعُو في سُجودِها حتَّى يطلُعَ الفجْرُ، فكانَ ذلكَ دأْبَها ثلاثينَ سنةً رضِيَ الله عنها[١].

قالت[٢] دلالٌ: حدَّثَتْنِي أمِّي آمنةُ[٣]، قالَتْ: «كانَتْ عَجْردةُ تغْشانا فتظَلُّ عندَنا اليومَ واليومينِ، فكانَتْ إذا جاءَ اللَّيلُ لبِسَتْ ثِيابَها وتقنَّعَتْ[٤]، ثُمَّ قامَتْ [٢٧/ب] إلى المِحرابِ فتصلِّي إلى السَّحَرِ، ثمَّ تجلِسُ فتدْعُو إلى السَّحَرِ، فقلتُ لها أو قالَ[٥] لها بعضُ أهلِ الدّارِ: لو نمْتِ مِن اللَّيلِ شيئًا؟ فبكَتْ، وقالت: ذكْرُ الموتِ لا يدَعُنِي أنامُ»[٦].

قالَ جعفرُ بنُ سُليمانَ: حدَّثَنِي بعضُ نِسائِي[٧]، أمِّي أو غيْرُها مِن أهْلِي قالَتْ: «رأيْتُ عَجْردةَ العميةَ في يومِ عيدٍ وعليها جُبَّةُ صوفٍ وقناعُ صوفٍ، قالَتْ: فنظَرْتُ إليها فإذا هيَ جلدةٌ وعظمةٌ.

قالَتْ[٨]: وسمِعْتُهم يَذْكرونَ عنها أنّها لم تفطِرْ ستِّينَ عامًا»[٩]. والله أعلَمُ.

[حبيبة العدوية]

[٥٤] ومِنْهُنَّ: حبيبةُ العدويّةُ[١٠].

من عابِداتِ البصرةِ.

---

(١) انظر: «مختصر قيام الليل» (٩٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٢) في (س) و(ب) و(د): «قال».
(٣) في (د): «أمية».
(٤) في (س) و(ب): «وتصنعت».
(٥) في (د): «فقال».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٧) في (ب): «فتياني»، وفي (د): «فتيان».
(٨) «قالت» ليس في (ب) و(د).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(١٠) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِي: قالَ عبدُ الله أبو محمَّدٍ: «كانَتْ حبيبَةُ العدويّةُ إذا صلَّتِ العَتَمَةَ قامَتْ على سطحٍ فشدَّتْ عليها دِرْعَها وخِمارَها، وقالَتْ: إلهي غارَتِ النُّجومُ، ونامَتِ العُيونُ، وغلَّقَتِ الملوكُ أبوابَها، وبابُكَ مَفتوحٌ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وهذا مقامِي بينَ يدَيْكَ، فإذا كانَ السَّحَرُ قالَتْ: اللَّهمَّ هذا اللَّيلُ قد أدبرَ، وهذا النَّهارُ قد أسفرَ، فليتَ شعْرِي، هل قبِلْتَ منِّي ليلتِي فأُهنَّأُ، أمْ ردَدْتَها عليَّ فأُعَزَّى، فوعزَّتِكَ لهذا دأْبِي ودأْبُكَ أبدًا ما أبقَيْتَنِي، وعزَّتِكَ لو انتهَرْتَنِي[1] ما بَرِحْتُ مِن بابِكَ، ولا وقَعَ في قلْبِي غيرُ جُودِكَ وكرَمِكَ»[2].

والله أعلَمُ.

* * *

[أم الأسود العدوية]

[٥٥] ومِنْهُنَّ: أمُّ الأسودِ العدويّةُ[3].

قالَ السُّلمِيُّ: «وكانَتْ مُعاذةُ العدويّةُ قد أرضعَتْ أمَّ الأسودِ، وكانَتْ تقولُ لها: لا تُفسدِي عَلَيَّ[4] رَضاعي[5] بأكْلِ الحرامِ؛ فإنِّي أجهَدْتُ[6] جهْدِي حينَ أرضعْتُكِ حتَّى أكلْتُ[7] الحلالَ، فاجتهدِي ألا تأكُلِي إلا الحلالَ، لعلَّكِ[8] أن توفَّقِي؛ لخدمةِ سيِّدِكِ والرِّضا بقضائِه، فكانَتْ أمُّ الأسودِ تقولُ: ما أكلْتُ شُبهةً

(١) في (د): «أنهرتني».
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٤) «علي» ليس في (س).
(٥) في (د): «رضاء».
(٦) في (ب) و(د): «اجتهدت».
(٧) في (د): «أرضعتك بأكل».
(٨) في (د): «لعلي».

إلا فاتَتْنِي[1] فريضةٌ، أو ورِدٌ مِن أورادِي»[2]. والله أعلَمُ.

* * *

[مريم البصرية]

[٥٦] ومِنْهُنَّ: مريمُ البصريّةُ[3].

وكانَتْ تخدُمُ رابعةَ العدويّةَ ، وكانَتْ إذا سمِعَتْ ذِكْرَ[4] المحبّةِ طاشَتْ، [٢٨/أ] فحضَرَتْ بعضَ المذكِّرينَ: وتكلَّمَ[5] في المحبّةِ، فماتَتْ في المجلسِ[6].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحواريِّ: قالَ عبدُ العزيزِ: «قامَتْ مريمُ البصريّةُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، فقالَتْ[7]: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]، فلم تَجُزْها حتَّى أصبَحَتْ، وتُكلِّمَ في الرِّزقِ، فقالَتْ: ما اهتممْتُ[8] بالرِّزقِ، ولا تعبْتُ في طلَبه منذُ سمِعْتُ الله[9] تعالى يقولُ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣]»[10]. والله أعلَمُ.

قلْتُ: كانَ الحسَنُ البصريُّ رضِيَ الله عنه يقولُ: «لعَنَ الله مَن لَمْ يُصدِّقِ الله تعالى في قَسَمِه»[11]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «نادتني».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦-٢٤٧).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).
(٤) في (س) و(ب): «علم».
(٥) في (د): «فتكلم».
(٦) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٦).
(٧) في (د): «فقرأت».
(٨) في (س): «أهممت».
(٩) في (د): «سمعت قول الله».
(١٠) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).
(١١) «إحياء علوم الدين» (٤: ٢٠٠)، و«مجمع الآداب» (٥: ٧٧).

[عفيرة العابدة]

[٥٧] ومِنْهُنَّ: عُفَيْرةُ العابِدةُ[١].

قالَ رَوحُ بنُ سلمةَ[٢] الورّاقُ: قلْتُ لعُفيرةَ: «بلَغَنِي أنّكِ لا تنامِينَ باللَّيلِ[٣]، فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: ربَّما اشتَهَيْتُ النَّومَ فلا أقدِرُ عليه، وكيفَ يقدِرُ على النَّومِ مَن لا يَنامُ عنه حافِظاهُ ليلًا ولا نهارًا؟ قالَ: أبكتني[٤] والله، ثمَّ قلْتُ في نفْسِي: أرانِي في شيءٍ وأراكِ في شيءٍ»[٥].

قالَ يَحْيى بنُ بَسْطامٍ: «دخَلْتُ معَ نفرٍ مِن أصحابِنا على عُفَيرةَ، وكانَتْ قد تعبَّدَتْ وبكَتْ حتَّى عَمِيَتْ، فقالَ بعضُ أصحابِنا: ما أشدَّ العَمَى بعدَ البَصرِ، فسمِعَتْه عُفيرةُ، فقالَتْ: يا عبْدَ الله، عَمَى القلْبِ والله عنِ الله عزَّ وجَلَّ أشَدُّ مِن عَمَى البَصرِ[٦] عنِ الدُّنيا، والله لَوَدِدْتُ[٧] أنّ الله عزَّ وجَلَّ وهَبَ لي كُنْهَ محبَّتِه، وأنّهُ لم تبْقَ منِّي جارِحَةٌ إلا أخَذَها»[٨].

قيلَ لها[٩]: «ادعي لنا، فقالَتْ: جعَلَ الله الموتَ منِّي ومنكُم على بالٍ»[١٠].

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم» (٩: ٥٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٣).

(٢) في (ب): «مسلم».

(٣) في (ب): «الليل».

(٤) في (ب): «قاتلني».

(٥) انظر: «مختصر قيام الليل» (٧٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).

(٦) في (ب): «البصيرة».

(٧) في (س): «لو وددت».

(٨) انظر: «الترغيب والترهيب» لقوام السنة (١: ٣١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«نكت الهميان في نكت العميان» (٣٠-٣١).

(٩) في (د): «قلنا».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٣).

قالَ سعيدٌ العَمِّي: «أما تسْأمِينَ مِن طُولِ البُكاء؟ فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: يا بُنيَّ، كيفَ يسأمُ ذو داءٍ مِن شيءٍ يرْجُو أنّ له[١] فيه شفاءً؟ قالَ: ثمَّ بكَتْ، فقمْتُ فخرَجْتُ وترَكْتُها»[٢].

قالَ راشدٌ[٣]: «قدِمَ ابنُ أخٍ لها كانَتْ[٤] قَدْ طالَتْ غَيبتُه فبُشِّرَتْ بهِ، فبكَتْ، فقيلَ لَها: ما هذا البُكاءُ واليـومُ[٥] يومُ سُـرورٍ؟ فازدادَتْ بكاءً، ثُمَّ قالَتْ: والله [٢٨/ب] ما أجِدُ للسُّرورِ في قلْبِـي مَسكنًا[٦] مـعَ ذكْرِ الآخرةِ، ولقد أذكَرَنِـي قُدومُه[٧] يومَ القُدومِ[٨] على الله عزَّ وجَلَّ، ثمَّ غُشِيَ عليها»[٩]، والله أعلَمُ.

* * *

[عبيدة بنت أبي كلاب]

[٥٨] ومنهُنَّ: عبيدةُ بنتُ أبي كِلابٍ[١٠].

قالَ شعيبُ بنُ محرزٍ: حدَّثَتْنِي[١١] سلامةُ العابِدةُ[١٢]، قالَتْ: «بكَتْ عبيدةُ بنتُ أبي كلابٍ أربعينَ سنةً حتَّى ذهَبَ بصرُها، قيلَ لها: أما[١٣] تَشْتهِينَ شيئًا؟

---

(١) في (د): «كيف تسأم دواء ترجو أن لك».

(٢) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٧٣٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧).

(٣) كذا في النسخ، وفي «صفة الصفوة»: «يحيى بن راشد».

(٤) في (د): «كان».

(٥) في (د): «اليوم».

(٦) في (د): «مسلكًا».

(٧) في (د): «في قدومه».

(٨) في (د): «يوم القيامة القدوم».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٧)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٣).

(١٠) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٨).

(١١) في (د): «حدثني».

(١٢) في (ب): «العبادة».

(١٣) في (ب) و(د): «ما».

فقالَتْ: الموتَ، فقيلَ: لِمَ؟ فقالَتْ: لأنّي والله في كلِّ يومٍ أصبِحُ أخْشَى أنْ أجنِيَ على نفْسِي جنايةً يكونُ فيها عطَبِي[١] في الآخرةِ»[٢].

وَيْحَكُنَّ يا نساءَ زمانِنا، وأنتُنَّ تُحبِبنَ[٣] الحياةَ الدُّنيا؛ للتمتُّعِ بزهرَتِها ولا تتوقَّفْنَ[٤] في مأكلٍ[٥] ولا مَشربٍ[٦] ولا كلامٍ سيئٍ[٧]، وإن كانَ فيه غضَبُ الله تعالى ورسولِه، وتَنْسَيْنَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] الآية، والله أعلَمُ.

وقالَت عبدةُ[٨]: «رأيتُ رابعةَ في المنامِ[٩]، فقلْتُ لها: ما فعلَتْ عبيدةُ[١٠] بنتُ أبي كلابٍ؟ فقالَتْ: هَيْهاتَ هَيْهاتَ، سبقَتْنا والله إلى الدَّرجات العُلى، قلْتُ: وبِمَ، وقد كنْتِ عندَ[١١] الناسِ، أي: أكثَرَ منها؟ فقالَتْ: إنّها لم تكُنْ تُبالِي على ما أصبَحَتْ مِن الدُّنيا وأمسَتْ»[١٢]. والله أعْلَمُ.

* *

---

(١) في (د): «عتبي».

(٢) «شعب الإيمان» (٨٧٧)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٨).

(٣) في (س) و(ب): «تحبين».

(٤) في (ب): «ولا تتقفن».

(٥) في (د): «أكل».

(٦) في (د): «شرب».

(٧) في (س): «شيء».

(٨) في (د): «عبيدة».

(٩) في (د): «النوم».

(١٠) في (د): «بنت».

(١١) في (ب): «عبد».

(١٢) في (د): «أو أمست». وانظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٨: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٨)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٣).

[عمرة امرأة حبيب العجمي]

[٥٩] ومِنْهُنَّ: عمرةُ امرأةُ حبيبِ العجمِيِّ[١].

باتَ[٢] عندَهُما[٣] شخصٌ، فسمِعَها وقْتَ السَّحَرِ وهيَ تقولُ لزوجِها: قُمْ[٤] يا رجلُ، فقد ذهَبَ اللَّيلُ وجاءَ النَّهارُ، وبينَ يدَيْكَ طريقٌ بعيدٌ وزادُه[٥] قليلٌ، وقوافِلُ الصالحينَ قد سارَتْ قُدّامَنا ونحنُ قد بقِينا[٦].

وحصَلَ[٧] لها وجَعٌ في عينِها، فقيلَ لها: كيفَ تَجِدينكِ[٨]؟ فقالَتْ: وجَعُ قلْبي أشدُّ مِن وجَعِ عيني[٩]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[بردة الصريمية]

[٦٠] ومِنْهُنَّ: بردةُ[١٠] الصريميّةُ[١١].

وكانَتْ إذا قيلَ لها: كيفَ أصبحْتِ؟ تقولُ: أصبَحْنا أضيافًا مُنتجِعِينَ بأرضِ غُربةٍ ننتظِرُ إجابةَ الدّاعي[١٢].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(٢) في (د): «قال: بات».
(٣) في (ب): «عندها».
(٤) في (د): «قل».
(٥) في (د): «وزاده».
(٦) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(٧) في (س): «حصل».
(٨) في (ب): «نجدك»، وفي (د): «ما تجدي».
(٩) انظر: «المخلصيات» (٢: ٣١٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(١٠) في «إحياء علوم الدين»: «بريرة».
(١١) في (ب): «الصرمية». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(١٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).

[٢٩/أ] وكانَتْ تكثِرُ البُكاءَ حتَّى فسَدَ[١] بصَرُها، فقيلَ لها: اتَّقِ الله تعالى، أما تخافينَ على بصرِكِ أنْ يذهَبَ؟ فقالَتْ: «دَعُوني فإنْ أكُنْ مِن أهلِ النارِ فأبعدَنِي الله وأبعَدَ بصَرِي، وإنْ أكُنْ مِن أهلِ الجنَّةِ فسيبدِلُنِي الله عزَّ وجَلَّ خيرًا مِن عَينِي»[٢].

قالَ عطاءُ[٣] بنُ المُباركِ: «كانَتْ بردةُ تقومُ اللَّيلَ، فإذا هدأتِ العُيونُ نادَتْ بصوتٍ حزينٍ: هدأتِ العُيونُ، وغارَتِ النُّجومُ، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه[٤]، وقد خلَوْتُ بكَ يا محبوبُ، أفتراكَ تعذِّبُني وحبُّكَ في قلْبِي، أتفعَلُ[٥] يا حَبيباهُ[٦]؟ وكانَتْ تبْكِي حتَّى يرحَمَها مَنْ يَراها»[٧].

قالَ سُفيانُ: «رحِمَ الله تعالى بردةَ، ما كانَ هُنا[٨] مِن النساءِ المُجاوراتِ أشدُّ اجتهادًا منها، بكَتْ حتَّى ذهَبَ بصَرُها، وكانَتْ إذا سمِعَتِ الصَّواعِقَ صرخَتْ ولم تزَلْ تَصيحُ حتَّى يُغْشَى عليها»[٩]. والله أعلَمُ.

* * *

[أم طلق]

[٦١] ومِنْهُنَّ: أمُّ طَلْقٍ[١٠].

---

(١) في (د): «فسدت».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(٣) في (د): «عبد الله».
(٤) في (د): «بمحبوبه».
(٥) في (د): «لا تفعل».
(٦) قوله: «أتفعل يا حبيباه» ليس في (ب).
(٧) انظر: «المدهش» (٣٢٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٤٩).
(٨) في (د): «ما رأينا».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).
(١٠) انظر ترجمتها في: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

كانَتْ تصلِّي كلَّ يـومٍ وليلةٍ أربـعَ مئةِ ركعةٍ، وتقرَأُ مِـن القُرآنِ ما شاءَ الله عزَّ وجَلَّ[١].

قالَ عاصمٌ الجحْدرِيُّ: كانَتْ أمُّ طلقٍ تقولُ: «ما ملَّكْتُ نفسِي ما تشتَهِي منـذُ جعَلَ الله عـزَّ وجَلَّ لـي عليها سُلطانًا[٢]، وكانَتْ تقـولُ: النَّفسُ مَلِكٌ إن أتْبَعتَها[٣]، ومملوكٌ[٤] إن أتْعَبتَها»[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم إبراهيم العابدة]

[٦٢] ومِنْهُنَّ: أمُّ إبراهيمَ العابِدةُ[٦].

كانَتْ لها دابّةٌ فضُرِبَتْ فكُسِرَتْ رجْلُها[٧]، فأتاها قومٌ يَحزَنونَ لها، فقالَتْ: «لولا مصائبُ الدُّنيا لورَدْنا الآخرةَ مفاليسَ»[٨].

قالَ أبو مُوسى[٩]: «كنتُ معَ أمِّ إبراهيمَ العابِدةِ، فلمّا صِرْنا عندَ الجَمراتِ رأتِ الناسَ وقد أقبَلُوا[١٠] على البيعِ والشِّراءِ، فقالَتْ: حبيبي أقبَلُوا على الدُّنيا وترَكُوكَ، ثمَّ صرَخَتْ، فاجتمَعَ النّاسُ فغطَّيْتُها بثَوبِي، ثمَّ قلْتُ للناسِ: أصابَها

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

(٢) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

(٣) في (س) و(ب) و(د): «تبعتها».

(٤) في (د): «ومملوكة».

(٥) في (س) و(ب): «اتبعتها». وانظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٠).

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥١).

(٧) في (د): «رجليها».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥١).

(٩) في (د): «قال موسى».

(١٠) في (د): «كبوا».

شيءٌ، وأوهَمْتُهم أنّ بها عِلَّةً، ثمَّ أقمْتُ عليها حتَّى أفاقَتْ، فقلْتُ: يا أمَّ إبراهيمَ ما هذه الشُّهرةُ؟ فقالَتْ: يا بطّالُ، إذا كانَ هوَ[1] يَقسِمُ الثَّناءَ فلمَنْ نتصَنَّعُ؟»[2] والله أعلَمُ.

* * *

[أم الحريش]

[٦٣] ومِنْهُنَّ: أمُّ الحريشِ[3].

وكانَتْ مِن العابِداتِ، قُدِّرَ عليها أنّها تزوَّجَتْ شخصًا[4] مِن الجُندِ، فكانَتْ [٢٩/ب] لا تأكُلُ مِن طعامِه، وتعِدُّ لنفسِها شيئًا تأكُلُه[5]، فكانَ[6] في بعضِ الأحيانِ يحمِلُها على الأكْلِ معَهُ[7]، فكانَتْ تُريه أنّها تأكُلُ، وتضَعُ أصابِعَها خارِجَ القصْعةِ[8]. والله أعلَمُ.

* * *

[حسنة العابدة]

[٦٤] ومِنْهُنَّ: حسنةُ العابِدةُ[9].

---

(١) «هو» ليس في (ب).

(٢) في (ب): «يتصنع»، وفي (د): «تتصنع». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥١).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٤) في (س): «شخص»، وفي (ب) و(د): «بشخص».

(٥) في (د): «كأكله».

(٦) في (د): «فكانت».

(٧) في (س): «معها».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٩) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

وكانَتْ كاسمِها ذاتًا ومَعْنًى.

قالَ محمَّدُ بنُ قُدامةَ: «تركَتْ حَسنةُ نعيمَ الدُّنيا وأقبَلَتْ على العبادةِ، فكانَتْ تصومُ النَّهارَ، وتقومُ اللَّيلَ، وليسَ في بيتِها شيءٌ، كلَّما[1] عطِشَتْ خرجَتْ إلى النهرِ فشَرِبَتْ[2] منه بكفَّيْها[3]، وكانَتْ جميلةً، فقالَتْ لها امرأةٌ: لو تزوَّجْتِ؟ فقالَتْ: هاتِ رجلًا زاهدًا[4] لا يكلِّفُني مِن أمْرِ الدُّنيا شيئًا، وما أظنُّكِ تقدرينَ[5] عليه، فوالله ما في نفْسِي أنْ أعبُدَ الدُّنيا ولا أتنعَّمَ معَ رجالِ الدُّنيا، وإنْ وجَدْتُ رجلًا يبْكِي ويُبْكِيني، ويصومُ ويأمُرُنِي به، ويتصدَّقُ ويحضُّنِي عليه فبها ونعمَتْ، وإلا فعلى الرِّجالِ السَّلامُ»[6]. والله أعلَمُ.

ويحكُنَّ، بل ويْلَكُنَّ يا نساءَ هذا الزَّمانِ، أنتُنَّ عكسُ ذلكَ، ترغَبْنَ في أبناءِ الدُّنيا معَ ما هُم عليه مِن ترْكِ أُمورِ الآخرةِ، بل لو كانَ الزَّوجُ فاسقًا يشرَبُ المُسكِرَ ويتعاطَى غيْرَه مِن المُحرَّماتِ وله ثَرْوَةٌ، رغبْتُنَّ فيه، وإن كانَتْ مُخالطتُه تقتَضِي غضَبَ الله ورسولِه[7]، وتزهَدْنَ في الرَّجلِ الخيِّرِ وإن كانَتْ مُجالستُه ومُخالطتُه تقتَضِي رِضا الله عزَّ وجَلَّ.

تبًّا لكُنَّ ما أقلَّ رغبَتَكُنَّ[8] فيما يقرِّبُ مِن الله عزَّ وجَلَّ، وما أرغبَكُنَّ فيما يُبْعِدُ عنِ الله عزَّ وجَلَّ، ولهذا[9] وأشباهِه قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**اطَّلَعْتُ عَلَى النّارِ، فوَجَدْتُ أكْثَرَها النِّساءَ**»[10]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «وكلما».
(٢) في (د): «تشرب».
(٣) في (ب) و(د): «بكفها».
(٤) في (س): «زهدا».
(٥) في (د): «تقدري».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).
(٧) «ورسوله» مثبت من (د).
(٨) في (ب): «رعيتكن».
(٩) في (د): «فلهذا».
(١٠) «صحيح البخاري» (٣٢٤١).

[زجلة العابدة]

[٦٥] ومِنْهُنَّ: زُجْلةُ العابِدةُ[١].

مولاةُ مُعاويةَ[٢].

قالَ أحمَدُ بنُ سهلٍ الأزدِيُّ: «دخَلَ على زُجلةَ العابِدةِ نفرٌ مِن القُرّاءِ، فكلَّمُوها بالرِّفقِ بنفْسِها، فقالَتْ: ما لي وللرِّفقِ بها، إنّما هيَ أيّامٌ مُبادرةٌ[٣]، فمَنْ فاتَه اليومَ شيءٌ لم يدرِكْه غدًا[٤]، واللهِ يا إخوتاهُ[٥] لأُصلِّيَنَّ ما أقلَّتْني جوارِحِي، ولأصومَنَّ له أيّامَ حياتِي، ولأبكِيَنَّ له ما حمَلَتِ الماءُ عَيناي[٦]، ثمَّ قالَتْ: [٣٠/أ] أيُّكم يأمُرُ عبْدَه بأمرٍ فيحِبُّ أن يقصِّرَ فيه؟»[٧].

قالَ عبّادٌ الخوّاصُ: «دخَلْنا على زُجْلةَ العابِدةِ وكانَتْ قد صامَتْ حتَّى اسودَّتْ، وبكَتْ حتَّى عمِشَتْ[٨]، وصلَّتْ حتَّى أُقعِدَتْ، فكانَتْ[٩] صلاتُها[١٠] قاعدةً، فسلَّمْنا عليها[١١]، ثمَّ ذكَّرْناها[١٢] شيئًا مِن العفْوِ، أرَدْنا أن نُهوِّنَ عليها الأمْرَ، فشهِقَتْ، ثمَّ قالَتْ: علْمِي بنفسِي قرَّحَ[١٣] فُؤادِي، وكَلمَ قلْبِي، واللهِ

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١٦٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٩٩)، و«تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» (٢: ٥٩٧).

(٢) انظر: «الإكمال في رفع الارتياب» (٤: ٢٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢)، و«الإصابة» (٨: ٢٩٨).

(٣) في (د): «أيام قلائل مبادرة».

(٤) «غدًا» ليس في (ب).

(٥) في (ب): «يا أختاه».

(٦) في (د): «عيني».

(٧) انظر: «حفظ العمر» لابن الجوزي (٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٨) «عمشت» ليس في (ب).

(٩) في (د): «وكانت».

(١٠) في (د): «تصلي».

(١١) في (ب): «علينا».

(١٢) في (د): «ذكرناه».

(١٣) في (ب) و(س): «فرح».

لودِدْتُ[١] أنّ الله عزَّ وجَلَّ لم يخلُقْنِي، ولم أكنْ شيئًا مذكورًا، ثمَّ أقبَلَتْ على صلاتِها وتركَتْنا، فخرَجْنا مِن عِندِها»[٢].

وكانَتْ رضِيَ الله عنها تخرُجُ إلى السّاحلِ، فتغسِلُ ثِيابَ المُرابطينَ[٣]. والله أعلَمُ.

* *

[مطيعة العابدة]

[٦٦] ومِنْهُنَّ: مطيعةُ العابِدةُ[٤].

بكَتْ أربعينَ عامًا فعُوتِبَتْ على كَثرةِ البُكاءِ[٥]، فقالَتْ: «لا أزالُ أبكِي حتَّى أعلَمَ أيَّ الحالينِ[٦] أنا عِندَ الله عزَّ وجَلَّ»[٧].

قالَ محمَّدُ بنُ الحُسينِ: «دخَلْنا على مُطيعةَ العابِدةِ في المقابرِ بالبصرةِ، فجعَلْنا نذاكِرُها شيئًا مِن القرآنِ[٨] والخيرِ، فلا نَستَبِينُ[٩] كثيرًا مِن كلامِها؛ من كثرَةِ بُكائِها، فلمّا رَأيْناها كذلكَ ترَكْناها»[١٠].

أقامَتْ في المقابرِ أربعًا وخمسينَ سنةً تذكِّرُ نفْسَها الآخرةَ[١١]. والله أعلَمُ.

---

(١) في (س): «لو وددت».

(٢) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٥٢-٥٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٢).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

(٥) في (د): «بكائها».

(٦) في (د): «الحالتين».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

(٨) «القرآن» مثبت من (د).

(٩) في (س): «تستبين».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٣).

[مسكينة]

[٦٧] ومِنْهُنَّ: مسكينةُ[١].

قالَ عمّارُ بنُ الرّاهبِ وكانَ مِن العامِلِينَ لله تعالى في دارِ الدُّنيا قالَ: «رأيْتُ مسكينةَ في منامِي، وكانَتْ مِن المُواظباتِ[٢] على حِلَقِ الذِّكرِ، فقلْتُ: مرحبًا يا مسكينةُ مرحبًا، فقالَتْ: هَيْهاتَ يا عمّارُ، ذهبَتْ تلك المَسكَنةُ وجاءَ الغِنى الأكبَرُ، فقلْتُ: هِيْه؟ فقالَتْ[٣]: ما تسألُ عَمَّن أُبيحَ له الجنَّةُ بِحذافيرِها؟

قلْتُ: وبِمَ ذاكَ[٤] يرحَمُكِ الله عزَّ وجَلَّ؟ فقالَتْ: بمجالسِ الذِّكرِ والصَّبرِ على الحقِّ، قالَ: وكانَتْ تحضُرُ مَعَنا مجلسَ عِيسى بنِ زاذانَ، فقلْتُ: فما فعَلَ عِيسى؟ فضحِكَتْ، فقالَتْ:

قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ البَهاءِ وطافَتْ ... بِأباريقَ حَوْلَهُ الخُدّامُ
ثُمَّ حُلِّيَ وقِيلَ يا قارِئُ ارْقَ[٥] ... فلَعَمْرِي لَقَدْ بَراكَ[٦] الصِّيامُ[٧]

وكان عِيسى قد صامَ حتَّى انْحَنى وانقطَعَ صوتُه»[٨]، والله أعلَمُ.

* * *

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٤).
(٢) في (د): «وكانت مواظبة».
(٣) «فقالت» ليس في (ب).
(٤) في (د): «ذلك».
(٥) كذا في المصادر، وفي (س) و(د) و(ب): «اقرأ».
(٦) في (ب): «تراك».
(٧) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ١٢٨).
(٨) في (س) و(ب): «صومه». وانظر: «جامع بيان العلم وفضله» (٢٥٠)، و«إحياء علوم الدين» (١: ٣٥٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٤).

[امرأة الجوني]

[٦٨] ومنهُنَّ : امرأةُ الجَوْنِـيِّ[١]. [٣٠/ب]

قالَ ابنُها: «كانَتْ أمِّي تصلِّي حتَّى تعصِبَ ساقَيْها بالخِـرقِ، فيقـولُ لها زوجُها: دُونَ هذا؟ فتقولُ: هـذا عندَ طُولِ القيامِ فـي الموقفِ قليلٌ، فيسكُتُ[٢] عنها»[٣]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[امرأة رياح القيسي]

[٦٩] ومِنْهُنَّ: امرأةُ[٤] رياحٍ القيسِيِّ[٥].

قالَ البزّارُ: «تزوَّجَ رياحٌ القيسِيُّ امرأةً فبَنَى بها، فلمّا أصبَحَ قامَتْ إلى عَجينِـها، فقالَ[٦]: لو نظَرْتِ إلى امرأةٍ تكْفيكِ هذا؟

فقالَ: إنّما أُرانـي تزوَّجْتُ رِياحًا ولـم أُرانِـي تزوَّجْتُ جَبّارًا عَنيدًا، فلمّا كانَ اللَّيلُ نامَ؛ ليختبِرَها، فقامَتْ رُبُعَ اللَّيلِ، ثمَّ نادَتْه: قُمْ يا رِياحُ، فقالَ: أقومُ، فقامَتِ الرُّبُعَ الآخَرَ، ثمَّ نادَتْه، فقالَتْ: قُمْ يا رِياحُ، فقالَ: أقومُ، فقامَتِ الرُّبُعَ الآخَرَ، ثمَّ نادَتْه، فقالَتْ: قُمْ يا رِياحُ، فقالَ: أقومُ، فقالَتْ: مَضَى اللَّيلُ وعَسْكَرَ المُحْسِنُونَ وأنتَ نائمٌ، ليتَ شعْرِي مَن غرَّنـي بكَ؟ ثمَّ قامَتِ الرُّبُعَ الآخِرَ»[٧].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).
(٢) في (ب): «فليسكت».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).
(٤) في (د): «أم».
(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).
(٦) في (د): «فقالت».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

قالَ رياحٌ: «تزوَّجْتُ امرأةً فكانَتْ إذا صلَّتِ العِشاءَ الآخرةَ تطيَّبَتْ ولبِسَتْ أحسَنَ ثِيابِها، ثمَّ تأتِينِي، فتقولُ(١): ألكَ حاجةٌ؟ فإن قلْتُ: نعَمْ، كانَتْ مَعِي، وإن قلْتُ: لا، قامَتْ فنزَعَتْ ثِيابَها، ثمَّ صفَّتْ بينَ قدَمَيْها حتَّى تصبِحَ»(٢).

قالَ رياحٌ: «اغتمَمْتُ مرَّةً في شيءٍ مِن أمْرِ الدُّنيا، فقالَتْ: أراكَ تغتَمُّ لأمْرِ الدُّنيا؛ غرُّونِي بكَ، ثمَّ أخذَتْ هُدبةً مِن مَقنعتِها، وقالَتْ: الدُّنيا أهوَنُ عليَّ مِن هذهِ»(٣). رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* *

[ابنة أم حسان]

[٧٠] ومِنْهُنَّ: ابنةُ أمِّ حسّانَ(٤).

قالَ سُفيانُ الثوريُّ: «دخَلْتُ عليها فإذا في جَبْهَتِها مثْلُ رُكْبةِ العنزِ مِن أثَرِ السُّجودِ، ورأيْتُ مِن حالِها ما يحزِنُ، فقلْتُ لها(٥): لو رفَعْتِ رُقعةً إلى فلانٍ لعلَّه يُعْطيكِ مِن زكاةِ مالِه ما تُغيِّرينَ(٦) به بعضَ هذه الحالةِ التي أراها بكِ(٧)؟

فقالَتْ: يا سُفيانُ، قد كانَ لكَ في قلْبِي رُجحانٌ كثيرٌ أو كبيرٌ، وقد أذهَبَ الله تعالى برُجْحانِكَ مِن قلْبِي، يا سُفيانُ، تأمُرُنِي أنْ أسألَ الدُّنيا مَن لا يملِكُها،

(١) في (د): «وتقول».

(٢) جاء على حاشية (س): «قال رياح: فقبحتني والله». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥)، و«المختار من مناقب الأخيار» لابن الأثير (٣: ٣٢٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥).

(٥) «لها» ليس في (ب).

(٦) في (د): «تصيرين».

(٧) قوله: «أراك بها» في (ب): «أراك بها».

وعزَّتِه وجلالِه إنّي لأستَحْيِي أنْ أسألَه الدُّنيا وهوَ يملِكُها»[١].

قالَ سُفيانُ: «وكانَتْ إذا جنَّ اللَّيلُ دخَلَتْ مِحرابَها وأغلقَتْ عليها، ثمَّ [٣١/أ] نادَتْ: إلهي خلا كلُّ حبيبٍ بحبيبِه، وأنا خاليةٌ بكَ يا محبوبُ»[٢].

قال سُفيانُ: «دخَلْتُ عليها بعدَ ثلاثٍ[٣]، فإذا الجوعُ قد أثَّرَ في وجْهِها، فقلْتُ لها: إنّكِ لن تؤتَيْ أكثَرَ ممّا أُوتيَ مُوسى والخَضِرُ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ إذا أتَيا أهْلَ قريةٍ استطعَما أهْلَها فأَبَوا أنْ يُضَيِّفوهُما.

فقالَتْ[٤]: يا سُفيانُ، قلِ الحمْدُ لله، ثمَّ قالَتْ: اعترفْتَ له بالشُّكرِ؟ قلْتُ: نعَمْ، فقالت: وجَبَ عليكَ مِن معرفةِ الشُّكرِ شكْرٌ، وبمعرفةِ الشُّكرينِ شكرٌ لا ينقَضِي[٥] أبدًا، قالَ سُفيانُ: فقصُرَ واللهِ علْمِي وفهَّ[٦] لسانِي، فولَّيْتُ أريدُ الخروجَ، فقالَتْ: يا سُفيانُ، كَفَى بالمرْءِ جَهلًا أن يُعجَبَ بعمَلِه، وكَفَى بالمرْءِ عِلمًا أنْ يخْشَى اللهَ عزَّ وجَلَّ، اعلَمْ أنّه لَنْ تُنَقَّى القُلُوبُ مِنَ الرَّدِي[٧] حتَّى تكونَ الهُمومُ كلُّها في اللهِ عزَّ وجَلَّ همًّا واحدًا، قالَ سُفيانُ: فقصُرَتْ واللهِ إليَّ نفسِي»[٨]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٩)، و«ترتيب الأمالي الخميسية» للشجري (٩٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٩).

(٣) في (د): «ثلاثة أيام».

(٤) في (ب): «قالت».

(٥) في (د): «ينقطع».

(٦) في (س) و(د): «وفقه».

(٧) في (س): «لم تُنق الذنوب من الردى».

(٨) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٧: ٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦).

[مملوكة لإبراهيم النخعي]

[٧١] ومِنْهُنَّ: مملوكةٌ لإبراهيمَ النَّخَعِي(١).

قالَ أبو الأحوصِ، عن مغيرةَ أو غيرِه: «كانَتْ مولاةٌ لإبراهيمَ النَّخعِيِّ تعمِدُ إلى(٢) اليومِ الشَّديدِ الحرِّ فتصومُه، فقيلَ لها: إنّكِ تعمِدينَ إلى اليومِ الشَّديدِ الحرِّ فتَصُوميه(٣)؟ فقالَتْ: إنّ السِّعرَ إذا رخُصَ اشْتراهُ كلُّ أحدٍ»(٤). رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* *

[جارية عبيد الله قاضي البصرة]

[٧٢] ومِنْهُنَّ: جاريةُ عُبيدِ(٥) الله قاضِي البَصرةِ(٦).

قالَ سيِّدُها: «كانَتْ(٧) عِندي جاريةٌ أعجميّةٌ وضيئةٌ(٨)، وكنْتُ بها(٩) مُعجبًا، وكانَتْ ذاتَ ليلةٍ نائمةً إلى جنْبي، فانتبَهْتُ فلم أجِدْها، فالتمَسْتُها، فإذا هيَ ساجدةٌ تقولُ: بحبِّكِ لي اغفِرْ لي، فقلْتُ: يا جاريةُ، لا تقولِي: بحبِّكَ لي، وقولِي: بحبِّي لكَ اغفِرْ لي، فقالَتْ: يا بطّالُ، حبُّه لي أخرجَنِي مِن الشِّركِ إلى الإسلامِ، وأيقَظَ عيْنِي وأنامَ عينَكَ.

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦).

(٢) في (س): «في».

(٣) في (س) و(د): «فتصومه».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦)، و«لطائف المعارف» لابن رجب (٣٢٢).

(٥) في (د): «عبد».

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦).

(٧) في (د): «كان».

(٨) في (د): «وصبية».

(٩) «بها» ليس في (ب).

فقلْتُ لها: اذهَبِي فأنتِ حرَّةٌ لوجْهِ الله تعالى، فقالَتْ: يا مولاي أسأْتَ إليَّ، فقلت: ولِمَ؟ فقالَتْ: كانَ لي أجرانِ، فصارَ لي أجرٌ واحدٌ»[1]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[جارية خالد الوراق]

[٧٣] ومِنْهُنَّ: جاريةُ خالدٍ الورّاقِ[2].

قالَ خالدٌ رضي الله عنه: «كانَتْ لي جاريةٌ شديدةُ الاجتهادِ، فدخَلْتُ [٣١/ب] علَيْها يومًا فذكَّرْتُها بشيءٍ مِن رِفْقِ الله عزَّ وجَلَّ وقبُولِه يسيرَ[3] العمَلِ، فبكَتْ، ثمَّ قالَت: يا خالدُ، إنّي لأؤمِّلُ[4] مِن الله عزَّ وجَلَّ آمالًا لو حمَلَتْها الجبالُ لأشفَقَتْ مِن حِمْلِها كما ضعُفَتْ عن حمْلِ الأمانةِ، وإنّي لأعلَمُ أنَّ في كرَمِ الله عزَّ وجَلَّ مُستَغاثًا لكلِّ مُذنبٍ، ولكِنْ كيفَ لي بحسرَةِ السِّباقِ؟!

قلْتُ: وما حسرَةُ السِّباقِ؟ قالَتْ[5]: غداةُ الحشْرِ، إذا بُعثِرَ[6] ما في القُبورِ، وركِبَ الأبرارُ نَجائبَ الأعمالِ، فاستبَقُوا إلى الصِّراطِ، وعزَّةِ سيِّدي لا يسبِقُ مُقصِّرٌ مُجتهدًا أبدًا ولو حَبا المُجِدُّ[7] حَبْوًا، أم كيفَ لي بموتِ الحُزنِ والكَمَدِ إذا رأيْتُ القومَ يتراكَضُونَ، وقد رُفِعَتْ أعلامُ المُحسنينَ، ثمَّ بكَتْ، وقالَتْ:

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٦-٢٥٧).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٧).

(٣) في (ب): «بسير».

(٤) في (د): «أؤمل».

(٥) في (ب): «قال».

(٦) في (ب) و(د): «بعث».

(٧) في (د): «المجتهد».

يا خالدُ لا يقطَعْكَ قاطِعٌ عَنْ[١] سرعةِ المُبادرةِ بالأعمالِ؛ فإنّه ليسَ بينَ الدّارينِ دارٌ يُدرِكُ فيها الخُدّامُ ما فاتَهم مِن الخِدمةِ، فويلٌ لمَنْ قصَّرَ عن خدمةِ سيِّدِه، ومعَهُ الآمالُ، فهلا كانَتِ الآمالُ تُوقِظُهم إذا نامَ البَطّالونَ؟»[٢]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[جارية مجهولة]

[٧٤] ومِنْهُنَّ: جاريةٌ مجهولةٌ.

ورَدَتِ الكعبةَ شرَّفَها اللهُ، قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «رأيْتُها وقد تعلَّقَتْ بأستارِ الكعبةِ، فجعَلَتْ تدْعُو وتبْكِي وتتضرَّعُ حتَّى ماتَتْ»[٣]. رحِمَها اللهُ عزَّ وجَلَّ، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[جارية كانت لشخص يقال له: أبو محرز]

[٧٥] ومِنْهُنَّ: جاريةٌ كانَتْ لشخصٍ يقالُ له: أبو مُحْرِزٍ[٤].

قالَ: «شكَوْتُ إليها يومًا ضيقَ المكسَبِ عليَّ وأنا شابٌّ، فقالَتْ: يا بُنيَّ، استغْنِ[٥] بعزِّ القناعةِ مِن ذُلِّ[٦] المَطالبِ، ....

(١) «عن» مثبت من «صفة الصفوة». (٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٧).

(٣) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٤: ٢٧٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨)، و«تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٣: ٤٢٦).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٥) في (د): «استعن». (٦) في (د): «ذلة».

فكثيرًا والله ما رأيْتُ القليلَ عادَ[١] سَليمًا.

قالَ أبو مُحْرزٍ: فما زِلْتُ بعدَ قوْلِها أعرِفُ بركةَ كلامِها في قُنوعِي»[٢]. والله أعلَمُ.

[عابدة بالبصرة]

[٧٦] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بالبصرةِ[٣].

أرادَ ناسٌ يسلِّمونَ عليها، فقيلَ لهم: لا تَصِلون إليها، فقيلَ: ولِمَ ذلكَ[٤]؟ فقالُوا: قد أغلَقَتْ عليها البابَ منذُ ثلاثٍ تبْكِي، قلْنا: ومِمَّ ذاك؟ فقالُوا: قتلَتْ نملةً[٥]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة بالبصرة]

[٧٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بالبصرةِ[٦].

قالَ سعيدُ بنُ عُطاردٍ: «ذُكِرَ لي امرأةٌ متعبِّدةٌ بالبصرةِ، فأتَيْتُها فوجَدْتُها [٣٢/أ] تصلِّي فانصرَفْتُ، فلمّا فرَغَتْ قالَت لي: ما اسمُكَ؟ قلْتُ: سعيدٌ، فقالَتْ:

---

(١) قوله: «عاد» ليس في (ب).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٤) «ذلك» مثبت من (د).

(٥) في (ب): «قتلت بمكة». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

يا سعيدُ، كلُّ شيءٍ أشغَلَ عنِ الله عزَّ وجَلَّ فهوَ مَشؤومٌ، ثمَّ أقبَلَتْ على صلاتِها وترَكَتْنِي»[١]، والله أعلَمُ.

قلْتُ: هذه كلمةٌ فيها تنبيهٌ عظيمٌ، مَنْ أخَذَ بمُقْتضاها لا يجِدُ له فراغًا إلى غيرِ ما فيه رِضا الله عليه، فعليكِ بالتُّمسكِ بها، فما أبرَكَها مِن كلمةٍ، وفَّقَنا الله عزَّ وجَلَّ إلى العمَلِ بها، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[٧٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ[٢].

كانَتْ إذا أصبحَتْ تقولُ لقلْبِها[٣]: «فقدْتُكَ مِن قلبٍ ما أقساكَ، أصبحْتَ لعظمةِ الله عزَّ وجَلَّ ناسيًا، إلهِي كيفَ لي بالقرْبِ منكَ غدًا وقاسِي القلبِ منكَ بعيدٌ؟»[٤] والله أعلَمُ.

أشارَتْ رضِيَ الله عنها إلى أسبابِ قَسوةِ[٥] القلْبِ، وهيَ كثيرةٌ جدًّا؛ منها: خوْفُ الفَقرِ، وقلَّةُ اليَقينِ، ومعاشرةُ أبناءِ الدُّنيا، والتَّشبُّهُ بهِنَّ.

وأقلُّ أسبابِ قَسوةِ القلْبِ: كثرَةُ الكلامِ بغيرِ ذكْرِ الله عزَّ وجَلَّ، ففي[٦] حديثِ عبدِ الله بن عمرَ رضِيَ الله عنهُما قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تَعالَى؛ فإنّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تعالَى قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ،**

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٣) في (د): «لعلها».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٨).

(٥) في (ب): «قوة».

(٦) في (س) و(ب): «في».

وإنّ[١] أبْعَدَ النّاسِ مِنَ الله عَزَّ وجَلَّ القَلْبُ القاسِي». رَواهُ الترمذِيُّ[٢]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[٧٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ.

قالَ حمّادُ بنُ سلمةَ رضِيَ الله عنه: «خرَجْتُ في ليلةٍ مُظلمةٍ ذاتِ بردٍ وريحٍ ومَطرٍ، ومعي شيءٌ أريدُ أقسِمُه في جِيرانِي، فإذا أنا بامرأةٍ قد خرَجَتْ وهيَ تقولُ: يا رفيقُ يا رفيقُ ارفُقْ بنا، قالَ: قلْتُ: ما لكِ يرحَمُكِ الله تعالى؟

فقالَتْ: يا حمّادُ إنّه دخَلَ هذا المطَرُ على أيتامِي[٣] حتَّى تحتَ فُرُشِهم، فقلْتُ: يا رفيقُ يا رفيقُ ارفُقْ بنا، قالَ حمّادٌ: فدخَلْتُ فوجَدْتُه أيبَسَ ما كانَ، فقلْتُ: هاكِ رحِمَكِ[٤] الله عزَّ وجَلَّ هذا الشَّيءَ فأنفِقِيه على نفسكِ وعلى أيتامِكِ، فقالَتْ: إليكَ عنِّي يا حمّادُ؛ فإنِّي إنّما أسألُ أجودَ الأجودِينَ»[٥].

وفي روايةٍ، قالَ حمّادٌ: «ألحَّ علينا المطَرُ سنةً مِن السِّنينَ، وفي جِواري امرأةٌ مِن المُتعبِّداتِ لها بناتٌ أيتامٌ، فوكَفَ السَّقفُ عليهم أي: دلَفَ[٦] فسمِعْتُها تقولُ:/ يا رفيقُ[٧] ارفُقْ بي، فسكَنَ المطَرُ، فأخذْتُ صرَّةً فيها عشرةُ دنانيرَ [٣٢/ب]

---

(١) في (د): «فإن».

(٢) «جامع الترمذي» (٢٤١١) قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب».

(٣) في (ب): «يتامى». (٤) في (د): «يرحمك».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٩)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٧٢).

(٦) انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٤: ٣٩٦).

(٧) في (د): «يا رفيق يا رفيق».

وقرَعْتُ البابَ، فقالَتْ: لعلَّكَ[١] حمّادُ بنُ سلمةَ؟

فقلْتُ: أنا حمّادٌ، وسمِعْتُكِ وقد تأذَّيْتِ[٢] بالمطرِ، فقلتِ: يا رفيقُ يا رفيقُ ارفُقْ بي، فما بلَغَ مِن رفْقِه بكِ؟ فقالَتْ[٣]: سكَّنَ المطرَ، وأدفأَ الصِّبيانَ، وجفَّفَ البيتَ، فأخرَجْتُ الدَّنانيرَ، وقلتُ لها: انتفِعي بهذه، فإذا صَبيّةٌ عليها مِدرعَةٌ مِن صوفٍ تستبينُ خروقُها[٤] قد خرجَتْ عليَّ، وتقولُ: ألا[٥] تسكُتُ يا حمّادُ؛ تعترِضُ بينَنا وبينَ ربِّنا ومولانا، ثمَّ قالَتْ: يا أمّاهُ قد علِمْنا[٦] أنّا[٧] لما شكَوْنا مَولانا أنّه سيبعَثُ إلينا؛ ليطرُدَنا مِن بابِه، ثمَّ ألصقَتْ خدَّها بالتُّرابِ تقولُ[٨]: أنا وعزَّتِكَ لا أفارقُ[٩] بابَكَ وإنْ طرَدْتَني، ثمَّ قالَتْ: يا حمّادُ رُدَّ دَنانيرَكَ إلى الموضعِ الذي أخرَجْتَها منه؛ فإنا رفَعْنا حوائجَنا إلى مَن يقبَلُ الودائعَ ولا يبخَسُ العامِلينَ»[١٠].

وفي رِوايةٍ: «وكَفَ البيتُ عليها، فجعَلَتْ تنقِلُ أولادَها مِن موضعٍ إلى موضعٍ، فلا[١١] يزدادُ الوَكْفُ إلا شدَّةً، فلمّا أذلَقَها ذلكَ، قالَتْ: يا رفيقُ ارفُقْ بي، فما أصابَها مِن ذلكَ المطرِ قطرةٌ واحدةٌ»[١٢]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

(١) في (س): «لعله»، وفي (د): «اجعله». (٢) في (ب): «ناديت».
(٣) في (ب): «قالت». (٤) في (س): «حروقها».
(٥) في (س): «اللا». (٦) في (د): «علم».
(٧) «أنا» ليس في (ب). (٨) في (د): «ثم قالت».
(٩) في (س): «زايلت»، وفي (ب): «لازلت».
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٥٩)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٢: ٣٧٢).
(١١) في (د): «ولا».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٠).

[شعوانة]

[٨٠] ومِنْهُنَّ: شعوانةُ[١].

قالَ مُعاذُ بنُ الفضْلِ[٢]: «بكَتْ شعوانةُ حتَّى خِفْنا عليها العَمَى، فقلْنا لها في ذلكَ، فقالَتْ: أعْمَى[٣] والله في الدُّنيا من البُكاءِ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أعْمَى في الآخرةِ مِن النارِ»[٤].

قالَ يَحْيى بن بِسْطام: «كنْتُ أشهَدُ مجلسَ شعوانة كثيرًا، فكنْتُ أرَى ما تصنَعُ بنفْسِها، فقلْتُ[٥] لصاحبٍ لي: لو أتَيْناها إذا خلَتْ[٦]؟ فقالَ[٧]: نَعَم، فانطلَقْنا فاستأذَنّا[٨] عليها، فأذِنَتْ، فدخَلْنا فإذا منزلٌ رثٌّ عليه أثَـرُ الجَدبِ، فقالَ لهـا صاحِبي لو رفقْتِ بنفسِكِ فقَصَرْتِ عن هذا البُكاءِ شيئًا، كانَ أقْوى لكِ على ما تُريدينَ؟

قالَ: فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: والله لودِدْتُ أنِّي أبكِي حتَّى تنفَدَ دُموعِي، ثمَّ أبكِي الدِّماءَ حتَّى لا يبْقَى في جسَدِي جارحةٌ فيها قطرَةٌ مِن دم، وأنّى[٩] لي البُكاءُ، قالَ: فلم تزَلْ تردِّدْ ذلكَ[١٠] حتَّى انقلبَتْ حدَقتاها ثمَّ مالَتْ ساقطَةً مَغشِيًّا عليها، فقُمْنا وخرَجْنا عنها[١١] وترَكْناها على تلكَ الحالةِ»[١٢].

---

(١) انظر ترجمتها في: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٩: ١١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦٣).

(٢) في (د): «الفضيل».

(٣) في (د): «عمى».

(٤) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٤٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦٣).

(٥) في (س): «فقالت».

(٦) في (د): «دخلت».

(٧) في (د): «فقالت».

(٨) في (د): «فاستأذناها».

(٩) في (ب): «وأنا».

(١٠) في (د): «تزل كذلك».

(١١) في (د): «من عندها».

(١٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٢٦٣-٢٦٤).

[٣٣/أ] وكانَتْ تنادِي: «يا مَوْتَى وبني المَوْتَى وإخْوةَ المَوْتَى»(١). رضِيَ الله عنها والله أعلَمُ.

* *

[ريحانة]

[٨١] ومِنْهُنَّ: ريحانةُ(٢).

وكانَتْ تُرْمَى بالجنونِ.

قالَ ثابتٌ البُنانِي: «رأيتُ ريحانَةَ وقد قامَتْ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، وهيَ تقولُ:

قامَ المُحِبُّ إلَى المُؤَمَّلِ قَوْمَةً ... كادَ الفُؤادُ مِنَ السُّرُورِ يَطِيرُ

فلمّا كانَ جوفُ اللَّيلِ قالَتْ:

لا تَأْنَسَنَّ(٣) بِمَنْ تُوحِشُكَ نَظْرَتُهُ ... فتُمْنَعَنَّ مِنَ التَّذْكارِ في الظُّلَمِ

واجْهَدْ(٤) وكُدَّ وكُنْ في اللَّيْلِ ذا شَجَنٍ ... يَسْقِيكَ كَأْسَ(٥) وِدادِ العِزِّ(٦) والكَرَمِ

ثُمَّ نادَتْ: واحزْناهُ واسَلْباهُ، فقلْتُ: مِمَّ(٧) ذا؟ فقالَتْ:

ذهَبَ الظَّلامُ بِأُنْسِهِ وبِإلْفِهِ ... لَيْتَ الظَّلامُ بِأُنْسِهِ يَتَجَدَّدُ»(٨)

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٤).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٦).

(٣) في (ب): «لا تأنس».

(٤) في (د): «واجتهد».

(٥) في (ب): «منه».

(٦) في (س) و(ب) و(د): «العزم».

(٧) في (ب): «مما».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٦٦)، و«البحور الزاخرة» (٣: ١٥٧٦).

[عابدة كانت بعبادان]

[٨٢] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ كانَتْ بعبّادانَ.

قالَ صالحُ بنُ عبدِ الله: «خرَجْنا إلى عَبّادانَ[١] ومَعَنا قارئٌ؛ فقرَأ، فإذا امرأةٌ على سطْحٍ فصرَخَتْ، ثمَّ سقَطَتْ مِن السطحِ، فحُمِلَتْ فأُدْخِلَتْ دارًا، ثمَّ ما برِحْنا حتَّى ماتَتْ، فنُودِيَ لها، فما رأيْتُ يومًا أحسَنَ ولا أكثَرَ جمْعًا مِن ذلكَ اليومِ»[٢]. والله أعلَمُ.

*

[منيفة]

[٨٣] ومِنْهُنَّ: منيفة[٣].

مِن عابِداتِ البحرينِ[٤].

قالَ مِسمَعُ بنُ عاصمٍ: «كانَتْ منيفةُ[٥] إذا هجَمَ اللَّيلُ عليها، قالَتْ: بخٍ بخٍ يا نفسُ، قد جاءَ سُرورُ المُؤمنِ، فتتحَزَّمُ[٦] وتتلبَّسُ وتقومُ إلى مِحرابِها، فكأنّها[٧] الجِذْعُ[٨] القائمُ حتَّى تصبِحَ، فإذا أصبَحَتْ وأمكَنَتِ الصَّلاةُ، فإنّما[٩] هيَ في صلاةٍ حتَّى[١٠] يُنادَى بالعصْرِ، فإذا صلَّتِ العصْرَ هجَعَتْ إلى غُروبِ

(١) في (س): «عبدان».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧١).
(٣) في «صفة الصفوة»: «منيفة بنت أبي طارق»، وفي (د) و(س) و(ب): «منية».
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).
(٥) في (س) و(ب) و(د): «منية».
(٦) في (ب): «فتتحرم».
(٧) في (د): «فإنها».
(٨) في (د): «الجدعة».
(٩) في (د): «فإذا».
(١٠) في (ب): «حين».

الشَّمسِ[1]، فكانَ هذا دأْبَها، فقيل لها[2]: لو جعَلْتِ هذه النَّومةَ في اللَّيلِ كانَ أهدَأ لبدَنِكِ؟

فقالَتْ: لا واللهِ، لا أنامُ في ظُلمةِ اللَّيلِ ما دمْتُ في الدُّنيا.

قالَ أبو سيّارٍ: فحدَّثَني[3] رجلٌ مِن أهْلِها[4] أنّها مكثَتْ كَذَلكَ[5] أربعينَ سنةً، ثمَّ ماتَتْ.

قالَ سيّارٌ[6]: فحدَّثَني رجلٌ مِن البحرينِ يقالُ له: عامِرٌ، أنّه رَأى منيفةَ[7] بعدَ موْتِها في المنام[8]، فقالَ لها: يا منيفةُ[9]، ما حالُ النّاسِ هناكَ؟ فأقبَلَتْ عليَّ، وقالَتْ: عن أيِّ حالِهم تسألُ، الدّارُ واحدةٌ لأهلِ الطّاعةِ يتغالَوْنَ فيها بالأعمالِ، ولا تسألْ عن حالِ أهلِ النّارِ.

[٣٣/ب] قالَ:/ فبكَيْتُ مِن[10] قوْلِها: لا تسألْ عن حالِ أهْلِ النّارِ، قالَ: ثمَّ ولَّيْتُ فأتبَعَتنِي[11] صوتًا: يا عامِرُ[12] عليكَ بالجِدِّ والاجتهادِ[13]، لَعلَّكَ تجْري في مساعِي السّابقينَ غدًا، قالَ عامِرٌ: فمَرِضْتُ واللهِ مِن هذهِ الرُّؤيا شهْرًا»[14].

---

(١) جاء في حاشية (ب): «وأما النوم بعد العصر؛ فإنه مذموم؛ لقوله ﷺ: «من نام بعد العصر، فأصابه لمم، فلا يلومنَّ إلا نفسه». واللمم: الجنون، سمي لممًا؛ لأنه يلم الشخص ويعتريه، وإن أراد الشخص أن ينام قبل الظهر. قال الزمخشري في قوله ﷺ: «قيلوا؛ فإن الشيطان لا يقيل»: إن القيلولة هي النومة قبل الظهر. ذكره ابن العماد في «آداب الأكل». وفي «بداية الهداية» للغزالي: إن القيلولة هي النوم قبل الظهر». اهـ.

(٢) «لها» ليس في (ب).

(٣) في (د): «حدثني».

(٤) في (د): «رجل من البحرين».

(٥) في (س): «الذلك».

(٦) قوله: «قال سيار» كذا في جميع النسخ، وفي «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩): «أبو سفيان» في الموضعين.

(٧) في (س): «منية».

(٨) قوله: «في المنام» مثبت من (د).

(٩) في (س): «منية».

(١٠) في (د): «فبكت عن».

(١١) في (س) و(ب): «فأتبعني».

(١٢) في (ب): «يا عمار».

(١٣) في (د): «والاجتهاد له».

(١٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).

قالَ عامِرٌ: قالَ أبـي: «بتُّ عندَ منيفةَ[1] ليلةً، فما زادَتْ على هذه الآيةِ مِن أوَّلِ اللَّيلِ إلى آخِرِه تردِّدُها وتبْكِي: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]». رضِيَ الله عنها[2]، والله أعلَمُ.

* * *

[ماجدة]

[٨٤] ومِنْهُنَّ: ماجدةُ[3].

وهيَ سيِّدةٌ جليلةٌ.

من كلامِها النافع: «سكانُ دارٍ أُوذِنـوا بالنُّقلةِ وهم حَيارَى، يركُضُونَ في المُهلةِ[4]، كأنّ المُرادَ غيْرُهم، والتَّأْذينَ[5] ليسَ لهم، والمعْنِيَّ بالأمْـرِ سِواهُم، بُؤسًا مِن عُقولٍ ما أنقَصَها، ومِن جهالةٍ ما أتَمَّها، بُؤسًا لأهْلِ المعاصِي ما أُغْرُوا به مِن الإمهالِ والاستدراجِ»[6].

وكانَتْ تقولُ: «بسَطُوا آمالَهم فأضاعُوا أعمالَهم، ولو نصَبُوا الآجالَ[7]، وطَوَوا الآمالَ، خفَّتْ عليهم الأعمالُ»[8].

---

(١) في (س): «منية».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).
(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩).
(٤) في (د): «بالمهلة».
(٥) في (ب): «والتأديب».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٧٩-٢٨٠).
(٧) في (س) و(ب): «الأحبال».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٠).

وكانَتْ تقولُ: «لَمْ ينَلِ المُطِيعونَ ما نالُوا مِن حُلولِ الجِنانِ ورِضا الرَّحمنِ إلا بتعبِ الأبدانِ، والقيامِ لله بحقِّهِ في المَنشَطِ والمَكْرَهِ»[١]، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات الموصل]

[٨٥] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ المُوصِلِ[٢].

خطَبَها رجلٌ، فقالَتْ للرَّسولِ: «قُلْ له: ما يسُرُّنِي أنَّكَ لي عبْدٌ وجميعُ ما تملِكُه[٣] لي، وأنَّك شغلتَنِي عنِ الله طرفَةَ عينٍ»[٤]، والله أعلَمُ.

* * *

[رقية، من عابدات الموصل]

[٨٦] ومِنْهُنَّ: رقيّةُ.

من عابِداتِ المُوصِلِ[٥].

قالَ فتحُ الموصِلِيُّ[٦]: سمِعْتُها تقولُ: «إلهِي وسيِّدِي ومولايَ، لو أنَّكَ عذَّبْتَنِي بعذابِكَ كلِّه لكانَ ما فاتَنِي مِن قُرْبِكَ أعظَمَ عندِي مِن العذابِ، ولو نعَّمْتَنِي[٧] بنعيمِ أهْلِ الجنَّةِ كلِّهِم، كانَتْ لذَّةُ حُبِّكَ في قلْبِي أكثَرَ»[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٢٨٠).

(٢) انظر ترجمتها في «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨)، وذكر أن اسمها ألوف.

(٣) في (د): «تملك».

(٤) انظر: «قوت القلوب» (٢: ٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).

(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).

(٦) في (ب): «الموصل».

(٧) في (ب): «نعمتي».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).

وقالَتْ: «إنّي لأحِبُّ ربِّي حُبًّا شديدًا، فلو أمَرَ بي[1] إلى النّارِ ما وجَدْتُ للنارِ حرًّا معَ حبّه؛ لأنّ حبّه هوَ الغالِبُ عليَّ»[2].

وكانَتْ تقولُ: «حرامٌ على قلْبٍ فيه رهبانيّةُ المَخلوقِينَ أنْ يذوقَ حلاوَةَ [٣٤/أ] الإيمانِ، شغَلُوا قُلوبَهم بالدُّنيا عنِ الله عزَّ وجلَّ، ولو ترَكُوها لجالَتْ في الملكوتِ، ورجَعَتْ إليهم بطُرَفِ[3] الفوائدِ»[4].

وكانَتْ تقولُ: «تفَقَّهُوا في مذاهبِ الإخلاصِ، ولا تفَقَّهُوا فيما يؤدِّيكُم[5] إلى الرُّكوبِ على القلاصِ»[6]. والله أعلَمُ.

* *

[موافقة]

[٨٧] ومِنْهُنَّ: موافقةُ، وقيلَ: موفَّقةُ، من عابداتِ المُوصلِ[7].

قالَ فتحُ الموصلِيُّ[8]: «مرَّتْ بي موافقةُ، فعثرَتْ فسقَطَ ظفْرُ إبهامِها، فضحِكَتْ، فقيلَ لها: يا موافقةُ، يسقُطُ ظفْرُ إبهامِك وتضحكِينَ؟! فقالَتْ: إنّ حَلاوةَ ثوابِه أزالَ عن قلْبِي مرارةَ وجعِه»[9]، والله أعلَمُ[10].

---

(١) في (س) و(ب): «أمرني».
(٢) انظر: «ذم الهوى» (٨٠)، «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).
(٣) في (د): «بظرائف».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).
(٥) في (س) و(ب): «يؤد بكم».
(٦) القلاص من الإبل: الفتية منها. انظر: «المحكم» (٦: ٢٠٤). وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٨).
(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).
(٨) «الموصلي» ليس في (ب).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).
(١٠) جاء بعدها في (د) وحاشية (س): «ووقع مثل ذلك لامرأة فتح الموصلي، قدس الله تعالى روحها». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).

[راهبة من عابدات الموصل]

[٨٨] ومِنْهُنَّ: راهبةٌ[١]، من عابِداتِ الموصلِ[٢].

قالَ أحمَد بنُ أبي الحوارِيِّ: «حدَّثَتْنِي امرأتِي رابعةُ أنّها دخَلَتْ على امرأةٍ عاتقٍ، فقالَتْ لها: هل تدْرِينَ[٣] ما قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]؟ قالَتْ: قلْتُ: لا، فقالَتْ: القلْبُ السَّليمُ الذي يلْقَى الله عزَّ وجَلَّ وليسَ فيه غيرُ الله عزَّ وجَلَّ».

قالَ أحمَدُ: «فحَدَّثْتُ به أبا سُليمانَ الدّارانِيَّ، فقالَ: ليسَ هذا كلامُ الرّاهبةِ، هذا كلامُ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ»[٤]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات الكوفة]

[٨٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ الكُوفةِ[٥].

قالَ عُبيدُ[٦] الله بنُ عبدِ الخالقِ: «سَبَى الرُّومُ نِساءً مُسلماتٍ، فبلَغَ الخبَرُ الرِّقَّةَ وبِها هارونُ الرَّشيدُ أميرُ المُؤمنينَ، فقيلَ لمنصورِ بنِ عمّارٍ: لوِ اتَّخذْتَ مَجلسًا بالقرْبِ مِن أميرِ المُؤمنينَ، فحرَّضتَ[٧] النّاسَ على الغزْوِ، ففعَلَ،

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).
(٢) في (د): «الموصلي». (٣) في (د): «أتدري».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٥٩).
(٥) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣).
(٦) في (د): «عبد».
(٧) في (د): «فخرصت».

فبيْنا[١] هوَ يذكِّرُهم ويحرِّضُهم إذا بخِرقةٍ مصرورةٍ مَختومةٍ قد طُرِحَتْ إلى منصورٍ، وإذا كتابٌ مَضمومٌ إلى الصرَّةِ، ففَكَّ الكتابَ، فقرَأه[٢]، فإذا فيه:

إنّي امرأةٌ مِن أهلِ البيوتاتِ[٣] مِن العربِ، بلَغَني ما فعَلَ الرُّومُ بالمُسلماتِ، وسمِعْتُ تحريضَكَ[٤] النّاسَ على الغزوِ وترغِيبَكَ في ذلكَ، فعمِدْتُ إلى أكرمِ شيءٍ مِن بدَني وهما ذُؤابتايَ، فقطَعْتُهما وصررْتُهما في هذه الورقةِ[٥] المَختومةِ، وأنا أنشدُكَ بالله العظيمِ لما جعَلْتَهما قيدَ فرَسٍ[٦] غازٍ[٧] في سبيل الله عزَّ وجَلَّ، فلعلَّ الله العليّ العظيمَ أن ينظُرَ إليَّ على تلك الحالِ[٨] [٣٤/ب] فيرحَمَني بها، فبَكَى وأبْكَى النّاسَ[٩]، وأمَرَ هارونُ[١٠] أن يُنادَى بالنَّفيرِ، فغَزا بنفسِه، فأنْكَى[١١] في العدوِّ، وفتحَ الله تعالى عليهِم»[١٢]. والله أعلَمُ.

* *

[عابدة من أهل الشام]

[٩٠] ومِنْهُنَّ: عابدةٌ مِن أهلِ الشامِ[١٣].

نُقلَ عنها مثْلُ ذلكَ.

---

(١) في (د): «فبينما».

(٢) في (د): «وقراه».

(٣) في (س): «البيتوتات»، وفي (د): «البيوقات».

(٤) في (د): «بتحريضك».

(٥) في (د): «الرقعة».

(٦) في (س): «قوس».

(٧) «غاز» ليس في (ب).

(٨) «الحال» ليس في (ب).

(٩) «الناس» ليس في (ب).

(١٠) في (د): «وأمر نادون».

(١١) في (د): «فأبكى».

(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣).

(١٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣).

قالَ أبو قُدامَـةَ الشامِيُّ: «كنت أميرًا على الجيشِ فـي بعضِ الغَـزواتِ[١]، فدخَلْتُ فـي بعضِ البلْدانِ فدعَوْتُ النّاسَ إلى الغزْوِ، ورغَّبْتُهم فـي الثوابِ، وذكَرْتُ فضْلَ الشَّهادةِ وما لأهْلِها، ثمَّ تفرَّقَ النّاسُ، فركِبْتُ فرَسِي وسِرْتُ إلى مَنزِلِي، فإذا بامرأةٍ[٢] مِن أحسَنِ النّاسِ تنادي: يا أبا قُدامةَ، فقلْتُ: هذه مكيدةٌ مِن الشيطانِ، فمَضَيْتُ ولم أُجِبْها[٣]، فقالَتْ: ما هكذا كانَ الصالحونَ، فوقَفْتُ، فجاءَتْ فدفَعَتْ إليَّ رُقعةً وخِرقَةً مشدودَةً، وانصرَفَتْ وهي[٤] باكيةً، فنظَرْتُ في الرُّقعةِ فإذا فيها مكتوبٌ: إنّكَ دعَوْتَنا إلى الجهادِ، ورغَّبْتَنا في الثَّوابِ، ولا قُدْرةَ لي على ذلكَ، فقطَعْتُ أحسَنَ ما فيَّ وهُما ضَفيرتاي، وأنفَذْتُهما إليكَ؛ لتجعَلَهما قيدَ فرَسِكَ، لعلَّ الله عزَّ وجَلَّ يَرَى شعْرِي قيدَ فرسِكَ في سبيلِه فيغفِرَ لي.

فلمّا كانَتْ[٥] صبيحةُ القتالِ، فإذا بغلامٍ بينَ يَدَي الصُّفوفِ فتًى[٦] يقاتِلُ، فتقدَّمْتُ إليْهِ وقلْتُ: يا فتـى، أنتَ غلامٌ، ولا آمَنُ أن تجولَ[٧] الخيلُ فتَطَأكَ بأرجُلِها، فارجَـعْ عن موضِعِك هـذا، فقالَ: أتأمُرُنـي بالرُّجوعِ[٨]، وقد قـالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

فحمَلْتُه على هَجِينٍ كانَ معِي، فقالَ: يا أبا قُدامةَ، أقرِضْنِي ثلاثةَ أسهمٍ،

---

(١) في (د): «غزوات الشام».
(٢) في (د): «بإمرأة خلفي».
(٣) في (س): «ولم أجب».
(٤) «وهي» مثبت من (د).
(٥) في (د): «كان».
(٦) «فتى» مثبت من (د).
(٧) في (د): «تحول».
(٨) في (د): «أن أرجع».

فقلْتُ: أهذا[١] وقْتُ قرضٍ؟ فما زالَ يلِحُّ عليَّ حتَّى قلْتُ: بشرطِ إنْ مَنَّ الله عزَّ وجَلَّ بالشَّهادةِ أكونُ[٢] في شفاعتِكَ؟ فقالَ: نَعَمْ، فأعطيْتُه ثلاثةَ أسهمٍ، فوضَعَ سَهمًا[٣] في قوسِه، وقالَ: السَّلامُ عليكَ يا أبا قُدامةَ، ورَمَى به روميًّا[٤]، [٣٥/أ] ثمَّ رَمَى بالآخَرِ، وقالَ: السَّلامُ عليكَ يا أبا قُدامةَ، فقتَلَ رُوميًّا، ثمَّ رَمَى بالآخَرِ، وقالَ: السَّلامُ يا أبا قُدامةَ سلامُ مُودِّعٍ، فجاءَه سهمٌ فوقَعَ بينَ عينَيْه، فوضَعَ رأسَه على قَرَبوسِ[٥] سَرْجِه، فتقدَّمْتُ إليه، وقلْتُ: لا تنْسَها[٦]؟

قالَ: نَعَمْ، ولكِنْ لي إليكَ حاجةٌ، إذا دخَلْتَ المدينةَ فأْتِ والِدتِي وسلِّمْ خرْجِي إليها، وأخبِرْها، فهيَ التي أعطَتْكَ شعْرَها؛ لتقيِّدَ به فرسَكَ، وسلِّمْ عليها؛ فإنَّ العامَ الأوَّلَ أُصيبَتْ بوالِدِي، وفي هذا العامِ أُصيبَتْ بي، ثمَّ ماتَ، فحفَرْتُ له ودفَنْتُه، فلمّا همَمْنا بالانصرافِ عن قبْرِه قَذفَتْه الأرضُ فألقَتْه على ظهرِها، فقالَ أصحابِي[٧]: إنّه غلامٌ غِرٌّ[٨]، ولعلَّه خرَجَ بغيرِ إذْنِ أمِّه[٩].

---

(١) في (د): «ما هذا». (٢) في (د): «أن أكون».
(٣) «سهمًا» ليس في (ب).
(٤) في (س) و(ب): «الروميا»، وفي (د): «فقتيل روميًا».
(٥) في (س) و(ب) و(د): «قربوص»، قال الصفدي في «تصحيح التصحيف» (٤٢٠): «ويقولون: قربوص السرج. والصواب قربوس، بالسين وفتح الراء». قال الزبيدي في «تاج العروس» (١٦: ٣٦١): «قال ابن دريد، في كتاب «السرج واللجام» ونقلته منه من غير واسطة: إن القربوس: حنو السرج، وهما قربوسان، وهما متقدم السرج ومؤخره، ويقال لهما: حنواه، وهما من السرج بمنزلة الشرخين من الرحل».
(٦) في (د): «تنسى».
(٧) في (ب): «أصحابه».
(٨) في (س) و(ب): «غزا»، وفي (د): «غمر».
(٩) في (د): «والدته».

فقلْتُ: إنّ الأرضَ لتقبَلُ مَـن هوَ شرٌّ مِـن هذا، فقمْتُ وصلَّيْتُ ركعتينِ، ودَعَوْتُ الله عزَّ وجَلَّ، فسمِعْتُ صوتًا يقولُ: يا أبا قُدامةَ اترُكْ وليَّ الله عزَّ وجَلَّ، فما برحْتُ حتَّى نزَلَتْ(١) عليه طيورٌ خضرٌ(٢) فأكلَتْه، فلمّا أتيْتُ المدينةَ ذهَبْتُ إلى دارِ والدتِه، فلمّا قرَعْتُ البابَ، خرَجَتْ أختُه، فلمّا رَأَتْنِي عادَتْ، وقالَتْ: يا أُمّاه هذا أبو قُدامةَ ليسَ معَهُ أخِي، قد أُصِبْنا(٣) في العامِ الأوَّلِ(٤) بأبِي، وفي هذا العامِ بأخِي، فخرَجَتْ أمُّه، فقالَتْ: أمُعَزِّيًا؟

فقلْتُ: ما مَعْنى هذا؟ فقالت(٥): إن كانَ ماتَ فعزِّنِـي، وإن كانَ استُشْهِدَ فهنِّئنِي، فقالَتْ: له علامةٌ فهل رَأيْتَها؟ قلْتُ: نَعَمْ، لم تقبَلْه الأرضُ ونزَلَتِ الطُّيورُ فأكَلَتْ لحْمَهُ، وبقِيَتْ عِظامُه فدفَنْتُها، فقالَتْ: الحمْدُ لله، فسلَّمْتُ إليها الخرْجَ، ففتَحَتْه فأخرَجَتْ(٦) مِسْحًا وغُلًّا مِن حديدٍ، وقالَتْ: إنّه كانَ إذا جنَّهُ اللَّيلُ لبِسَ هذا المِسْحَ وغَلَّ نفسَه بهذا الغُلِّ، وناجَى مَوْلاه، وقالَ في مُناجاتِه: احشُرْنِـي في حواصِلِ الطُّيورِ، فقد استجابَ الله عزَّ وجَلَّ دعاءهُ»(٧). والله أعلَمُ.

قلْتُ: فعْلُ هذه المرأةِ والتي قبْلَها بشعْرِهِما ذلكَ إنّما حمَلَهُما على ذلكَ(٨) حُسْنُ القَصْدِ [٣٥/ب]، إلا أنّهما(٩) أخطَأتا في ذلكَ؛ فإنّ التَّقرُّبَ إلى الله عزَّ وجَلَّ إنّما يكونُ في الأمورِ المأذونةِ منه سُبحانَه وتعالَى ومِن رَسولِه ﷺ، فينبَغِي لمَنْ أرادَ أن يفعَلَ شيئًا على وجْهِ التقرُّبِ إلى الله عزَّ وجَلَّ أنْ لا يفعَلَ ذلكَ إلا بأنْ يقتَدِيَ بمَنْ يُرجَعُ إليه في الدِّينِ والعلْمِ(١٠).

---

(١) في (ب): «نزل».
(٢) «خضر» مثبت من (د).
(٣) في (د): «فقد أصابتنا».
(٤) في (د): «الماضي».
(٥) في (س): «فقلت».
(٦) في (د): «وأخرجت».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٣٦٣-٣٦٤).
(٨) «ذلك» ليس في (س) و(د).
(٩) في (د): «لأنهما».
(١٠) في (د): «في العلم والدين».

أما[١] الذينَ لا علْمَ لهم؛ كمشايخِ هذا الزَّمانِ مِن المُتصوِّفةِ فلا مُعوَّلَ عليهم؛ فإنّهم على جهلٍ وبدعةٍ وقلَّةِ دِينٍ، ألا تَرَى أنّه لو دَعاهُ مَكّاسٌ إلى وليمةٍ بادَرَ إلى أكْلِها، وإن كانَتْ[٢] مثل قَطْعِ الطَّريقِ، ولو أهْدَى إليه ظالمٌ شيئًا؛ وزيرًا كانَ أو قاضي الرِّشَى أو غيرَ ذلكَ قبِلَه وبشَّ[٣] له، وهذا عينُ الفسْقِ، ومثْلُ هذا لا يُقتَدَى به ولا يُعوَّلُ عليه؛ فإنّه مفسِدٌ لنفسِه ولغيْرِه مِن الجَهَلةِ.

وأمّا الفَقيهُ الذي لا يتوقَّفُ فيما يأكُلُ ولا[٤] يكتَسِي، ويجالِسُ الظَّلَمةَ ويوادِدُهُم، فهذا أيضًا لا يُسأَلُ ولا يُلتفَتُ إلى قولِه[٥]؛ فإنّه مُفسِدٌ للشَّريعةِ المُطهَّرةِ، وهوَ ملعونٌ بنصِّ القُرآنِ على لسانِ الأنبياءِ إن أنكَرَ عليهم ثمَّ استمَرَّ يُجالِسُهم ويُؤاكِلُهم، وإن لم ينكِرْ عليهم فأيُّ لعنٍ يلحَقُه؟ فإنْ أعانَهم على ما هُم عليه مِن الظُّلمِ فهذا فيهِ[٦] فتنتُه فتنةٌ عظيمةٌ.

ففي[٧] الحديثِ مِن روايةِ كعبِ بنِ عُجرةَ رضِيَ الله عنه، أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ: «**مَنْ دَخَلَ عَلَى الظَّلَمَةِ، وصَدَّقَهُمْ في كَذِبِهِمْ، وأعانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فلَيْسَ مِنِّي ولَسْتُ مِنْهُ، ولا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، ومَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُصَدِّقْهُمْ في كَذِبِهِمْ، ولَمْ يُعِنْهُمْ[٨] عَلَى ظُلْمِهِمْ، فهُوَ مِنِّي وأنا مِنْهُ، وسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ**»[٩].

---

(١) في (د): «وأما».
(٢) في (د): «كان».
(٣) في (د): «وبشر».
(٤) في (د): «وما».
(٥) في (س): «قبوله».
(٦) «فيه» مثبت من (د).
(٧) في (س): «في».
(٨) في (س): «يعينهم».
(٩) «جامع الترمذي» (٦١٤)، و«سنن النسائي» (٤٢٠٨) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» (١: ٣٩٨-٣٩٩)، و«البدر المنير» (٩: ٣٥٥).

قالَ العُلماءُ: ولا أحَدَ أسوَأُ حالًا ممَّن تبرَّأ منه رَسولُ الله ﷺ.

وقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**وَلا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ**»، فيه إشارةٌ إلى أنّه يُسلَبُ.الإيمانُ بسببِ دُخولِه عليهم وتصديقِهم على ظُلْمِهم؛ لأنّ المعاصِيَ [٣٦/أ] بريدُ الكفرِ[١]، كما وقعَتْ إليه الإشارةُ في القُرآنِ العظيمِ والسُّنَّةِ الشريفةِ[٢] الصَّحيحةِ، وقد أجمَعَ على ذلكَ السَّلفُ، وقالُوا: إنّما يظهَرُ ذلكَ عندَ الموتِ[٣]. واللهُ أعلَمُ.

*

[طافية من عابدات بيت المقدس]

[٩١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ بيتِ المقدسِ، اسمُها طافيةُ[٤].

قالَ عطاءٌ الخُراسانِيُّ: «كانَتْ طافيةُ تأتِي بيتَ المقدسِ؛ تتعبَّدُ فيه، وكانَ وهْبُ بنُ مُنبهٍ يقولُ: يا طافيةُ ما أشَدُّ العمَلِ عليكِ؟

---

(١) في (د): «يريد الاستحلال».

(٢) «الشريفة» مثبت من (د).

(٣) جاء في حاشية (ب): «قال إبراهيم بن أدهم: كنت سائرًا نحو بيت المقدسِ، فلقيت سبعة رجال، فسلمت عليهم، فقلت: أفيدوني شيئًا ينفعني الله تعالى به، فقالوا: انظر كل قاطع يقطعك عن الله فاقطعه عنك. قلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: لا ترج أحدًا غير الله تعالى، ولا تخف أحدًا سوى الله تعالى. قلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: عليك بالدعاء والتضرع، والبكاء في الخلوات، والتضرع والخشوع والرحمة للمسلمين، والنصح لهم. فقلت: زيدوني رحمكم الله، قالوا: اللهم حُل بيننا وبينه؛ فقد شغلنا عنك، فنظرت إليهم فلم أر أحدًا منهم نفعني الله بهم. من «طهارة القلوب» لعبد العزيز الديريني، ويقال: الدميري». اهـ. انظر: «طهارة القلوب» (١٣٤).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).

فتقولُ: ما أَجِدُنِي[١] أَجِدُ شيئًا أَشَدَّ عليَّ مِن طُولِ الفكْرِ، فقالَ: وكيفَ ذلكَ؟ فتقولُ: إنّي إذا تفكَّرْتُ في عَظمةِ الله عزَّ وجَلَّ وأمْرِ الآخرةِ طاشَ عقْلِي، وأظلَمَ عليَّ[٢] بصَرِي، واسترخَتْ لذلكَ مفاصِلِي، فقالَ لها وهبُ بنُ مُنبهٍ: إذا أنتِ وجَدْتِ ذلكَ فافزَعِي إلى قراءةِ القُرآنِ في المُصحفِ»[٣]، والله أعلَمُ.

*

[لبابة من عابدات بيت المقدس]

[٩٢] ومِنْهُنَّ: لبابةُ، من عابِداتِ بيتِ المقدسِ[٤].

قالَ محمَّدُ بنُ رَوحٍ: قالَتْ لبابةُ المتعبِّدة: «إنّي لأستحْيِي منه أن يرانِي مُشتغلةً بغيْرِه»[٥].

وقالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَ محمَّدُ بنُ رَوحٍ: قالَتْ لي لبابةُ المتعبِّدةُ: «ما زِلْتُ مُجتهدةً في العبادَةِ حتَّى صِرْتُ أستروِحُ[٦] بها، وإذا تعِبْتُ مِن لقاءِ الخلْقِ آنسَنِي بذكْرِه، وإذا أعيانِي الخلْقُ روَّحَنِي التفرُّغُ لعبادَةِ الله عزَّ وجَلَّ والقيامُ إلى خدمتِه»[٧].

قالَ لها رجلٌ: «أريدُ الحجَّ فبماذا[٨] أدْعُو في الموسمِ؟ فقالَتْ: سلِ الله

(١) «أجدني» ليس في (د). (٢) «علي» ليس في (ب).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠). (٦) في (ب): «أتروح».
(٧) في (ب): «والقيام لخدمته». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠).
(٨) في (د): «فماذا».

عزَّ وجَلَّ أنْ يَرْضَى عنكَ، ويبلِّغَكَ منزلَ الراضينَ عنه، وأن يجعَلَ ذكْرَكَ فيما بينَ أوليائِه»(١). واللهُ أعلَمُ.

* *

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٣] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ بيتِ المقدسِ(٢).

قالَ أبو جعفرٍ السّائحُ: «رأيْتُ عَجوزًا في بيتِ المقدسِ تقولُ: حجَجْتُ ماشيةً اثنتي عشْرَةَ حجَّةً ما ركِبْتُ فيها، فقلْتُ لها: في بيتِ المقدسِ مثْلُكِ مِن المتعبِّداتِ؟ فذكَرَتْ نِسوةً يفعَلْن مثْلَ(٣) ما تفعَلُ(٤)، يحمِلْنَ مَغازلَنا إلى

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٠). وجاء في حاشية (ب): «وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: دخل يحيى بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس، وهو ابن ثمان سنين، فرأى عُبّادَ بني إسرائيل قد لبسوا مدارع الصوف والشعر، ونظر إلى اجتهادهم وما هم يصنعون بأنفسهم، فهاله ذلك، فرجع إلى أبويه فسألهما، فألبساه مدرعة من شعر، ولزم بيت المقدس، فكان يخدمه نهارًا، وينقطع فيه ليلًا، حتى أتت عليه خمس عشر سنة، فخرج إلى البوادي والجبال والغدران والشعاب، فخرج أبواه في طلبه، فوجداه على بحيرة الأردن، ورجلاه في الماء، وقد كاد العطش أن يهلكه، وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك؟ فسألاه أبواه أن يفطر على قرص شعير كان معهما ويشرب الماء، ويرجع معهما، ففعل ذلك وكفر عن يمينه، فلذلك مدحه الله تعالى بالبر فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]، فرجع إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي يبكي حتى يبكي معه الشجر والمدر، ويبكي زكريا عليه السلام؛ لبكائه، حتى خرق الدمع في خديه طريقين، فقال له أبوه: يا بني سألت ربي أن يهبك لي؛ لتقر عيني بك، فما هذا البكاء؟ فقال: يا أبت، إن جبريل أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء، قال زكريا: فابك يا يحيى». اهـ. وانظر: «طهارة القلوب» (٨٦-٨٧).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٣) «مثل» ليس في (ب). (٤) في (د): «فعل».

المسجدِ فلا يخرُجْنَ[١] منه إلا لحاجةٍ، فقلْتُ: فكَمْ بقِيَ مِن القومِ بهذِه[٢] الصِّفةِ؟ فقالَتْ: نحوٌ مِن عشرةٍ، قلْتُ: فمَنْ أعبَدُكُنَّ؟ فقالَتْ: امرأةٌ من قُريشٍ ما نَراها تكلِّمُ أحدًا؛ إنَّما هيَ في الصَّلاةِ قائمةٌ وراكعةٌ وساجدةٌ، يأتِيها أهْلُها بما يُصْلِحُها»[٣]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٤] ومِنْهُنَّ عابِدَةٌ من عابِداتِ بيتِ المقدسِ. [٣٦/ب]

قالَ أبو جعفر[٤] السّائحُ[٥]: «رأيْتُ امرأةً في بيتِ المقدسِ في بيتٍ متعبَّدة[٦]، عليها مِدْرعَةٌ مِن شعرٍ وخِمارٌ مِن شَعرٍ وسِوارٌ مِن حديدٍ، وكانَ لها سلسلةٌ تعلِّقُ نفْسَها بها باللَّيلِ، فقلْتُ لها: متى أخذْتِ فيما أنتِ فيه؟ فقالَتْ: منذُ ثمانِ سنينَ، قال: ورأيْتُ نسوةً كثيرةً عليهِنَّ مدارعُ مِن صوفٍ وخُمُرٌ معتكفاتٍ في المسجدِ لا يتكلَّمْنَ[٧] بالنَّهارِ»[٨]. واللهُ أعلم.

---

(١) في (ب): «نخرج». (٢) قوله: «بهذه» في (س) و(ب): «من هذه».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٤) في (س) و(د): «بكر»، وبعدها في (س) و(ب) و(د): «ابن».

(٥) في (ب): «المسامح». (٦) في (س): «في متعبد لها».

(٧) في (د): «لا يتكلمون».

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١). جاء في حاشية (ب): «وقال فرقد السبخي: دخل بيت المقدس خمس مئة عذراء من بني إسرائيل، لباسهن الصوف، فتذاكرن ثواب الله وعقابه، فمتن كلهن في يوم واحد. قال النووي في «تحريره على التنبيه»: البكر: العذراء الباقية على حالها الأول، وصاحبة البكارة، والجمع: أبكار، والمصدر: البكارة بالفتح». اهـ. وانظر: «تحرير ألفاظ التنبيه» للإمام النووي (٢٥١).

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٥] ومنهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ بيتِ المقدسِ[١].

قالَ أبو سُليمانَ الدّارانِـيُّ: حدَّثَني سعيدٌ الإفريقِيُّ قالَ: كنْتُ ببيتِ المقدسِ معَ أصحابٍ لي في المسجدِ، فإذا أنا بجاريةٍ عليها دِرْعٌ مِن شَعرٍ وخمـارُ صوفٍ، وإذا هيَ تقولُ: إلهي وسيِّدِي، ما أضيقَ الطـريقَ على مَـن لم تَكُنْ دليلَه، ومَا[٢] أوحَشَ خَلوةَ مَـن لـم تكُنْ[٣] أنيسَـه، فقلْتُ: يا جـاريةُ ما قطَعَ الخلْقَ عـنِ الله عزَّ وجلَّ؟

قالَتْ: حبُّ الدُّنيا، إلا أنّ لله عزَّ وجَلَّ عبادًا سَقاهُم مِن حُبِّهِ شربةً فولَهَتْ قُلوبُهُم، فلم يحِبُّوا معَ الله تعالى غيْرَه، ثمَّ قالَتْ[٤]:

تَــزَوَّدْ قَرِينًـا مِــنْ فِعالِــكَ إنّما ... قَرِينُ الفَتَى في القَبْرِ ما كانَ يَعْمَلُ[٥]
ألا إنّما الإنْســانُ ضَيْــفٌ لِأهْلِهِ ... يُقِيــمُ قَلِيلًا عِنْدَهُمْ ثُــمَّ يَرْحَلُ[٦]

* * *

[عابدة من عابدات بيت المقدس]

[٩٦] ومنهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ بيتِ المقدسِ[٧].

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٢) في (س): «و».

(٣) «تكن» ليس في (د).

(٤) هذه الأبيات للصلصال بن الدلهمس أنشد بها رسول الله ﷺ، انظر: «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» (٢: ١٦٩)، و«الدر الفريد وبيت القصيد» (٥: ٣٠٢)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (١: ٤٠٧).

(٥) في (د): «يفعل».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠١).

(٧) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٢).

قالَ عاصمٌ الرُّصافي: حدَّثَنِي عُثمانُ الرجاني[١]، قالَ: «خرَجْتُ مِن بيتِ المقدسِ أريدُ بعضَ القُرى في حاجةٍ، فلقيَتْنِي عجوزٌ عليها جُبَّةُ صوفٍ وخِمارُ صوفٍ، فسلَّمْتُ فرَدَّتْ عليَّ السَّلامَ، ثمَّ قالَتْ: يا فتى، مِن أينَ أقبلْتَ؟

قلْتُ: مِن هذه القريةِ، فقالَتْ: وأينَ تُريدُ؟ قلْتُ[٢]: إلى بعضِ القُرى، فقالَتْ: كم بينَكَ وبينَ أهلِكَ؟ قلْتُ: ثمانيةَ عشرَ مِيلًا، فقالَت: إنّ هذه لحاجةٌ[٣] مهمَّةٌ، قلْتُ: أجَل، قالَتْ: فما اسمُكَ؟

قلْتُ: عُثمانُ، قالَتْ: يا عُثمانُ، ألا سألْتَ صاحبَ القريةِ أن يوجِّهَ إليكَ بحاجتِكَ ولا تتعَنَّى، قالَ: ولم أعلَمِ الذي أرادَتْ، قلْتُ: يا عجوزُ، ليسَ بينِي وبينَ صاحبِ القريةِ معرفةٌ.

فقالَتْ:/ يا عُثمانُ، ما الذي[٤] أوحَشَ بينَكَ وبينَ معرفتِهِ، وقطَعَ بينَكَ [٣٧/أ] وبينَ الاتصالِ به؟ فعرَفْتُ الذي أرادَتْ، فبكَيْتُ، فقالَتْ: مِن[٥] أيِّ شيءٍ تبْكِي؟ مِن شيءٍ كُنتَ فعَلْتَه ثمَّ نسِيتَه، أم مِن شيءٍ أُنسِيتَه ثمَّ ذكَرْتَه؟

قالَ: مِن شيءٍ نسيتُه ثمَّ ذكَرْتُه، فقالَتْ: يا عُثمانُ، احمَدِ الله تعالى الذي لم يترُكْكَ في حيرتِكَ[٦]، أتحِبُّ الله عزَّ وجَلَّ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَتْ: اصدُقْنِي، قلْتُ: إي والله إنِّي لأحِبُّ الله عزَّ وجَلَّ، قالَتْ: فما الذي أفادَكَ مِن طرائفِ[٧] حِكمتِه إذ أوصلَكَ[٨] إلى محبَّتِه؟

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «الوحامي»، وفي «صب الخمول»: «الوجافي».

(٢) في (د): «فقلت».

(٣) في (د): «لحاجته».

(٤) في (د): «للذي».

(٥) في (د): «عن».

(٦) بعدها في (د): «ثم قال».

(٧) في (ب): «ظريف»، وفي (د): «ظرائف».

(٨) في (س): «إذ أواصلك»، وفي (د): «إلى أن أوصلك».

قالَ: فبقِيتُ لا أدْرِي ما أقولُ، فقالَتْ: يا عُثمانُ، لعلَّكَ مِمَّن تحِبُّ أن تكتُمَ المحبّةَ[١]، قالَ: فبقِيتُ بينَ يدَيْها ولا أدْرِي ما أقولُ، فقالَتْ: يأْبَى الله عزَّ وجَلَّ أن يدنِّسَ طرائفَ[٢] حِكمتِه، وخفي معرفتِه، ومكنونَ محبَّتِه بممارسةِ[٣] قلوبِ البطّالينَ[٤].

قلْتُ: رحمَكِ الله عزَّ وجَلَّ، لو دعوْتِ الله عزَّ وجَلَّ أن يشغَلَنِي بمحبَّتِه، فنفَضَتْ يدَيْها في وجهِي، فأعدْتُ القولَ، فقالَتْ: يا عبدَ الله امْضِ لحاجتِكَ، فقد علِمَ المحبوبُ مناجاةَ الضَّميرِ مِن أجْلِكَ، ثمَّ ولَّتْ، وقالَتْ: لولا خوفُ السَّلبِ لَبُحْتُ بالعجَبِ، ثمَّ قالَتْ: أوه مِن شوقٍ لا يبرَأُ إلا بكَ، ومِن حنينٍ لا يسكُنُ إلا إليكَ، فأينَ لوجْهِي الحياءُ منكَ، وأينَ لعقْلِي الرُّجوعُ إليكَ، قالَ عُثمانُ: فوالله ما ذكَرْتُ ذلكَ إلا بكَيْتُ وغُشِيَ عليَّ»[٥]، والله أعلَمُ.

وقيلَ لفرْقدٍ السَّبَخِيِّ رحمه الله: «أخبِرْنا بأعجَبِ شيءٍ بلغَكَ عن بني إسرائيلَ؟ فقالَ[٦]: بلَغَنِي أنّه دخَلَ بيتَ المقدسِ خمسُ مئةِ عذراء، لباسُهُنَّ الصُّوفُ والمُسوحُ، فذكَرْنَ[٧] ثوابَ الجنَّةِ وعقابَ النَّارِ[٨]، فمُتْنَ جميعًا في يومٍ واحدٍ»[٩]. والله أعْلَمُ.

---

(١) قوله: «قال: فبقيت لا أدري ما أقول، فقالت: يا عثمان، لعلك ممن تحب أن تكتم المحبة» ليس في (ب).
(٢) في (ب): «ظرائف».
(٣) في (س) و(ب) و(د): «ممارسة»، والمثبت موافق لما في المصادر.
(٤) في (ب): «الطالبين».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٠٢)، و«صب الخمول» (١٧١-١٧٣).
(٦) في (د): «فقالت».
(٧) في «الإحياء» للغزالي: «فتذاكرن»، وفي (د): «فذكرت».
(٨) «النار» مثبت من (د).
(٩) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ١٨٥)، و«المدهش» (٤٢٤).

[زينب، عابدة بثغر طبرية]

[٩٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ بثغرِ طبريّةَ، اسمُها زينبُ[١].

قالَ سالمٌ الخوّاصُ رحمه الله: كانَتْ عندَنا جاريةٌ يقالُ لها: زينبُ، وكانَتْ تُحْسِنُ خِدمةَ[٢] مَوْلاها، فذهبتُ أسلِّمُ عليها، فقالَتْ: يا أبا محمَّدٍ، كنتُ منذُ ليالٍ قائمةً أخدُمُ فغَلَبَتْنِي عيناي فسمِعْتُ قائلًا يقولُ:

صَلاتُـكَ نُـورٌ والعِبـادُ[٣] رُقُودُ فقُومِي فصَلِّي فالعِبادُ[٤] رُقُودُ[٥] [٣٧/ب]

قـالَ: «وخرَجَتْ[٦] يومًا فـي حاجةٍ فعثـرَتْ فانقطَعَ أصبعٌ مِـن أصابعِها، فاجتمَعْنا رجالًا ونسـاءً نعزِّيها فـي أُصبعِها، فقالَتْ: يا إخوتِـي ويا أخوانِـي، أنسانِي لذَّةُ ثوابِها وجَعَها، فوهَبَ الله لي ولكم الرِّضا والعفْوَ عمّا مَضَى، قُوموا حتَّى نخدُمَ مَن الطَّريقُ عليه غدًا»[٧]، والله أعلَمُ.

* * *

[أم الدرداء، من عابدات الشام]

[٩٨] ومِنْهُنَّ: أمُّ الدَّرداءِ، وهيَ من عابِداتِ الشامِ.

واعلَمْ أنّ أمَّ الدَّرداءِ اثنتانِ:

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٤).
(٢) «خدمة» ليس في (ب).
(٣) في (ب): «والعبادي».
(٤) في (د): «والعباد».
(٥) في «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٤): «للغفور الودود».
(٦) في (ب): «خرجت».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٤).

[١] **فالكُبْرى** تُسمَّى: خيرةُ بنتُ أبي حَدْرَدٍ[(١)]، زوجةُ أبـي الدَّرداءِ، ولها صحبةٌ وروايةٌ عنِ النبيِّ ﷺ[(٢)].

[٢] وأمُّ الدرداءِ **الصُّغرى**، ويقال[(٣)] لها: هجيمةُ[(٤)]، وهيَ التي خطَبَها مُعاويةُ بعدَ موتِ أبي الدَّرداءِ، فأبَتْ أن تتزوَّجَه[(٥)].

وسببُ امتناعِها أنَّها قالَتْ: سمِعْتُ أبا الدَّرداءِ[(٦)] يقولُ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**المَرْأةُ لِآخِرِ أزْواجِها**»[(٧)]، فلسْتُ أريدُ بأبي الدَّرداءِ بدَلًا[(٨)].

ولا صُحبةَ لها معَ النبيِّ ﷺ، ورَوَتْ عن أبي الدَّرداءِ، وكلتاهُما[(٩)] زوجةُ أبي الدَّرداءِ رضِيَ الله عنه[(١٠)].

قالَ صفوانُ: قدِمْتُ الشامَ، فأتيْتُ أبا الدَّرداءِ في منزِله فلم أجِدْه، ووجَدْتُ

---

(١) انظر ترجمتها في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٤٦٢)، و«الاستيعاب» (٤: ١٩٣٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٤).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٤٦٢)، و«الاستيعاب» (٤: ١٩٣٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٤).

(٣) في (د): «يقال».

(٤) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٨).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٩٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٨).

(٦) قوله: «فأبت أن تتزوجه، وسبب امتناعها أنها قالت: سمعت أبا الدرداء» ليس في (ب).

(٧) انظر: «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤: ٣٦)، و«كشف الخفاء» (٢: ٣٥٨)، ورواه البيهقي عن حذيفة في «السنن الكبرى» (١٣٤٢١).

(٨) «تاريخ الرقة» (٣١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٥٥)، و«التذكرة بأحوال الموتى» (٩٩٣).

(٩) في (د): «وكلاهما».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٨).

أَمَّ الدَّرداءِ، فقالَتْ: أتريدُ الحجَّ العامَ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَتْ: فادْعُ لنا بخيرٍ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يقولُ: «**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لِأخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجابَةٌ، عِنْدَ**[١] **رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّما دَعا لِأخِيهِ بِخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، ولَكَ بِمِثْلٍ**[٢]»، قالَ: فخرَجْتُ فلقِيتُ أبا[٣] الدَّرداءِ، فقالَ لي مثْلَ[٤] ذلكَ، يَرْوِيه عنِ النبيِّ ﷺ[٥].

قالَ البَرقانِيُّ: هذه أمُّ الدَّرداءِ الصُّغْرى، قالَتْ: «طَلَبْتُ العبادَةَ في كلِّ شيءٍ، فما وجَدْتُ شيئًا أشْفَى لصدْرِي ولا أحْرَى أنْ أُصيبَ به الذي أُريدُ مِن مجالسِ الذِّكرِ»[٦].

قال لها إبراهيمُ بنُ أبي عبلةَ[٧]: «ادْعي لنا، فقالَتْ: أوَبلغْتُ أنا ذلكَ»[٨]. رضِيَ الله عنها.

قالَ ميمونُ بنُ مِهْرانَ: «ما دخَلْتُ على أمِّ الدَّرداءِ في ساعةِ صلاةٍ إلا وجَدْتُها مُصليةً»[٩].

قالَ يونسُ بنُ مَيسرةَ: «كانْ يحضُرُ أمَّ الدَّرداءِ الصُّغْرَى[١٠] نساءٌ مُتعبِّداتٌ

---

(١) في (د): «وعند».
(٢) في (س): «بمثله».
(٣) في (د): «أم».
(٤) «مثل» ليس في (ب).
(٥) «مسند أحمد» (٢١٧٥٥)، والحديث في «صحيح مسلم» (٢٧٣٢) بدون القصة.
(٦) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٩٢١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (٦٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).
(٧) في (د): «عيلة».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).
(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٥٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).
(١٠) «الصغرى» ليس في (س) و(د).

يقمْنَ اللَّيلَ كلَّه، حتَّى إن أقدامَهُنَّ لَتَنْتَفِخُ[١] مِن طُولِ القيامِ»[٢].

[٣٨/أ] قالَ هزانٌ[٣]: «قالَتْ أمُّ الدَّرداءِ: هل تدْرِي ما يقولُ الميِّتُ على سريرِه؟ فقلْتُ: لا، فقالَتْ: إنّه يقولُ: يا أهلاهُ، ويا جيراناهُ[٤]، ويا حملةَ سريراهُ، لا تغرنَّكُمُ الدُّنيا كما غرَّتْني، ولا تلْعَبَنَّ بكُمُ الدُّنيا كما لعِبَتْ بي؛ فإنّ أهْلِي لا يحمِلُونَ عنِّي مِن وزْرِي شيئًا، الدُّنيا لقُلوبِ العابِدينَ أسحَرُ مِن هاروتَ وماروتَ، وما آثَرَها أحَدٌ إلا أصرَعَتْ[٥] خدَّه»[٦].

قالَ سعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ: «أشرَفَتْ أمُّ الدَّرداءِ على وادِي جهنَّمَ، ومعَها إسماعيلُ بنُ عُبيدٍ، فقالَتْ: يا إسماعيلُ اقْرَأْ، فقرَأ[٧]: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فخَرَّتْ أمُّ الدَّرداءِ على وجْهِها، وخرَّ إسماعيلُ على وجْهِه، فما رَفَعا رُؤوسَهما حتَّى ابتلَّ ما تحتَ وُجوهِهما مِن دُموعِهما»[٨] رضِيَ اللهُ عنهُما.

هكذا[٩] كانوا إذا سمِعُوا كلامَ ربِّهم وجِلَتْ قلوبُهم، وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادَتْهم إيمانًا وعَلى رَبِّهم يَتوكَّلُون[١٠].

---

(١) في (س) و(ب): «انتفخ».
(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).
(٣) في النسخ: «هزال»، والمثبت موافق لما في المصادر.
(٤) في (د): «وا أهلاه، وا جيراناه». (٥) في (ب): «صرعت».
(٦) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٩٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ١٦٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩).
(٧) في (ب): «فقرأت».
(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٨: ٤٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٢٩-٤٣٠)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٤: ١٧٠٠).
(٩) في (د): «فهكذا». (١٠) قوله: «وعلى ربهم يتوكلون» مثبت من (د).

وأَنْتُنَّ يا نساءَ هذا الزَّمانِ تُتْلى عليكُنَّ[١] آياتُ الله فلا تَجِدنَ[٢] مِن الخشيةِ ما يزجُرُكُنَّ عن بعضِ ما أنتُنَّ عليه مِن المصائبِ والمُخالفاتِ، وتتلذَّذُ إحداكُنَّ بمزاميرِ الشيطانِ[٣]، وبالغناءِ[٤] الذي هوَ[٥] قرآنُ الشيطانِ[٦]، أيُّ مُصيبةٍ عليكُنَّ أعظَمُ مِن ذلكَ.

وكأنِّي بِكُنَّ وقد اقتديْتُنَّ في ذلكَ بفُقراءِ زمانِنا هذا، الجُهّالِ الضُّلالِ[٧]، الذينَ إذا ذكَرْتَ لأحدِهم آيةً أو حديثًا عن رَسولِ الله ﷺ لم يجِدْ لذلكَ وقعًا في قلْبِه، ورُبَّما وقعَ في قَلْبِهِ كَراهيةُ ذلكَ، فهؤلاءِ وأشباهُهم فسَقَةٌ مبتدعةٌ، عليهم مِن الله عزَّ وجَلَّ ما يستحِقُّونَ على هذه الصِّفاتِ الخبائثِ.

وقد ذكَرْتُ فصلًا في كتابي «**سَيرِ السّالكِ في أسْنَى المَسالكِ**» يتعلَّقُ بذلكَ، وهوَ فصْلٌ مهِمٌّ، نبَّهْتُ فيه على نَزَغاتِ الشَّيطانِ لهم في ذلكَ، وغيرِ ذلكَ ممّا هوَ مفيدٌ ويرشِدُ إلى الخيرِ وإلى طريقِ السلامةِ[٨] إن شاءَ الله تعالى، والله أعلَمُ.

قالَ شهرُ بنُ حَوْشَبٍ: «قالَت أمُّ الدَّرداءِ: إنّما الوجَلُ في قلْبِ المُؤمنِ كاحتراقِ السَّعفةِ، أما تجِدُ له[٩] قشعريرةً؟ قالَ: بَلَى، قالَتْ: فادْعُ إذا وجَدْتَ ذلكَ؛ فإنّ الدُّعاءَ/ يُستجابُ[١٠] عندَ ذلكَ»[١١]، والله أعلَمُ. [٣٨/ب]

* * *

(١) في (س) و(ب): «عليكم».
(٢) في (س) و(ب): «تجدون».
(٣) في (س) و(ب): «الشياطين».
(٤) في (س): «وبلغنا».
(٥) «هو» ليس في (د).
(٦) انظر: «إغاثة اللهفان» (١: ٤٠٠)، و«غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١: ١٥٤).
(٧) في (ب): «الضالين».
(٨) في (د): «الطريق المستقيم والسلامة».
(٩) في (د): «لها».
(١٠) في (د): «مستجاب».
(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٠).

[أم البنين بنت عبد العزيز]

[٩٩] ومِنْهُنَّ: أمُّ البنينَ، بنتُ عبدِ العزيزِ[١]، أختُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ.

كانَتْ تقولُ: «ما تحَلَّى المُتحلُّونَ بشيءٍ أحسَنَ عليهم مِن عِظمِ مَهابةِ الله عزَّ وجَلَّ في صُدورِهم»[٢].

وكانَتْ تقولُ: «أفٍّ للبُخلِ، لو كانَ قميصًا ما لبِسْتُه، ولو كانَ طريقًا ما سلَكْتُه»[٣].

وكان النساءُ ربَّما يجتمِعْنَ عندَها يتحدَّثْنَ وهيَ قائمةٌ تصلِّي، فإذا فرَغَتْ تقولُ: «أحِبُّ حديثَكُنَّ، فإذا قمْتُ إلى الصَّلاةِ نسيتُكُنَّ»، وكانَتْ تكسُوهُنَّ الثِّيابَ وتعطيهُنَّ[٤] الدَّنانيرَ، وتقولُ: «الكسْوةُ لكُنَّ، والدنانيرُ أَقْسِمْنَها[٥] بينَ فُقرائِكُنَّ»[٦].

وتقولُ: «والله لَلمواساةُ[٧] أحَبُّ إليَّ مِن الطعامِ الطيِّبِ على الجوعِ، ومِن الشرابِ البارِدِ على الظمأِ»[٨].

وكانَتْ تقولُ: «ما حَسدْتُ أحدًا على شيءٍ إلا أن يكونَ مَعروفًا؛ فإنّي أحِبُّ أن أكونَ شريكةً في ذلكَ»[٩]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ٢٠٤)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٧: ١٨٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧١).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧٢).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧١).
(٤) في (س) و(ب): «وتعطهن».
(٥) في (س) و(ب): «أقسمها».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١١: ٧٢).
(٧) في (د): «المواساة».
(٨) انظر: المصدر السابق.
(٩) انظر: المصدر السابق.

[عبدة أخت أبي سليمان الداراني]

[١٠٠] ومِنْهُنَّ: عبدةُ، أخْتُ أبي سُليمانَ الدّارانِيِّ[١].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَ أبو[٢] سُليمان الدّارانِيُّ: «وصَفْتُ لأختِي عبدةَ قنطرةً مِن قناطرِ جهنَّمَ، فأقامَتْ يومًا وليلةً في صيحةٍ واحدةٍ ما تسكُتُ، ثمَّ انقطَعَ عنها، فقلْتُ: مِن أيِّ شيءٍ كانَ صياحُها؟ فقالوا[٣]: مثَّلَتْ نفْسَها على القنطرَةِ»[٤].

وقالَ أبو سُليمانَ: سمِعْتُ أختِي تقولُ: «الفُقراءُ كلُّهم أمواتٌ، إلا مَن أحْياهُ الله عزَّ وجَلَّ بعزِّ القناعةِ، والرِّضا بفقْرِه»[٥].

وكانَ لأبي سُليمانَ أختانِ: عبدةُ وآمِنةُ، وكانَتا[٦] مِن العقلِ والدِّينِ بمَحلٍّ عظيمٍ[٧]. والله أعلم.

* * *

[رابعة بنت إسماعيل]

[١٠١] ومِنْهُنَّ: رابعةُ بنتُ إسماعيلَ[٨].

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ٢٦٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣١).

(٢) «أبو» ليس في (س). (٣) في (س): «فقالت»، وفي (ب): «فقال».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٢٠: ١٧٨).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣١).

(٦) في (س) و(ب): «وكانت».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ٥٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٨) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٥)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ١٤٦). =

زوجةُ أحمَدَ ابنِ أبي الحوارِيِّ، خادِمِ أبـي سُليمانَ الدَّارَانِـي[١] رضِيَ الله عنهم.

وهذه رابعةُ شاميّةٌ، ورابعةُ العدويّةُ بصريّةٌ[٢].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ «قلْتُ لزوجَتِي رابعةَ وقد قامَتْ تصلِّي بليلٍ: قد رأيْنا أبا سُليمانَ وتعبَّدْنا[٣] معَه، فما رأينا مَن يقومُ مِن أوَّلِ اللَّيلِ، فقالَتْ: سُبحانَ الله! مثْلُكَ يتكلَّمُ بهذا، إنّما أقومُ إذا نُوديتُ»[٤].

[٣٩/أ] قالَ: «وجلسْتُ آكُلُ، فجعَلَتْ تذكِّرُني، فقلْتُ: دَعِينا نَتَهَنَّأ طعامَنا، فقالَتْ: ليسَ أنا وأنتَ ممَّن يتنغَّصُ عليه الطَّعامُ عندَ ذكْرِ الآخرةِ»[٥].

قالَ أحمَدُ: قالَت لـي: «أعلِمْتَ أنَّ العبْدَ إذا عمِلَ بطاعةِ الله عـزَّ وجَـلَّ أطلَعَه الله[٦] الجبّارُ على مَساوئِ عمَلِه، فتشاغَلَ به دُونَ خلْقِه؟»[٧].

= في حاشية (س): «رابعة الدمشقية، هي بنت إسماعيل، زوجة أحمد ابن أبي الحواري المذكور، كانت من الصالحات، القانتات، الصائمات، العابدات، الزاهدات، وهي التي قبرت باطن.. الكبرى، وكانت في الشام كرابعة العدوية البصرية، وهي مولاة، عابدة، ناسكة، صائمة، قائمة، قانتة، ماتت بالبصرة سنة خمس وثلاثين ومئة، وقد جاوزت الثمانين، وهذا رد لقول: أنها ماتت بمصر، ولقول أنها ماتت بالقدس ودفنت بجبل الطور؛ لأنها كانت من السياحات».

(١) «الداراني» مثبت من (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٥)، و«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١١: ١٤٦).

(٣) في (د): «تطعمنا وتعبدنا».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٥: ١٧٤-١٧٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

(٦) لفظ الجلالة ليس في (س).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).

وقالَ: قالَتْ لي: «إنّي لأضَنُّ[١] باللُّقمةِ الطَّيِّبةِ أنْ أطْعِمَها نفْسِي، وإنّي[٢] لأرَى ذِراعِي قد سمِنَ فأحزَنُ»[٣].

ومَعْنى أضَنُّ: أبخَلُ[٤] أنْ آكُلَها؛ نظرًا منها إلى قولِه عزَّ وجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] الآية.

وأمّا خوفُ السِّمنِ في ذِراعِها فلأجْلِ أكْلِ الدُّودِ له، وخوفًا مِن وُقوفِ الحِسابِ لأجْلِ كثرَةِ الأكْلِ، رضِيَ الله عنها.

قالَ: «وكنْتُ إذا نظَرْتُ إلى وجْهِها ورقبَتِها فأحزَنُ لذلكَ»[٥].

قالَ: وكانَتْ تقولُ: «لسْتُ أُحِبُّكَ حُبَّ الأزواجِ، إنّما أحِبُّكَ حُبَّ الإخوانِ، وإنّما رغِبْتُ فيكَ رغبةً[٦] في خِدمتِكَ، وإنّما أحِبُّ وأتمَنَّى أنْ يأكُلَ مالِي مثْلُكَ ومثْلُ إخوانِكَ»[٧].

وكانَتْ إذا طبَخَتْ قِدْرًا، قالَتْ: كُلْه[٨] يا سيِّدي، فما نضجَتْ إلا بالتسبيحِ[٩].

وقالَتْ: لسْتُ أستحِلُّ أنْ أمنعَكَ نفْسِي وغيْرِي، اذهَبْ فتزوَّجْ، فتزوَّجْتُ ثلاثًا، فكانَتْ تطعِمُنِي اللحمَ، وتقولُ: اذهَبْ بقوَّتِكَ إلى أهْلِكَ، وكنْتُ إذا

---

(١) في حاشية (س): «أضن بالضاد: أي أبخل».
(٢) في (د): «ولأني».
(٣) في (س) و(د): «لأحزن». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).
(٤) انظر: «الصحاح» (٦: ٢١٥٦)، و«لسان العرب» (١٣: ٢٦١).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).
(٦) قوله: «فيك رغبة» ليس في (ب).
(٧) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٥٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٨) في (د): «كل».
(٩) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).

أردْتُ[١] قرْبَها نهارًا، تقولُ: أسألُكَ بالله تعالى لا تفطرْنِي اليومَ، وإذا أردْتُها باللَّيلِ تقولُ: أسألُكَ بالله لَما[٢] وهَبْتَنِي لله عزَّ وجَلَّ هذه اللَّيلةَ، وكانَ معَها سبعَةُ آلافِ دِرهمٍ أنفقَتْها عليَّ»[٣].

وكانَتْ تقولُ لي: «ما سمِعْتُ الأذانَ إلا ذكَرْتُ مُنادِيَ يوم[٤] القيامةِ، ولا رأيْتُ الثَّلجَ إلا ذكَرْتُ تطايُرَ الصُّحفِ، ولا رأيْتُ الجرادَ إلا ذكَرْتُ الحَشرَ»[٥].

قالَ: وكانَتْ تقولُ: «ربَّما رأيْتُ الجنَّ يذهَبُونَ ويجِيئُونَ، وربَّما رأيْتُ الحُورَ العِينَ يستتِرْنَ[٦] منِّي بأكمامِهنَّ، وقالَت بيدِها على رأْسِها، ودعَوْتُها يومًا فلم تجِبْنِي، فلمّا كانَ بعدَ ساعةٍ أجابَتْنِي، وقالَتْ: إنّما منعَنِي أنْ أُجيبَكَ أنّ قلْبِي كانَ قدْ امتلأ فرحًا بالله عزَّ وجَلَّ فلم أقدِرْ أجيبكَ»[٧]. [٣٩/ب]

قالَ أحمَدُ: «كانَتْ لرابعَةَ زوجَتِي أحوالٌ شتَّى؛ مرَّةٌ يغلِبُ عليها الخوفُ، ومرَّةٌ يغلِبُ عليها الأنْسُ، ومرَّةٌ يغلِبُ عليها الحُبُّ، سمِعْتُها في حالِ الحُبِّ تقولُ[٨]:

حَبِيبٌ لَيْسَ يَعْدِلُهُ[٩] حَبِيبُ ... وَلا لِسِواهُ فِي قَلْبِي نَصِيبُ
حَبِيبٌ[١٠] غابَ عَنْ بَصَرِي وشَخْصِي ... ولَكِنْ عَنْ فُؤادِي لا يَغِيبُ

---

(١) في (د): «طلبت». (٢) في (د): «إلا».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣). (٤) «يوم» ليس في (س).
(٥) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٠)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٦) في (ب): «ليسترن».
(٧) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).
(٨) في (د): «فتنشد وتقول». (٩) في (س): «بعدك».
(١٠) جاء بعدها في (س): «عسى».

وسمِعْتُها في حالِ الأنسِ تقولُ:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فـي الفُؤادِ مُحَدِّثِي ... وأبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أرادَ جُلُوسِي
فالجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤانِسٌ ... وحَبِيبُ قَلْبِي في الفُؤادِ أنِيسِي

وسمِعْتُها في حالِ الخوفِ تقولُ:

وَزادِي قَلِيلٌ مـا أُراهُ مُبَلِّغِي ... ألِلزّادِ أبْكِي أمْ لِطُولِ[١] مَسافَتِي؟
أتَحْرِقُنِي بالنار[٢] يـا غايَةَ المُنَى ... فأيْنَ رَجائِي فيكَ[٣] أيْنَ مَحَبَّتِي؟[٤]

رضي الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

[أم هارون]

[١٠٢] ومِنْهُنَّ: أمُّ هارونَ[٥].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: «قالَ عبدُ العزيزِ: قالَتْ أمُّ هارونَ وكانَتِ امرأةً خيِّرةً، وكانَتْ مِن الخائفاتِ العابِداتِ، وقد أنزَلَتِ الدُّنيا مَنزلتَها، فكانَتْ تأكُلُ الخبْزَ وحْدَه، قالَتْ: بأبي الليل، اللَّيلُ ما أطيَبَه؛ إنِّي[٦] لأَغتَمُّ بالنَّهارِ حتَّى

---

(١) في (د): «لبعد».
(٢) قوله: «بالنار» ليس في (س).
(٣) في (د): «منك».
(٤) في حاشية (ب): «أين مخافتي»، وأشار أنها في نسخة. وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٩: ١١٨)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٠٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٢).
(٥) انظر ترجمتها في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠: ٢٦٥)، و«ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٦) «إني» مثبت من المصادر.

يجِيءَ اللَّيلُ، فإذا جاءَ قمْتُ أوَّلَه، فإذا جاءَ السَّحَرُ دخَلَ الرَّوحُ قلْبِي»[1].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: «خرَجَتْ أمُّ هارونَ يومًا تريدُ[2] حاجةً، فصاحَ صبِيٌّ بصبيٍّ[3]: خذُوهُ، فسقَطَتْ، فوَقعَتْ[4] على حَجَرٍ فدمِيَتْ، وظهَرَ[5] الدَّمُ مِن مِقنَعتِها»[6].

قالَ أبو سُليمانَ الدّارانِيُّ: «مَن أرادَ أن ينظُرَ إلى صَعقٍ صحيحٍ، فلينظُرْ إلى أمِّ هارونَ، ما كنتُ أظُنُّ أن يكونَ في الشامِ مثْلُ أمِّ هارونَ»[7].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَتْ لي رابعَةُ: «ما دهَنَتْ أمُّ هارونَ رأْسَها منذُ عشرينَ سنةً، فإذا كشَفْنا رُؤوسَنا كانَ شعْرُها أحسَنَ مِن شُعورِنا»[8].

[٤٠/أ] وكانَتْ أمُّ هارونَ تأتِي بيتَ المقدسِ مِن دمشقَ في كلِّ شهرٍ مرَّةً على رجلَيْها، قالَتْ أمُّ هَـارونَ[9]: «فبينا[10] أنا ببَيْسانَ[11]، فإذا قـدْ عرَضَ لي هذا الكلْبُ، يعْنِي الأسدُ، فمَشَى نحْوِي، فلمّا قرُبَ منِّي نظَرْتُ إليه، وقلْتُ: تعالَ

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٢) في (د): «تريد لصبي».
(٣) في (س): «لصبي».
(٤) في (س): «فوضعت».
(٥) في (س): «فظهر».
(٦) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٧) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤-٦٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٩) «أم هارون» مثبت من (د).
(١٠) في (د): «بينا».
(١١) قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١: ٥٢٧): «بَيْسانُ: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، ونون: مدينة بالأردنّ بالغور الشامي، ويقال هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة، وهي عين فيها ملوحة يسيرة، جاء ذكرها في حديث الجساسة».

يا كلْبُ، إن كـانَ لك رِزقٌ فكُلْ، فلـمّا سَمِـع كلامِي أقْعَى ثمَّ ولَّـى راجـعًا»[١] رضِيَ الله عنها.

قالَ لها أحمد بنُ أبي الحوارِيِّ: «يا أمَّ هارونَ، أتحبِّينَ الموتَ؟ قالَتْ: لا، قـالَ[٢]: ولِمَ؟ قالَتْ: لـو عَصَيْتُ آدميًا مـا أحبَبْتُ لقاءَهُ، فكيفَ أحِبُّ لقـاءَ الله عزَّ وجَلَّ وقد عصَيْتُه»[٣]، والله أعلَمُ.

* * *

[البيضاء من عابدات الشام]

[١٠٣] ومِنْهُنَّ: البيضاءُ، مِن عابِداتِ الشامِ[٤].

قالَ أحمَد بنُ أبي الحوارِيِّ: قالَتْ أسماءُ الرَّمليّةُ وكانَتْ مِن العابِداتِ تقولُ: «سألْتُ البَيضاءَ، فقلْتُ: يا أختِي، هلْ للمحِبِّ لله دلائلُ يُعرَفُ بها؟ فقالَتْ: يا أخْتِي والمحِبُّ للسيِّدِ يخْفَى؟

لو جهَدَ المحِبُّ أن يخْفَى ما خفي. قلْتُ: صِفيه لي؟ فقالَتْ: لو رأيْتِ المحِبَّ لله عزَّ وجَلَّ لرأيْتِ عَجبًا عَجيبًا مِن والِهٍ ما يقِرُّ على الأرضِ، طائرٌ مستوحِشٌ أنْسُه في الوحدةِ[٥]، قد مُنِـعَ مِن الراحةِ، طعامُه الحُبُّ عندَ الجـوعِ، وشرابُه الحُبُّ عندَ الظمأِ، ولا يمَلُّ مِن طُولِ[٦] الخدمَةِ لله عزَّ وجَلَّ»[٧]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٢) في (د): «قلت».
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٦: ١٣٥)، و«ذكر النسوة المتعبدات» (٦٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٣).
(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤).
(٥) في (د): «الوحشة».
(٦) «طول» ليس في (ب).
(٧) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤).

[آمنة الرملية]

[١٠٤] ومِنْهُنَّ: آمِنةُ الرَّمليّةُ(١).

قالَ جعفرُ بنُ محمَّدٍ صاحِبُ بشْرِ بنِ الحارِثِ: «اعتَلَّ بشْرٌ فعادَتْه آمِنةُ الرَّمليّةُ مِن الرَّملةِ، فإنّها كانتْ(٢) عندَه إذ دخَلَ الإمامُ أحمَدُ يعودُه، فقالَ: مَن هذهِ؟

فقالَ: آمنَةُ الرَّمليّةُ، بلَغَها علَّتِي فجاءَتْ مِن الرَّملةِ تعودُني، فقالَ: سلْها تدْعُو لنا، فقالَتْ: اللَّهمَّ إن بِشرًا وأحمَدَ يستجيرانِكَ مِن النارِ فأجِرْهُما، قالَ الإمامُ أحمَدُ فانصرفْتُ، فلمّا كانَ مِـن(٣) اللَّيلِ طُـرِحَتْ إليَّ(٤) رُقعةٌ فيها: بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ، قد فعَلْنا ولدينا مَزيدٌ»(٥)، والله أعلَمُ.

* *

[مولاة لأبي أمامة من عابدات الشام]

[١٠٥] ومِنْهُنَّ: مولاةٌ لأبي أمامةَ، من عابِداتِ الشامِ(٦).

قالَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ يزيدَ(٧): قالَتْ لي(٨) مولاةٌ لأبي أمامَةَ: «كانَ أبو أمامةَ يحِبُّ الصَّدقةَ ولا يرُدُّ سائلًا، ولو تصدَّقَ ببيضةٍ أو ثمرةٍ أو بشيءٍ ممّا يؤكَلُ،

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤).
(٢) «كانت» مثبت من (د).
(٣) «من» ليس في (ب).
(٤) في (ب): «لي».
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٤-٤٣٥).
(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦).
(٧) في (د): «مزيد».
(٨) «لي» ليس في (ب).

فأتاه سائلٌ ذاتَ يومٍ وقدْ أُفقِرَ من ذلكَ كلِّه، وما عندَه إلا ثلاثةُ دَنانيرَ، فسألَهُ[١] سائلٌ فأعْطاهُ دِينارًا، ثمَّ أتاهُ سائلٌ آخَرُ فأعطاهُ دِينارًا، ثمَّ أتاهُ ثالثٌ فأعطاهُ [٤٠/ب] الثالثَ.

قالَتْ: فغضِبْتُ، وقلْتُ: لم تترُكْ لنا شيئًا، قالَتْ: فوضَعَ رأسَه لوقْتٍ مِن القائلةِ، قالَتْ: فلمّا نُودِيَ للظُّهرِ أيقَظْتُه فتوضَّأ ثمَّ راحَ إلى المسجدِ، قالَتْ: فرَقَقْتُ[٢] عليه، أي: حزِنْتُ، وكانَ صائمًا، فاقترَضْتُ ما جعَلْتُه عَشاءً له وأسرَجْتُ له سِراجًا، وجئْتُ إلى فِراشِه لأمهِّدَه له، فإذا بذهبٍ فعدَدْتُها، فإذا ثلاثُ مئةِ دِينارٍ.

قالَ: فقلْتُ: ما صنَعَ الذي صنَعَ إلا وقد وثِقَ بالذي خلَّفَ، فأقبَلَ بعدَ العِشاءِ؛ فلمّا رأى المائدَةَ والسِّراجَ تبسَّمَ، وقالَ: هذا خيرٌ مِن غيرِه، قالَتْ: فلمّا تعَشَّى قلْتُ له: يرحَمُكَ[٣] الله عزَّ وجَلَّ خلَّفْتَ هذه النَّفقةَ في سبيلِ مَضيعةٍ ولم تخبِرْني فأرفَعْها؟

فقالَ: وأيُّ نفقةٍ، ما خلَّفْتُ شيئًا؟ قالَتْ: فرفَعتِ الفِراشَ، فلمّا أن رَآهُ اشتَدَّ تعَجُّبُه، قالَت: فقمْتُ وقطعْتُ زُنّارِي، وأسلَمْتُ، قالَ عبدُ الرَّحمنِ: فأدركْتُها في مسجدِ حِمْصَ وهيَ تعلِّمُ النساءَ القُرآنَ والسُّننَ والفرائضَ وتُفقِّهُهُنَّ في الدِّينِ»[٤]، والله أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (ب): «فسأل».

(٢) في (ب): «فوقفت»، وفي (د): «فرفعت».

(٣) في (د): «رحمك».

(٤) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١٢٩)، و«البر والصلة» لابن الجوزي (٢٠٥-٢٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٨)، و«تاريخ الإسلام» (٦: ٢٢٩).

[امرأة عابدة من عابدات الشام]

[١٠٦] ومِنْهُنَّ: امرأةٌ عابِدةٌ مِن عابِداتِ الشامِ[١].

قالَ أحمَدُ بنُ أبي الحواريِّ: «بينا أنا[٢] ذاتَ يومٍ في بلادِ الشامِ في قُبَّةٍ مِن قِبابِ المقابرِ، ليسَ عليها بابٌ إلا كساءٌ قد أسبَلْتُه، فإذا أنا بامرأةٍ تدُقُّ الحائطَ، فقلْتُ: مَن هذا؟ فقالَت: امرأةٌ ضالةٌ دُلَّني على الطَّريقِ رحِمَكَ الله عزَّ وجَلَّ، فقلْتُ: عن أيِّ الطَّريقِ تَسْألينَ؟ فبكَتْ، ثمَّ قالَتْ: عن طريقِ النجاةِ؟

فقلْتُ: هَيْهاتَ، إنَّ بينَنا وبينَ طريقِ[٣] النجاةِ عِقابًا[٤]، وتلك العِقابُ[٥] لا تُقْطَعُ إلا بالسيرِ الحثيثِ، وتصحيحِ المُعاملةِ، وحذْفِ العلائقِ الشّاغلةِ مِن أمْرِ الدنيا والآخرةِ، قالَ: فبكَتْ بُكاءً شديدًا، ثمَّ قالَت: يا أحمَدُ سُبحانَ مَن أمسَكَ عليكَ جوارحَكَ فلم تنقطِعْ، وحفِظَ عليكَ فُؤادَك فلم يتصدَّعْ[٦]، ثمَّ خرَّتْ مَغشِيًّا عليها، فقلْتُ لبعضِ النساءِ: انظرْنَ أيُّ شيءٍ حالُ هذه الجاريةِ[٧]؟

[٤١/أ] فقمْنَ إليها، فإذا وصيَّتُها في جَيبِها: كفِّنونـي في أثوابي هذهِ؛ فإنْ كانَ لي عندَ الله تعالى خيرٌ فهوَ أسعَدُ لي، وإن كانَ غيرُ ذلكَ فبُعدًا لنفسِي، فحرَّكُوها فإذا هيَ ميتةٌ، رحمةُ الله عزَّ وجَلَّ عليها، فقلْتُ: لمَنْ هذه الجاريةُ؟

فقالُـوا: جاريةٌ قرشيّةٌ[٨] كانَتْ تشْكُو إلينـا وجعًا بجَوْفِـها[٩]، فكُنّا نصِفُها

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٦).
(٢) «أنا» مثبت من (د).
(٣) في (س) و(ب): «طرق».
(٤) في (د): «عقبات».
(٥) في (د): «العقبات».
(٦) في (س): «ينصدع».
(٧) في (د): «المرأة».
(٨) في (ب): «قريشية».
(٩) في (د): «في جوفها».

لأطباءِ الشامِ، وكانَتْ تقولُ: خلُّوا بينِي وبينَ الطَّبيبِ الرّاهبِ تعْنِي أحمَدَ بنَ أبي الحوارِيِّ أشْكُو إليه بعضَ ما أجِدُ مِن بلائِي، لعلَّه يكونُ عندَه شِفائِي»[١]، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات الشام]

[١٠٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ الشامِ[٢].

قالَ محمَّدُ بنُ سعدٍ التَّيمِيُّ: «رأيْتُ جاريةً سوداءَ في بعضِ مُدنِ الشامِ، وبيدِها[٣] خُوصٌ تَسُفُّه، وهيَ تقولُ:

لَـكَ عِلْمٌ[٤] بما يَجِـنُّ فُؤادِي فارْحَمِ اليَوْمَ ذِلَّتِـي وانْفِرادِي

فقلْتُ: يا سوداءُ، ما علامَةُ المُحِبِّ؟ وإذا رجُلٌ قد صرَخَ بالقرْبِ منها فنظرَتْ إليَّ وإلى الرَّجلِ، وقالَتْ: يا بطّالُ، علامَةُ المُحِبِّ الصّادقِ لله في حُبِّه أن يقولَ لهذا المجنونِ: قُمْ، فيقومُ[٥]، فإذا الرَّجلُ قد قامَ، وإذا الجنيّةُ تقولُ لها على لسانِه: وحقِّ صدْقِ حُبِّكِ لربِّكِ لا رجَعْتُ إليه أبدًا»[٦]. والله أعلَمُ.

*

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١١)، و«شعب الإيمان» (٢: ٢٨٩).

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٣٧).

(٣) في (د): «ومعها».

(٤) في (د): «قد علمت».

(٥) «فيقوم» ليس في (د).

(٦) انظر: «مصارع العشاق» (٢: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٣٧).

[فاطمة، من عابدات مصر]

[١٠٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ مصرَ، واسمُها فاطمةُ، وتُعرَفُ بالصوفيّةِ(١).

لأنّها كانَتْ لا تنامُ إلا في مُصلاها بلا وِطاءٍ، فوقَ ستِّينَ سنةً، وكانَ عمُرُها فوقَ ثمانينَ سنةً(٢)، واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عزيزة زوجة الروذباري]

[١٠٩] ومِنْهُنَّ: عزيزةُ(٣).

وزوْجُها السَّيِّدُ الجليلُ الرُّوذبارِيُّ المعروفُ بأبي عليٍّ(٤).

---

(١) انظر ترجمتها في: «تاريخ ابن يونس المصري» (١: ٥٢٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٦٣٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٦: ٥١٥).

(٢) انظر: «تاريخ ابن يونس المصري» (١: ٥٢٨)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٦٣٠)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٦: ٥١٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «تاريخ بغداد» (٢: ١٨٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥)، ذكر السلمي في «ذكر النسوة المتعبدات» (٨٦) أن فاطمة زوجته، والصواب أن فاطمة أخته، وزوجته عزيزة.

(٤) اختلف في اسمه فقيل: أحمد بن محمد بن القاسم. انظر: «طبقات الصوفية للسلمي» (٢٦٩)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤: ٥٣٥)، و«طبقات الشافعيين» (١٩٧)، و«المقفى الكبير» (١: ٣٨٢)، ورجحه تاج الدين السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٣: ٤٨)، وقيل: محمد بن أحمد بن القاسم. ورجحه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢: ١٨٠)، فقال: «أحمد بن عطاء يقول: كان اسم خالي أبو علي أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور ابن شهريار بن مهرقاذار بن فرغدذ بن كسرى. قلت: ولا أشك أن الذي حكى عن أحمد بن عطاء هو الواهم في اسم أبي علي، وذلك أن اسمه: محمد بن أحمد بن القاسم ذكره غير واحد، وحكت عنه أخته أم سلمة فاطمة بنت أحمد، وزوجته: أم اليمن عزيزة بنت محمد =

لها كلامٌ نافعٌ؛ منه: «كيفَ لا أرغَبُ في تَحصيلِ ما عندَكَ وإليكَ مرجِعِي، وكيفَ لا أحِبُّك وما لقِيتُ الخيرَ إلا منكَ، وكيفَ لا أشتاقُ إليكَ وقد شوَّقْتَنِي»[١].

وكانَتْ تقولُ: «لا ينتفِعُ العبْدُ بشيءٍ مِن أفعالِه كما ينتفِعُ بطلَبِ قُوتِه مِن حلالٍ».

وكانَتْ إذا أتَتْ[٢] عليها جِمالُ الحَجيجِ تبْكِي، وتقولُ: «واضعفاهُ»، وتنشِدُ وتقولُ:

وَما بالُ زَعْمِي لا يَهُونُ عَلَيْهِمُ   وقَدْ عَلِمُوا أنْ لَيْسَ لِي مِنْهُمُ بُدُّ

ثم تقولُ: «هذه حسرَةُ مَنِ انقطَعَ عنِ الوصولِ إلى البيتِ، فكيفَ تَرَى حسرَةَ مَنِ انقطَعَ عنِ الوُصولِ إلى ربِّ البيتِ؟»[٣]. [٤١/ب]

والله أعلَمُ[٤].

* *

= ابن عمرو بن فارس، وحدثني محمد بن علي الصوري، قال: رأيت أجزاء بخط أبي علي الروذباري في آخرها مكتوب، وكتب: محمد بن أحمد بن القاسم. على أن شهرة اسمه تغني عن الاستشهاد بما ذكرته». وانظر: «مرآة الزمان» (١٧: ٨٦).

(١) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥).

(٢) في (د): «مر».

(٣) انظر: «ذكر النسوة المتعبدات» (٨٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٧: ٩١).

(٤) جاء بعدها في (د) وحاشية (س): «ومنهن: فاطمة أخرى يقال لها: بنت عمران. ويقال: إنها رابعة وقتها، وكانت مقيمة على تفقد الفقراء والمساكين، وأهل الحاجات والضرورات والغرباء، فأعطيت استجابة الدعوة، وماتت على ذلك، قدس الله تعالى روحها». اهـ. انظر ترجمتها في «ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» (١١١).

[تحية النوبية]

[١١٠] ومِنْهُنَّ: تحيّةُ النوبيّةُ[١]، مِن عابِداتِ مصرَ[٢].

قالَ السُّلمِيُّ: سمِعْتُ المالينِيَّ[٣] الصُّوفي يقـولُ: «سمِعْتُ تحيّةَ، وهيَ تُناجِي ربَّها فتقولُ: يا مَن يحِبُّني وأحِبُّه، فقلْتُ لها: يا تحيّةُ، هَبِي أنّكِ تحبِّينَ الله عزَّ وجَلَّ، فمِن أينَ تعلَمِينَ أنّه يحِبُّكِ؟

فقالَتْ: كنتُ في بلدِ النُّوبةِ، وأبوايَ كانا نصرانِيَّيْنِ، وكانَتْ أمِّي تحملنِي[٤] إلى الكنيسةِ وتجيءُ بي[٥] عندَ الصليبِ، وتقول: قبِّلي الصليبَ، فإذا همَمْتُ بذلكَ أرى كفًّا يخرُجُ فيرُدُّ وجْهِي حتَّى لا أقبِّلَه، فعلِمْتُ أنّ عنايتَه بي قديمةٌ»[٦]، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات مصر]

[١١١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مِن عابِداتِ مصرَ.

قالَ محمَّدُ بنُ شجاعٍ الصُّوفي: «كنْتُ بمصْرَ أيّامَ سياحتِي، فتاقَتْ نفْسِي إلى النساءِ، فذكَرْتُ ذلكَ لبعْضِ إخوانِي، فقالَ لي: هنا امرأةٌ صوفيّةٌ لها ابنةٌ مثْلُها جميلةٌ، قد ناهزَتِ[٧] البُلوغَ.

---

(١) في (س): «النوتية».

(٢) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥).

(٣) في (س) و(ب) و(د): «الهاليني».

(٤) في (د): «تعملني».

(٥) جاء بعدها في (س): «إلى».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٤٥٥).

(٧) في (س): «باهرت».

قالَ: فخطبْتُها وتزوَّجْتُها، فلَمّا دخلْتُ إليها وجدْتُها مستقبلَةَ القِبْلةِ، قالَ: فاستحيَيْتُ أنْ تكونَ صبيّةً في مثْلِ سنِّها تصلِّي وأنا لا أصلِّي، فاستقبَلْتُ القبلةَ وصلَّيْتُ ما قُدِّرَ لي حتَّى غلبَتْنِي عيناي فنمْتُ في مُصلاي، ونامَتْ في مُصلاها، فلمّا كانَ في اليومِ الثّاني كانَ مثْل ذلكَ[١] أيضًا، فلمّا طالَ عليَّ، قلْتُ: يا هذهِ، أما[٢] لِاجتماعِنا معْنًى؟

فقالَتْ لي[٣]: أنا في خِدمةِ مَولاي، ومَن له حقٌّ فما أمنَعُه، قالَ: فاستحيَيْتُ مِن كلامِها، وتمادَيْتُ على أمْرِي نحْوَ الشهرِ، ثمَّ بَدا لي في السفرِ، فقلْتُ لها: يا هذهِ؟ فقالَتْ: لبَّيكَ، قلْتُ: إنِّي أُريدُ السفرَ، فقالَتْ: مُصاحَبًا بالعافيةِ، فقمْتُ، فلمّا صرْتُ بالبابِ، قامَتْ، فقالَتْ لي: يا سيِّدِي، كانَ بينَنا عهْدٌ في الدُّنيا لم يُقْضَ بتمامِه عَسَى في الجنَّةِ إنْ شاءَ الله تعالى، فقلْتُ لها: عَسَى.

فقالَتْ: أستودِعُكَ الله خيرَ مُستودَعٍ، قالَ: فتودَّعْتُ منها وخرَجْتُ، ثمَّ جئْتُ إلى مصرَ بعدَ سنينَ، فسألْتُ عنها، فقيلَ لي: هيَ أفضَلُ ممّا ترَكْتَها عليه مِن العبادَةِ والاجتهادِ»[٤]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ[٥].

---

(١) في (س): «كان مثله».
(٢) في (د): «ما».
(٣) «لي» ليس في (ب)، وفي (د): «إلي».
(٤) «التذكرة» للحميدي (٩)، و«جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (٦١)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٥٦).
(٥) جاء بعدها في (د) وحاشية (س): «وقال حجاج بن ريان: «دخلت أنا وابن أبي رفاعة مسجد الإسكندرية، فإذا أنا بامرأة قد اعتزلت الناس وعن النساء، وجعلت حولها حظيرة من حجارة، فتقدم إليها ابن أبي رفاعة، وقال لها: ما لي أراك قد اعتزلت النساء وجعلت حولك هذه الحجارة؟ فقالت: يا أبا عبد الرحمن، كلمة من هذه، وكلمة من هذه يضيع عليَّ الوقت ويفسد الصيام، وتبدل الطاعات بالآثام، فالتفتُّ إلى ابن أبي رفاعة، وقال: ترى هذه سمعت من مالكٍ شيئًا؟ يعني: أنّ الله تعالى هو الذي بصَّرَها. فشتان بين هذه الموفَّقةِ وبين =

[عابدة وجدت بعرفات]

[٤٢/أ] [١١٢] ومنهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ بعرفاتٍ.

قالَ عبدُ الله بنُ داودَ الواسطِيُّ: «بينا أنا واقِفٌ بعرفاتٍ إذا أنا بامرأةٍ وهيَ تقولُ: مَن يهْدِه[١] الله فلا مُضلَّ له، ومَن يُضلِلْ[٢] فلا هاديَ له، فَقُلْتُ: مَنْ أنْتِ؟ فَقالَت[٣]: امرأةٌ ضالةٌ، فنزَلْتُ عن بَعيرِي، وقلْتُ لها: يا هذه ما قصَّتُكِ؟ فقالَتْ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، فقلْتُ في نفسِي: حروريّةٌ لا تَرى كلامَنا، فقلْتُ: مِن أينَ أنتِ؟ فقرأتْ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، فأركبْتُها بَعيرِي، وقدْتُ بها أريدُ رِحالَ[٤] بيتِ المقدسِ، فلمّا توسَّطْتُ، قلْتُ لها: يا هذه لمَنْ أصوِّتُ؟ فقرأتْ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، فناديْتُ: يا داودُ، يا زكريّا، يا يَحْيى، فخرَجَ إليَّ ثلاثةُ فتيانٍ مِن بينِ الرحالِ، فقالُوا: أمُّنا وربِّ الكعبةِ، ضلَّتْ منذُ ثلاثٍ[٥]، فأنزَلُوها، وأكرَمُوني، فقلْتُ: ما لها لا تتكلَّمُ؟ فقالُوا: ما تكلَّمَتْ منذُ ثلاثينَ سنةً؛ مخافَةَ أن تزِلَّ»[٦]. والله أعلَمُ.

= من لا تهتدي بنفْسِها حتى تأتي بنفسها إلى من تحادثها، وتطلق لسانها فما تقومُ إلا بكارهٍ من الآثام مع فساد الصيام». اهـ.

(١) في (د): «يهدي». (٢) في (ب): «يضل».

(٣) قوله: «من أنت فقالت» مثبت من «حلية الأولياء».

(٤) كذا في المصادر، وفي النسخ: «رجال». (٥) في (د): «ثلاثة».

(٦) في (د): «مخافة أن يزل لسانها رحمة الله عليها». وانظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١٠: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٣).

[عابدة كانت بالطواف]

[١١٣] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ كانَتْ بالطَّوافِ.

قالَ مالِكُ بنُ دِينارٍ: «بينا[١] أنا أطوفُ بالبيتِ، وإذا[٢] أنا بجُويريَةٍ مُتعبِّدةٍ، وإذا هيَ تقولُ: يا ربِّ، كم مِن شهوةٍ قد ذهبَتْ لذَّتُها وبقِيَتْ تبِعَتُها، يا ربِّ ما كانَ لك[٣] عقوبةٌ ولا أدبٌ إلا النارَ، فوالله ما زالَتْ كذلكَ حتَّى طلَعَ الفجْرُ.

قالَ مالِكٌ: فوضَعْتُ يدي على رأسِي ثمَّ صرَخْتُ وجعَلْتُ أقولُ[٤]: ثَـكِلَتْ مالِكًا أمُّه وعدِمَتْه، جُويريَةٌ منذُ اللَّيلةِ قد بطلتْهُ»[٥]، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة]

[١١٤] ومنهُنَّ: عابِدةٌ.

قالَ عبدُ العزيزِ بنُ أبي روّادٍ[٦]: «دخَلَ قومٌ حُجّاجٌ ومعَهم امرأةٌ، وهيَ تقولُ: أينَ بيتُ ربِّي؟ فنقولُ: السّاعةُ ترينَهُ، فلمّا رَأَوْه، قالُوا: هذا بيتُ ربِّكِ، فخرَجَتْ تشتَدُّ، وتقولُ: بيتُ ربِّي، حتَّى وضَعَتْ جبْهَتَها على البيتِ[٧]، فوالله [٤٢/ب]

---

(١) في (ب): «بينتنا». (٢) في (د): «إذا».

(٣) في (س): «ذلك».

(٤) في (د): «وجعلت أقول: هذه هي الخاتمة»، وما بعدها لنهاية الترجمة ليس في (د).

(٥) «أخبار مكة» للفاكهي (٦٥٢)، و«فضائل مكة» لأبي سعيد الجندي (١١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٣١)، و«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥: ٢٢٨٧).

(٦) في (ب) و(د): «داود».

(٧) في (د): «جبهتها عليه».

ما رُفِعَتْ إلا ميِّتةً»[١]. والله أعلَمُ[٢].

*

[عابدة وجدت في البيت]

[١١٥] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ عند البيتِ[٣].

قالَ إبراهيمُ بنُ مُسلمٍ: «وقَفَتِ امرأةٌ متعبِّدةٌ في جوفِ اللَّيلِ فتعلَّقَتْ بأستارِ الكعبةِ، ثمَّ بكَتْ، وقالَتْ: يا كريمَ الصُّحبةِ، ويا حسَنَ المَعونةِ، أتيتُكَ مِن شُقَّةٍ[٤] بعيدةٍ، متعرِّضةً لمعروفِكَ الذي وسِعَ كُلَّ شَيءٍ مِن[٥] خلْقكَ، فأنلْنِي مِن مَعروفِكَ مَعروفًا تغْنِيني[٦] به عن معروفِ مَن سِواكَ، يا أهْلَ التَّقوى وأهلَ المَغفرةِ، ثمَّ صرخَتْ صرخَةً سقَطَتْ لوجْهِها»[٧]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت عند الكعبة شرفها الله عز وجل]

[١١٦] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ عندَ الكعبةِ شرَّفَها الله عزَّ وجَلَّ.

---

(١) «أخبار مكة» للفاكهي (٢٣٦)، و«المدهش» (١٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٦).

(٢) جاء في حاشية (ب): «قال في «طهارة القلوب»: قال أبو طارق: شهدت ثلاثين رجلًا أتوا إلى مجلس الذكر صِحاحًا، فتصدعت قلوبهم من خشية الله فماتوا كلهم في مجلس واحد». اهـ.

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٧).

(٤) في (د): «مشقة».

(٥) قوله: «كل شيء من» مثبت من (د).

(٦) في (د): «فأغنني».

(٧) في (د): «على وجهها». وانظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٧).

قالَ سعيدٌ[١] الأزرقُ: «دخَلْتُ الطَّـوافَ ليلًا، فبينا أنا أطوفُ وإذا بامـرأةٍ في الحِجْرِ ملتزمةَ البيتِ قد عَلا نشيجُها[٢]، فدنَوْتُ منها فسمِعْتُها وهيَ تقولُ: يا مَـن لا تـراهُ العُيونُ، ولا تخالِطُـه الأوهامُ والظُّنـونُ، ولا تغيِّـرُه الحـوادثُ، ولا يصِفُه الواصفونَ، يا عالمًا بمثاقيلِ الجبـالِ، ومكاييلِ البحـارِ، وعـددِ قطْرِ الأمطـارِ، وورَقِ الأشجـارِ، وعـددِ ما أظلَمَ عليـه اللَّيلُ وأشـرَقَ عليه النَّهـارُ، أسألُكَ أن تجعلَ خيرَ عُمُرِي آخِرَه، وخيرَ عملِي خواتمَه[٣]، وخيرَ أيّامي يومَ لقائِكَ، وخيرَ ساعاتِي ساعةَ مُفارقةِ الأحبّاءِ[٤] مِن دارِ الفناءِ إلى دارِ البقاءِ، التي تكرِمُ فيها مَن أحبَبْتَ مِن أوليائِكَ[٥]، أسألُكَ يا إلهِي عافيةً جامعةً لخيرَي[٦] الدُّنيا والآخرةِ، مَنًّا منكَ عليَّ وتطوُّلًا، يا ذا الجلالِ والإكرامِ، ثمَّ صرَخَتْ وغُشِيَ عليها»[٧]. واللهُ أعلَمُ.

* * *

[عابدة رؤيت في الطواف]

[١١٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ رُؤِيَتْ في الطوافِ.

قـالَ ذو النُّـونِ المصـريُّ رحمةُ الله عليـه: «خـرَجْتُ حاجًّا إلـى بيتِ الله الحرامِ، فبينا أنا أطوفُ إذا أنا بشخصٍ متعلِّقٍ[٨] بأستارِ الكعبةِ يبْكِي ويقولُ: كتمْتُ بلائـي مِن غيـرِكَ، وبحْتُ بسرِّي إليكَ، واشتغَلْتُ بكَ عن سِـواكَ[٩]،

---

(١) في (د): «سعد».
(٢) في (د): «تسبيحًا».
(٣) في (س): «خواتيمه».
(٤) في (د): «الأحياء».
(٥) في (س): «أولئك».
(٦) في (ب) و(د): «بخيري».
(٧) «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٧).
(٨) في (د): «معلق».
(٩) في (ب): «عن من سواك».

عجِبْتُ لمَنْ عرَفَكَ كيفَ يسْلُو[١] عنكَ، ولمَنْ ذاقَ حُبَّكَ كيفَ يصبِرُ عنكَ، ثمَّ [٤٣/أ] أقبَلَ على نفْسِه فقالَ: أمْهَلَكِ فما ارعَوَيْتِ، وستَرَكِ فما استحيَيْتِ، وسلَبَكِ حلاوةَ المُناجاةِ فما باليتِ[٢]، عزيزي ما لي إذا قمْتُ بينَ يديْكَ ألقيْتَ عليَّ النُّعاسَ، ومنعْتَنِي حلاوةَ الخدمَةِ، لِمَ قرَّةَ عيْنِي لمَهْ، ثمَّ أنْشدتْ تقولُ:

رَوَّعْتَ قَلْبِي بِالفِراقِ فلَمْ أجِدْ ... شَيْئًا أمَرَّ مِنَ الفِراقِ وأوْجَعا
حَسْبُ الفراقِ بأنْ يُفَرِّقَ بيْنَنا ... فلَطالَ[٣] ما قَدْ كُنْتُ مِنْهُ مُفَزَّعا

فلم أتمالَكْ أنْ أتيْتُ الكعبَةَ مُستَخفيًا، فلَمّا أحَسَّ بي تجلَّلَ بخِمارٍ كانَ عليه، ثمَّ قالَ: يا ذا النُّونِ غُضَّ بصرَكَ[٤] فإنّي حرامٌ، فعلِمْتُ أنّها امرأةٌ، فقلْتُ: والله، لقد شغَلَنِي قوْلُكِ عن كثيرٍ ممّا كنْتُ فيه.

فقالَتْ: ولِمَ عافاكَ الله عزَّ وجَلَّ، أما علِمْتَ أنَّ لله عبادًا لا يشغَلُهم سِواه، ولا يمِيلونَ إلى ذكْرِ غيْرِه؟»[٥]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت في الطواف]

[١١٨] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في الطوافِ[٦].

---

(١) في (د): «يسأل».
(٢) في (س) و(ب): «بليت».
(٣) في (د): «فطال».
(٤) في (س): «برك».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٧٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥١٧-٥١٨)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٥: ١٨٨).
(٦) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٨).

قالَ ذو النُّونِ المصريُّ: «كنْتُ في الطَّوافِ فسمِعْتُ صوتًا حزينًا، وإذا بجاريةٍ متعلِّقةٍ بأستارِ الكعبةِ وهيَ تقولُ:

أنْتَ تَدْرِي يا حَبِيبي ... مَنْ حَبِيبي أنْتَ تَدْرِي
وَنُحُولُ الجِسْمِ والدَّمْـ ... ـعِ يَبُوحانِ بِسِرِّي
يا عَزِيزِي قَدْ كَتَمْتُ الـ ... ـحُبَّ حَتَّى ضاقَ صَدْرِي

قالَ ذو النُّون: فشَجاني ما سمِعْتُ حتَّى انتحَبْتُ وبكَيْتُ، وقالَتْ: إلهي وسيِّدي ومولاي، بحُبِّكَ لي إلا ما غفَرْتَ لي، قالَ: فتعاظَمَنِي ذلكَ، وقلْتُ: يا جاريةُ، أما يكْفيكِ أن تقولِي: بحُبِّي لكَ، حتَّى تقولِي: بحُبِّكَ لي؟

فقالَتْ: إليكَ عَنِّي[١] يا ذا النُّونِ؛ أما علِمْتَ أنّ لله عزَّ وجَلَّ قومًا يحبُّهم قبلَ أن يحبُّونَه، أما سمِعْتَ الله عزَّ وجَلَّ يقولُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، فسبَقَتْ محبَّتُه لهم قبلَ محبَّتِهم له.

فقلت: مِن أينَ علمتِ[٢] أنِّي ذو النُّونِ؟ فقالَتْ: يا بطّالُ، جالَتِ[٣] القلوبُ في ميدانِ الأسرارِ فعرَفْتُكَ، ثمَّ قالَتْ: انظُرْ خلْفَكَ، فأدَرْتُ وجْهِي، فلا أدري السماءُ اقتلعَتْها[٤] أمِ الأرضُ ابتلعَتْها؟»[٥]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة أخرى رؤيت عند الكعبة]

[١١٩] ومِنْهُنَّ: عابدةٌ أُخرى رُؤيَتْ عندَ الكعبةِ شرَّفَها الله عزَّ وجَلَّ[٦].

---

(١) «عني» مثبت من (د).
(٢) في (ب): «علمتي».
(٣) في (د): «حالت».
(٤) في (د): «اتلقتها».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٨).
(٦) انظر: المصدر السابق.

[٤٣/ب] قالَ أبو الأشهبِ السائحُ[١]: «بينا أنا فـي الطَّوافِ[٢] إذا بجاريةٍ[٣] متعلِّقةٍ بأستارِ الكعبةِ، وهيَ تقولُ: يا وحشَتِي بعدَ الأنسِ، ويا ذلّتِي[٤] بعدَ العزِّ، ويا فقْرِي بعدَ الغِنى، فقلْتُ لها[٥]: ما لكِ أذهَبَ لكِ مالٌ، أو أُصبْتِ بمصيبةٍ؟

فقالَتْ[٦]: لا، ولكن كانَ لي قلْبٌ فقَدْتُه، فقلْتُ: وهذه[٧] مُصيبتُكِ؟ فقالَتْ: وأيُّ مُصيبـةٍ أعظَمُ مِـن فقْدِ القلْبِ وانقطاعِـه عنِ المَحبـوبِ، فقلْتُ لها: إنَّ حُسنَ[٨] صوتِكِ قد عطَّلَ على مَن سَمِعَ الكلامَ الطَّوافَ، فقالَتْ[٩]: يا شيخُ، البيتُ بيتُكَ أم بيتُه، والحرَمُ حرمُكَ أم حرَمُه؟

قلْتُ: بل حـرَمُه، فقالَتْ: فدَعْنا نتدلَّلُ عليه على[١٠] قدْرِ ما استزارنا[١١] إليه، ثمَّ قالَتْ: بحُبِّكَ لي إلا ما ردَدْتَ قلْبي، فقلْتُ: من أينَ تعلمينَ أنّه يحِبُّكِ؟ فقالَتْ: جيَّشَ مِن أجلي الجُيوشَ، وأنفَقَ الأموالَ، وأخرجَنِي من دارِ الشِّركِ، وأدخلَنِي في التَّوحيدِ، وعرَّفَنِي نفْسَه بعد جهْلِي إيّاه، فهل هذا إلا لعنايةٍ[١٢]؟ فقلْتُ: كيفَ حُبُّكِ له؟

فقالَتْ: أعظَمُ شيءٍ وأجَلُّه[١٣]، قلْتُ: وتعرفينَ الحُبَّ؟ فقالت: إذا جهِلْتُ الحبَّ فأيُّ شيءٍ أعرِفُ؟! إنّه لحُلوُ المُجْتنى ما اقتصَرَ، فإذا فرطَ عادَ خَبَلًا قاتلًا

---

(١) في (د): «السباع».
(٢) في (د): «بينا أنا أطوف».
(٣) في (س) و(ب): «بجويرية».
(٤) في (س): «ذلي».
(٥) «لها» ليس في (ب).
(٦) في (د): «فقلت».
(٧) في (ب) و(س): «هذه».
(٨) «حسن» ليس في (د).
(٩) في (د): «فقال».
(١٠) في (س): «على ما».
(١١) في (د): «استزاره».
(١٢) في (د): «بعنايته».
(١٣) في (س) و(ب): «واجده».

وفسادًا[١] مُعْضِلًا، وهوَ شجرةٌ غرْسُها كريهٌ، ومَجْناها لذيذٌ، ثمَّ أنشدتْ[٢] بعدَ أنْ ولَّتْ تقولُ[٣]:

وذِي[٤] قَلَـقٍ لا يَعْرِفُ الصَّبْرَ والعَزا ... لَـهُ مُقْلَةٌ عَبْـرَى[٥] أضَرَّ بِهـا البُكا
وَجِسْمٌ نَحِيلٌ مِنْ شَجَى لاعِجِ الهَوَى ... فمَنْ ذا يُداوِي المُسْـتَهامَ مِنَ الضَّنا
وَلا سِـيَّما والحُـبُّ صَعْـبٌ مَرامُهُ ... إذا عَطَفَتْ مِنْـهُ العَواطِفُ بِالفَنا»[٦]

* * *

[عابدة وجدت بالطواف]

[١٢٠] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في الطوافِ.

قالَ أبو القاسمِ الجُنيدُ رحمةُ الله عليه: «حجَجْتُ مرَّةً على الوحدةِ، فجاوَرْتُ بمكَّةَ، فكنْتُ إذا جنَّ اللَّيلُ دخلْتُ الطَّوافَ، فبينا أنا ليلةً إذا أنا بجاريةٍ تطوفُ، وتقولُ:

أبَى الحُبُّ أنْ يَخْفَى وكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ ... فأصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أنـاخَ وطَنَّبا[٧]
إذا اشْتَدَّ شَـوْقِي هامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ ... وإنْ رُمْـتُ قُرْبًا مِـنْ حَبِيبِي تَقَرَّبا
وَيَبْـدُو فأفْنَـى ثُـمَّ أحْيـا بِـهِ لَهُ ... ويُسْـعِدُنِي حَتَّـى ألَـذَّ وأطْرَبا [٤٤/أ]

فقلْتُ: يا جاريةُ، أما تتَّقِينَ الله عزَّ وجَلَّ! في مثْلِ هذا المكانِ تتكلَّمِينَ[٨] بمثْلِ هذا؟ فالتفَتَتْ إليَّ وقالَتْ: يا جنيدُ:

---

(١) في (ب): «وفاسدًا».
(٢) في (س): «أنشأت».
(٣) في (د): «تقول شعر».
(٤) في (د): «وذا».
(٥) في (س): «عبر».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٨-٥١٩).
(٧) في (س) و(ب): «وطيبا». وطَنَّبَ بالمكان: أقام به. انظر: «تاج العروس» (٣: ٢٨٠).
(٨) في (ب): «تتكلمي»، وفي (س): «يتكلمين».

لَـوْلا التُّقَى لَمْ تَرَنِـي أَهْجُـرُ طِيـبَ الوَسَـنِ
إنّ التُّقَـى شَـرَّدَنِي كَما تَـرَى عَـنْ وطَنِي
أفِـرُّ مِـنْ وجْـدِي لَـهُ فـحُـبُّـهُ هَـيَّـمَـنِـي

ثمَّ قالَتْ: يا جنيدُ، تطوفُ بالبيتِ أم بربِّ البيتِ؟

فقلْتُ: أطوفُ بالبيتِ، فقالَتْ: سُبحانَك ما أعظَمَ مشيئَتَكَ في خلْقِك، خلْقٌ كالأحجارِ يطوفونَ بالأحجارِ، ثمَّ أنشدتْ[1] تقولُ:

يَطُوفُـونَ بِالأحْجارِ يَبْغُـونَ[2] قُرْبَةً إلَيْكَ وهُمْ أقْسَـى قُلُوبًا مِنَ الصَّخْرِ
وَتاهُوا فلَمْ يَدْرُوا مِـنَ التِّيهِ مَنْ هُمُ وحَلُّوا مَحَلَّ القُرْبِ في باطِنِ الفِكَرِ
فَلَوْ أخْلَصُوا في الوُدِّ غابَتْ صِفاتُهُمْ وقامَتْ صِفاتُ الوُدِّ لِلْحَقِّ بِالذِّكْرِ»[3]

والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة وجدت في طريق السياحة]

[١٢١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في طريقِ السياحةِ[4].

قالَ ذو النونِ المصريُّ[5] رحمه الله: «بَيْنا أنا أسيرُ في الباديةِ رأيْتُ امرأةً متعبِّدةً، فلمّا أنْ دنَتْ منِّي سلَّمَتْ عليَّ فرَدَدْتُ عليها السَّلامَ، فقالَتْ لِي[6]: من

---

(١) في (س) و(ب): «أنشأت». (٢) في (د): «يبنون».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥١٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٢٧٢)، و«حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٤: ٢٥٣).

(٤) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٤).

(٥) في (ب): «قال ذو المصري». (٦) «لي» ليس في (س) و(د).

أينَ أقبلْتَ؟ فقلْتُ: مِن عندِ حكيمٍ لا يوجَدُ مثْلُه، فصاحَتْ وقالَتْ: ويْحكَ[١]، وكيفَ فارقْتَه وهوَ أنيسُ الغُرباءِ؟

فأوجَعَ قلْبي كلامُها، فبكَيْتُ، فقالَتْ لي: مِمَّ بكاؤُكَ؟ فقلْتُ: وقَعَ الدَّواءُ على الدّاءِ، فأسرَعَ في نجاحِه، فقالَتْ: إنْ كنتَ صادقًا فلِمَ بكَيْتَ؟ فقلْتُ: والصّادقُ لا يبْكِي! فقالَتْ: لا[٢]؛ لأنَّ البُكاءَ راحةٌ للقلْبِ، وهذا نقْصٌ عند ذَوي العقولِ يا بطّالُ، فقلْتُ: علِّميني شيئًا ينفَعُني اللهُ عزَّ وجَلَّ به، فقالَتْ: ويْحكَ ما[٣] أفادَكَ الحكيمُ مِن الفوائدِ ما تستغْنِي به عن طلَبِ الزَّوائدِ[٤].

فقلْتُ: إنْ رأيتِ أنْ تُعلِّميني شيئًا فافعَلِي، فقالَتْ: اخدُمْ مولاكَ؛ شوقًا إلى لقائِه، فإنّ له يومًا يتجلَّى فيه لأوليائِه، وأنّه سُبحانَه وتعالَى سَقاهُم في الدُّنيا مِن محبَّتِه كأسًا[٥] لا يَظْمَؤُونَ بعدَها أبدًا، ثمَّ أقبلَتْ تبكِي، وتقولُ: سيِّدي[٦]، إلى كم تدَعُني في دارٍ لا أجِدُ فيها مَن يساعدُنِي على بلائِي؟ ثمَّ مضَتْ وهيَ تقولُ:

إذا كانَ داءُ العَبْـدِ حُـبَّ مَلِيكِـهِ ... فمَنْ دُونَهُ يَرْجُو[٧] طَبِيبًا مُداوِيا»[٨] / [٤٤/ب]

* * *

[عابدة وجدت في السياحة]

[١٢٢] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في السياحةِ.

قالَ ذو النونِ: «كنْتُ في تيهِ بني إسرائيلَ ومعي صاحبٌ لي، فرأيْتُ امرأةً

---

(١) في (د): «ويلك».
(٢) «لا» ليس في (د).
(٣) في (د): «وما».
(٤) في (د): «الفوائد».
(٥) في (د): «كاسات».
(٦) «سيدي» ليس في (د).
(٧) في (د): «يرجى».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٤).

عليها مِدْرعةٌ مِن شَعرٍ وخِمارٌ مِن صوفٍ، وفي يدِها عكّازٌ مِن حديدٍ، فقلْتُ: السلامُ عليكِ ورحمةُ الله وبركاتُه، فقالَتْ: وعليكَ السلامُ؛ ما للرجالِ وخطابِ النساءِ عافاكَ الله عزَّ وجَلَّ، فقلْتُ: أخوكِ ذو النونِ المصريُّ، فقالَتْ: حيّاكَ الله تعالى بالسلامِ، فقلْتُ: فما تَصنعينَ ههنا؟

فقالَتْ: كلَّما أتيْتُ إلى بلدٍ يُعصَى فيها الحبيبُ ضاقَ عليَّ ذلكَ البلدُ، فأنا أطلُبُ بقعةً طاهرةً أخرُ[1] عليها ساجدةً أناجِيه، بقلبٍ[2] ذابَ مِن شدَّةِ الشَّوقِ إلى لقائِه.

فقلْتُ: ما سمِعْتُ أحدًا يذكُرُ الحبيبَ أحسَنَ مِن ذكْرِكِ، فأيُّ شيءٍ المحبّةُ؟ فقالَتْ: سُبحانَ الله العظيمِ، وأنتَ الواعظُ الحكيمُ وتسألُني؟ ثمَّ قالَتْ: أوَّلُ المحبّةِ يبعَثُ على الكدِّ الدّائمِ، حتَّى إذا وصَلَتْ أرواحُهم إلى أعلى الصِّفاتِ جرَّعَهم مِن محبته لذيذَ الكؤوسِ، ثمَّ صرَخَتْ وخَرَّتْ مَغشيًّا عليها، ثمَّ أفاقَتْ وهيَ تقولُ:

أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الرِّضا ... وحُبًّا لِأنَّكَ أهْلٌ لِذاكا[3]
فَأمّا الذِي هُوَ حُبُّ الرِّضا[4] ... فذِكْرٌ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سِواكا
وَأمّا الذِي أنْتَ أهْلٌ لَهُ ... فكَشْفُكَ لِلْحُجْبِ حَتَّى أراكا
فَما الحَمْدُ في ذا ولا ذاكَ لِي ... ولَكِنْ لَكَ الحَمْدُ في ذا وذاكا»[5].

والله أعلمُ.

---

(١) في (د): «وأخر». (٢) في (س): «فقلب»، وفي (د): «فقلبي».
(٣) في (س): «لذاك»، وكذا في باقي الأبيات بدون الإشباع.
(٤) في «الحلية»: «الهوى».
(٥) في (د): «ذاكا». وانظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢٥).

[عابدة وجدت في السياحة]

[١٢٣] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في السياحةِ.

قالَ ذو النـون رحمه الله: «بينا أنا أسيرُ[١] فـي جبالِ أنطاكيةَ إذا أنا بجاريةٍ كأنّها مجنونةٌ، وعليها جُبَّةٌ مِـن[٢] صوفٍ، فسلَّمْتُ عليها فردَّتْ عليَّ السلامَ، ثمَّ قالَتْ: ألسْتَ ذا[٣] النونِ؟ فقلْتُ: عافاكِ الله عزَّ وجَلَّ: كيفَ عرفتِيني[٤]؟

فقالَتْ: عرَفْتُكَ بمعرفةِ حُبِّ الحبيبِ، ثمَّ قالَتْ: أسألُكَ عن مسألةٍ، فقلْتُ: سَلِي، فقالَتْ: أيُّ شيءٍ السخاءُ؟ فقلْتُ: البذْلُ والعطاءُ، فقالَتْ: هذا في الدنيا، فما السخاءُ في الدِّينِ؟ فقلْتُ: المسارعَةُ إلى طاعةِ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ: فإذا سارَعْتُ إلى طاعةِ الله عـزَّ وجَلَّ[٥] فهوَ أنْ يطَّلعَ على قلْبك وأنتَ لا تريدُ منه [٤٥/أ] شيئًا، ويْحَكَ يا ذا النونِ، إنّي أريدُ أن أطلُبَ منه شهوةً منذُ عشرين سنةً فأستحْيِي منه مخافةَ أن أكونَ كأجيرِ السُّوءِ إذا[٦] عمِلَ طلَبَ الأجرةَ، ولكِنْ أعمَلُ؛ تعظيمًا لهيبتِهِ وعزِّ جلالِه، ثمَّ مرَّتْ وتركَتْنِي»[٧]، رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* *

[عابدة وجدت في السياحة]

[١٢٤] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ وُجِدَتْ في السياحةِ[٨].

---

(١) في (د): «سائر».

(٢) «من» ليس في (د).

(٣) في (ب): «ذو».

(٤) في (د): «عرفتني».

(٥) جاء بعدها في «حلية الأولياء»: «تحب منه خيرًا؟ قلتُ: نعم للواحد عشرة، قالت: مر يا بطال، هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى».

(٦) في (د): «وإذا».

(٧) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ٥٢٦).

(٨) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٦).

قالَ ذو النونِ المصريُّ: «بينا أنا أسيرُ في تيهِ بني إسرائيل إذا أنا بجاريةٍ سوداءَ قد استلَبَها[١] الوَلَهُ مِن حُبِّ الرَّحمنِ، فقلْتُ: السلامُ عليكِ يا أُختاهُ، فقالَ: وعليكَ السلامُ يا ذا النونِ، فقلْتُ: ومن[٢] أينَ عرفتيني؟

فقالَتْ: يا بطّالُ، إنّ الله عزَّ وجَلَّ خلَقَ الأرواحَ قبلَ الأجسام[٣] بألفَيْ عام[٤]، ثمَّ أدارَها حولَ العرشِ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ، وما تناكَرَ منها اختلَفَ[٥]، فعرَفَتْ رُوحي روحَكَ في ذلكَ الجَوَلانِ.

فقلْتُ: إنّي لأراكِ[٦] حكيمةً فعلِّميني شيئًا ممّا علَّمَكِ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ: يا أبا الفيضِ، ضعْ على جوارحِكَ ميزانَ القسْطِ حتَّى يذوبَ كلُّ ما كانَ لغيرِ الله عزَّ وجَلَّ، ويبْقَى القلْبُ مُصفًّى ليسَ فيهِ غيرُ الرَّبِّ عزَّ وجَلَّ، فعندَ ذلكَ يقيمُكَ على البابِ، ويولِّيكَ ولايةً جديدةً، ويأمُرُ الخُزّانَ[٧] لكَ[٨] بالطّاعةِ،

---

(١) في (ب): «استقبلها». (٢) في (د): «من».

(٣) في (س) و(ب): «الاجساد».

(٤) ورد في معناه حديث عن النبي ﷺ، ذكره الديلمي في «الفردوس» (٢٩٣٧) عن علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «خلق الله عز وجل الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فأمرت بالطاعة لي والسلام علي، فأول روح آمن بي وصدقني من الرجال روح أبي بكر وأول روح آمن بي وسلم علي من النساء عائشة». وقال ابن عباس: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة، وشهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق حين كان ولم تكن سماء ولا أرض ولا بر ولا بحر، فقالَ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾». وانظر: «تفسير البغوي» (٢: ١٨)، و«رسائل الإمام الغزالي» (١: ٣٦٦).

(٥) يشير إلى حديث أخرجه البخاري (٣٣٣٦)، ومسلم (٢٦٣٨) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي ﷺ، يقول: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (د): «أراك». (٧) في (د): «الجبان».

(٨) «لك» ليس في (ب).

فقلْتُ: زِيديني[١]، فقالَتْ: خُذْ مِن نفسِكَ لنفسِكَ، وأطِعِ الله عزَّ وجَلَّ إذا خلَوْتَ يجِبْكَ[٢] إذا دعَوْتَ»[٣]، والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات السواحل]

[١٢٥] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ السواحلِ.

قالَ ذو النونِ المصريُّ: «بينا أنا أسيرُ على ساحلِ البحرِ إذ أبصَرْتُ جاريةً عليها خِمارٌ مِن[٤] شعرٍ، وإذا هيَ ناحلةٌ ذابلةٌ، فدنَوْتُ منها؛ لأسمَعَ ما تقولُ، فرأيْتُها[٥] متَّصلةَ الأحزانِ بالأسحارِ، فعصَفَتِ الرِّياحُ واضطرَبَتِ الأمواجُ، فصرَخَتْ ثمَّ سقطَتْ إلى الأرضِ، فلمّا أفاقَتْ نَحِبَتْ[٦]، ثمَّ نادَتْ: يا سيِّدي، بكَ تفرَّدَ المتفرِّدونَ[٧] في الخلَواتِ، ولعظمَتِك سبَّحَتِ النينانُ[٨] في البحارِ الزّاخراتِ، ولجلالِ قدْسِكَ اصطفَقَتِ الأمواجُ المُتلاطماتُ، أنتَ الذي سجَدَ [٤٥/ب] لكَ سوادُ[٩] اللَّيلِ وضوءُ النَّهارِ، والفلَكُ الدَّوّارُ، والبحرُ الزَّخارُ، والقمرُ النَّوّارُ، وكلُّ شيءٍ عندكَ بمقدارٍ، ثمَّ أنشأَتْ[١٠] تقولُ:

---

(١) في (د): «زيدي».
(٢) في (ب): «بحبك»، وفي (د): «يجيبك».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٢٦).
(٤) «من» مثبت من (د).
(٥) في (د): «فرأيت».
(٦) في (د): «بكت».
(٧) في (د): «المنفردون».
(٨) في (د): «الحيتان». والنينان: جمع نونٍ، وهي الحيتان. انظر: «النهاية» (٢: ١٥٣)، و«لسان العرب» (٢: ٤٣٧)، و«تاج العروس» (٣٦: ٢٣٢).
(٩) في (د): «ظلام».
(١٠) في (د): «أنشدت».

يا مُؤْنِــسَ الأبْرارِ في خَلَواتِهِمْ ⁂ يا خَيْرَ مَنْ حَطَّتْ[١] بِه النُّزَّالُ»[٢]

واللهُ أعلَمُ.

* * *

[هنيدة، عابدة مغربية]

[١٢٦] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ مغربيّةٌ[٣].

قالَ عامـرُ بنُ أسلَمَ: «كانَتْ لنا جاريةٌ فـي الحيِّ يقالُ لها: هُنيـدةُ، فكانَتْ تقومُ إذا مَضَى مِن اللَّيلِ ثلُثُه أو نصْفُه، فتوقِظُ ولدَها وزوْجَها، فتقولُ: قُوما وصلِّيا، فستَغتَبِطانِ[٤] بكلامِي هذا، فكانَ هذا دأْبَها معَهما حتَّى ماتَتْ، فرَأى زوْجُها في منامِه: إن كنْتَ تحِبُّ أنْ تكونَ زوْجَها هناكَ فاخلُفْها في أهْلِها بمثْلِ فعْلِها[٥]، فلم يزَلْ ذلكَ دأْبَ الشَّيخِ حتَّى ماتَ، فرَأى أكبَرُ ولدِه في منامِه، فقيلَ له: إن كنْتَ تحِبُّ أن تجاوِرَ أبويكَ في درجتِهما في الجنَّةِ فاخلُفْهما في أهْلِهما بمثْـلِ عملِهما، فلم يـزَلْ ذلكَ دأبَه حتَّى مـاتَ، فكانوا يُدعَوْن القوّاميـنَ»[٦]، واللهُ أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (د): «خطب».

(٢) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٣٥٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٤٩٠)، و«منازل الحور العين في قلوب العارفين برب العالمين» (٥٥).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠١).

(٤) في (س): «فستغبطان»، وفي «صفة الصفوة»: «فستغتبطون».

(٥) في (د): «عملها».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠١). في (س) و(ب): «يدعون النوامين»، وفي (د): «القوامون».

[عابدة من عابدات الغرب]

[١٢٧] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ الغربِ[١].

قالَ أبو بكرٍ الهُذلـيُّ: «كانَتْ عابِدةٌ تقولُ: عامِلُوا الله عزَّ وجَلَّ على قدْرِ نعمِه عليكم وإحسانِه إليكم، فإن لم تُطِيقُوا فعلى قدْرِ سَتْرِه عليكم، فإن لم تُطِيقوا فعلى الحياءِ منه، فإن لم تُطِيقوا[٢] فعلى الرَّجاءِ لثوابِه[٣]؛ فإن لم تُطِيقوا فعلى خوفِ عقابِه»[٤]، والله أعلَمُ.

وكانَتْ إذا جـاءَ اللَّيلُ تحزَّمَتْ[٥]، ثمَّ قامَتْ إلـى المحرابِ، ثمَّ تقـولُ: «المحِبُّ لا يسأمُ مِن خدمةِ حَبيبِه»، فإذا جاءَ النَّهارُ خرَجَتْ إلى القُبورِ[٦].

قالَ أبو بكرٍ الهُذليُّ: «فعُوتِـبَتْ في كثرةِ إتيانِها المقابرَ، فقالَـتْ: إنَّ القلْبَ القاسِيَ إذا جَفا لم يلِيِّنْه إلا رسومُ البِلَى، وإنِّي لآتِـي[٧] القُبورَ فكأنِّي أنظُرُ وقد خرَجُوا مِن بينِ أطباقِها، وكأنِّـي أنظُرُ إلى تلك الوُجـوهِ المتعفِّرةِ، وإلـى تلك الأجسامِ المتغيِّرةِ[٨]، وإلى تلك الأكفانِ الدنسةِ[٩]، فيا له مِن منظرٍ لو أشربَه العبادُ قُلوبَهم[١٠] ما أثكَلَ مرارتَه للأنفسِ، وأشدَّ/ إتلافَه للأبدانِ»[١١]، والله أعلَمُ. [٤٦/أ]

---

(١) في (د): «المغرب». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

(٢) قوله: «فعلى قدر ستره عليكم، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه، فإن لم تطيقوا» ليس في (ب).

(٣) في (ب): «ثوابه». (٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

(٥) في (ب) و«صفة الصفوة»: «تحرمت». (٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

(٧) في (ب): «آتي».

(٨) في (س): «المتعبرة»، وفي (ب): «المغيرة».

(٩) في (س): «الدشمة»، وفي (ب): «الدسمة».

(١٠) بعدها في (د): «الذابوا».

(١١) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٣).

[عابدة من عابدات البدو]

[١٢٨] ومنهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البدوِ[١].

قالَ ابنُ السَّمّاكِ: «ورَدَ نفرٌ على عَجوزٍ في بعضِ البوادِي، فسألُوها بيعَ شاةٍ، فقالَت: ما كنْتُ لأبيعَ لابنِ سبيلٍ شيئًا، ولكِنْ خُذُوها على ما عندَ الله عزَّ وجَلَّ»، ثمَّ بَكَى ابنُ السَّمّاكِ، وقالَ: «رحِمَها الله عزَّ وجَلَّ، لقد فقُهَتْ في بدوِها»[٢]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات البوادي]

[١٢٩] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البوادِي[٣].

قالَ أبو زكريّا الشِّيرازيُّ[٤]: «تُهْتُ[٥] في باديةِ العراقِ أيّامًا كثيرةً، فلم أجِدْ شيئًا أرتفِقُ به، فلمّا كانَ بعدَ أيّامٍ رأيْتُ في الفَلاةِ خِباءَ شَعرٍ فقصَدْتُه، فإذا بيتٌ وعليه سِتْرٌ مُسبَلٌ، فسلَّمْتُ، فردَّتْ عليَّ السَّلامَ[٦] عجوزٌ مِن داخلِ الخِباءِ، وقالَتْ: يا إنسانُ، من أينَ أقبَلْتَ؟

قلْتُ: من مكَّةَ، قالَتْ: وأين تريدُ؟ قلْتُ: الشامَ، فقالَتْ: أرَى شبحَكَ شبَحَ إنسانٍ بطّالٍ، ألا لزِمْتَ زاويةً تجلِسُ فيها حتَّى يأتِيَكَ اليقينُ، ثمَّ تنظُرَ هذه الكِسرَةَ من أينَ تأكلُها، ثمَّ قالَتْ: أتقرَأُ القُرآنَ؟

---

(١) في (د): «البدوية». وانظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٣) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

(٤) في (د): «الأنصاري الشيرازي».

(٥) في (د): «لهت».

(٦) «السلام» مثبت من (د).

قلْتُ: نعَمْ، فقالَتْ: اقرأْ عليَّ آخِرَ «سُورةِ الفرقانِ»، فقرَأْتُها، فشهَقَتْ وأُغمِيَ عليها، فلمّا أفاقَتْ بعدَ هويٍّ[1] قرَأتْ هيَ الآياتِ، فأخَذَتْ قراءتُها منِّي أخذًا شديدًا، ثمَّ قالَتْ: يا إنسانُ، اقرَأْها ثانيةً[2]، فقرَأْتُها، فلحِقَها مثْلُ ما لحِقَها في الأوَّلِ، فصبَرْتُ أكثَرَ[3] من ذلكَ فلم تُفِقْ، فقلْتُ: كيفَ أستكشِفُ حالَها أماتَتْ أم لا؟

ثمَّ ترَكْتُ البيتَ على حالِه ومشيتُ أقلَّ مِن نصفِ ميلٍ فأشرفتُ[4] على وادٍ[5] فيه أعرابٌ، فأقبَلَ إليَّ غلامانِ معَهُما جاريةٌ، فقالَ أحدُ الغُلامينِ: يا إنسانُ، أتيتَ البيتَ الذي[6] في الفلاةِ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَ: وقرأت[7] القُرآنَ؟ قلْتُ: نعَمْ، قالَ: قتلْتَ العجوزَ وربِّ الكعبةِ، فمَشَيتُ معَ الغلامينِ والجاريةِ حتَّى أتَيْنا البيتَ، فدخَلَتِ الجاريةُ فكشفَتْ عنها، فإذا هيَ ميِّتةٌ، فأعجَبَني خاطرُ الغلامِ، فقلْتُ للجاريةِ: مَن هذانِ الغُلامانِ؟

فقالَتْ: هذانِ جعافرةٌ، وهذه أختُهم منذُ/ ثلاثينَ سنةً ما تستأنِسُ بكلامِ [٤٦/ب] النّاسِ، إذا نزَلْنا تُواري[8] بيتَها في الفلاةِ، وتأكُلُ في كلِّ ثلاثةِ أيّامٍ أكلةً[9]، وتشربُ شَربةً»[10]. رضِيَ الله عنها، والله أعلَمُ.

* * *

(١) في (د): «حين». قال الخليل: الهوى: الحين الطويل من الزمان. انظر: «المجموع المغيث» (٣: ٥١٨)، و«لسان العرب» (١٥: ٣٧٢).

(٢) في (د): «ثانيًا».

(٣) في (ب): «أكثره».

(٤) «فأشرفت» مثبت من المصادر.

(٥) في (س): «على واجد».

(٦) «الذي» ليس في (س).

(٧) في (د): «وتقرأ».

(٨) في (د): «بوادي تواري».

(٩) في (د): «أكلة واحد».

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).

[عابدة من عابدات البوادي]

[١٣٠] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البوادِي[١].

قالَ هشامٌ: «خرَجْنا حُجّاجًا[٢]، فنزَلْنا مَنزلًا في بعضِ الطريقِ، فقَرَأ رجلٌ معَنا هذه الآيةَ[٣]: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] الآية، فسمِعَتِ امرأةٌ القراءةَ[٤]، فقالَتْ: لي سبعةُ أعبُدٍ أُشهِدُكم أنّهم أحرارٌ، لكلِّ بابٍ واحدٌ منهم»[٥]. والله أعلَمُ.

* * *

[عابدة من عابدات البوادي]

[١٣١] ومِنْهُنَّ: عابِدةٌ من عابِداتِ البوادِي[٦].

قالَ أبانُ: «رأيتُ أعرابيّةً تُمرِّضُ ابنًا لها، فلمّا أفاضَ أغمَضَتْه ثمَّ تنحَّتْ عن[٧] مَقعدِها عندَ رأسِه، ورجَعَتْ إلى مَجلسِها تجاهَه ثمَّ قالَتْ: يا فلانُ، ما حقُّ[٨] مَن أُلبسَ العافيةَ، وأُسبغَتْ عليه النِّعمةُ، وأُطيلَتْ له النَّظرةُ أن يعجَزَ عنِ التَّوثُّقِ لنفسِه قبلَ حلِّ عقدتِه والحِيالِ بينَه وبينَ نفْسِه[٩]؟

---

(١) انظر ترجمتها في: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤).
(٢) في (د): «حاجًّا».
(٣) «الآية» ليس في (ب).
(٤) في (ب): «القرآن».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٤)، و«التخويف من النار» (٨٢)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٣٣٠-١٣٣١).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٥).
(٧) في (د): «عند».
(٨) في (د): «ما حتى».
(٩) انظر: «التعازي» لأبي الحسن المدائني (٨٠).

قالَ: فأجابَها أعرابـيٌّ: إنّا لم نزَلْ نسمَعُ أنّ الجزعَ إنّما هوَ للنساءِ، فلا يجزَعَنَّ رجلٌ بعدَكِ بمُصيبةٍ، ولقد كرُمَ صبرُكِ، وما أشبَهْتِ النساءَ، فأقبَلَتْ عليه، وقالَتْ: ما ميَّزَ رجلٌ بينَ الصَّبرِ والجزَعِ إلا أصابَ بينَهما مَنهجَيْنِ[١] بَعيدَيِ التَّفاوتِ في حالَيْهِما: أمّا الصَّبرُ فحسَنُ العلانيةِ محمودُ العاقبةِ.

وأمّا الجزَعُ فغيرُ مُعوَّضٍ[٢] عنهُ[٣] معَ مأثمِه، ولو كانا رجلَيْنِ في صُورةٍ كانَ أوْلاهُما بالغلَبَةِ وحُسنِ الصُّورةِ معَ كرمِ الطبيعةِ[٤] في عاجلِه مِن الدِّينِ وآجلِه، وكَفَى ما وعَدَ[٥] الله فيه لمَنْ ألهَمَه إيّاه»[٦]، والله أعلَمُ.

قد ذكَرْنا نبذَةً يسيرةً مِن صفاتِ هذه الخيِّراتِ، وهُنَّ بحمْدِ الله تعالى كثيراتٌ، ومَن يقدِرُ على حصْرِهِنَّ، وهُنَّ مُتفرِّقاتٌ في القُرى والفَلَواتِ، بل مِن دأْبِهِنَّ إخفاءُ أنفسِهِنَّ، وكتْمُ ما يحصِّلْنَه[٧] مِن الطّاعاتِ.

فلهذا فُتِحَ عليهِنَّ بهذه المزايا والكراماتِ، فتَرَى إحداهُنَّ لو قُطِّعَتْ ما أظهَرَتْ مِن سرِّها قدْرَ خَردلةٍ إلى المَماتِ؛ لأنّ سرَّ المَلِكِ في إظهارِه الطَّردُ، [٤٧/أ] هوَ[٨] والله أشدُّ مِن إراقةِ الدَّمِ؛ لأنّه سببُ توالِي الحَسراتِ.

ومِن علاماتِ صدْقِ حالِ السّالكةِ ألا ترمزَ[٩] بشيءٍ من ذلكَ ولو قُطِّعَتْ إرْبًا إرْبًا، ولو باللَّحظاتِ.

ومِن علامةِ طرْدِ السّالكةِ بغيرِ صدقٍ: أن تتحلَّى بذكْرِ ما يصدُرُ منها لا سيَّما

---

(١) في (ب): «مهجين».
(٢) في (د): «معرض».
(٣) «عنه» ليس في (ب) و(س).
(٤) في (د): «الطيبة».
(٥) في (ب): «ما عند».
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ٥٠٥).
(٧) في (د): «يحصلهن».
(٨) في (د): «وهو».
(٩) في (د): «تؤمن».

عندَ مُجالسةِ المَخدوعاتِ، فأسألُ الله تعالى أن يوفِّقَنا وإيّاكُنَّ إلى ما فيه رِضا ربِّنا، إنّه ربُّ الظّاهـرِ والطوِيّاتِ[1]، وأن يرزُقَنا الصدقَ في جميعِ الحركاتِ والسَّكَناتِ، إنّه على ما يشاءُ قديرٌ وبالإجابةِ جَديرٌ.



(١) في (د): «والمطويات».

فَصْلٌ

ما يتعلق بأسباب المحبة للمحبوب[١]

وهذا فيمَنْ لم يُرزَقْها إلا باكتسابٍ، أمّا مَن منَحَه الله عزَّ وجَلَّ بذلكَ، فهذا قد حصَلَتْ له العنايةُ[٢]، وقد سلَكَ واللهِ بلا تكلُّفٍ في سَبيلِ النهايةِ، وكلا[٣] القسمينِ في القُرآنِ العظيمِ، يعني[٤] المحبّةَ الأصليّةَ والمحبّةَ المكتسبةَ.

فالأصليّةُ مثْلُ قولِه عزَّ وجَلَّ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، واسعُ القدرةِ والعطاءِ، عليم بكلِّ شيءٍ وبمَنْ هوَ أهلٌ لذلكَ[٥].

وهذه المرتبةُ وهيَ عدمُ خوفِ لومِ اللائمِ هيَ المرتبةُ العاليةُ؛ لأنّ ما سِوى الله عزَّ وجَلَّ عندَهم مَحوٌ، فهوَ بمنزلةِ العَدَمِ، ومَن هوَ في حُكمِ العَدَمِ كيفَ يَتخيَّلُ ذو[٦] اللبِّ منه شيئًا، ولهذا تَراهُم يَعْجبونَ[٧] ممَّن يَتخيَّلُ[٨] من

---

(١) انظر في أسباب المحبة: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٢٧)، و«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣: ١٨).

(٢) في (د): «الغاية».

(٣) في (د): «وكل».

(٤) في (ب): «معنى»، وفي (د): «بعين».

(٥) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٤: ٣٠٠)، و«تفسير ابن كثير» (٣: ١٢٥).

(٦) في (س): «ذوو».

(٧) في (د): «يتعجبون».

(٨) في (س): «يتحيل».

ذلكَ شيئًا، ويقولونَ: الآدمِيُّ بمنزلةِ خشبةٍ[١]، بمَعْنى: أنّه لا ضررَ له لنفسِه ولا نفْعَ فيه[٢]، فكيفَ بالغيرِ، فلمّا ذاقُوا طعمَ: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، ماتَ ما[٣] سِواه عندَهم، فزهَدُوا في هذا العالَمِ وفيما في[٤] أيدِيهم، فمكَّنَهُم فيما أرادَ مِن خزائنِ مِنَّتِهِ[٥]، فإذا حزَبَهم[٦] أمرٌ مِن جُوعٍ أو غيْرِه نزَلَتْ عليهم الموائدُ من حيثُ لا يَحتسِبونَ[٧]؛ لأنّ هذه ثمرةُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢]، [٤٧/ب] وحكاياتُهم في مثْلِ ذلكَ كثيرةٌ[٨]، وأشباهُه كثيرةٌ.

قالَ[٩] اللَّيثُ بنُ سعدٍ رحمه الله تعالى: «حجَجْتُ سنةَ ثلاثَ[١٠] عشرةَ ومئةٍ، فأتيتُ مكَّةَ، فلمّا صلَّيْتُ العصرَ رَقِيتُ أبا قبيسٍ[١١]، فإذا أنا برجلٍ جالسٍ وهوَ يدْعُو، فقالَ: يا ربِّ يا ربِّ، حتَّى انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: يا ربّاهُ يا ربّاهُ، حتَّى

(١) في (د): «خشية».
(٢) «فيه» ليس في (ب) و(د).
(٣) «ما» ليس في (د).
(٤) «في» ليس في (ب).
(٥) في (س) و(د): «منته».
(٦) في (د): «حف بهم».
(٧) في (د): «يحتسب».
(٨) «كثيرة» ليس في (د).
(٩) في (د): «وقال».
(١٠) في (س): «ثلاثة».
(١١) جبل أبي قبيس: وهو الجبل الذي يشرف على الصفا إلى السويداء إلى الخندمة، وكان يسمى في الجاهلية الأمين؛ قال الزبير بن بكّار: وإنما سمي الأمين؛ لأنّ الركن الأسود كان مستودعًا فيه من الطوفان، فلما بنى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام البيت ناداهما أن الركن في موضع كذا وكذا. وسمي أبا قبيس؛ لأن أول من نهض للبناء فيه رجل من مذحج ويقال من إياد يقال له: أبو قبيس، ويقال: لأن الركن اقتبس منه. انظر: «المسالك والممالك» للبكري (١: ٤٠١)، و«معجم البلدان» (١: ٨٠)، و«العباب الزاخر» (١: ١٦٢)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٢٠).

انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: يا ربِّ يا ربِّ[١]، حتَّى انقطَعَ نفَسُه[٢]، ثمَّ قالَ: يا حيُّ يا حيُّ، حتَّى انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: يا أرحمَ الرّاحمينَ، حتَّى انقطَعَ نفَسُه، ثمَّ قالَ: اللَّهمَّ إنّي أشتهِي من هذا العِنبِ فأطعِمْنِيه، اللَّهمَّ إن بُرديَّ قد خَلقا!».

قالَ اللَّيثُ: «فوالله ما استتَمَّ كلامَه حتَّى نظَرْتُ إلى سلَّةٍ مملوءةٍ عِنبًا، وليسَ على وجْهِ الأرضِ يومئذٍ عِنبٌ، وبُردينِ مَوضوعينِ، فأرادَ أن يأكُلَ، فقلْتُ[٣]: أنا شريكك[٤]، فقالَ: ولِمَ؟ فقلْتُ: لأنّكَ كنْتَ تدْعُو وأنا أُؤمِّنُ، فقالَ لي: تقدَّمْ وكُلْ، ولا تُخبِّئْ[٥] منه شيئًا، فتقدَّمْتُ فأكَلْتُ شيئًا لم آكُلْ مثْلَه قطُّ، وإذا عِنبٌ لا عَجَمَ له، فأكلتُ حتَّى شبِعْتُ والسلَّةُ لم تنقُصْ شيئًا.

ثمَّ قالَ: خُذْ أحَبَّ[٦] البُردينِ إليكَ، فقلْتُ: أمّا البُردانِ فأنا غنيٌّ عنهُما، فقالَ لي[٧]: توارَ عنِّي حتَّى ألبَسَهما، فتوارَيْتُ عنه فاتَّزَرَ بأحدِهما وارتَدَى بالآخرِ[٨]، ثمَّ أخَذَ البُردينِ اللَّذينِ كانا عليه، فجعَلَهما على يدِه، فاتَّبعْتُه[٩] حتَّى إذا[١٠] كانَ بالمَسْعَى[١١] لقِيَه رجلٌ، فقالَ له: اكسُنِي كساكَ الله تعالى يا ابنَ رَسولِ الله، فدفَعَهما إليه، فلحِقْتُ الرَّجلَ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالَ: جعفرُ ابنُ محمَّدٍ»، قالَ اللَّيثُ: «فطلَبْتُه؛ لأسمَعَ منه فلم أجِدْه»[١٢]، رضِيَ الله عنه.

---

(١) في (س): «رب رب».
(٢) «نفسه» ليس في (ب).
(٣) في (ب): «فال».
(٤) في (س): «شريك».
(٥) في (ب): «وتخبئ».
(٦) في (د): «أحد».
(٧) «لي» ليس في (د).
(٨) في (د): «وتردى بالأخرى».
(٩) في (س): «فاتبعت»، وفي (ب): «فانبعث».
(١٠) قوله: «حتى إذا» في (د): «فلما».
(١١) في (س): «بالسعي».
(١٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤).

وقد ذكَرْتُ في أوَّلِ الكتابِ الكرامَةَ التي وقَعَتْ لأمِّ أيمنَ، ونزولَ الدَّلوِ مِن السماءِ عليها، وكراماتُ الأولياءِ كثيرةٌ لا[1] تكادُ تُحصَرُ، والله أعلَمُ.

ومن الآياتِ الدالّةِ على المحبّةِ الأصليّةِ قولُه تعالى في حقِّ مُوسى عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾[2] [طه: ٣٩] الآية، والله أعلَمُ.

[٤٨/أ] وأمّا المحبّةُ المكتسبَةُ: فقد ذكَرَها[3] الله عزَّ وجَلَّ أيضًا في كتابِه العظيمِ، فقالَ عزَّ مِن قائلٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، فهذه المحبّةُ مكتسبةٌ[4] بالعمَلِ الصالحِ، والمَتجَرِ الزكِيِّ الرابحِ[5]، وهيَ بأعمالٍ ذكَرَها[6] الرَّبُّ أيضًا سُبحانَه وتعالَى في كتابِه العزيزِ:

منها: العدْلُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ومنها: الإحسانُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ومنها: الجهادُ؛ قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ومنها: الصبرُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

---

(١) في (ب): «ولا».

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٢: ٤٨)، و«البحر المحيط في التفسير» (٧: ٣٣١)، و«السراج المنير» (٢: ٤٦٢).

(٣) في (د): «ذكر».

(٤) في (ب): «المكتسبة».

(٥) انظر: «تفسير الطبري» (١٨: ٢٦١)، و«التفسير الوسيط» للواحدي (٣: ١٩٧)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٥٧).

(٦) في (د): «ذكر».

ومنها: التطهيرُ، قالَ الله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]، مَعْناه واللهُ أعلَمُ: إن أردْتُم محبَّتِي فتطَهَّرُوا لأداءِ خدمتِي[١].

ومنها: اتِّباعُ الرسولِ؛ قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومنها: الاتقاءُ؛ قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الخبَرِ: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله؛ فإنّهُ**[٢] **جِماعُ كُلِّ خَيْرٍ**»[٣]. ولا بدَّ مِن ذكْرِ التقوى؛ ليعرفَ الشَّخصُ أينَ هوَ مِن التقوى، وقد ذكَرْتُه فيما بعدُ.

ومنها: قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فهذه الخصالُ وأشباهُها هيَ أسبابُ المحبّةِ؛ فإن وقَعَ منكم تقصيرٌ في فعْلِ هذه الأشياءِ فاجتَنِبوا الأشياءَ التي لا يحِبُّها[٤] الله تعالى، وهيَ أيضًا مذكورةٌ في كتابِه العزيزِ:

منها: قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ومنها: الظلمُ، قالَ سُبحانَه وتعالَى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧]، والظلمُ أنواعٌ كثيرةٌ لا تكادُ تنحصِرُ[٥]، فالحذَرَ الحذَرَ منه.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (١: ٧١٠). (٢) في (د): «فإن فيه».

(٣) «مسند أحمد» (١١٧٧٤)، و«المعجم الصغير» للطبراني (٩٤٩)، و«الآداب» للبيهقي (٨٣٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣٠١): «رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وقد وثق هو وبقية رجاله».

(٤) في (س) و(ب): «أحبها». (٥) في (س): «تحصر».

ومنها: الاعتداءُ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، والاعتداءُ أنواعٌ[١] كثيرةٌ جدًّا لا تكادُ تنحَصِرُ.

ومنها: الخيانةُ، قالَ تبارَكَ وتعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

[٤٨/ب] ومنها: الفسادُ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]

ومنها: الاستكبارُ، قالَ الله سُبحانَه وتعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

ومنها: الاختيالُ والفخْرُ[٢]، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

ومنها: الجهْرُ بالسُّوءِ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] الآية.

فهذه الأمورُ وأشباهُها[٣] مِن الأسبابِ المُهلِكةِ؛ فالحذَرَ الحذَرَ[٤] مِن تعاطِيها، والله أعلَمُ.

وإذا عُرِفَ[٥] ذلكَ فلا بدَّ من ذكْرِ المحبّةِ، فقد تُلبِّسُ النفسُ الأمّارةُ أنّ الشخصَ محِبٌّ، وليسَ كذلكَ، فالحذَرَ الحذَرَ من تلبيسِ[٦] النفسِ؛ فإنها أمّارةٌ بالسُّوءِ، وإنْ كانَتْ أمّارةً بالسُّوءِ فمن أينَ تحصُلُ المحبّةُ التي هيَ أعزُّ المكاسِبِ وأغْلَى المَطالبِ؟ وأنا أضرِبُ مثلًا يُقرِّبُ معرفةَ ذلكَ، ثمَّ أذكُرُ المحبّةَ.

---

(١) «أنواع» ليس في (ب).
(٢) «والفخر» ليس في (د).
(٣) في (د): «وأشباهه».
(٤) في (د): «ثم الحذر».
(٥) في (ب): «عرفت».
(٦) في (ب): «تلبس».

تَرَى الشَّخصَ إذا كانَ له ولدٌ قد آنَسَ به وتتابَعَ عليه برُّه يشغَفُ[1] به لأجْلِ ذلكَ، فتَراه يتشوَّشُ به في غالبِ أحوالِه، ويغارُ عليه حتَّى مِن نومِه على غيرِ الحالةِ التي يكونُ فيها غيرَ مُستريحٍ، ويلهَجُ[2] به ويذكُرُه عند الأحبّاءِ والأخلاءِ، ويقرَعُ بإحسانِه عندَ المُبغِضينَ والأعداءِ، ويجِدُ لذلكَ لذاذةً وحلاوةً، فباللهِ هل يجِدُ مُدَّعِي محبّةِ الله عزَّ وجَلَّ ذلكَ؟

وإذا علِمْتَ ذلكَ فليتَّقِ[3] الله عزَّ وجَلَّ الشَّخصُ في دَعْوى محبَّةِ الله عزَّ وجَلَّ وهوَ يعلَمُ منه خلافَ ذلكَ، فإن الدَّعْوى معَ الكذبِ سببٌ مِن أسبابِ مقْتِ الله عزَّ وجَلَّ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، والمقْتُ: أشدُّ البُغضِ، وقيلَ: البُغضُ الشديدُ[4]، نسألُ الله عزَّ وجَلَّ السَّلامةَ مِن ذلكَ.



---

(١) في (د): «ويشغف».

(٢) في (د): «وينهج».

(٣) في (د): «فيتق».

(٤) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٥٢٧)، و«التحرير والتنوير» (٢٨: ١٧٥).

[المحبة][١]

وقدِ اختلَفَت[٢] عباراتُ القومِ في المحبّةِ[٣]:

فقيلَ: المحبّةُ: فقْدُ النومِ، والعُزلةُ عنِ القومِ.

وقيلَ: المحبّة: سقوطُ كلِّ محبّةٍ مِن القلْبِ إلا محبّةَ الحَبيبِ، كذا قالَه محمَّدُ بنُ الفضْلِ[٤].

[٤٩/أ] ومن يقدِرُ على ذلكَ والقلْبُ محشوٌّ بمحبّةِ هذه المَزبَلةِ؟

ويؤيِّدُ هذه المقالَةَ قولُ بعضِ السلفِ: إنّما سُمِّيتِ المحبَّةُ محبَّةً؛ لأنّها تمْحُو مِن القلْبِ[٥] ما سِوى المحبوبِ[٦].

وقيلَ: المحبَّةُ: استيلاءُ[٧] المَحبوبِ على السرِّ، وإسهارُ[٨] القلْبِ بدوامِ الذكرِ.

---

(١) ما بين المعقوفتين من حاشية (ب). (٢) في (ب): «اختلف».
(٣) انظر معانيها في: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٧)، و«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (٣: ١٣).
(٤) انظر: «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» (٨: ١٣٤).
(٥) قوله: «من القلب» ليس في (ب).
(٦) القائل هو الشبلي. انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٧)، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (١: ٥٣).
(٧) في (ب): «استواء».
(٨) في (د): «وإسرار».

وقيلَ: المحبّةُ: استواءُ الحُضورِ والغَيبةِ، وارتفاعُ القُربِ والبُعدِ.

وقيلَ: الحبُّ[١]: حاءٌ وباءٌ، فالحاءُ مِن الرُّوحِ، والباءُ[٢] مِن البدنِ، فمَنْ أحبَّ فليخرُجْ مِن[٣] رُوحِه وبَدنِه.

وليُعلَمْ أنّ المحبّةَ لها دليلٌ؛ فإنْ فُقِدَ الدليلُ فليَعرفِ الشَّخصُ أنّه غيرُ محبٍّ، وتكونُ حينئذٍ طمأنينةُ النفسِ بأنّ الشخصَ محِبٌّ مِن خديعةِ النفسِ.

ودليلُ المحبّةِ: حُصولُ الخَشيةِ، قالَ السَّيِّدُ الجليلُ المتَّفَقُ على توثيقِه وجلالتِه عبدُ الله بنُ المُباركِ: «مَن أُعطي شيئًا مِن المحبّةِ ولم يُعْطَ مثْلَه مِن الخشيةِ فهوَ مَخدوعٌ»[٤]. وما قالَه صحيحٌ؛ ألا تَرى أنّ الشَّخصَ إذا كانَ له مَن يحِبُّه يتخوَّفُ[٥] في كلِّ لحظةٍ منه لشدَّةِ محبَّتِه أن ينْأى عنه.

[علامات المحبة][٦]:

ومِن علاماتِ المحبّةِ[٧]: ألا يصُدَّ المحِبَّ عن محبوبِه صادٌّ[٨]، سواءٌ كانَ بالإحسانِ أو بالبَلْوى.

ألا تَرى لمّا دخَلَ على الشِّبلِيِّ رحمه الله جماعةٌ، فقالَ لهم: «مَن أنتُمْ؟» فقالُوا[٩]: نحنُ أحباؤُكَ، فأخَذَ يرْمِيهم بالحجارةِ، ففَرُّوا منه، فقالَ لهم: «تَهربونَ؟

---

(١) في (ب): «المحبة».
(٢) في (ب): «والباب».
(٣) في (د): «عن».
(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٥: ٢٢٤).
(٥) في (د): «متخوف».
(٦) ما بين المعقوفتين من حاشية (ب).
(٧) انظرها في: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٢٩)، و«روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (٢٥٩).
(٨) «صاد»: ليس في «ب».
(٩) في (ب): «قالوا».

لو كنْتُم أحبّائِي ما فرَرْتم مِن بلائِي»[١].

واعلَمْ أنّ مَن فاتَه المحبَّةَ فقد فاتَه خيرٌ كثيرٌ، ومِن المصائبِ العظيمةِ فقدانُها، وأعظَمُ من ذلكَ عدَمُ السَّعيِ في تعاطِي أسبابِها، وأعظَمُ مِن ذلكَ كلِّه[٢]: التشاغلُ بغيرِها؛ فإنَّ ذلكَ يُلهِي ويُوقِعُ في الرَّدَى، فينبَغِي التَّنبُّهُ مِن سَكرةِ الغَفلةِ؛ فإنّ الطالبَ لا يفتُرُ وهوَ يقربُ كلَّ يومٍ منكَ منزلةً، وأنتَ تتقدَّمُ إليه مرحلةً، فبينا المرْءُ في سِنةِ غفلتِه غارَ عليه طالبُه، فطلَبَ المُهلةَ حينَ لاتَ حينَ مَناص.

فتفكَّرُوا[٣] في سَلفِكم قبلَ واللهِ تَلَفِكم[٤]، وانظرُوا في أُمورِكم قبلَ حُلولِ قُبورِكم، [٤٩/ب] وتأهَّبُوا يا إخوانِي وأخواتِي[٥] لأجلِ رحيلِكم[٦] قبلَ[٧] أوانِ[٨] تحويلِكم، أينَ الأحبابُ والأخواتُ والإخوانُ؟ أين مَن كانَ واللهِ زينَ الجماعةِ والمكانِ؟ أينَ مَن حصَّنَ وشيَّدَ وبَنَى وبانَ؟

رحَلُوا واللهِ عن عامرِ الأوطانِ، وأَنزَلَهُم اللهُ[٩] في مكانٍ لا يصلُحُ لتلكَ[١٠] الوُجوهِ الحِسانِ، ورتَعَتْ واللهِ في تلكَ الخُدودِ الدِّيدانُ، وتحَقَّقُوا[١١] واللهِ صدْقَ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، وأنشدوا[١٢]:

---

(١) في (د): «ما فررتم من يدي». وانظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٩١)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٧٣).

(٢) «كله» ليس في (ب) و(د).

(٣) في (س): «تفكروا».

(٤) في (د): «تلفهم».

(٥) في (د): «ويا أخواتي».

(٦) في (د): «لرحيلكم».

(٧) «قبل» ليس في (ب).

(٨) في (د): «أذان».

(٩) في (س): «وأنزلوا والله».

(١٠) في (ب): «لذلك».

(١١) في (د): «وتحقق».

(١٢) «وأنشدوا» مثبت من (د).

كَـمْ طَوَى المَوْتُ مِنْ نعيمٍ عَتِيدِ ... ودِيـارٍ مِـنْ أَهْلِهـا أَخْلاهـا
وَجُـنُـودٍ أَذَلَّـهـا وخـدودٍ ... ووُجُـوهٍ[(١)] أحالَ مِنْها حُلاها
وَرَماهـا بِالبَيْنِ سَـهْمًا فأَصْمَى ... وعَنِ المُلْكِ والنَّعِيـمِ أَلْهاها[(٢)]
أَيْنَ مَـنْ كانَ ناعِمًـا في قصور ... بِعُلَى[(٣)] المُكْرَماتِ شِيدَتْ عُلاها
قَدْ جَفاهـا مَن كانَ يَرْتـاحُ حَيًّا ... نَحْوَهـا بَعْـدَ أُنْسِـها وقَلاها[(٤)]

والله أعلَمُ.

غيرُه:

المَـرْءُ ضَيْفٌ بدارٍ لا مُقـامَ بِها[(٥)] ... فيها الفَجائِعُ والرَّوْعاتُ تَرْتَدِفُ[(٦)]
واذْكُرْ سَـبِيلًا فَظِيعًا[(٧)] أَنْتَ سالِكُهُ ... ما عَنْ وُرُودِ حِياضِ المَوْتِ مُنْصَرَفُ
واذْكُرْ تَجَرُّعَ كَأْسٍ أَنْتَ شـارِبُها[(٨)] ... وأَنْـتَ مُنْجَدِلٌ فـي غَمْـرَةٍ دَنِفُ
والنَّفْسُ في سَكَراتِ المَوْتِ دائِبَةٌ[(٩)] ... والقَلْبُ فـي قَلَقٍ والصَّدْرُ يَرْتَجِفُ
وَغـادَرُوكَ بِأَطْباقِ الثَّـرَى وغَدَوا ... ما آنَسُـوكَ ولا آسَـوا ولا صَرَفُوا
عَنْكَ الشَّـدائِدَ بَلْ خُلِّفْتَ مُنْجَدِلًا ... فَرْدًا وحِيدًا ووَلَّى القَوْمُ وانْصَرَفُوا
وَخَلَّفُـوكَ غَرِيبًـا لا وِسـادَ لَـهُ ... مُمَهَّدٌ مِـنْ صَعِيدِ القَبْـرِ مَلْتَحِفُ

والله أعلَمُ.



---

(١) في (ب): «وجوه».

(٢) في (د): «لهاها».

(٣) في (س): «يعلى».

(٤) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ١٧٥).

(٥) في (د): «لا مقام له».

(٦) في (د): «ترتدف».

(٧) في (د): «مضيقًا».

(٨) في (ب): «شاربها».

(٩) في (ب): «ذائبة».

فَصْلٌ
في الأسباب المهلكات

وسنوضِّحها معَ أنّها ليسَتْ بالخفيّاتِ، إلا أنّ الذِّكْرى تنفَعُ المُؤمنينَ والمُؤمناتِ، وأمّا الغافِلُ والمتعامِي عنِ الأخبارِ والآياتِ فلا كلامَ معَه؛ لأنّه رهينُ الشهواتِ، وقد غرِقَ وغرِقَتْ في بحارِ المُوبقاتِ.

فنسألُ الله تعالى العفوَ والعافيةَ مِن ذلكَ؛ إنّه وليُّ النِّيّاتِ.

[٥٠/أ] ولا شكَّ أنّ أسبابَ الهَلكةِ كثيرةٌ جدًّا ولا تكادُ تنحصِرُ، فنذكُرُ نبذةً يسيرةً منها، ونذكُرُ ما تُوعِّدَ صاحبُها عليها مِن العقوباتِ؛ فإنّه أدْعَى إلى[1] التَّوبةِ والابتهالِ مِن التخَلُّصِ من ذلكَ إلى ربِّ السماواتِ والأرض.

[الحسد]:

[١] **فمِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**[2]: الحسَدُ[3]، عافانا الله تعالى مِنْهُ.

وهوَ صفةٌ خبيثةٌ، ذمَّ الله تعالى مُتعاطِيَها ذمًّا بليغًا، ويكْفي في ذمِّها معَ[4] ما تُوِّعِدَ عليها مِن العذابِ على ما أذكُرُه أنّها صفةُ أهلِ الكتابِ مِن اليهودِ والنصارى، وأيُّ مُصيبةٍ أعظَمُ مِن ذلكَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ

---

(١) «إلى» ليس في (د). (٢) في (د): «أسباب المهلكة».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٨٦).
(٤) «مع» ليس في (د).

ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩] الآية.

فالحَسَدُ[1] صِفَةُ المغضوبِ عليهم والضالِّينَ، نسألُ الله الكريمَ العافيةَ مِن ذلكَ.

وأشَدُّ مِن ذلكَ: ما ذكَرَهُ[2] بعضُهم: أنّ الحسَدَ يؤدِّي إلى مَحذورٍ عظيمٍ؛ لأنّه مُنازَعةٌ في الرُّبوبيّةِ، وعدَمُ رِضًى بما قسَمَه الله سُبحانَه وتعالَى بعِلْمِه وحِكْمتِه[3]، قالَ الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] الآية.

وقد نَهَى رَسولُ الله ﷺ عن هذه الصفةِ الخبيثةِ، فقالَ: «**لا تَحاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا**[4]». رَواهُ البُخارِيُّ[5] ومُسلمٌ[6].

فالحاسِدُ مُخالِفٌ لله ولرسولِه[7]، وقد حذَّرَ رَسولُ الله ﷺ تَحذيرًا بليغًا منهُ[8]، فقالَ: «**إيّاكُمْ والحَسَدَ؛ فإنّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَناتِ كَما تَأْكُلُ النّارُ الحَطَبَ** أو قالَ: **العُشْبَ**»[9]. رَواهُ أبو داودَ مِن رِوايةِ أبي هُريرةَ، ورَواهُ ابنُ ماجه مِن حديثِ أنسٍ رضي الله عنهم.

---

(١) في (د): «والحسد».
(٢) في (س): «ذكر».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٨٩)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ١٠٠).
(٤) «ولا تباغضوا» مثبت من (د).
(٥) «صحيح البخاري» (٦٠٦٥).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٥٩).
(٧) في (س) و(ب): «ورسوله».
(٨) «منه» مثبت من (د).
(٩) «سنن أبي داود» (٤٩٠٣)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢١٠). وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٥٦): «أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة، وقال البخاري: لا يصح. وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي «تاريخ بغداد» بإسناد حسن».

وقد سمَّى رَسولُ الله ﷺ الحسَدَ داءً؛ فقالَ: «**دَبَّ إلَيْكُمْ داءُ الأُمَمِ: الحَسَدُ، والبَغْضاءُ**». رَواهُ التِّرمذِيُّ[(١)].

وسمَّى رَسولُ الله ﷺ الحُسّادَ أعداءً، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ لِنِعَمِ الله تَعالَى أعْداءً**» قيلَ: مَن أولئكَ يا رسول الله؟ قالَ: «**الذينَ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ الله مِنْ فضْلِه**». رَواهُ الطَّبرانِيُّ[(٢)] من حديثِ ابنِ عبّاسٍ [٥٠/ب] رضِيَ الله عنهُما، وفيه: «**إنّ لِأهْلِ النِّعَمِ حُسّادًا فاحْذَرُوهُمْ**»[(٣)].

وفي حديثٍ: «**سِتَّةٌ يَدْخُلُونَ النّارَ قَبْلَ**[(٤)] **الحِسابِ**» قيلَ: يا رَسولَ الله، مَن هُمْ؟ فذكَرَ منهم[(٥)]: أُمراءَ الجَوْرِ، والحُسّادَ[(٦)].

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٥١٠)، و«مسند أحمد» (٣: ٢٩)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢١٠٦٥)، و«مسند البزار» (٦: ١٩٢). وفي «تحفة الأحوذي» (٧: ١٨٠): «الحديث في سنده مولى للزبير وهو مجهول». وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣: ٢٨٥): «رواه البزار بإسناد جيد».

(٢) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١٠٨٦): «رواه الطبراني في «الأوسط» من حديث ابن عباس: «إن لأهل النعم حسادًا فاحذروهم»». وقال ابن السبكي في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٦: ٢٨٧-٣٤٤): «لم أجد له إسنادًا».

(٣) «المعجم الأوسط» (٧٢٧٧). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨: ١٩٥): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي، وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان».

(٤) في (د): «قيل».

(٥) «منهم» ليس في (د).

(٦) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١٠٨٦): «أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين». وقال ابن السبكي في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٦: ٢٨٧-٣٤٤): «لم أجد له إسنادًا».

والآياتُ والأخبارُ في ذمِّ الحسَدِ كثيرةٌ، وفيما ذكَرْناهُ[١] كفايةٌ لمن كانَ له قلْبٌ.

ولا بدَّ مِن معرفةِ الحسَدِ؛ ليتجَنَّبَه المُؤمنُ الطالبُ للخيرِ المُبعِدُ[٢] نفْسَه عن هذه الأسبابِ المُكِبّاتِ في النارِ.

والحسَدُ: عبارةٌ عن تمنِّي زوالِ النعمةِ عن صاحبِها، سواءٌ كانَتِ النعمةُ دِينًا أو دُنيا[٣].

وإذا عرَفْتِ أيَّتها[٤] المُؤمنةُ ذلكَ فطَرَأ عليكِ نوعٌ[٥] مِن الحسَدِ، فعليكِ بالمُبادَرةِ إلى التوبةِ، واحرِصِي على خلاصِكِ مِن وُقوعِكِ في حُفيرةٍ[٦] مِن حُفَرِ النارِ، ومَن يقدِرُ على النارِ؟

وليسَ مِن[٧] الحسَدِ المذمومِ أن يحِبَّ الشخصُ أن يكونَ له[٨] مِثلَ مَن أعطَى الله تعالى لأخيه المُؤمنِ مِن خيرٍ؛ ففي حديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: أنّ النبيَّ ﷺ قالَ: «**لا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتاهُ الله تَعالَى مالًا فسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٍ آتاهُ الله عَزَّ وجَلَّ حِكْمَةً فهُوَ يَقْضِي بِها ويُعَلِّمُها**». رَواهُ البُخارِيُّ[٩] ومُسلِمٌ[١٠].

---

(١) في (س) و(ب): «ذكرنا».
(٢) في (ب): «المتعبد».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٨٩)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري (١: ٥٥).
(٤) في (س) و(ب): «أيها».
(٥) في (س) و(ب): «نوعا».
(٦) في (د): «حفرة».
(٧) «من» ليس في (د).
(٨) قوله: «له» ليس في (س) و(ب).
(٩) «صحيح البخاري» (٧٣).
(١٠) «صحيح مسلم» (٨١٦).

ومَعْناه: ينبَغِي أنْ لا يُغبَطَ أحَدٌ إلا على إحدى هاتينِ الخَصْلتينِ[١]، وهذا ليسَ مِنَ الحسَدِ في شيءٍ، بل ذلكَ قصْدٌ صالحٌ ونيّةٌ مُبارَكةٌ، يُثابُ الشخصُ عليها، ففي حديثِ أبي[٢] كبشَةَ عمرَ بنِ سعدٍ[٣] الأنماريِّ[٤] رضِيَ الله عنه: أنّه سمِعَ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «ثَلاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فاحْفَظُوهُ: ما نَقَصَ مالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فصَبَرَ عَلَيْها إلا زادَهُ الله تَعالَى عليها عِزًّا، ولا فتَحَ عَبْدٌ[٥] بابَ مَسْأَلَةٍ إلا فتَحَ الله تَعالَى عَلَيْهِ بابَ فقْرٍ أو كلمةً نَحْوَها[٦] وأُحَدِّثُكُمْ[٧] حَدِيثًا فاحْفَظُوهُ»، قالَ: «إنّما الدُّنْيا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ، عَبْدٍ رَزَقَهُ الله مالًا[٨] وعِلْمًا فهُوَ يَتَّقِي فيهِ[٩] رَبَّهُ، ويَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ويَعْلَمُ لله[١٠] تَعالَى فيهِ حَقًّا[١١]، فهَذا بِأَفْضَلِ المَنازِلِ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله تعالى عِلْمًا ولَمْ يَرْزُقْهُ مالًا [٥١/أ] ، فهُوَ صادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أنّ لِي مالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلانٍ، فهُوَ بِنِيَّتِهِ، فأجْرُهُما سَواءٌ، وعَبْدٍ رَزَقَهُ الله تَعالَى مالًا ولَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فهُوَ يَخْبِطُ في مالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لا يَتَّقِي فيهِ رَبَّهُ، ولا يَصِلُ فيهِ رَحِمَهُ، ولا يَعْلَمُ لله[١٢] عزَّ وجَلَّ فيهِ حَقًّا، فهَذا بِأَخْبَثِ المَنازِلِ، وعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ الله[١٣] مالًا ولا عِلْمًا، فهُوَ يَقُولُ:

---

(١) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢: ٤٤٥)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ٩٧).
(٢) قوله: «أبي» ليس في (س) و(ب) و(د).
(٣) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤: ١٧٣٩)، و«المستخرج من كتب الناس» (٢: ٢٥٣)، و«أسد الغابة» (٣: ٧٢٦).
(٤) في (س) و(د): «الأنصاري».
(٥) «عبد» ليس في (د).
(٦) في (د): «نحوهما».
(٧) في (ب): «وأحذركم».
(٨) في (س): «عبد رزقه مالًا».
(٩) في (د): «فيهما».
(١٠) في (د): «أن الله».
(١١) في (ب): «حق».
(١٢) في (د): «أن لله».
(١٣) لفظ الجلالة ليس في (س) و(د).

لَوْ أنّ لِي مالًا لعَمِلْتُ فيهِ بعَمَلِ فُلانٍ، فهُوَ بنِيَّتِهِ، فوِزْرُهُما سَواءٌ». رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «إنّه حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، واللهُ أعلَمُ.

[حب الدنيا][٢]:

[٢] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: حبُّ الدنيا[٣].

ومنه يُولَدُ الحسَدُ وكلُّ فتنةٍ، وبسببِ حبِّها ترِدُ المصائبُ، وينقطِعُ الشخصُ بحُبِّها عن كلِّ خيرٍ، ويوقِعُ نفسَه في كلِّ شرٍّ، والقرآنُ العظيمُ طافِحٌ بذمِّها وذمِّ أهلِها، وأمّا الأخبارُ فأكثَرُ من أن تُحصَرَ[٤] وأشهَرُ من أنْ تُذكَرَ.

والحامِلُ للناسِ على حبِّها فقهاءُ زَمانِنا وفُقراؤُهم؛ لأنّهم غارِقونَ[٥] فيها غرَقَ الحيتانِ البحريّةِ، حتّى إنّ أحدَهم[٦] لو فترَ عنها كادَتْ نفسُه تزهَقُ؛ قبَّحَهم اللهُ تعالى على ذلكَ، فإنّهم أهلَكُوا أنفسَهم، وصدُّوا الناسَ عنِ الخيرِ بتعاطِيهم ذلكَ، ومَنْ عرَفَ مِنَ العلمِ طَرَفًا يسيرًا قطَعَ بأنّهم على حالةٍ خبيثةٍ لا يرْضاها لنفسِه حيوانٌ نجسٌ، والجاهِلُ يغتَرُّ بأفعالِهم، ويَعْمى عن مَعْنى أقوالِهم، وبينَ الأقوالِ والأفعالِ مناقَضةٌ ظاهِرةٌ لا تخْفَى.

فتَرَى الفقيهَ منهم ينثُرُ[٧] مِن فيهِ دُررًا ويسيرُ[٨] بأفعالِه المخالفةِ لأقوالِه القَهْقَرَى، وتَرَى الصُّوفي قد صَفَّى قلْبَهُ نحوَ المَزبَلةِ، ويُظهِرُ بزيِّه وقولِه الزُّهدَ

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٣٢٥).

(٢) ما بين المعقوفتين على حاشية (ب).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ٢٠١)، و«مختصر منهاج القاصدين» (١٩٠).

(٤) في (د): «تنحصر».

(٥) في (س): «غارقين».

(٦) في (د): «أحدهما».

(٧) في (د): «ينشر».

(٨) في (س): «ويشير».

فيها، ولـو جاءَه قدْرُ النَّقيـرِ مِن غُلـولٍ قبلَه، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وقد كانَ بعضُ العُلماءِ إذا مرَّتْ هذه الآيةُ على ذكْرِه يتمغَّصُ[١] بطْنُه أيّامًا مِن خوفِ المقْتِ، ويقولُ: المقْتُ: البغضُ الشديدُ، أو أشَدُّ[٢]، لا حولَ ولا قوَّةَ مِن هذه المُصيبةِ الجسيمةِ، والله أعلَمُ.

[الاحتقار][٣]:

[٥١/ب] [٣] ومِنَ الأسبابِ/ المُهلكاتِ: الاحتقارُ[٤].

وهوَ: حَرامٌ ومعصيةٌ شديدةٌ، لا سيَّما للضعفاءِ[٥] مِـن الأراملِ واليَتامَـى والمساكينِ، فهوَ[٦] أشدُّ تحريمًا وأعظَمُ شرًّا، قالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١].

فمَنِ احتقرَتْ[٧] مُسْلِمًا أوْ مُسْلِمَةً؛ تكبُّرًا وتَـرفُّعًا؛ لجمالِـها[٨] أو[٩] ثـروتِها أو جاهِـها، سواءٌ كـانَ بقلْبِـها أو قوْلِها كيا[١٠] شحـاذةُ[١١]، يا خملةُ، يا صفراءُ،

---

(١) في (ب): «يتمغض»، وفي (د): «يتغمص».
(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٥٢٧)، و«التحرير والتنوير» (٢٨: ١٧٥).
(٣) ما بين المعقوفتين على حاشية (ب).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٣١)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٣٣).
(٥) «للضعفاء» ليس في (د).
(٦) في (ب): «هو».
(٧) في (ب) و(د): «احتقر».
(٨) في (د): «بجمالها».
(٩) في (س) و(ب): «و» وكذا في الموضع التالي.
(١٠) في (د): «يا».
(١١) في (ب): «شحادة».

يا[١] امرأةَ الفقيرِ[٢]، اشتغِلِي بفقرِكِ، اشتغلِي بوحاشتِكِ[٣]، بعَوَرِكِ[٤]، بعَرَجِكِ، بفقْرِ زوجِكِ[٥]، بفقْرِ ولدِكِ، ونحْوِ ذلكَ، فقدْ خالَفَتْ ربَّ العزَّةِ، ووقعَتْ في شرٍّ عظيمٍ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ[٦] مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ**». رَواهُ مُسلمٌ في «**صحيحِه**»[٧].

وهذا[٨] الاحتقارُ المُهلِكُ سببُه الإعجابُ والتكبُّرُ، وذلكَ داءٌ مُهلِكٌ، وهوَ حرامٌ، وقدْ نَهَى الله تعالى عنهُ في كتابِه العزيزِ في غيرِ موضعٍ، وأخبَرَ بأنّ مَن كانَ ذلكَ فيه لا يحِبُّه، وأخبرَ رَسولُ الله ﷺ أنّه لا يدخُلُ الجنَّةَ[٩]، ويا لها مِن مُصيبةٍ عظيمةٍ، وفتنةٍ جسيمةٍ، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

ومَعْنى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾، أي: تُميلُه وتُعرِضُ عنِ الناس تكبُّرًا عليهم، كما يفعَلُه أهلُ الثروةِ والجمالِ بالفقيرةِ والشَّوهاءِ، فتُميلُ وجْهَها عنِ الفقيرةِ؛ لحالِها، وتُميلُ وجْهَها عنِ الشَّوهاءِ؛ لجمالِها[١٠]، فهذه هيَ المُتكبرةُ[١١] الذي ذكَرَها الله تعالى في كتابِه، ونَهاها[١٢] عن فعْلِها ذلكَ، فمَنْ فعَلَتْ ذلكَ فقد خالَفَتِ الله

---

(١) في (د): «ويا».
(٢) في (د): «الفقراء».
(٣) في (ب): «بوحشاتك».
(٤) في (د): «وبعورك».
(٥) قوله: «بفقر زوجك» ليس في (د).
(٦) في (ب): «أمر».
(٧) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).
(٨) في (د): «وهذه».
(٩) يشير إلى ما أخرجه الإمام مسلم (٩١): عن عبد الله بن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».
(١٠) انظر: «تفسير القرطبي» (١٤: ٦٩)، و«التحرير والتنوير» (٢١: ١٦٦).
(١١) في (س): «المنكرة».
(١٢) في (د): «ونهاه».

عزَّ وجَلَّ، وهذِهِ لا تأمَنُ على نفسِها أنّ الله تعالى يُفقِرُها ويَرُدُّها شَوهاءَ؛ لأنّها تكبَّرَتْ بنعمةِ[1] الله تعالى ولم تؤدِّ شُكْرَها، وقد وقَعَ ذلكَ كثيرٌ.

فكَمْ[2] مِن صاحبةِ مالٍ وجَمالٍ لم ترْعَ حقَّ نعمةِ الله تعالى عليها، وترفَّعَتْ على الفُقراءِ بذلكَ، فسلَبَها الله تعالى مالَها وجمالَها، فأصبحَتْ لا مالَ ولا جمالَ، بل رُبَّما زادَها الله تعالى بلِيّةً، وهيَ أنّها تَتسخَّطُ وتَشكُو حالَها، فيتراكَمُ عليها [٥٢/أ] المصائبُ: الفقْرُ والشَّوَهُ وشِكايةُ ربِّ السماواتِ والأرضِ، فيا لَها مِن فتنةٍ ما أعظَمَها، أصبحَتْ لا دُنيا ولا دينَ، فهذه صارَتْ[3] مِن الخاسِرينَ.

وأمّا الأخبارُ: فقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ[4] مِنْ كِبْرٍ**» فقالَ رجلٌ يا رسولَ الله: إنّ الرَّجلَ يحِبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حَسنًا ونعلُه حسنةً[5]، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الله عَزَّ وجَلَّ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النّاسِ**». رَواهُ مُسلمٌ[6] من حديثِ عبدِ الله بنِ مَسعودٍ.

ومَعْنى «**بَطَرُ الحَقِّ**»: دفْعُه ورَدُّه على قائِلِه[7].

وهذا كثيرٌ في الناسِ جدًّا، فكَمْ مِن شخصٍ يفعَلُ ما لا يجوزُ، فيُقالُ له[8]: لا تفعَلْ هذا، فلا يسمَعُ ولا يكترِثُ لذلكَ، بل ربَّما يقولُ: عِظْ نفسَكَ، وتأخُذُه العزَّةُ بالإثمِ؛ فحسْبُه جهنَّمُ.

---

(١) في (د): «بنعم».
(٢) في (ب) و(د): «كم».
(٣) في (د): «فهذه أصبحت صارت».
(٤) في (د): «خردلة».
(٥) في (د): «حسنًا».
(٦) «صحيح مسلم» (٩١).
(٧) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ٩٠)، و«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (١: ١٠٦).
(٨) «له» ليس في (د).

بل ربَّما يقولُ: ما أنتَ إلا كثيرُ[١] الفُضولِ، وهذه كلمةٌ عظيمةٌ في الشرعِ، ربَّما تؤدِّي إلى الكفرِ والعياذُ بالله تعالى؛ لأنّه جعَلَ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ اللَّذينِ أمَرَ الله تعالى ورسولُه ﷺ بهما فُضولًا، ومثْلُ هذا لا يصدُرُ إلا مِن جاهلٍ، أو زِنديقٍ؛ لأنّ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ بِهما يقومُ الدِّينُ الذي تعبَّدَنا الله عزَّ وجَلَّ به.

وعدمُ الأمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ هوَ سببُ هلاكِ الأممِ قبْلَنا، وبعْثِ البلايا علينا؛ قالَ عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ أوَّلَ ما دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إسْرائِيلَ أنّهُ كانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يا هَذا[٢] اتَّقِ الله ودَعْ ما تَصْنَعُ، فإنّهُ لا يَحِلُّ ذَلِكَ[٣]، ثمَّ يَلْقاهُ مِنَ الغَدِ وهُوَ عَلَى حالِهِ، فلا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أنْ يَكُونَ أكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وقَعِيدَهُ[٤]، فلَمّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ الله تَعالَى قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ**»، ثُمَّ قالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] الآيةَ. [٥٢/ب]

قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**كَلا والله، لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، ولَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظّالِمِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ[٥] عَلَى الحَقِّ أطْرًا، ولَتَقْصُرُنَّهُ[٦] عَلَى الحَقِّ قَصْرًا، أوْ لَيَضْرِبَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَّكُمْ كَما لَعَنَهُمْ**». رَواهُ أبو داودَ[٧] والترمِذيُّ[٨]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

---

(١) في (د): «كثيرة».
(٢) بعدها في (س): «الرجل».
(٣) في (د): «لك».
(٤) في (د): «وقعده».
(٥) في (س) و(د): «ولتطرنه».
(٦) في (ب): «أو لتقصرنه».
(٧) «سنن أبي داود» (٤٣٣٦، ٤٣٣٧).
(٨) «جامع الترمذي» (٣٠٤٧)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٠٦).

ومَعْنى «تَأْطُرُنَّهُ[١]»، أي: تَعطِفونَه[٢].

«وَلَتَقْصُرُنَّهُ»، أي: لتَحبِسنَّه عنِ الظُّلمِ والجَورِ[٣].

وإذا كانَ هذا حالَ مَن أنكَرَ ثمَّ خالَطَ، فكيفَ حالُ مَن لم ينكِرْ، أيُّ لعنٍ يَلحَقُه!

وَبَيَّنَهُ[٤] أنّ هذا اللَّعنَ على لسانِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، وما أعظَمَ هذا الأمْرَ علينا وما أشدَّه؟!

قالَ[٥] حذيفةُ[٦] رضِيَ الله عنه: قالَ النبيُّ ﷺ: **«والذي نَفْسي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أوْ لَيُوشِكَنَّ الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجابُ لَكُمْ»**. رَواهُ الترمذِيُّ[٧] وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

ولا يَخْتَصُّ الأمْرُ بالمعروفِ بالرجالِ، بل النساءُ في ذلكَ كالرجالِ؛ لشُمولِ الأدلّةِ لهُنَّ، وههنا شيءٌ يُتَنَبَّهُ[٨] له، وهوَ أنّ كثيرًا مِن الناسِ يترُكُ الأمْرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكر، ويحتَجُّ بقولِه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وكذا يَحتَجُّ المُنكَرُ عليه، وهذا إنّما يقولُه الجهلَةُ والفسَقَةُ[٩].

---

(١) في (س): «تطرنه»، و(د): «تطرونه».

(٢) في (ب): «تعظونه». وانظر: «المحيط في اللغة» (٢: ٣٢٧)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٧: ١٩٦)، و«مرقاة الصعود» (٣: ١١٠٤).

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤: ٣٥١)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٨: ٣٢٢٠).

(٤) كذا في (س) و(ب) و(د)، وهي في (س) و(د): بهذا الضبط المذكور.

(٥) في (س): «وقال».

(٦) في (د): «حذيفة اليماني».

(٧) «جامع الترمذي» (٢١٦٩)، و«مسند أحمد» (٢٣٣٠١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠١٩٩).

(٨) في (ب): «تنبيه»، وفي (د): «نبينه».

(٩) قوله: «الجهلة والفسقة» في (ب): «الجهلة أو أفسقه»، وفي (د): «الجهلة والسفهة».

قالَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضِيَ اللهُ عنه: يا أيُّها النّاسُ إنّكُم تقرَؤونَ هذه الآيَةَ، وإنّي سمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إنّ النّاسَ إذا رَأوا الظّالِمَ فلَمْ يأْخُذُوا علَى يَدَيْهِ، أوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِعِقابٍ[1] مِنْهُ**». رَواهُ أبو داودَ[2] والنسائِيُّ[3] والترمذيُّ[4] بأسانيدَ صحيحةٍ.

ومَعْنى «**غَمْطُ النّاسِ**»: احتقارُهم[5].

والاحتقارُ إنّما ينشَأُ مِن العُجبِ، ومنه ينشَأُ الكِبرُ، وهوَ مِن السيئاتِ العظيمةِ.

سُئل سُليمانُ بنُ داودَ عليهما الصلاةُ والسلامُ عنِ السيئةِ التي لا تنفَعُ معَها الحسنةُ؟ فقالَ: «الكِبْرُ»[6].

لأنّ الكِبْرَ صفةٌ [٥٣/أ] مِن صفاتِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، فمَنْ تَعاطاهُ فقد تعرَّضَ لمُنازَعةِ مَولاهُ فيما هوَ له، وفي ذلكَ جُرأةٌ[7] عظيمةٌ، وعاقبتُه وَخيمةٌ، قالَ أبو هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: العِزُّ إزارُهُ، والكِبْرِياءُ رِداؤُهُ، فمَنْ[8] نازَعَنِي عَذَّبْتُهُ[9]**». رَواهُ مُسلمٌ[10].

وفي «**الصَّحيحينِ**»[11] مِن رِوايةِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه، أنّه عليه الصَّلاةُ

---

(١) في (د): «بهذاب».

(٢) «سنن أبي داود» (٤٣٣٨)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٠٥).

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٩٢).

(٤) «جامع الترمذي» (٣٠٥٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ٩٠)، و«الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج» (١: ١٠٦).

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ٣٣٩)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ١١٧).

(٧) في (س): «جروة».

(٨) في (س): «فيما».

(٩) في (د): «نازعه عذبه».

(١٠) «صحيح مسلم» (٢٦٢٠).

(١١) «صحيح البخاري» (٥٧٨٩)، و«صحيح مسلم» (٢٠٨٨).

والسَّلامُ قالَ: «**بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي في حُلَّةٍ**[(١)]**، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلًا رَأْسَهُ، يَخْتالُ في مِشْيَتِهِ؛ إذْ خَسَفَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِهِ، فهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأرْضِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ**».

ومَعْنى «**مُرَجِّلٌ**»: مُسرِّحٌ[(٢)].

ومَعْنى «**يَتَجَلْجَلُ**»: يَغوصُ ويَنزلُ[(٣)].

وعن سلمةَ بنِ الأكوعِ رضِيَ الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا يَزالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبّارِينَ، فيُصِيبُهُ ما أصابَهُمْ**». رَواهُ الترمِذِيُّ[(٤)]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

ومَعْنى[(٥)] «**يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ**»: يَترفَّعُ ويَتكبَّرُ[(٦)].

والكِبْرُ هوَ أوَّلُ معصيةٍ عُصِيَ الله عزَّ وجَلَّ بها[(٧)]، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، فمَنْ تكبَّرَ فقد شارَكَ[(٨)] إبليسَ في ذنبٍ[(٩)] أورثَه الطردَ والبُعدَ والعذابَ الذي لا آخِرَ له،

---

(١) في (د): «حلته».

(٢) في (س) و(ب) و(د): «يرجل يسرح». وانظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧: ٣٠٥)، و«إحكام الأحكام» (١: ٩١)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٦: ٤٣٥)، و«عمدة القاري» (٣: ٣٠).

(٣) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢١: ٥٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠: ٢٦١).

(٤) «جامع الترمذي» (٢٠٠٠)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٢٥٤).

(٥) في (د): «ومعناه».

(٦) انظر: «قوت المغتذي على جامع الترمذي» (١: ٤٧٨).

(٧) انظر: «تفسير ابن عطية» (١: ١٢٥)، و«تفسير القرطبي» (١: ٢٩٦).

(٨) في (د): «ساوى».

(٩) في (ب): «ذب».

فلا يأمَنُ على نفْسِه سُوءَ الخاتمةِ، وقد قالَ الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

[التقوى]:

وهذا حصْرٌ في أنّ العاقبةَ يعني الآخرةَ للمتَّقينَ، وما أكثَرَ ادِّعاءَ التَّقوى، وما أبعَدَ النّاسَ عنها؛ هَيْهات! إنّ التَّقوى لَمِنْ أعزِّ المَطالبِ، ودَعْواها مِن[1] غيرِ معرفةِ ماهِيَّتِها لَمِنْ أعْظَمِ المَصائِبِ؛ ألم تعلَمْ أنّها[2] وصيّةُ الله عزَّ وجَلَّ في الأوَّلينَ والآخِرينَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١] الآية.

وَقَدْ ذكَرَ الله عزَّ وجَلَّ التقوى وثمرتَها في غيرِ آيةٍ مِن كتابِه العزيزِ، فقالَ عنِ الجنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ [٥٣/ب] فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١-٥٢]، إلى غيرِ ذلكَ، فهل تَرَى فيها موضعًا لغيرِ المتَّقينَ؟

ولأهلِ التقوى جُعلَ الأمْرُ في الآخرةِ، ولأهْلِها وُعِدَ قبولُ الأعمالِ، ووُسِمَ أهْلُها بالولايةِ، ورُفِعَ عنهم الحزْنُ والخوفُ يومَ الحُزنِ والإخافةِ، وجُعِلَ لأهْلِها المخرَجُ مِن كلِّ ما ضاقَ على العبادِ، ولأهْلِها ضُمِنَ الرزقُ مِن غيرِ الوُجوهِ التي يحتَسِبُونَها[3]، إلى[4] غيرِ ذلكَ.

ولمّا كانَتِ التَّقوى في المرتبةِ المَنيفةِ، كانَ جزاؤُها هذِهِ المِنَح الشريفةَ.

---

(١) في (د): «عن».
(٢) في (د): «أن».
(٣) في (د): «يكتسبونها».
(٤) في (د): «وإلى».

[حقيقة التقوى]:

وللعُلماءِ رضِيَ الله عنهم في حقيقةِ التقوى عباراتٌ، فقيلَ: التقوى العملُ بطاعةِ الله[١]، على نورٍ مِن الله، مخافةَ عقابِ الله عزَّ وجَلَّ[٢].

ومن أينَ يجِدُ القلبُ نورًا مِن الله عزَّ وجَلَّ وهوَ مُنغمِرٌ في بحارِ الشُّبهاتِ، وغارقٌ في لُجَجِ الشهواتِ، وذلكَ مَرتَعُ[٣] الشَّيطانِ ومَأواهُ؛ فمَن حدَّثَ نفسَه بأنّه مُتَّقٍ[٤] مِن غيرِ قطْعِ مادةِ الشبهاتِ والشهواتِ، فهوَ ضُحْكَةٌ للشيطانِ.

قيل[٥]: جاءَ سائلٌ يسألُ عبدَ الله بنَ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما، فقالَ لابنهِ[٦]: «أعْطِه دِينارًا»، فلمّا ذهَبَ السّائلُ قالَ له ابنُه: تقبَّلَ الله منكَ يا أبتاهُ، فقالَ: «لو علِمْتُ أنّ الله عزَّ وجَلَّ قبِلَ[٧] منِّي سجدةً واحدةً أو صدقةَ درهمٍ لم يكُنْ غائبٌ أحبَّ إليَّ مِنَ الموتِ، أتدرِي ممَّنْ يتقبَّلُ الله؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]»[٨].

فإذا كانَ هذا السيِّدُ الجليلُ يقولُ ذلكَ، فكيفَ يَحسُنُ بأحدٍ يظُنُّ في نفسِه أنّه مِن المتَّقينَ، وهل ذلكَ إلا مِن الجهلِ، ولو نظرْتَ في سِيرتِهِ[٩] لرأيْتَ[١٠]

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ب) و(د).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٤: ٢٥٦)، و«مدارج السالكين» (١: ٤٥٩)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (١: ٦١).

(٣) في (س) و(ب): «مربع».

(٤) في (س): «متقي».

(٥) «قيل» مثبت من (د).

(٦) «لابنه» مثبت من (د).

(٧) في (د): «تقبل».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٩).

(٩) في (ب): «سريرته».

(١٠) في (س): «لقضيت».

العجَبَ مِن حُسنِ صَنيعِه مِن المعروفِ وجهادِ نفْسِه في العباداتِ(١).

قالَ نافعٌ: «كانَ ابنُ عُمر(٢) يُحْيي اللَّيلَ وما بينَ الظهرِ والعصرِ(٣)، وإذا قرَأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، يبْكِي حتَّى يغلِبَه البُكاءُ(٤)، وكانَ لا يعجِبُه شيءٌ مِن مالِه إلا خرَجَ عنه لله عزَّ وجَلَّ»(٥).

وأتَتْه يومًا عِشرون ألفَ دِينارٍ، فلم يقُمْ مِن مجلسِه حتَّى فرَّقَها(٦).

ودُفِعَ لهُ في نافعٍ عشرةُ آلافِ دينارٍ(٧)، فقيلَ له: ما تنتظِرُ(٨) في بَيْعِه؟ فقالَ: «فهلا ما هوَ خيرٌ؟ هوَ حُرٌّ لوجْهِ الله عزَّ وجَلَّ»(٩). [٥٤/أ]

وكانَ لا يأكُلُ طعامًا إلا وعلى مائدتِه يتيمٌ(١٠).

وسيرتُه في ذلكَ وأشباهِه كثيرٌ، حتَّى قالَ جابرٌ رضِيَ الله عنه: «ما رَأْينا

---

(١) في (د): «العبادة».

(٢) قوله: «ابن عمر» مثبت من (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٤) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣٠٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٩).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ١٦٦)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٩).

(٦) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٩٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٣: ٢١٨).

(٧) «دينار» ليس في (س) و(د).

(٨) في (د): «تنظر».

(٩) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٩٦)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٦: ١٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٥: ٤٦١).

(١٠) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٥٥)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

أحدًا إلا قد مالَتْ به الدُّنيا ومالَ بها، إلا عبدَ الله بنَ عُمرَ رضي الله عَنْهُما»[١].
ومع هذا لا يعُدُّ نفسَه مِن المتَّقينَ.

وقيلَ: التقوى: مجانبةُ ما يبعِدُك عنِ الله عزَّ وجَلَّ[٢]. ومن يقدِرُ على ذلكَ؟
وقيلَ: التقوى لها ظاهرٌ وباطنٌ؛ فالظّاهرُ: محافظَةُ الحُدودِ، والباطنُ: النيّةُ والإخلاصُ[٣].

وهذا أمرٌ شديدٌ، ومن يقدرُ على مُحافظةِ الحُدودِ، والجوارحُ كلُّها مَشغولةٌ بالمُخالفةِ، لا سيَّما اللسانُ والنظرُ، والداءُ العُضالُ: البطْنُ!

وأمّا النيّةُ والإخلاصُ، فهذا شيءٌ لا يقدِرُ عليه إلا الصِّدِّيقونَ، ومَن شمَّ رائحةَ الإخلاصِ، ومثْلُ الإمامِ أحمَدَ يقولُ: «أمّا لله فعزيزٌ»[٤].

وهو كما قالَ، ومن يقدِرُ على استواءِ السرِّ والعلانيةِ، ومَن يتخلَّصُ مِن الأوصافِ الرديّةِ، وفي ابنِ آدمَ ثلاثونُ ألفَ وصفٍ رديءٍ، وقيلَ غيرُ ذلكَ.

والمقصودُ تعريفُ تكذيبِ[٥] مَنِ ادَّعَى أو حدَّثَ نفْسَه بأنّه متَّقٍ[٦].
قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «المتَّقِي: هوَ الذي يتَّقِي الفواحشَ»[٧].

---

(١) انظر: «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٨٩٤)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٧٠٦)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣: ٩٥١).
(٢) انظر: «تفسير النيسابوري» (٢: ٧١).
(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).
(٤) انظر: «البداية والنهاية» (١٠: ٣٣٠).
(٥) «تكذيب» ليس في (د).
(٦) في (س): «متقي».
(٧) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٠)، و«تفسير الثعلبي» (١: ١٤٢).

وقالَ الترمذِيُّ محمَّدُ بنُ عليٍّ[١]: «هوَ الذي لا خصْمَ له في الآخرةِ»[٢].

وقالَ السيِّدُ الجليلُ أبو سُليمانَ الدارانِيُّ: «المتَّقِي: هوَ الذي نزَعَ الله تعالى مِن قلْبِه حُبَّ الشهواتِ»[٣].

وهذا الذي قالَه، قيلَ: هوَ المرادُ في قولِه تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، يَعْني: نزَعَ منها حُبَّ الشهواتِ[٤].

[علامات التقوى]:

واعلَمْ أنّ للتقوى علاماتٍ؛ نذكُرُها لئَلا نغتَرَّ[٥]:

[١] **منها**: الاشتياقُ إلى مُفارقةِ الدُّنيا، ومصداقُه[٦] قولُه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢] الآية؛ لأنّ المتَّقيَ يحِبُّ لقاءَ حَبيبِه، ولا

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، وقيل: الحسين بن بِشْر الزّاهد، الحكيم الترمذي المؤذّن، صاحب التصانيف في التصوف والطريق، سمع الحديث الكثير بخراسان والعراق، وروى عن أبيه، وقتيبة بن سعيد، والحسن بن عمر بن شقيق، وصالح بن عبد الله الترمذي، وغيرهم، وكان يقول: ما صنفت شيئًا لينسب إلي، لكن كنت إذا اشتد علي وقتي أتسلى بمصنفاتي، وعاش نحوًا من ثمانين سنة. انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢١٧-٢٢٠)، و«حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٣-٢٣٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٤٤)، و«طبقات علماء الحديث» (٢: ٣٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢١: ٢٧٦).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١: ١٤٣)، و«الرسالة القشيرية» (٢: ٣٨٠)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧١).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١: ١٦١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٩: ٢٦٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٤: ١٢٩).

(٥) في (د): «تغتر».

(٦) في (ب): «ومصادقة»، وفي (د): «ومضادته».

يمكِنُ اللقاءُ إلا بالموتِ، فكُلما[1] زادَ شوْقُه إلى لقاءِ حبيبِه، ضاقَ مِن العائقِ عنه، [٥٤/ب] والعائقُ الحياةُ، وحينئذٍ يكرَهُ[2] الحياةَ، ومَنْ كَرِهَها اشتاقَ إلى مُفارقةِ الدنيا[3].

[٢] ومنها: أن يهونَ على قلْبِه أعْراضُ الدنيا، فلا يفرَحُ بِحُصولِها[4]، ولا يحزَنُ لذهابِها، فالمتَّقِي[5] هوَ الذي لا يدنِّسُ ظاهرَه بالمُعارضاتِ[6]، ولا باطنَه بالعَلالاتِ[7].

قالَ عمرُ رضِيَ الله عنه: «لا أبالِي على أيِّ حالةٍ أصبَحْتُ أو أمسَيْتُ»[8].

وقالَ[9] عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه: «ما أُبالي إذا رجَعْتُ إلى أهْلِي على أيِّ حالٍ أراهُم بسَـرّاءَ أم بضرّاءَ، وما أصبَحْتُ على حالٍ فتمنَّيْتُ أنِّي على سِواها»[10].

فهذانِ رضِيَ الله عنهُما ومَن نَحا نَحْوَهما حقَّقُوا التقوى، ونزَلُوا في مَقامِ التفويضِ، فأخَذُوا بذِروةِ[11] التقوى، فسُبحانَ مَن وهَبَهم ومَنَّ عليهم!

---

(١) في (س): «فلما». (٢) في (س): «فيكره».

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٨)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).

(٤) في (س): «لحصولها». (٥) في (س): «فالتقي».

(٦) في (د): «بالمعاوضات».

(٧) في (س) و(ب) و(د): «بالمعاملات». وانظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٣٤٦)، و«مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» (١: ٤٩٧).

(٩) في (د): «قال».

(١٠) انظر: «الزهد والرقائق» لابن المبارك (٢: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٤).

(١١) في (د): «فأخذوا في بذروة».

وقالَ: «يُستدَلُّ على التقوى بثلاثِ خِصالٍ: بحُسنِ التوكُّلِ فيما لم يُنَلْ، وبحُسنِ الرضا فيما نِيلَ[١]، وبحُسنِ الصبرِ على ما فاتَ»[٢].

فأنتَ رحِمَنا الله تعالى وإيّاكَ، وحَمانا مِن التلبيسِ والتزويقِ إذا تأمَّلْتَ ما ذكَرْتُه لكَ[٣] وهوَ نقطةٌ مِن بحرٍ، قطَعْتَ بأنّا ما شَمَمْنا للتقوى رائحةً، فكيفَ يليقُ بالشخصِ أن يصِفَ نفسَه بما ليسَ فيه ويزكِّيها، والله سُبحانَه وتعالَى يقولُ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقالَ تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، والله أعلَمُ.

[الثياب التي يتعاطاها أعوان الظلمة]:

[٤] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: لبْسُ ما اعتادَه نساءُ الظَّلَمةِ مِن الأمراءِ والقُضاةِ وأتباعِهم، وأصحابِ الوظائفِ التي يَتعاطاها أعوانُ الظَّلَمةِ، وكذا أصحابُ الثروةِ مِن التُّجّارِ وغيرِهم؛ كالثيابِ الرقيقةِ الشفّافةِ، وكذا الأُزُرِ[٤] الخَلابيةِ[٥] ونحوِ ذلكَ، وكالعصائبِ[٦] الناتئةِ، والطاراتِ، ونحوِ ذلكَ، لا سيَّما عندَ المُبالغةِ في اتساعِ[٧] التفصيلِ الذي هوَ عَينُ السَّرَفِ والبَطَرِ، وهذا حرامٌ شديدُ الحُرمة[٨]، ومُتعاطي ذلكَ له مِن الخِزْيِ ما أذكُرُه مِن الدليلِ[٩].

---

(١) في (د): «ينل».
(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (١: ١٤٤)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٢).
(٣) «لك» مثبت من (د).
(٤) في (د): «الإزار».
(٥) في (س) و(ب): «اليزر الجلاية».
(٦) في (د): «وكل عصائب».
(٧) في (د): «اتباع».
(٨) في (س): «التحريم».
(٩) انظر: «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢٥٨).

قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] الآية، فيا ذلَّ مَن لا يحِبُّه الله عزَّ وجَلَّ.

[٥٥/أ] وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**صِنْفانِ مِنْ أَهْلِ النّارِ لَمْ أَرَهُما، قَوْمٌ مَعَهُمْ**[١] **سِياطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِها النّاسَ، ونِساءٌ كاسِياتٌ**[٢] **عارِياتٌ مائِلاتٌ مُمِيلاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ**[٣]**، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذا وكَذا**». رَواهُ مُسلمٌ[٤] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضي الله عنهُ.

ومعنى: «**كاسِياتٌ**» أي: مِن نِعمِ الله عزَّ وجَلَّ[٥]، «**عارِياتٌ**» مِن شُكْرِها[٦].

وقيلَ مَعْناهُ[٧]: تستُرُ بعضَ بدَنِها وتكشِفُ بعْضَهُ؛ إظهارًا لجمالِها وحُلِيِّها[٨] ونحْوِ ذلكَ، كما تفعَلُه المرأةُ تُظْهِرُ مِعصَمَها مُوهِمةً أنّها تُصلِحُ إزارَها أو غيْرَه، ومقصودُها: أنْ يَرَى الناسُ مِعْصَمَها وسِوارَها وخواتمَها وسَلاسِلَها ونحْوَ ذلكَ.

وهذه المسكينةُ قد تظاهَرَتْ بمُخالفةِ الله عزَّ وجَلَّ في قولِه تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، الآيةَ.

---

(١) في (د): «معهما».
(٢) في (ب): «كاسايات».
(٣) في (د): «المائل».
(٤) «صحيح مسلم» (٢١٢٨).
(٥) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨: ٣٨٦)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ٣٨٨)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣: ٥٦٧)، و«الميسر» للتوربشتي (٣: ٨٢٣).
(٦) انظر: المراجع السابقة.
(٧) «معناه» ليس في (ب).
(٨) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ٣٨٨)، و«فيض القدير» (٤: ٢٠٩).

فكأنِّي[(١)] بها وقد وُضِعَتْ في قبْرِها فأسرَعَتِ النارُ إليها، فأُوقِدَ[(٢)] مِعْصَمُها وأُوقِدَ حُليُّها زيادةً في العذابِ إن كانَ ثيابُها وحُليُّها حلالًا، وإلا اشتعَلَتْ معَ ذلكَ ثيابُها، فصارَتْ هذه المسكينةُ شعلةَ نارٍ مِن نارٍ، لو نزَلَ منها إلى الدنيا شرارةٌ أو فُتِحَ منها قدْرُ مَنْخِرٍ[(٣)] لأحرَقَتِ الدنيا وما فيها، اللَّهمَّ إنّا نسألُكَ العافيةَ مِن عذابِ النارِ.

وقيلَ: مَعْنى «**كاسِياتٌ عارِياتٌ**» يعني: تلبَسُ ثوبًا رقيقًا يصِفُ لونَ بدَنِها، وفي مَعْنى ذلك: الإزارُ الشَّفّافُ، الذي يصِفُ ما تحتَه مِن الأقبيةِ والعَصَبةِ[(٤)] وغيرِ ذلكَ[(٥)].

وهؤلاءِ وأزواجُهم لهم مِن العذابِ والخزْيِ ما لا يعلَمُ قدْرَه إلا الله عزَّ وجَلَّ، لا سيَّما إذا[(٦)] انضَمَّ إلى ذلكَ التفاخُرُ والتعاظُمُ، وحبُّ أن يقالَ عليها ولها، فهؤلاءِ لهم زيادةُ عذابٍ، لا سيَّما إن كانَ زوجُها مِن المُتصوِّفةِ[(٧)]؛ فإنّه يكونُ سببًا لوُقوعِ غيْرِه في هذه المصائبِ[(٨)].

فإن كانَ فقيهًا واعظًا فهوَ أشدُّ عقوبةً؛ لأنّه به يقتَدِي العوامُّ، فهوَ أشدُّ فسادًا للخلْقِ مِن المُتصوِّفِ[(٩)]؛ لأنّ المتصوِّفَ منسوبٌ إلى الجهلِ؛ فإن [٥٥/ب] كانَ قاضيًا فهوَ أشدُّ عقوبةً؛ لأنّ القاضِيَ وظيفتُه الإنكارُ على مَن يَتعاطَى هذه

---

(١) في (د): «كأني».
(٢) في (د): «وأوقد».
(٣) في (ب): «منخرة».
(٤) في (د): «والأعصبة».
(٥) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ٣٨٨)، و«فيض القدير» (٤: ٢٠٩).
(٦) في (ب): «إذ».
(٧) في (ب): «التصوفة».
(٨) في (د): «الصفات».
(٩) في (د): «المتصوفة».

المَناكرَ، وردُّه إلى الحقِّ الذي نزَلَ به الكتابُ مِن ربِّ العالمينَ[١]، وبلَّغَهُ سيِّدُ الأوَّلينَ والآخِرينَ ﷺ، قالَ الله تعالى: ﴿الٓمٓصٓ * كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١-٢]، فكلُّ مَن لم يتَّعِظْ به فليسَ بمُؤمنٍ.

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِ﴾ [الأنبياء: ٤٥]، وقالَ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: بظاهِرِهم وباطنِهم، فكلُّ مَن دُعيَ إلى الحقِّ ووجَدَ في نفسِه حَرجًا، أي: ضِيقًا، ولم يسلِّمْ لحُكمِ الله تعالى ظاهرًا وباطنًا فليسَ بمُؤمنٍ[٢]؛ فلْيُتَنَبَّه لذلكَ فإنّه مهمٌّ مهمٌّ[٣].

فالحذَرَ الحذَرَ مِنِ اتباعِ فُقهاءِ زمانِكَ الذين نصَبُوا أنفسَهم عبيدًا لهؤلاءِ الظَّلَمةِ، حتَّى إنّ القاضيَ مِن دأْبه أنْ يفكِّرَ[٤] في الأمْرِ الذي يحِبُّه هذا الظالمُ الغاشِمُ الذي قد طبقَ محلَّ ولايتِه بالظُّلمِ مِن المَكسِ، وأخْذِ ما لا يحِلُّ لا في دينِ المُسلمينَ، ولا في دينِ اليهودِ، ولا في دينِ النصارى الذي دينُهم مَبْناه على النجاسةِ التي[٥] يتوَقّاها الكلْبُ برفْعِ[٦] رجْلِه، ولا في دينِ المجوسِ، ولا في دينِ الثنويّةِ والوثنيّةِ، التي عقولُهم في غايةِ العدَمِ، ولا في ملّةٍ مِن المِللِ؛ لأنّ ذلكَ مِن الخَمْسِ الكليّاتِ التي[٧] اتَّفقَ جميعُ المِللِ على منْعِها.

---

(١) في (س) و(د): «رب الأرباب».

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (١٠: ١٢٨)، و«فتح القدير» للشوكاني (١: ٥٥٩).

(٣) قوله: «فإنه مهم مهم» في (ب): «فإنه هم هم».

(٤) في (د): «ينكر».

(٥) في (د): «الذي».

(٦) في (ب): «يرفع».

(٧) في (د): «الذي».

وكذا طبقَ محلَّ ولايتِه بتوليةِ أخسِّ النّاسِ وأرذلِهم مِن حمارٍ[1] جاهلٍ غَشومٍ، فيعمِدُ إلى موضعِ[2] ولايتِه فيُغازِي في الموحِّدينَ وغيرِهِم بأخْذِ أموالِهم، وهتْكِ نِسائِهم وذرارِيهم، ولوِ امتنَعَ شريفٌ منه سفَكَ دمَه، وأخَذَ مَن أخَذَ وبَرْطَلَ به مَن ولاهُ.

وكذا طبقَ محلَّ ولايتِه بحمايةِ الحشّاشينَ والخمّارينَ والمُقامرينَ والمغانِي [٥٦/أ] والقَيْناتِ، وكلِّ فاحشةٍ نَهَى الله عزَّ وجَلَّ عنها، وهوَ مُتظاهِرٌ بالاستهزاءِ بكتابِ الله عزَّ وجَلَّ وبرسولِه ﷺ، فقاضٍ هوَ قد نصبَ نفسَه عبدًا لمَن هذه صفتُه مِن ظالمٍ، حشّاشٍ، خمّارٍ، قوّادٍ، وغيرِ ذلكَ مِن الفواحشِ يُقتَدَى به وبمَنْ يتردَّدُ إليه مِن المُفتينَ؟! كلا والله لا يفعلُ ذلكَ إلا جاهلٌ قد كبَّه الجهْلُ على أنفِه في النارِ، أو زِنديقٌ حُلوليٌّ، أو ملحدٌ، أو مفتونٌ بزهرةِ الدنيا التي هيَ رأْسُ كلِّ خطيئةٍ، كما قالَه[3] عليه الصلاةُ والسلامُ. رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[4] والبَيْهقِيُّ[5].

فالحذَرَ الحذَرَ[6] مِن الاقتداءِ بهؤلاءِ الفُقهاءِ الذينَ هُم على دينِ الإسلامِ أضرُّ مِن اليهودِ والنصارى، ولا يجوزُ استفتاؤُهم، ولا الاقتداءُ بهم في قولٍ ولا فعلٍ؛ لأنّهم على أقلِّ الدرجاتِ فُسّاقٌ، والفاسِقُ لا يُقبَلُ قوْلُه في فَلْسٍ، فكيفَ يُقبَلُ قولُ[7] مَنِ الله عزَّ وجَلَّ ورسولُه ﷺ[8] أحقَرُ عِندَه مِن ظالمٍ هذه

---

(١) في (ب): «خمار».
(٢) في (د): «محل».
(٣) في (د): «قال».
(٤) «الزهد» لابن أبي الدنيا (٢٦).
(٥) «شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٠١٩). وأورده الصغاني في «الموضوعات» (٣٧)، وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (١: ٣٤٤): «رواه البيهقي في «الشعب» بإسناد حسن إلى الحسن البصري، رفعه مرسلًا».
(٦) «الحذر» ليس في (س) و(د).
(٧) في (د): «قوله».
(٨) قوله: «ورسوله ﷺ» ليس في (ب).

صفتُه، بدليلِ عدَمِ تنفيذِ قولِ الله وتنفيذِ قولِه، وإن كانَ فيه غضَبُ الله وغضَبُ رَسولِه ﷺ، وهذا مِن الدليلِ الواضحِ ويُقتدَى[1] به في دينِ الله عزَّ وجَلَّ؟!

وكنتُ في بيتِ المقدسِ في وقْتِ مَجاعَةٍ، فشرِبَ بعضُ القُضاةِ الخمْرَ على قَينةٍ، فقالَ بعضُ أتباعِ الظَّلَمةِ: «قد[2] حلَّ لنا الخمرُ، هذا القاضِي قد شرِبَ الخمرَ»، فكانَ فعلُ ذلكَ سببًا لكفرِ هذا القائلِ[3]، أو لإظهارِ ما هوَ كامِنٌ في نفسِه الخبيثةِ.

وقولي: «إنّهم على دينِ الإسلامِ أضرُّ مِن اليهودِ والنصارى» في غايةِ الوُضوحِ؛ لأنّ المُسلمَ يعتقِدُ عَداوةَ اليهودِ والنصارى، وبطلانَ ما هم عليه فلا يَقتدِي بهم[4]، بخلافِ فُقهاءِ المُسلمينَ؛ فإنّهم[5] إنّما يقتدونَ بهم حتَّى متى وقعَ للمُسلمِ قضيّةٌ مُتديّنًا كانَ أو غيرَ مُتديّنٍ أسرَعَ إليهِ، واعتمَدَ في قضيَّتِه عليه؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعونَ مِن هذه المُصيبةِ الجسيمةِ. [٥٦/ب]

ولا حجّةَ في قولِ القائلِ: فلِمَنْ نسألُ وعمَّنْ نأخُذُ العلْمَ؟

إنّ لله تعالى رجالًا يحفَظونَ دِينَه، لا يضرُّهم مَن خذَلَهم إلى يومِ القيامَةِ، مَن طلَبَهم بصدقٍ وجَدَهم، ومَن وجَدَهم وتبِعَهم كانَ مِن النّاجين، والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «ولا يقتدى».

(٢) في (ب): «قل».

(٣) قال ابن قدامة في «المغني» (٩: ١١): «من اعتقد حِل شيء أجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه، كلحم الخنزير، والزنى، وأشباه هذا، مما لا خلاف فيه، كفر». وقال الملا علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» (١٢٦): «إن استحلال المعصية صغيرة أو كبيرة كفر إذا ثبت كونها معصية بدلالة قطعية».

(٤) قوله: «فلا يقتدي بهم» ليس في (ب).

(٥) في (د): «فإنه».

ومَعْنى «مائِلاتٌ»، قيلَ: عن طاعةِ الله تعالى، وما يلزَمُهنَّ حفْظُه[١].

ومَعْنى «مُمِيلاتٌ»[٢]؛ أي: يعلِّمْنَ غيرَهُنَّ فعْلَهنَّ المَذمومَ[٣].

وقيلَ: «مائِلاتٌ»؛ أي: يمشِينَ مُتبختِراتٍ[٤] مُمِيلاتٍ لأكتافِهِنَّ، وهذه[٥] المِشيةُ التي نُهِيَ عنها، ففاعلةُ ذلكَ مُخالِفةٌ، والمُخالِفةُ لها عقوبةٌ على قدْرِ ذنْبِها[٦].

وقيلَ: «مائِلاتٌ»: يتمشَّطْنَ[٧] المِشطةَ المَيلاءَ، وهيَ مِشطةُ[٨] البَغايا[٩].

و«مُمِيلاتٌ»: يُمشِّطْنَ غيْرَهُنَّ تلكَ المِشطةَ[١٠].

ومَعْنى «رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ»؛ أي: يُكَبِّرْنَها ويُعَظِّمْنَها بلَفِّ عصائبَ[١١] ونحْوِها[١٢]، والله أعلَمُ.

---

(١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣: ٥٦٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠).

(٢) في (ب): «مائلات».

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٨: ٢٤٩٠)، و«شرح السيوطي على مسلم» (٥: ١٦٤).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٨: ٢٤٩٠)، و«شرح السيوطي على مسلم» (٥: ١٦٤).

(٥) في (د): «وهي».

(٦) انظر: «مطالع الأنوار» (٤: ٧٤)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٤: ٢٢٣)، و«شرح المصابيح» لابن الملك (٤: ١٦٢).

(٧) في (ب): «يمشطن». (٨) في (د): «المنشطة».

(٩) «شرح السيوطي على مسلم» (٥: ١٦٤)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨: ٤٧٣).

(١٠) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠).

(١١) في (د): «عمائم».

(١٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٣٦١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١١٠).

[وصل الشعر والوشم والوشر]:

[٥] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكات**: وصْلُ الشَّعرِ والوشْمِ والوشْرِ، وهو تحديدُ الأسنانِ(١).

قالَ الله تعالى: ﴿إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا * لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا * وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا * يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا * أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا﴾ الآيةَ [النساء: ١١٧-١٢١].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَعَنَ الله الواصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَةَ، والواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ**». رَواهُ البُخارِيُّ(٢) ومُسلمٌ(٣) مِن حديثِ ابنِ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما.

ولعَنَ(٤) ابنُ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه الواشِماتِ والمُستوشِماتِ، والمُتنمِّصاتِ، والمُتفلِّجاتِ للحُسنِ، المُغيِّراتِ خلْقَ الله عزَّ وجَلَّ، فقالَتْ له امرأةٌ في ذلكَ، فقالَ: ما لي لا ألعَنُ مَن لعنَه رَسولُ الله ﷺ؟ هوَ(٥) في كتابِ الله عزَّ وجَلَّ، قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]. [٥٧/أ]

رَواهُ البُخارِيُّ(٦) ومُسلمٌ(٧).

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٤: ١٩١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٠٦)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٥: ٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٣٧).

(٣) «صحيح مسلم» (٢١٢٤).

(٤) في (د): «لعن».

(٥) في (د): «وهو».

(٦) «صحيح البخاري» (٤٨٨٦).

(٧) «صحيح مسلم» (٢١٢٥).

فيا ذلَّ وخزيَ مَن لعنَها[١] رَسولُ الله ﷺ.

والمتفلِّجةُ: هيَ التي تبرُدُ أسنانَها؛ ليتباعَدَ[٢] بعْضُها عن بعضٍ قليلًا، وتحسِّنُها، وهوَ الوشْرُ[٣].

والنامصة: هيَ التي تأخُذُ مِن شعْرِ حاجبِ غيْرِها وترقِّقُه[٤]؛ ليصيرَ حَسنًا[٥].

والمتنمِّصةُ: هيَ التي تأمُرُ مَن يفعَلُ بها ذلكَ[٦].

وعن حُميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، أنّه سمِعَ مُعاويةَ رضِيَ الله عنه عامَ حجَّ على المنبرِ، وقد تناوَلَ قُصَّةً مِن شعرٍ كانَتْ في يدِ حَرَسِيٍّ، فقالَ: يا أهلَ المدينةِ، أينَ عُلماؤُكُم؟ سمِعْتُ رَسول الله ﷺ يَنْهَى عن مثْلِ هذا[٧]، ويقول: «**إنّما هَلَكَتْ بَنُو إسْرائِيلَ حِينَ اتَّخَذَها نِساؤُهُمْ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩].

فتنبَّهِي لذلكَ يا مُؤمنةُ، واحذَرِي سببَ الهلاكِ، ولا تغتـرِّي[١٠] بكثرةِ[١١] مَن يفعَلُ ذلكَ، ولا تستصغِري هذا الذنبَ، فإنّ غضَبَ الله عـزَّ وجَلَّ مستـورٌ في مُخالفتِه.

---

(١) في (س): «لعنه».

(٢) في (د): «لتباعد».

(٣) انظر: «معالم السنن» (٤: ٢٠٩)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٥: ٢٤١)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١: ٢٧٣).

(٤) في (د): «وترفعه».

(٥) انظر: «الكواكب الدراري» (٢١: ١٢٩)، و«عمدة القاري» (٢٢: ٦٣)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢٣٤).

(٦) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٠٦)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (٥: ٤٣).

(٧) في (د): «هذه».

(٨) «صحيح البخاري» (٣٤٦٨).

(٩) «صحيح مسلم» (٢١٢٧).

(١٠) في (د): «تفتري».

(١١) «بكثرة» ليس في (ب).

وكيفَ يُستصغَرُ هذا الذنبُ، وقد حذَّرَ الله عزَّ وجَلَّ منه، وكذا رَسولُه عليه الصلاةُ والسلامُ، وذكَرَ أنّه سببُ هلاكِ[1] مَن قبْلَنا، كما بيَّنَ لنا أنّ مُجالسةَ الظَّلَمةِ والفسّاقِ سببُ هلاكِ مَن قبْلَنا، ونبَّهَ على التَّحذيرِ منه، ومعلومٌ أنّ ذلكَ ممّا يفعلُه العُلماءُ والمُتصوِّفةُ، فتنبَّهي لذلكَ، ولا تغتَرِّي بكثرةِ الهالكينَ، فقد قامَتِ الحجَّةُ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ.

[حقوق الآدميين][2]:

[٦] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: أن يلزَمَ ذمَّتَكِ شيءٌ مِن دَينٍ أو قرضٍ، أو إتلافِ شيءٍ.

كما إذا استعَرْتِ حاجةً فانكسَرَتْ أو تلِفَتْ[3] ونحوَ ذلكَ؛ فإنّه يجِبُ المُبادرةُ إلى بَراءةِ الذمّةِ، إما بالوفاءِ أو البراءةِ[4]، أو الهبةِ، لا سيَّما إذا كانَ المستحِقُّ يستحْيي أنْ يُطالِبَ، أو كانَ قد ورِثَ الحقَّ صغيرًا أو صغيرةً، فمَنْ[5] أخَّرَتْ ذلكَ فهيَ ظالمةٌ عاصيةٌ معصيةً عظيمةً، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**». رَواهُ البُخاريُّ[6] ومُسلمٌ[7].

والغنيُّ: هوَ الذي يقدِرُ على الوفاءِ[8]، وكثيرٌ ممَّن يقدِرُ على الوفاءِ ويؤخِّرُ طَمَعًا في أنّه يُوفي مِن موضعٍ آخَرَ مِن غزلٍ[9] أو غيْرِه/ [٥٧/ب]، ومن فعَلَ[10] ذلكَ فهوَ

---

(١) في (ب): «الهلاك».
(٢) كذا على حاشية (ب).
(٣) في (د): «أتلفت».
(٤) في (د): «بالبراءة».
(٥) في (د): «ممن».
(٦) «صحيح البخاري» (٢٢٨٧).
(٧) «صحيح مسلم» (١٥٦٤).
(٨) انظر: «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦: ٣٠٢)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣: ٤٢٧).
(٩) في (س): «عزل».
(١٠) في (د): «يفعل».

عاصٍ، وإن كانَ قد أخَذَ ذلكَ على سَبيلِ المُخادعةِ أو المُهاياةِ[١] فهوَ آثمٌ إثمًا آخَرَ بسببِ ذلكَ.

فإن كانَ قد أخَذَ ذلكَ خُفيةً وجَبَ إعلامُ صاحِبِ الحقِّ، فإنْ[٢] أخَذَه غصْبًا فهوَ أشدُّ في المعصيةِ؛ لأنّه تجاهَرَ بمُخالفةِ الله عزَّ وجَلَّ، وذلكَ ذنبٌ عظيمٌ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَحِلُ لِامْرِئٍ أنْ يَأْخُذَ عَصا أخِيهِ بغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، وذلكَ لِشِدَّةِ ما حَرَّمَ الله عزَّ وجَلَّ مالَ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ[٣]**». رَواهُ البيْهقِيُّ[٤].

وفي القُرآنِ العظيمِ[٥] و«**الصَّحيحينِ**» النهيُ عن ذلكَ؛ فإن أنكرَتْ ما ادُّعِيَ عليها وقعَتْ في إثمِ الكذبِ زيادةً على ذلكَ، فإن حلَفَتْ وقعَتْ في معصيةٍ مِن الكبائرِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بغَيْرِ حَقِّهِ لَقِيَ الله عَزَّ وجَلَّ وهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانُ**». نسألُ الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ مِن غضَبِه. رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧] مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه.

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «أو المحاياه». ولعل ما أثبت أقرب للصواب. والمهاياة: هي أمر يتهايا القوم عليه فيتراضون. انظر: «المحيط في اللغة» (٤: ٩٣).

(٢) في (د): «فإنه».

(٣) جاء بعدها في (س): «حرام».

(٤) «مسند أحمد» (٢٣٦٠٥)، و«مسند الروياني» (١٤٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٥٩٧٨)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ١٦٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤: ١٧١): «رواه أحمد، والبزار، ورجال الجميع رجال الصحيح».

(٥) «العظيم» ليس في (س).

(٦) «صحيح البخاري» (٢٣٥٦).

(٧) «صحيح مسلم» (١٣٨).

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ بِيَمِينِهِ فقَدْ**[١] **أَوْجَبَ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُ النّارَ، وحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، فقالَ رجلٌ: وإن كانَ شيئًا يسيرًا يا رَسولَ الله؟ فقالَ: «**وَإِنْ كانَ قَضِيبًا**[٢] **مِنْ أراكٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٣].

فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ، فكأنّـي[٤] بكِ وقد ندِمْتِ حينَ لا ينفَعُ[٥] الندَمُ.

ومِن الظُّلم: أنْ تدخُلَ المرأةُ على امرأةٍ أُخرى بغيرِ إذْنِ زوجِها أو سيِّدِها، وتدخلَ في هَواها وتحسِّنَ لها أمورًا كثيرةً[٦] يكرَهُها الزوجُ، فهذه عليها آثامٌ؛ منها: دخولُها منزلَ الزوجِ بغيرِ رِضاهُ، فهيَ عاصيةٌ بالقُعودِ وبالأكْلِ[٧] والشُّربِ، وبالخَديعةِ وبالإفسـادِ، فهذه كلُّها معاصٍ كبائرُ بمنزلةِ شرْبِ الخمْرِ[٨].

وقد يقولُ الزوجُ[٩] للدّاخلةِ كلامًا يُفهِمُ منهُ[١٠] أنّه لا يكرَهُ دُخولَها، إلا أنّه يَرَى أنّ[١١] دُخولَها وسكوتَه أهونُ عليه ممّا يترتَّبُ على التصريحِ بمنْعِها فسكتَ[١٢] مُكابرةً[١٣]، فهذه أيضًا مِن المعاصِي، فالمُؤمنةُ التي صدَّقَتْ رَسولَ الله ﷺ فيما جاءَ به عن ربِّنا عزَّ وجَلَّ تتفَقَّدُ[١٤] ذلكَ، وإلا فهيَ مُوقِعةٌ نفْسَها في حُفرةٍ، بل حُفَرٍ مِن نارِ جهنَّم، عافانا الله تعالى منها. [٥٨/أ]

---

(١) «فقد» ليس في (د).

(٢) في (س) و(د): «قضيب».

(٣) «صحيح مسلم» (١٣٧).

(٤) في (د): «وكأني».

(٥) في (د): «ينفعك».

(٦) قوله: «لها أمورًا كثيرة» ليس في (ب).

(٧) في (د): «والأكل».

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٥٩)، و«الكبائر» للذهبي (١٧٥).

(٩) في (ب): «للزوج».

(١٠) «منه» مثبت من (د).

(١١) «أن» ليس في (د).

(١٢) كأنها في (س): «فتسكت»، وفي (د): «فيسكت».

(١٣) في (د): «مكاثرة».

(١٤) في (ب): «تفعل».

فعليكِ أيَّتُها[١] المسكينةُ بالمُبادرةِ إلى فِكاكِ نفْسِكِ من أمرٍ مَهولٍ في يومٍ لا تَدارُكَ فيه ولا قدرةَ، إلا عذابٌ وسحبٌ إلى النارِ.

قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ كانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أوْ مِنْ شَيْءٍ، فلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، مِنْ قَبْلِ ألا يَكُونَ دِينارٌ ولا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ لَهُ عَمَلٌ صالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَناتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئاتِ صاحِبِهِ، فحُمِلَ عَلَيْهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أتَدْرُونَ ما[٣] المُفْلِسُ؟**» قالُوا: المفلِسُ فينا[٤] مَن لا دِرهمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ[٥] المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ بِصَلاةٍ وصِيامٍ وزَكاةٍ، ويَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هَذا، وقَذَفَ هَذا، وأكَلَ مالَ هَذا، وسَفَكَ دَمَ هَذا، وضَرَبَ هَذا، فيُعْطَى هَذا مِنْ حَسَناتِهِ، وهَذا مِنْ حَسَناتِهِ، فإنْ فنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يَقْضِيَ ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطاياهُمْ، فطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النّارِ**». رَواهُ مُسلمٌ[٦] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وكان على ثَقَلِ النبيِّ ﷺ رجلٌ يقالُ له: كِرْكِرَةُ، فماتَ، فقالَ رَسولُ الله: «**هُوَ في النّارِ**»، فذهَبُوا يَنْظرونَ إليه فوجَدُوا عَباءةً قد غلَّها. رَواهُ البُخارِيُّ[٧] مِن حديثِ عبد الله بن عمرِو بنِ العاصِ[٨] رضِيَ الله عنه.

---

(١) في (س) و(ب) و(د): «أيها».
(٢) «صحيح البخاري» (٢٤٤٩).
(٣) في (د): «من».
(٤) في (د): «منا».
(٥) «إن» ليس في (ب).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٨١).
(٧) «صحيح البخاري» (٣٠٧٤).
(٨) في النسخ: «عمرو بن العاص». والمثبت موافق لما في مصادر التخريج.

ومَعْنى «غلَّها»: سرقَها[١].

وإذا كانَ هذا في عَباءةٍ، وفي رِوايةٍ: «شَمْلَةً أخَذَها مِن المَغنَمِ»[٢] وله فيه حقٌّ، فكيفَ حالُ مَن يأخُذُ شيئًا لا حقَّ له فيه؟! كما يفعَلُه الظَّلَمةُ مِن أخْذِ المقاطِعِ واللُّحُفِ والفُرُشِ والبُسُطِ والمقاعدِ وغيْرِها.

فكأنِّي بهذه المسكينةِ زوجةِ هذا الظالمِ وقدِ التهَبَتْ عليها هذه الأمورُ في نارِ جهنَّمَ.

وقد كثُرَ في ألسنةِ النساءِ: أنّ المرأةَ ما عليها الذي يفعَلُه الزَّوجُ مِن الظُّلمِ، والبَلْصُ[٣] في ذمَّتِه، وهذا كلامٌ باطلٌ خبيثٌ، لا يصدُرُ إلا مِن قلْبٍ [٥٨/ب] خبيثٍ، فتجِبُ التَّوبةُ مِن ذلكَ.

ومَن عَرِفَتْ أنّ ذلكَ حرامٌ، أو[٤] قالَتْ ذلكَ، أو سمِعَتْه ولم تنكِرْه، فهيَ عاصيةٌ؛ فإنِ اعتقَدَتْ جوازَ ذلكَ بعدَ معرفتِها بأنَّه حرامٌ، فهيَ كافرةٌ فتُستتابُ؛ فإن تابَتْ وإلا ضُربَتْ عنُقُها[٥] بسيفِ الشرعِ المحمَّديِّ، واستوجَبَتْ بذلكَ الخُلودَ في النارِ؛ لأنّها حلَّلَتْ ما حرَّمَ الله عزَّ وجَلَّ، وأخَذَتْه، واستعمَلَتْه بغيرِ حقِّه.

فكأنِّي[٦] بها وقد جاءَتْ يومَ القيامَةِ وهيَ تحمِلُ هذه الأمورَ، قالَ الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ الآيةَ [الأنعام: ٣١].

---

(١) في (س): «سارقها». انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٣٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٧٠٧)، و«صحيح مسلم» (١١٥).

(٣) ومعناها: جباية الضرائب.

(٤) في (س): «و».

(٥) في (د): «رقبتها».

(٦) في (د): «كأني».

وقالَ[١] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**والله لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلّا لَقِيَ الله تَعالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ الله عَزَّ وجَلَّ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغاءٌ، أَوْ بَقَرَةً[٢] لَها خُوارٌ، أَوْ شاةً تَيْعَرُ[٣]**»، ثمَّ رفَعَ يدَيْه حتَّى رُئِيَ[٤] بياضُ إبْطَيْه، ثمَّ قالَ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟**». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦] مِن[٧] حديثِ أبي حُميدٍ الساعديِّ، واسمُه: عبدُ الرحمنِ رضِيَ الله عنه، وهذا بعضُ حديثِ ابنِ اللُّتبيّة[٨].

ومَنِ استعمَلَتْ شيئًا ممّا جاءَ به زوْجُها، فقد أخذَتْه بغيرِ حقِّه، وسواءٌ[٩] كانَ زوْجُها أميرًا، أو قاضيًا، أو مُتصوِّفًا، أو غيرَ ذلكَ، ويجِبُ عليها أنْ تسألَ عالمًا عاملًا بعلْمِه قد[١٠] عُرِفَ منه أنّه لا يقولُ إلا الحقَّ، ولا يتساهَلُ، أمّا مَن هوَ مِن[١١] هذه[١٢] الفُقهاءِ فلا يُسألُ ولا يُستَفْتى مِنهُم[١٣] كما قدَّمْناه.

وكذا لا يُسألُ هؤلاءِ الذين اتَّخذوا قراءةَ «**البُخاريِّ**» و«**مُسلمٍ**» وغيرِهما[١٤] في الدَّكاكينَ؛ فإنّهم منهم، بل أنزَلُ درجةً؛ لأنّهم عوامٌ بالنسبةِ إلى المُفتينَ[١٥]، اللَّهمَّ إلا أنْ يكونَ ممَّن عُرفَ بالعلْمِ والتقوى.

---

(١) في (د): «قال».

(٢) في (د): «وبقرة».

(٣) في (د): «تبعر».

(٤) في (د): «رأينا».

(٥) «صحيح البخاري» (٦٩٧٩).

(٦) «صحيح مسلم» (١٨٣٢).

(٧) في (د): «في».

(٨) في (س) و(د): «ابن اللتية».

(٩) في (د): «سواء».

(١٠) في (د): «وقد».

(١١) «من» ليس في (ب).

(١٢) في (د): «هذا».

(١٣) «منهم» مثبت من (د).

(١٤) في (س): «وغيرها».

(١٥) في (د): «المتقدمين».

وعلامةُ التقوى: أنّه لو قالَ له واحدٌ مِن الظَّلَمةِ أو واحدةٌ مِن نسائِهم: اقرَأْ لي «البُخاريَّ»؛ فإنّه لا يفعَلُ ذلكَ؛ تديُّنًا[1]، فمثْلُ هذا[2] يُقبَلُ قولُه، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

[٥٩/أ] وممّا يتَّصلُ بذلكَ في[3] تغليظِ العُقوبةِ: عدمُ إخراجِ الكفّاراتِ بالأيمانِ، وكذا عدمُ إخراجِ الزكاةِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما مِنْ صاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها، إلا إذا كانَ[4] يَوْمُ القِيامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفائِحُ مِنْ نارٍ في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يَقْضِيَ الله عَزَّ وجَلَّ بَيْنَ العِبادِ، فيُرَى سَبِيلُهُ إمّا إلَى الجَنَّةِ وإمّا إلَى النّارِ**»[5].

وفي رِوايةٍ: «**وَلا صاحِبِ كَنْزٍ لا يَفْعَلُ فيه حَقَّهَ، إلا جاءَ كَنْزُهُ يَوْمَ القِيامَةِ شُجاعًا أَقْرَعَ فاتِحًا فاهُ، فإذا أتاهُ فرَّ مِنْهُ، فيُنادِيهِ: خُذْ كَنْزَكَ الذِي خَبَّأْتَهُ؛ فأنا غَنِيٌّ عَنْهُ[6]، فإذا رَأى أنه لا بُدَّ لَهُ مِنْه سَلَكَ يَدَهُ في فيهِ فيَقْضِمُها قَضْمَ الفَحْلِ**»، قيلَ: يا رَسولَ الله، والإبلُ[7]؟ قالَ: «**وَلا صاحِبُ إبِلٍ لا يُؤَدِّي مِنْها حَقَّها، ومِنْ حَقِّها حَلْبُها[8] يَوْمَ وِرْدِها إلا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ بُطِحَ لَهُ بقاعٍ قَرْقَرٍ أوْفَرَ ما كانَتْ لا يَفْقِدُ مِنْها فصِيلًا واحِدًا، تَطَؤُهُ بأَخْفافِها، وتَعَضُّهُ بأَفْواهِها، كُلَّما مَرَّ عَلَيْهِ أُولاها رُدَّ[9] عَلَيْهِ أُخْراها، في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ، فيَرَى سَبِيلَه إمّا إلَى الجَنَّةِ وإمّا إلَى النّارِ**»، قيلَ: يا رَسولَ الله، فالبقَرُ والغنَمُ؟

---

(١) في (د): «تداينًا».
(٢) في (د): «ذلك».
(٣) في (د): «من».
(٤) في (د): «كأنه».
(٥) «صحيح مسلم» (٩٨٧).
(٦) في (ب) و(د): «فأنا عنه غني».
(٧) في «صحيح مسلم»: «فالإبل».
(٨) في (د): «حليها».
(٩) في (د): «ردت».

قالَ: «وَلا صاحِبُ بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْها[١] حَقَّها، إلا إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ بُطِحَ لَها بِقاعٍ قَرْقَرٍ، لا يَفْقِدُ مِنْها شَيْئًا، لَيْسَ فيها[٢] عَقْصاءُ، ولا جَلْحاءُ، ولا عَضْباءُ؛ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها وتَطَؤُهُ بأظْلافِها، كُلَّما مَرَّ[٣] عَلَيْهِ أُولاها رُدَّ عَلَيْهِ أُخْراها، في يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ، فَيَرَى سَبيلَهُ إمّا إِلَى الجَنَّةِ، وإمّا إِلَى النّارِ». رَواهُ مُسلمٌ[٤] من حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وذكَرَ مُسلمٌ[٥] بعدَ هذا قولَ أبي ذرٍّ رضِيَ الله عنه: «بَشِّرِ الكانِزِينَ[٦] بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ[٧] في نارِ جَهَنَّمَ، فيوضَعُ على حَلَمَةِ ثَدْيِ أحدِهم حتَّى يخرُجَ من نُغْضِ كَتِفَيهِ[٨]، ويوضَعُ على نُغْضِ كَتِفَيْه حتَّى يخرُجَ من حَلَمَةِ ثَدييْه[٩] يتزلزَلُ[١٠]». وقد ذهَبَ أبو ذرٍّ رضِيَ الله عنه إلى أنّ الكَنْزَ لكلِّ ما[١١] فضَلَ عن حاجةِ الإنسانِ[١٢].

---

(١) «منها» ليس في (د).

(٢) قوله: «فيها» ليس في (س) و(ب) و(د).

(٣) في (د): «مرت».

(٤) «صحيح مسلم» (٩٨٧-٩٨٨).

(٥) «صحيح البخاري» (١٤٠٧)، و«صحيح مسلم» (٩٩٢).

(٦) في (س) و(ب) و(د): «الكنازين».

(٧) في (د): «عليها».

(٨) في (د): «كتفه» في الموضعين.

(٩) في (د): «ثديه».

(١٠) في (ب): «يتزلزلن».

(١١) في (د): «كلما».

(١٢) قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (٧: ٧٧): «قوله: (عن أبي ذر قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم..)، أما قوله: (بشر الكانزين) فظاهره: أنه أراد الاحتجاج لمذهبه في أن الكنز كل ما فضل عن حاجة الإنسان، هذا هو المعروف من مذهب أبي ذر وروي عنه غيره. والصحيح الذي عليه الجمهور: أن الكنز هو المال الذي لم تؤد زكاته، فأما إذا أديت زكاته فليس بكنز، سواء كثر أم قل. وقال القاضي: الصحيح أن إنكاره إنما هو على السلاطين الذين يأخذون لأنفسهم من بيت المال، ولا ينفقونه في وجوهه، وهذا الذي قاله القاضي باطل؛ لأن السلاطين في زمنه لم تكن هذه صفتهم ولم يخونوا في بيت المال؛ إنما كان في زمنه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم». وانظر: «شرح صحيح البخاري» =

[٥٩/ب] فيا ذلَّ من جاءَ ذهبُه أو فضَّتُه[١] صفائحَ مِن نارٍ تُكْوَى بها جبهتُه وجنْبُه وظهْرُه، وإذا[٢] كانَ هذا عذاب مَن منَعَ زكاةَ مالِه الذي هوَ[٣] مِن تعبه وتجارتِه، فكيفَ حالُ مَن أخَذَ المالَ بغيْرِ حقِّه؟!

وقولُه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**شُجاعٌ أقـرَعُ**»، الشُّجاعُ: الحيّةُ الذَّكَرُ[٤]. والأقرَعُ: الذي تمعَّطَ شعْرُه مِن كَثرةِ سُمِّه، فيصيرُ مالُه شُجاعًا بهذه الصفةِ؛ ليعذَّبَ[٥] به[٦].

وقوله: «**فَيَسْلُكُ يَدَهُ في فيهِ**»؛ أي: يدْخِلُها في[٧] فمِ الشُّجاعِ فيقضِمُها، كما تقضِمُ الدّابَّةُ الشَّعيرَ[٨]. نسألُ[٩] الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ.

وأمّا[١٠] «**الرَّضْفُ**»: فهيَ الحجارةُ المُحماةُ[١١].

وقوله: «**يُحْمَى عَلَيْهِ**» أي: يُوقَدُ في نارِ جهنَّم.

= لابن بطال (٣: ٤٠٥)، و«إكمال المعلم» (٣: ٥٠٦)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠: ٢٥١).

(١) في (ب): «أو فضة». (٢) في (د): «فإذا».

(٣) كذا في (ب) و(س) و(د)، وفي حاشية (س): «هي».

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري» للخطابي (١: ٧٤٧)، و«الاستذكار» (٣: ١٧٩)، و«الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦: ٤٢٨).

(٥) في (د): «ويعذب».

(٦) انظر: «شرح مسند الشافعي» (٢: ٩٢)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤: ١٢٦٧).

(٧) «في» ليس في (د).

(٨) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧: ٧١).

(٩) في (د): «فنسأل». (١٠) في (د): «فأما».

(١١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٤٠٨)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (١٠: ٢٥٧).

وسُمِّيَتْ جهنَّمَ؛ قيلَ: لبُعدِ قعْرِها، وقيلَ: لغلَظِ أمْرِها في العذابِ[١].

وقوله: «نُغْض» هوَ بضمِّ النُّونِ وسُكونِ الغينِ المَنقوطةِ، وبعدَها ضادٌ منقوطةٌ: هوَ العظْمُ الرَّقيقُ الذي على طرفِ الكَتِفِ، وقيلَ: هوَ أعْلى الكَتِفِ[٢].

فالرَّضْفُ يتحرَّكُ مِن نُغْضِ كَتِفِه حتَّى يخرُجَ من حَلَمَةِ ثدْيِه[٣]، نسألُ[٤] الله عزَّ وجَلَّ العافيةَ مِن شُحٍّ يؤدِّي إلى هذه العُقوباتِ.

وقد كانَ بعضُ الناسِ يُخْرِجُ زكاتَه ثلاثَ مرّاتٍ فأكثَرَ، ويقولُ: يُحْتَمَلُ أنّ الذي أخذَها غيرُ مُستحقٍّ. ومَن يقدِرُ على هذه العقوباتِ.

وكانَ بعضُ مشايخِ هذا[٥] يقولُ: لو أخرَجْتَ مِن الألفِ مائتينِ كانَ أحسَنَ، وقدِّرْ في نفسِكَ أنّكَ[٦] إنّما ملَكْتَ ثمانِ مئةٍ.

وأما السيِّداتُ الجليلاتُ المقدارِ، اللّواتي عرَّفَهُنَّ الله تعالى حقارَةَ هذه المَزبَلةِ، وكثرةَ ما أعـدَّ الله تعالى لهُنَّ؛ فإنّهنَّ يُخْرِجْنَ جميعَ مالِهِنَّ، ويُمْسِينَ ويصبِحْنَ مُتنعِّماتٍ بأنّهنَّ على خزائنِ الله عزَّ وجَلَّ التي لا يعلَمُ قدْرَها وعِظَمَها إلا الله تعالى، فهؤلاءِ هُنَّ أغْنَى[٧] الناسِ.

فمَنْ أحبَّتِ المقامَ الأسْنى فلتفعَلْ فعلَهُنَّ، ويكونُ ذلكَ على وفْقِ العلْمِ. فكَمْ مِن امرأةٍ سمِعَتْ حالَهُنَّ فتشبَّهَتْ بهِنَّ، ثمَّ جاءَ الشيطانُ فوعَدَها الفقْرَ فندِمَتْ، وعادَتْ أنحَسَ ما كانَتْ ؛ لأنّها كانَتْ متعفِّفةً مُؤْثِرةً، فأصبَحَتْ سائلةً [١/٦٠]

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٧: ٧٧-٧٨).

(٢) انظر: «شرح القسطلاني» (٣: ١٣)، و«التحبير لإيضاح معاني التيسير» (١: ٦١١).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٣: ٥٠٦)، و«شرح النووي على مسلم» (٧: ٧٨).

(٤) في (د): «فنسأل».

(٥) «هذا» ليس في (د).

(٦) «إنك» ليس في (د).

(٧) في (ب): «أعنى».

شَرِهةً، وسببُ ذلكَ جهْلُها، فلا داءَ أدوأُ مِن الجهلِ، وهوَ أُحبولةُ الشيطانِ، والله المستعانُ وعليه التُّكلانُ، والله أعلَمُ.

[الزواج لأخذ أموال اليتامى]:

[٧] وممّا يتَّصلُ بذلكَ وهوَ مِن الأسبابِ المُهلكاتِ في الدنيا والآخرةِ، وقد توعَّدَ الله عزَّ وجَلَّ عليه عقوبةً عظيمةً:

أن يموتَ رجلٌ ويترُكَ أولادًا ورزقًا[١]، سواءٌ كانَ نقدًا أو عَقارًا أو هما أو غيرَهما، فتُحدِّثُ المرأةُ نفْسَها بالزواجِ[٢] أو غيْرِه، ويساعِدُها الشيطانُ على ذلكَ، ويُحسِّنُ لها ذلكَ، ويُرَغِّبُها فيه، ويدُسُّ لها أمورًا بحسبِ حالِها؛ فإن كانَتْ فالِتيّة[٣]، قالَ لها: قد خلوْتِ بنفسِكِ وقد أعطاكِ الله تعالى مالًا، فعيشِي طيب وتلذَّذِي، وغدًا الموتُ، ولا تخلِّي في قلبكِ شيئًا، ولولا[٤] أنّك تستأهِلِي ما رزقَكِ الله تعالى، وما في الأولادِ خيرٌ، إيش حصَلَ لفلانةٍ وفلانةٍ مِن أولادِها، ويحسِّنُ لها مثْلَ هذا وأشباهَه، فلا يزالُ بها حتَّى يكُبَّها في النارِ.

وإن[٥] كانَتِ امرأةً عاقلةً وتخْشَى العارَ والفضيحةَ، قالَ لها: تزوَّجِي؛ فالزواجُ[٦] سُنَّةٌ.

وإن[٧] كانَتْ غيرَ متعبِّدةٍ، ومِن شأنِها التَّرفُّهُ سعَتْ في تَحصيلِ زوجٍ مِن جنْسِها، وتوسَّعَتْ هيَ وإيّاه بمالِ اليتامى حتَّى يفْنَى، فإذا فنِيَ فارَقَها هذا الخبيثُ، فأصبحَتْ لا دنيا ولا دينَ.

---

(١) في (د): «أو رزقًا».
(٢) في (د): «بالزوج».
(٣) كذا في (س) و(د)، وفي (ب): «مالتية».
(٤) في (د): «ولو».
(٥) في (د): «فإن».
(٦) في (د): «فالزوج».
(٧) في (د): «فإن».

وإن كانَتْ متعبِّدةً، قالَ لها الشَّيطانُ: أنتِ امرأةٌ متعبِّدةٌ، ومشغولةٌ بالله تعالى، فإن لم تتزوَّجِي واحتجْتِ[١] إلى القيامِ بأمْرِ الأولادِ والخُروجِ، فيفْنَى المالُ على الطولِ، وتفوتُكِ العبادَةُ، فَلا يَأْسَ بزوْجٍ دَيِّنٍ أتسَاعدُ أنا وَإِيَّاهُ عَلى الأَوْلَادِ معَ بَقَائِي عَلى العِبَادَةِ[٢]، ويساعِدُها على ذلكَ مَن هوَ[٣] مِن جنسِها مِن المتعبِّداتِ اللَّواتي هُنَّ أفسَدُ مِن الشيطانِ الرجيم، وأكثَرُ غورًا في طريقِ المتحيِّلِ[٤] إلى الأعراضِ الدنيويّةِ منه، لا سيَّما التي طالَ سماعُها للأحاديثِ والمواعظِ[٥]، وهذه هيَ الداءُ العُضالُ؛ لأنّها تشيرُ عليها [٦٠/ب] بأمورٍ وهيَ[٦] في معرضِ الشفَقَةِ عليها وعلى أولادِها في معرضِ الدِّينِ، وقصْدُها بذلكَ التَّودُّدُ إلى خاطرِ أمِّ الأولادِ؛ لأنّ مَن أطاعَ شخصًا فيما يَهواهُ أحبَّه وركَنَ إليه، ولو كانَ في المعاصِي الظاهرةِ، فكيفَ في أمْرِ الطاعاتِ والقُربات التي تَرَى أنّها تتقرَّبُ[٧] إلى الله عزَّ وجَلَّ بِهَا[٨]؟

ثمَّ تزيِّنُ لها الزيادةَ في الجهازِ، فتؤمِّنُها على الشراءِ[٩]، وربَّما تقولُ: لو حضَرْتِ السُّوقَ[١٠] لكانَ أحسَنَ؛ لأنّ العيْنَ لها حقٌّ فيما تشتَهِي النفسُ ويليقُ بها، ولا تزالُ عليها حتَّى تخرُجَ إلى السُّوقِ[١١] ولو في العِدَّةِ، ثمَّ تحسِّنُ لها ما

---

(١) في (س): «احتجت».

(٢) قوله: «فلا يأس بزوج دين أتساعد أنا وإياه على الأولاد مع بقائي على العبادة» مثبت من (د).

(٣) في (د): «وهو».

(٤) في (ب): «المتحير»، وفي (د): «التخيل».

(٥) في (د): «للحديث والوعاظ».

(٦) في (د): «هي».

(٧) في (س): «تقرب».

(٨) «بها» مثبت من (د).

(٩) في (د): «الشر».

(١٠) «السوق» مثبت من (د).

(١١) في (س) و(ب): «الأسواق».

يقتَضِي إصلاحَ بدَنِها مِن المآكِلِ الشهيّةِ، والملابسِ السنيّةِ، حتّى تَسْتَغْرِقَ[١] وقْتَها[٢] في الفكْرِ فيما يعودُ على بدَنِها مِنَ الملبَسِ والمأكَلِ، فتخرُجُ مِن طَورِ العبادَةِ إلى طورِ زهرةِ[٣] الدنيا التي حذَّرَ الله عزَّ وجَلَّ منها.

وربَّما لا يكونُ لها في الإرثِ حقٌّ؛ لأنّها ربَّما كانَتْ تأخُذُ[٤] مِن خلفِ زوجِها أكثَرَ مِن حقِّها، فيَبْقى المالُ كلُّه للأولادِ، فهذه ومَن قبْلَها يَستعدُّونَ لما أعدَّه[٥] الله عزَّ وجَلَّ لهُنَّ مِن العذابِ، وكذا الزوجُ الخبيثُ الطويّةِ، قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ**» قالُوا: يا رَسولَ الله وما[٦] هيَ؟ قالَ: «**الشِّرْكُ بِالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النَّفْسِ التِي حَرَّمَ الله إلا بِالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ الغافِلاتِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٧] ومُسلمٌ[٨] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

و«**المُوبِقاتُ**»: المُهلكاتُ[٩].

وأيُّ هلاكٍ أعظَمُ مِن أن يمتلِئَ جوفُ الشخصِ نارًا مِن الأكْلِ، فإذا انضَمَّ إليه اللِّبسُ، انغمَرَ البدَنُ بالنارِ ظاهرًا وباطنًا، وإنْ[١٠] كانَ الأكْلُ والشُّربُ في

---

(١) في (س): «تسترق».
(٢) في (د): «وفيها».
(٣) في (د): «هذه».
(٤) في (د): «أخذها».
(٥) في (د): «أعدّ».
(٦) في (ب): «ما».
(٧) «صحيح البخاري» (٢٧٦٦).
(٨) «صحيح مسلم» (٨٩).
(٩) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٠: ٢٠٢)، و«إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٥٦).
(١٠) في (د): «فإن».

آنيةِ الذهبِ أو[1] الفضَّةِ زادَ العذابُ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**الذِي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ إنّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارَ جَهَنَّمَ**». رَواهُ البُخارِيُّ[2] ومُسلمٌ[3] مِن [٦١/أ] حديثِ أمِّ سلمةَ رضِيَ الله عنها.

وفي رِوايةٍ لمُسلمٍ[4]: «**إنّ الذي يأْكُلُ أوْ[5] يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ[6]**».

وفي رِوايةٍ لمُسلمٍ[7]: «**مَنْ شَرِبَ في إناءٍ مِنْ ذَهَبٍ أوْ فِضَّةٍ؛ فإنّما يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نارًا مِنْ جَهَنَّمَ**».

ومَعْنى «**يُجَرْجِرُ**»: يصوِّتُ[8].

فيا ذلَّ مَن نارُ جهنَّمَ تصوِّتُ في بطْنِها، إنّ شرارةً لو نزَلَتْ مِن جهنَّمَ على جبلٍ لذابَ مِن شدَّةِ حرِّها.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ، فقَدْ والله قد نزَلَ الكتابُ، وبلَّغَهُ سيِّدُنا رَسولُ الله ﷺ كما أمَرَ، وترَكَنا على البَيضاءِ النقِيّةِ ليلُها كنهارِها، لا يَزيغُ عنها[9] إلا هالكٌ[10].

وقالَ تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، يصِلُ ألمُه[11] إلى القُلوبِ[12].

---

(١) في (د): «و».

(٢) «صحيح البخاري» (٥٦٣٤).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٠٦٥).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٠٦٥).

(٥) في (د): «و».

(٦) في (د): «الذهب والفضة».

(٧) المرجع السابق.

(٨) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (٣: ١٢٣)، و«مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٢: ١٠٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠: ٩٧).

(٩) في (د): «فيها».

(١٠) «مسند أحمد» (١٧١٤٢)، و«سنن ابن ماجه» (٤٣).

(١١) في (د): «إليه».

(١٢) انظر: «روح البيان» (١: ٥٦).

قيلَ[١]: الفِتنةُ: الموتُ على الكفْرِ[٢]، أعاذَنا الله تعالى منه، وذلكَ غيرُ بعيدٍ؛ لأنّ مخالفَةَ الأمْرِ معصيةٌ، فتُنكَتُ بسببِها في القلْبِ نُكْتَةٌ سوداءُ[٣]، فإذا خالَفَ ثانيًا نُكِتَ في قلْبه[٤] نكتةٌ أُخرى، وهكذا[٥] حتَّى يُختَمَ ثمَّ يُرانَ[٦] عليه[٧]. قالَ الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] الآية.

وقد أجمَعَ السلفُ على أنّ المعاصِيَ بريدُ الكفْرِ[٨]، وقد صرَّحَ بذلكَ رَسولُ الله ﷺ[٩].

ولا شكَّ أنّ المعاصِيَ أكثَرُ مِن أنْ تُحصَرَ، وقد عدَّها بعضُهم، وقالَ: إنّها ثلاثونَ ألفًا. ومنهم من قالَ: هيَ[١٠] خمسونَ ألفًا.

وهذا كلُّه تحكُّمٌ، إلا أن يدُلَّ عليه دليلٌ أو[١١] يُخبِرَ بذلكَ وليٌّ لله عزَّ وجَلَّ قد أطلَعَه الله تعالى على ذلكَ، فنحنُ نؤمِنُ بقولِه؛ لأنّه[١٢] مِن أصحابِ أسرارِ الله عزَّ وجَلَّ، أعادَ الله عزَّ وجَلَّ علينا وعلى أحبابِنا مِن أنفاسِهم الطاهرةِ.

---

(١) في (د): «قبل».

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٩: ٢٣١)، و«الهداية إلى بلوغ النهاية» (٨: ٥١٦٨)، و«تفسير الرازي» (٢٤: ٤٢٧).

(٣) في (د): «سواد».

(٤) قوله: «في قلبه» في (د): «فيه».

(٥) «وهكذا» ليس في (ب).

(٦) في (د): «يزاد».

(٧) انظر: «صحيح مسلم» (١٤٤).

(٨) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٠٤)، و«مدارج السالكين» (٢: ٢٧)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢١).

(٩) قال ابن حجر الهيتمي في «الفتح المبين» (٢٤٥): «هو معنى قول السلف، وقيل: إنه حديث». وانظر: «كشف الخفاء» (٢: ٢٥١).

(١٠) «هي» ليس في (د).

(١١) في (د): «أي».

(١٢) في (د): «لأن».

وكانَ لنا أخٌ في الله تعالى يأْوِي مغرَ[1] الجبالِ، فيشاهِدُ فيها الجِنَّ فيطردُهم منها ويختَلِي بربِّه ويتعبَّدُ، وكانَ إذا رَأى هؤلاءِ الشياطينَ الرَّقّاصة على مزمارِ الشيطانِ[2]، وتواجَدَ واحدٌ منهم ودخَلَ الشيطانُ في دُبُرِه يَراهُ، وكانَ إذا أوَى [٦١/ب] إلى ديشٍ[3] وغلبَه النومُ ولحِقَه[4] بردٌ جاءَ سَبُعٌ وألصَقَ ظهْرَه إلى ظهْرِه وأدفَأَه، وكانَ يقولُ: «الفقيرُ إن[5] لم تكُنِ الدنيا في نظَرِه هكذا ويفتَحُ كَفَّه وإلا فلا».

ومن أنكَرَ هذا ونحْوَه فهوَ ممقوتٌ، وكيفَ ينكِرُ ذلكَ، وقد قالَ عمرُ رضِيَ الله عنه على المنبرِ في المدينةِ[6]: «يا ساريةَ الجبَلَ»، وساريةُ بنهاوندَ[7]، وغيرُ ذلكَ.

وقد خرَجْنا عمّا نحنُ بصدَدِه مِن ذكْرِ الأسبابِ المُهلكاتِ، والله أعلَمُ.

[الذهاب إلى المنجمين]:

[٨] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: الرَّواحُ[8] إلى المُنجِّمينِ[9] وأصحابِ الرَّملِ، والضاربينِ والضارباتِ بالحَصَى والشَّعيرِ، ونحوِ ذلكَ[10].

---

(١) في (د): «مغرب».
(٢) في (د): «الشياطين».
(٣) في (ب) و(د): «ديس».
(٤) في (د): «لحقه».
(٥) في (د): «إذا».
(٦) في (ب): «بالمدينة».
(٧) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٥٧٩)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٣٧٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٣٢٤).
(٨) في (ب): «الرواج».
(٩) في (د): «للمنجمين».
(١٠) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٥٧٩)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٣٧٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٣٢٤).

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَتَى عَرّافًا فسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فصَدَّقَهُ**[١]**، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أرْبَعِينَ يَوْمًا**». رَواهُ مُسلمٌ[٢] مِن حديثِ صفيّةَ بنتِ أبي عُبيدٍ، عن بعضِ أزواجِ النبيِّ ﷺ.

وقالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: سأَلَ رَسولَ الله ﷺ ناسٌ عنِ الكُهّانِ؟ فقالَ: «**لَيْسُوا بشيءٍ**»، فقالُوا: يا رَسولَ الله، إنّهم يحدِّثونَ أحيانًا بشيءٍ فيكونُ[٣] حقًّا، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ، يَخْطَفُها الجِنِّيُّ، فيُقِرُّها في أُذُنِ ولِيِّهِ، فيَخْلِطُونَ مَعَها مِئَةَ كَذْبَةٍ**». رَواهُ البُخاريُّ[٤] ومُسلمٌ[٥].

فهذا رَسولُ الله ﷺ يقولُ عنهم[٦]: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، وأنتِ تجعلينَ لهم شأنًا[٧]، وتَعتقدِينَ صحَّةَ ما يقولون[٨]، وفي ذلكَ جُرْأةٌ عظيمةٌ، وافتِئاتٌ على أمينِ أهْلِ الأرضِ، وما مثلُكِ يا مسكينةُ إلا كمثْلِ[٩] هؤلاء[١٠] الفُقهاءِ، يُظْهِرونَ عظمةَ رَسولِ الله ﷺ، فإذا قالَ لهم ظالمٌ شيئًا أطاعُوه، وإن كانَ فيه غَضَبُ الله وغضبُ رَسولِ الله ﷺ.

وقولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**فَيُقِرُّها في أُذُنِ ولِيِّهِ**» أي: يُلْقِيها[١١]، وإذا كانَ وليُّه الجِنِّيَّ الكافرَ فهوَ مثْلُه، بل كثيرٌ مِن المنجِّمينَ يهودٌ، وهم أشدُّ

---

(١) في (د): «وصدقه».

(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٣٠). وفيه «ليلة» بدلًا من «يوم».

(٣) في (د): «يكون».

(٤) «صحيح البخاري» (٥٧٦٢).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٢٢٨).

(٦) في (س): «عنهم إنهم».

(٧) في (د): «شيئًا».

(٨) في (س) و(ب): «يقولوا».

(٩) في (د): «مثل».

(١٠) في (س) و(ب) و(د): «هذه».

(١١) انظر: «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» (٣: ١٤)، و«شرح القسطلاني» (٨: ٤٠٠)، و«لمعات التنقيح» (٧: ٥٤٤).

عداوةً[١] لرسولِ الله ﷺ، فمَنْ أضلُّ ممَّن يصدِّقُ يهوديًا يُحذِّرُ منه رَسولُ الله ﷺ، ثُمَّ[٢] يمْشِي إليه ويعْطِيه على ذلكَ أجرةً! [٦٢/أ]

قالَ أبو مسعودٍ[٣] البدرِيُّ رضِيَ الله عنه: «نَهَى رَسولُ الله ﷺ عن ثمَنِ الكلْبِ، ومهْرِ البغِيِّ، وحُلوانِ الكاهِنِ». رَواهُ البُخارِيُّ[٤] ومُسلمٌ[٥].

فكأنِّي[٦] بكِ وقد شمَّ مُنكرٌ ونَكيرٌ رِجليْكِ فوجداهُما[٧] قد سعَيا إلى مُنجِّمٍ، فنفَخا فيهِما نفخةً فالتهَبا معَ جميعِ[٨] جسمِكِ نارًا، وكأنِّي بكِ وقد شمّا سمْعَكِ الذي[٩] أصغَيْتِ به إليه فوجَدا فيه نتَنَ الإصغاءِ، فنفَخا فيه فالتهَبَ معَ جسْمِكِ نارًا، وكذا أطرافُ أصابعِكِ، ثمَّ جاءَتِ العَطِيّةُ وصارَتْ مُرَصَّعةً في أجنابِكِ نارًا، فيا ذلَّ وخيبَةَ مَن أطاعَ نفْسَه والشيطانَ، وترَكَ طاعةَ رَسولِ الرحمنِ، فالحذَرَ الحذَرَ من ذلكَ؛ فإنّه من أسبابِ المهالِكِ.

قال رَسولُ الله ﷺ: **«إنّ الله سُبحانَه وتعالَى يَغارُ، وغَيْرَةُ الله تَعالَى أنْ يَأْتِيَ المَرْءُ ما حَرَّمَ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ»**[١٠]. والله أعلَمُ.

وهذا كلُّه إذا لم يحصُلْ معَه لا نظَرُه إليها ولا نظَرُها إليه، ولا خَلْوةٌ، ولا ريحةٌ طيِّبةٌ ولا حديثُ نفسٍ بسُوءٍ، ولا ظهورُ زينةٍ[١١]، ولا غيرُ ذلكَ مِن الأمورِ المُحرِّكةِ لما نُهِيَ عنه.

---

(١) في (س) و(ب): «أعداء».
(٢) في (س) و(ب): «و».
(٣) في (ب) و(د): «أبو سعيد».
(٤) «صحيح البخاري» (٢٢٣٧).
(٥) «صحيح مسلم» (١٥٦٧).
(٦) في (د): «فأنى».
(٧) في (ب) و(د): «فوجدهما».
(٨) «جميع» ليس في (س) و(د).
(٩) في (ب) و(س): «التي».
(١٠) «صحيح البخاري» (٥٢٢٣)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦١).
(١١) في (د): «أظهرت زينته».

قالَ الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]، إلى قولِه تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، الآياتِ، وقالَ تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وقالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقالَ الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وغيرَ ذلكَ مِن الآياتِ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**العَيْنانِ زِناهُما النَّظَرُ، والأُذُنانِ زِناهُما الاِسْتِماعُ، واللِّسانُ زِناهُ الكَلامُ، واليَدُ زِناها البَطْشُ، والرِّجْلُ زِناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوَى ويَتَمَنَّى، ويُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**». رَواهُ البُخارِيُّ(١) [٦٢/ب] ومُسلمٌ(٢)، واللفظُ لمُسلمٍ، وهوَ(٣) مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وقالَ جريرٌ رضِيَ الله عنه: سألْتُ رَسولَ الله ﷺ عنْ نظَرِ الفَجْأةِ؟ فقالَ: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**». رَواهُ مُسلمٌ(٤).

ولا فرْقَ بينَ كونِ(٥) المَنظورِ إليه بصيرًا أو أعْمى، قالَتْ أمُّ سلمةَ رضِيَ الله عنها: كنْتُ عندَ رَسولِ الله ﷺ وعندَه ميمونةُ رضِيَ الله عنها، فأقبَلَ ابنُ أمِّ مكتومٍ، وذلكَ بعدَ أنْ أُمِرْنا بالحجابِ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**احْتَجِبا مِنْهُ**»، فقُلْنا: يا رَسولَ الله، أليسَ هوَ أعْمى لا يبْصِرُنا(٦) ولا يعرِفُنا؟! فقالَ عليه الصلاةُ

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٦١٢).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٥٧).
(٣) «وهو» ليس في (ب).
(٤) «صحيح مسلم» (٢١٥٩). واللفظ لأبي داود (٢١٤٨).
(٥) «كون» ليس في (ب).
(٦) في (د): «لا يبصر».

والسلامُ: «**أفَعَمْياوانِ أنْتُما، ألَسْتُما تُبْصِرانِهِ؟!**». رَواهُ أبو داودَ[١]، والترمذِيُّ[٢] وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

فهذه آياتٌ وأخبارٌ مانعةٌ من ذلكَ كلِّه.

ومن هنا ينبَغِي للمرأةِ الطالبةِ للآخرةِ[٣] ألا تخرُجَ مِن بيتِها لا للصلاةِ في المساجدِ ولا غيْرِها؛ لأنّها على تقديرِ أنْ تلبَسَ أوحشَ الثيابِ لا تقدِرُ على منْعِ غيْرِها مِن النظرِ؛ ولأنّها إن جلَسَتْ وحْدَها برزَتْ للرِّجالِ، وإنْ جلسَتْ معَ النساءِ فلا بدَّ وأنْ[٤] تجِدَ فيهِنَّ ما نُهِيَ عنه؛ فإن سكتَتْ مِن غيرِ إنكارٍ أثِمَتْ، وإن أنكَرَتْ رُبَّما استُطِيلَ عليها فتتأذَّى بما يحدُثُ منهُنَّ مِن سوءِ المُخاطبةِ[٥] والاستهزاءِ بها، وبما نُورِدُه[٦] مِن الآياتِ والأخبارِ، وكلُّ ذلكَ محذورٌ، فتحصيلُ فضيلةٍ معَ وُقوعٍ في آثامٍ جهلٌ! معَ أنّ خُروجَ المرأةِ لأجْلِ العبادَةِ فقط في غايةِ البُعدِ، وإنّما تفعَلُ ذلكَ مِن السآمةِ[٧] في انحصارِها في بيتِها، ولأمورٍ أُخرَ كلُّها مُخبَثةٌ[٨]، تحِسُّ[٩] المرأةُ مِن نفسِها بذلكَ وتظهِرُ خلافَه.

وقد علِمَت عائشةُ رضِيَ الله عنها ذلكَ مِن النساءِ اللاتي هُنَّ[١٠] في خيرِ القُرونِ، فقالَتْ: «**لو علِمَ رَسولُ الله ﷺ ما أحدَثَ النِّساءُ لمنعَهُنَّ المساجدَ**

(١) «سنن أبي داود» (٤١١٢).

(٢) «مسند أحمد» (٢٦٥٣٧)، و«جامع الترمذي» (٢٧٧٨). قال ابن الملقن في «البدر المنير» (٧: ٥١٢): «هذا الحديث صحيح».

(٣) في (د): «الطالبة للخير والآخرة».

(٤) في (د): «أن».

(٥) في (د): «المخالفة».

(٦) في (س): «توردە».

(٧) في (د): «السمامة».

(٨) في (د): «مخبتة».

(٩) في (د): «تحسن».

(١٠) «هن» ليس في (ب).

كما مُنعَتْ نساءُ[١] بني إسرائيلَ»[٢].

ووافَقَها[٣] على ذلكَ القاسِمُ، ويَحيى الأنصاريُّ، ومالكٌ، وغيرُهم[٤]، معَ أنّهنَّ كنَّ لا يبدِينَ زينتَهُنَّ، ويغضُضْنَ مِن أبصارِهِنَّ، وكذا الرِّجالُ. [٦٣/أ]

وأمّا زمانُنا هـذا، فخروجُهُنَّ؛ لأجْلِ إظهـارِ زينتِهِنَّ، ولا يغضُضْنَ مِـن أبصارِهِنَّ، وكذا الرِّجالُ، بل الأمْرُ بعكسِ ذلكَ، ومفاسِدُ خُروجِهِنَّ محقَّقٌ لا يرتابُ فيه إلا غبيٌّ، أو مَن فـي قلبِه دسيسةٌ؛ فإن حصَلَ معَ ذلكَ خَلْوةٌ زادَتِ الآثامُ وتضاعفَتِ العُقوباتُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إيّاكُمْ والدُّخُولَ عَلَى النِّساءِ**»، فقالَ رجلٌ مِن الأنصارِ: أفرأيتَ الحَموَ؟ قالَ[٥]: «**الحَمْوُ المَوْتُ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧] مِن حديثِ عُقبةَ بنِ عامرٍ رضِيَ الله عنه.

و«**الحمْوُ**»[٨]: قريبُ الزوجِ؛ كأخيه وابنِ أخيه وعمِّه، وسمّاه رَسولُ الله ﷺ بذلكَ؛ لِما كشَفَ الله تعالى ممّا يقَعُ منه، وقد شاهَدْنا ذلكَ، وهوَ مِن المعجزاتِ الباهرةِ[٩].

---

(١) قوله: «نساء» ليس في (س).

(٢) «صحيح البخاري» (٨٦٩)، و«صحيح مسلم» (٤٤٥).

(٣) في (د): «ووفقها».

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦: ١٧٩).

(٥) في (د): «فقال».

(٦) «صحيح البخاري» (٥٢٣٢).

(٧) «صحيح مسلم» (٢١٧٢).

(٨) «الحمو» ليس في (ب).

(٩) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٧: ٦٠-٦١)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٥٤).

وقالَ(١) عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَخْلُوَنَّ(٢) أحَدُكُمْ بِامْرَأةٍ أجْنَبِيّةٍ إلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**». رَواهُ البُخارِيُّ(٣) ومُسلمٌ(٤) مِن حديثِ ابنِ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما.

وهذا كلُّه إذا عَلِمَ الزوجُ والسيِّدُ ولم يتأذَّ بذلكَ؛ فإن لم يعلَمْ زادَ الإثمُ، وإن علِمَ ولم يرْضَ زادَ الإثمُ، معَ أنّه يحرُمُ عليه الإذْنُ والرضا؛ لأنّه إعانةٌ على معصيةٍ؛ ولأنّه في الغالِبِ يورِثُ الشَّحناءَ والتقاطُعَ، وذلكَ حرامٌ، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

ولا أذى(٥) أعظَمُ مِن خُروجِ المرأةِ إلى المنجِّمينَ وإعطائِهم شيئًا على ذلكَ، وكذا الخروجُ(٦) إلى مواطنِ اجتماعِ الناسِ، التي هي(٧) مواطِنُ الزُّورِ والفواحشِ، التي(٨) هي سببُ عذابِ الله تعالى ومقتِهم، ومثلُ ذلكَ يؤدِّي إلى التباغُضِ والتقاطُعِ والتدابُرِ، وقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا تَباغَضُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا تَقاطَعُوا، وكُونُوا عِبادَ الله إخْوانًا، ولا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاهُ فوْقَ ثَلاثٍ**». رَواهُ الشَّيخانِ(٩) مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسانِهِ ويَدِهِ، والمُهاجِرُ/ مَنْ هَجَر ما نَهَى الله تَعالَى عَنْهُ**»(١٠). [٦٣/ب]

---

(١) في (د): «قال».
(٢) في (د): «يخلوا».
(٣) «صحيح البخاري» (٥٢٣٣).
(٤) «صحيح مسلم» (١٣٤١).
(٥) في (د): «أدري».
(٦) في (د): «الزوج».
(٧) في (س): «الذي هو».
(٨) في (د): «الذي».
(٩) «صحيح البخاري» (٦٠٦٥)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥٨-٢٥٥٩).
(١٠) «صحيح البخاري» (١٠)، و«صحيح مسلم» (٤٠).

ومفهومُ **هذا الحديثِ**: أنّ مَن لم يَسْلَم المُسلمونَ مِن لسانِه ويدِه أنّه ليسَ بمُسلمٍ[١]، ويا لها مِن مُصيبةٍ قد غرِقَ فيها الظَّلَمةُ وأتباعُهم مِن الرجالِ والنساءِ؛ ولعَمْري على هذا النّاجونُ قليلٌ، لا سيَّما آفاتُ اللسانِ؛ فإنّها أكثَرُ مِن القطْرِ[٢]، وسيأتِي ذكْرُها فيما بعدُ إن شاءَ الله تعالى.

[النياحة على الميت، ولطم الخدود، وشق الجيوب، ونتف الشعور وحلقها]:

[٩] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ**: النِّياحةُ على الميِّتِ[٣]، ولطْمُ الخُدودِ، وشقُّ الجُيوبِ، ونتْفُ الشُّعورِ وحلْقُها، والدعاءُ بالويْلِ والثُّبورِ وعظائمِ الأمورِ.

وكلُّ ذلكَ مِن أمورِ الجاهليّةِ، وهوَ حرامٌ[٤]، وفاعلةُ ذلكَ لها مِن العقوبةِ ولِمَيِّـتِها[٥] ما أذكُرُه:

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ في قَبْرِهِ بما نِيحَ[٦] عَلَيْهِ**». وفي رِوايةٍ: «**بِما يُنَحُ عَلَيْهِ**»[٧]. رَواهُ البُخارِيُّ[٨] ومُسلمٌ[٩] مِن حديثِ عمرَ رضِيَ الله عنه.

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (٢: ١٠): «قالوا معناه: المسلم الكامل وليس المراد نفي أصل الإسلام عن من لم يكن بهذه الصفة، بل هذا كما يقال: العلم ما نفع أو العالم زيد أي الكامل أو المحبوب، وكما يقال: الناس العرب والمال الإبل فكله على التفضيل لا للحصر». وقال السفيري في «شرح البخاري» (١: ٣٧١): «المفهوم من الحديث: أن من لم يسلم المسلمون من لسانه لا يكون مسلمًا، نعم يخرج عن الإسلام الكامل إذا لم يسلم المسلمون من لسانه ويده، ولم يخرج عن أصل الإسلام».

(٢) في (د): «النظر».

(٣) في (د): «النياحة للميت».

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ٢٧٦)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١: ٢٦٢).

(٥) في (ب): «وميتها».

(٦) في (د): «ينح».

(٧) «مسند أحمد» (٥٢٦٢)، و«معجم ابن الأعرابي» (١٦٨٦). وانظر: «تغليق التعليق» (٢: ٤٦٨).

(٨) «صحيح البخاري» (١٢٩٢).

(٩) «صحيح مسلم» (٩٢٧).

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فيَقُومُ باكِيهِ**[١] **فيَقُولُ: واجَبَلاهُ واسَيِّداهُ**[٢] **أوْ نَحْوَ ذَلِكَ، إلا وُكِّلَ**[٣] **بِهِ مَلَكانِ يَلْهَزانِهِ**[٤]**: أهَكَذا كُنْتَ**[٥]**؟!**». رَواهُ الترمذِيُّ[٦] مِن حديثِ أبي مُوسى الأشعريِّ رضِيَ الله عنه، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ[٧]».

واللَهْزَمة: الدَّفعُ بجُمْعِ اليدِ في الصَّدرِ، يعني: لَكمُه بيدِه مَطبوقةً في صدرِ الميِّتِ[٨].

وقالَ رَسول الله ﷺ: «**النّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَوْمَ القِيامَةِ وعَلَيْها سِرْبالٌ مِنْ قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[٩] مِن حديثِ أبي مالكٍ الأشعريِّ رضِيَ الله عنه.

وقالَت امرأةٌ مِن المُبايعاتِ لرسولِ الله ﷺ: «كانَ فيما أخَذَ علينا[١٠] رَسولُ الله ﷺ في المعروفِ الذي أخذَ علينا[١١] ألا نعصِيَه فيه: ألا نخمِشَ

---

(١) في (س) و(ب): «يقوم باكيهم»، وفي (د): «باكيهم».

(٢) في (ب): «واسنداه»، و(د): «واسناداه».

(٣) في (د): «وكل الله».

(٤) في (ب) و(د): «يلهزمانه».

(٥) في (س) و(د): «يهلزمانه أهكذ أنت؟».

(٦) «جامع الترمذي» (١٠٠٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٩٤)، و«مستدرك الحاكم» (٣٧٥٥). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٧) «غريب» مثبت من «جامع الترمذي».

(٨) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤: ٢٨١)، و«تحفة الأحوذي» (٤: ٧٣).

(٩) «صحيح مسلم» (٩٣٤).

(١٠) في (د): «عليها».

(١١) في (د): «عليها».

وجهًا، ولا ندْعُوَ ويلًا، ولا نشُقَّ جَيبًا، وألا ننشُرَ[١] شعرًا». رَواهُ أبو داود[٢] بإسنادٍ حسنٍ[٣].

وكانَتْ هذه الأمورُ مِن أحوالِ الجاهليّةِ، والإسلامُ هدَمَ أمْرَ الجاهليّةِ، فمَنْ فعَلَ شيئًا من ذلكَ فقد أعادَ أمْرَ الجاهليّةِ، ويا لها مِن معصيةٍ ما أقبَحَها وأكثَرَ وزْرَها.

[٦٤/أ] وقالَ رَسولُ الله ﷺ: **«لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وشَقَّ الجُيُوبَ، ودَعا بِدَعْوَى الجاهِلِيّةِ»**. رَواهُ البُخارِيُّ[٤] ومُسلمٌ[٥] من حديثِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه.

وقالَ أبو بردَةَ: وَجِعَ أبو مُوسى فغُشِيَ عليه ورأسُه في حجْرِ امرأةٍ مِن أهْلِه، فأقبَلَتْ تصيحُ برنَّةٍ، فلم يستطِعْ أن يرُدَّ عليها شيئًا، فلمّا أفاقَ، قالَ: «أنا بريءٌ ممَّن برئَ منه رَسولُ الله ﷺ؛ إنّ رَسولَ الله برِئَ مِن الصالقةِ والحالقةِ والشاقّةِ». رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧].

والصالقةُ: هي التي ترفَعُ صوْتَها بالنِّياحةِ والنَّدبِ[٨]، فتقولُ: يا وَلَداهُ، ويا حُسْنَهُ، ويا شبابَه، ويا شَعرَها، ويا حُسْنَها وقَدَّها[٩]، ونحوَ ذلك.

---

(١) في (د): «ينثر».
(٢) «سنن أبي داود» (٣١٣١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٧١٢١).
(٣) قال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٥: ٣٤١): «الحديث في درجة الحسن».
(٤) «صحيح البخاري» (١٢٩٧).
(٥) «صحيح مسلم» (١٠٣).
(٦) «صحيح البخاري» (١٢٩٦).
(٧) «صحيح مسلم» (١: ١٠٤).
(٨) في (د): «والندم».
(٩) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٩: ٥٥٥)، و«فتح الباري» لابن حجر (٣: ١٦٥).

والحالقةُ: هيَ التي تحلِقُ شعرَ رأسِها عندَ المُصيبةِ[١].

والشاقّةُ: هيَ التي تشُقُّ ثوبَها أو جيبَها أو دِرْعَها ونحوَ ذلكَ[٢].

وسببُ عُقوبةِ هذه المسكينةِ بما تقدَّمَ وتبرؤِ رَسولِ الله ﷺ منها: أن هذه الأمورَ تفيدُ مَعْنى التظَلُّمِ، فكأنّها تقولُ بلسانِ الحالِ: ظلَمَنِي بموتِ وَلَدي أو زوجي أو أخي أو أختي، **والرَّبُّ سُبحانَه وتعالَى ليسَ بظلامٍ للعبيدِ**، فمَن نسبَه إلى الظلمِ فهوَ كافرٌ، وهوَ أسوأُ حالًا[٣] مِن اليهودِ والنصارى.

فالجاهلةُ[٤] تفعَلُ بنفْسِها أعظَمَ المصائبِ، ومعَ ذلكَ لا يحصُلُ لها عَودُ ميِّتِها، فهذه تتضاعَفُ[٥] مُصيبتُها، ويتضاعَفُ[٦] عذابُها، ومَن شارَكَها في ذلكَ كانَ عليه وزْرُ مُشاركتِها، وكذا مَن صنَعَ طعامًا فأكَلَ منه النائحاتُ يأثَمُ؛ لأنّه إعانةٌ على معصيةٍ[٧].

وعلاجُ هذه المسكينةِ: أن تذكُرَ[٨] ما أمامَها مِن سكراتِ الموتِ، وهولِ المَطْلعِ، وظُلمةِ القبرِ وديدانِه[٩]، وهولِ مُنكرٍ ونكيرٍ، وفتْحِ طاقةٍ مِن جهنَّمَ، وتصوُّرِ أعمالِها في صورةٍ قبيحةٍ، النظرُ[١٠] إليها عذابٌ، وتذكُرَ الصِّراطَ ودقَّتَه، والعرْضَ على الله، وخفَّةَ الميزانِ، والفِرارَ مِن الأخِ والأمِّ والصاحبةِ والابنِ،

---

(١) انظر: «أعلام الحديث» (١: ٦٨٨)، و«كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١: ٤٠٣)، و«العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام» لابن العطار (٢: ٧٨١).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٨٠)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٠٤)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ١١٠).

(٣) في (د): «الحال».

(٤) في (د): «والجاهلة».

(٥) في (س) و(ب): «تتضاعفت».

(٦) في (ب): «ويضاعف».

(٧) في (د): «معصيته».

(٨) في (س): «يذكر».

(٩) كأنها في (ب): «وديوانه».

(١٠) في (س) و(ب): «المنظر».

[٦٤/ب] وخفّةَ الميزانِ، ومَهبِطَها بعدَ ذلكَ إلى النارِ؛ فإن لم تتَّعِظْ بذلكَ فتضَعُ يدَها في النارِ؛ فإنّها واللهِ تُنْسِي كلَّ ما يَصدَعُ قلْبَها فراقُه، واللهُ أعلَمُ.

تنبيه:

ما تقدَّمَ مِن عُقوبةِ الميِّتِ مَحلُّه إذا أوْصى بأنْ يُناحَ عليه، وأن تُعدَّدَ شمائلُه، كما يفعَلُه الأعرابُ والجهلَةُ، وكانَتِ الجاهليّةُ تَتعاطاهُ، أمّا[١] إذا لم يوصِ بذلكَ وكانَ كارهًا له، فلا عقوبةَ عليه، والعقوبةُ والنَّكالُ خاصٌّ بالنائحةِ والمُعدِّدةِ، واللهُ أعلَمُ[٢].

[سوء العشرة مع الزوج]:

[١٠] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ:** سوءُ العِشرةِ معَ الزوجِ.

لأنّ الزوجَ له حقٌّ واجبٌ بالشرعِ، وهوَ على الفوْرِ ما لم يكُنْ عذرٌ شرعِيٌّ، حتّى لو أرادَتْ أن تحُجَّ حجّةَ الإسلامِ، فللزوجِ منْعُها؛ لأنّ حقَّه على الفوْرِ[٣]، قالَ[٤] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إذا دَعا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحاجَتِهِ، فلْتَأْتِهِ وإنْ كانَتْ عَلَى التَّنُّورِ**[٥]». رَواهُ ....

---

(١) في (ب): «أم».

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٣: ٢٧٣)، و«المعلم بفوائد مسلم» (١: ٤٨٤)، و«شرح النووي على مسلم» (٦: ٢٢٨).

(٣) انظر: «المهذب» للشيرازي (١: ٤٢٨)، و«نهاية المطلب» (٤: ٤٤٠).

(٤) في (ب): «وقال».

(٥) قال التوربشتي في «الميسر» (٣: ٧٧٠): «أي: وإن كانت تخبز، فإن التنور هو الذي يخبز فيه، وإنما علق الأمر بكونها على التنور؛ لأن شغلها بالخبز من الأشغال الشاغلة التي لا يتفرغ معها إلى غيرها، إلا بعد انقضائها والفراغ منها». وانظر: «تحفة الأبرار» (٢: ٣٧٧)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٧: ٢٣٣٣).

النسائيُّ[١] مِن حديثِ طلْقِ بنِ عليٍّ، وكذا الترمذِيُّ[٢]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا يَحِلُّ لِلْمَـرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وزَوْجُها شاهِـدٌ إلا بِإِذْنِهِ، ولا تَأْذَنَ فـي بَيْتِـهِ إلا بِإِذْنِهِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٣] ومُسلمٌ[٤] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه، واللفظُ للبُخاريِّ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إذا دَعا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إلَى فِراشِهِ فلَمْ تَأْتِهِ، فباتَ غَضْبانًا عَلَيْها، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**». رَواهُ البُخارِيُّ[٥] ومُسلمٌ[٦].

وفي رِوايةٍ لهما: «**إذا باتَتِ المَرْأةُ هاجِرَةً فِراشَ زَوْجِها، لَعَنَتْها المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»[٧].

وفي رِوايةٍ: «**والذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إلَى فِراشِها فتَأْبَى عَلَيْهِ، إلا كانَ الذِي في السَّماءِ ساخِطًا عَلَيْها حَتَّى يَرْضَى عَنْها**»[٨].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأحَدٍ، لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها**». رَواهُ الترمذِيُّ[٩] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه[١٠]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) «السنن الكبرى» للنسائي (٨٩٢٢).
(٢) «جامع الترمذي» (١١٦٠)، و«صحيح ابن حبان» (٩: ٤٧٣).
(٣) «صحيح البخاري» (٥١٩٥). (٤) «صحيح مسلم» (١٠٢٦).
(٥) «صحيح البخاري» (٣٢٣٧). (٦) «صحيح مسلم» (١٤٣٦).
(٧) «صحيح البخاري» (٥١٩٤)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٦).
(٨) «صحيح مسلم» (١٤٣٦).
(٩) «جامع الترمذي» (١١٥٩)، و«صحيح ابن حبان» (٤١٦٢)، و«مستدرك الحاكم» (٢٧٦٨).
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».
(١٠) هذا الحديث سقط من (ب).

[٦٥/أ] وهذا الحديثُ يدُلُّ على شدَّةِ حقِّ الرَّجلِ، وتَأكُّدِ الاعتناءِ به، فيا ويْحَ، بل يا ويْلَ مَن ربُّها ساخِطٌ عليها، والملائكةُ عليهم السلامُ تلعَنُها إلى الصباحِ، والحورُ يدعُونَ عليها.

قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لا تُؤْذِي امْرَأةٌ زَوْجَها في الدُّنْيا إلا قالَتِ الحُورُ العِينُ: لا تُؤْذِيهِ قاتَلَكِ الله عَزَّ وجَلَّ؛ فإنّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أنْ يُفارِقَكِ إلَيْنا**». رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ثَلاثَةٌ لا يَقْبَلُ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُمْ صَلاةً، ولا يَصْعَدُ لَهُمْ حَسَنَةٌ: العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إلَى مَوالِيهِ فيَضَعُ يَدَهُ في أيْدِيهِمْ، والمَرْأةُ السّاخِطُ عَلَيْها زَوْجُها حَتَّى يَرْضَى، والسَّكْرانُ حَتَّى يَصْحو**[٢]». رَواهُ ابنُ خزيمةَ في «**صحيحِه**»[٣] عن محمَّدِ بنِ المُنكدِرِ، عن جابرٍ رضِيَ اللهُ عنه.

والأحاديثُ في ذلكَ كثيرةٌ، وحديثٌ واحدٌ يكْفي نساءَ أهلِ الدنيا[٤] في الاتعاظِ، والتي غلَبَ عليها الشقاوةُ لا ترجِعُ عن غيِّها ولو قُرِئَ عليها مُجلَّداتٌ، فتتأهَّبُ للعذابِ الشَّديدِ.

ثمَّ هذا كلُّه إذا كانَ الزوجُ قائمًا بالحُقوقِ الواجبةِ عليه لها على الوضْعِ الشرعيِّ، لا على عادةِ أهْلِ الثروةِ مِن الظَّلَمةِ والقُضاةِ السُّوءِ، الذين يتوسَّعونَ[٥]

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٠١)، و«جامع الترمذي» (١١٧٤)، و«سنن ابن ماجه» (٢٠١٤). قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

(٢) في (س) و(ب) و(د): «يصحى».

(٣) «صحيح ابن خزيمة» (٩٤٠)، و«صحيح ابن حبان» (٥٣٥٥)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (١٨٣٠). وقال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٢: ٤٣٩): «قال أبي: هذا حديث منكر».

(٤) في (د): «زماننا». (٥) في (د): «يتخولون».

في المآكلِ والمشاربِ والمساكنِ، ويتأنّقونَ في ذلكَ، ويتخوَّضونَ في مالِ الله عزَّ وجَلَّ، وفي أموالِ مَن جعَلَه الله تعالى لهم في كتابِه العزيزِ بغيرِ حقٍّ.

وكذا فيما أحدَثُوه مِن أخْذِ أموالِ الناسِ بالباطلِ؛ إمّا على وجْهِ القهرِ، أو على وجهِ الخديعةِ كما يفعَلُه المُتصوِّفةُ؛ فإنّهم يُظْهِرونَ الدِّيانةَ والسُّلوكَ إلى الله عزَّ وجلَّ خديعةً لينالُوا من[1] عَرَضِ الدنيا، بدليلِ أنّهم لو دَعاهُم نقيبٌ أو والٍ أو مَكّاسٌ، أو ريّسٌ، أو عريفٌ، أو مُرابي، أو ظالمٌ قد عُرِفَ جورُه وظلمُه، هرَعُوا إليه، فهؤلاءِ الفُقراءُ والقُضاةُ وأمراؤُهم في الدَّرَكِ الأسفلِ مِن النارِ[2]، وقد صرَّحَ بذلكَ العُلماءُ مِن نحوِ أربعِ مئةِ سنةٍ.

وأما مُتصوِّفةُ اليومِ وقضاتُهم وفقهاؤهم[3]؛ فإنّهم لا يُؤمنونَ بيومِ الحسابِ، وإن قالُوا خلافَ ذلكَ كذَبُوا؛ فإنّ أفعالَهم عكسُ أفعالِ[4] مَن يؤمِنُ بيومِ [٦٥/ب] الحسابِ، ولا ينكِرُ ذلكَ إلا جاهلٌ، أو فاسِدُ العقيدةِ.

هذا الحسَنُ البصرِيُّ رضِيَ الله عنه يقولُ: «والله لقد رأيتُ سبعينَ بَدريًّا لباسُهم الصُّوفُ، لو رأيتمُوهم لقُلتُم: مجانينُ، ولو رَأوا خِيارَكم لقالُوا: ما لهؤلاءِ من خَلاقٍ[5] أي: نصيبٍ، ولو رَأوا شِرارَكم لقالُوا: لا يؤمِنُ[6] هؤلاءِ بيومِ الحسابِ»[7]، ومعلومٌ أنّ شِرارَ ذلكَ الزمانِ أحسَنُ حالًا مِن خيارِ هؤلاءِ، ولا ينازِعُ في ذلكَ إلا مُعاندٌ.

---

(١) في (ب): «منه»، وليس في (د).

(٢) في (د): «فهؤلاء القضاة والمتصوفة والأمراء الجور وهم في الدرك الأسفل من النار».

(٣) «وفقهاؤهم» مثبت من (د).

(٤) «أفعال» ليس في (ب).

(٥) في (د): «خلاف».

(٦) في (د): «هؤلاء لا يؤمن».

(٧) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢: ١٣٤)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٢٤٠-٢٤١)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٦: ١١٢).

ودخَلَ الحسنُ[(١)] المسجدَ يومَ الجُمعةِ فلمّا جلسَ دمَعَتْ عَيناهُ، فقيلَ له: يا أبا سعيدٍ ما يُبكِيكَ؟

فقالَ: «وما لـي لا أبـكي، أرَى قـولًا ولا أرَى فعـلًا، أرَى رِجـالًا ولا أرَى عُقولًا، دخَلُوا ثمَّ خَرَجُوا، حرَّموا ثمَّ حلَّلوا، إنّما دينُ أحدِهم لَعقَةٌ[(٢)] على لسانِه، لو سألْتَه: هل يؤمِنُ بيومِ الحسابِ؟ لقالَ: نَعَم، كذَبَ ومالكِ يومِ الدِّينِ، ما هذه أخلاقُ المُؤمنينَ»، وذكَرَ أخلاقَ المُؤمنينَ الذينَ يؤمِنونَ بيومِ الحسابِ[(٣)].

فإذا كانَ الحسَنُ معَ جلالتِه وعِظَمِ قَدرِه فـي العِلمِ والدِّينِ ربيبُ رَسولِ الله ﷺ[(٤)] يُقسِمُ بمالكِ يـومِ الدِّيـنِ: أنَّ[(٥)] فُقهاءَ زمانِه وعلماءَهم لا يؤمِنونَ بيومِ الحسابِ، وهم[(٦)] في خيرِ القُرونِ، فكيفَ بهؤلاءِ[(٧)] الأخباثِ[(٨)] الذين هُم في شرِّ القُرونِ، قد نَصَبوا أنفسَهم عَبيدًا[(٩)] لأراذِلِ الناسِ مِن الظَّلَمةِ والمَكَسةِ، وإن كـانَ فيه غضبُ الله عـزَّ وجَلَّ وغضبُ رَسـولِه ﷺ، وبهذا ونحْـوِه يتبيَّـنُ صدْقُ ما ذكَرتُه.

فمَن كانَتْ تحتَ رجلٍ مِن الظَّلَمةِ وأتباعِهم كالنُّقباءِ والمشدينَ والوُكلاءِ ونحْوِهم[(١٠)] على الضِّياعِ، وكذا نقباءُ المُحتسِبِ ورُسُلُ القاضِي الذي لا يصلُحُ

---

(١) «الحسن» مثبت من (د).

(٢) في (د): «لفقه».

(٣) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٢٦١).

(٤) كانت أم الحسن البصري تخدم أم سلمة، فربما غابت فتعطيه أم سلمة ثديها فتعلله به إلى أن تجيء أمه فيدر عليه ثديها فيشربه. انظر: «المعارف» لابن قتيبة (١: ٤٤٠)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٣٧).

(٥) في (د): «ما أن».

(٦) في (د): «وهو».

(٧) في (د): «هؤلاء».

(٨) في (س): «الأخيار».

(٩) في (س): «عبيد».

(١٠) في (ب): «ونحوهما».

للقضاءِ؛ إما لعدمِ عِلمِه، أو لفِسقِه، وامتنعَتْ مِن قُربانِه وهَجَرتْه دِينًا بصدقٍ فليسَ عليها في ذلكَ؛ لأنّها تخلِّصُ نفْسَها مِن أنْ تكونَ وَقيدًا في جهنَّمَ.

وكذا امرأةُ المدرِّسِ الذي ليسَ هو أهلًا للوظيفةِ، وكذا امرأةُ المُتصوِّفِ، وأنّ ما يأكلُه حرامٌ، لا خلافَ في ذلكَ بينَ المُسلمينَ؛ لأنّه إنّما [٦٦/أ] يُعطَى ذلكَ بناءً على أنّه صوفي، والصُّوفي مَن لبِسَ الصُّوفَ على الصَّفا، ورفَضَ الدنيا خَلفَ القَفا، وسلَكَ سبيلَ المُصطفى ﷺ[١]، وهذا عزيزٌ جدًّا، والسالِكُ لا يُظْهِرُ سُلوكَه؛ لأنّه سرٌّ من أسرارِ الله تعالى، وفي إظهارِه إفشاءُ سرِّ الله تعالى، وقد قالَ بعضهم[٢]: إنّه كفرٌ.

قالَ العُلماءُ رحمهم الله: وما يأخُذُه مَن ليس[٣] بصفةِ القومِ حرامٌ قطعًا، كمَنْ وقَفَ على حَسَنيٍّ أو عَلَويٍّ، أو أوصى له بشيءٍ وهو بخلافِ ذلك؛ فإنّه لا يحِلُّ له أخْذُه قَطْعًا؛ لعدَمِ وُجودِ صفةِ الاستحقاقِ.

فالحذَرَ الحذَرَ يا نساءَ المُؤمناتِ مِن نارٍ ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

فمَنْ وجَبَ عليها حقٌّ فلتؤدِّه[٤] بطيبِ نفسٍ، وطلاقةِ[٥] وجهٍ، وحسنِ مُعاشرةٍ، ومن كانَتْ تحتَ واحدٍ من هؤلاءِ الأخباثِ فلتفِرَّ منه فرارَها مِن الأسدِ، ولا تَغترَّ بغيْرِها.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ١٨٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣: ٤٩)، و«نزهة المجالس ومنتخب النفائس» (٢: ٥٦).

(٢) في (س): «وقد قالوا».

(٣) «ليس» مثبت من (د).

(٤) في (د): «فلتؤدي».

(٥) في (د): «وطلاق».

فكأنِّي بها وقد نزَلَ بها[١] أمْرُ الله عزَّ وجَلَّ، فذهَبَت الشهواتُ، وبقِيَ التبعاتُ المُهلكاتُ، وتعاظَمَتِ الحَسراتُ، وتعذَّرَ الخلاصُ من حينَ لاتَ مَناص[٢].

وهذه نصيحةُ أخٍ مُحِبٍّ[٣] للناسِ ما يُحِبُّ لنفسه، والله[٤] ثمَّ والله ثمَّ والله، إنّ أنعَمَ الناسِ لو اشتدَّ[٥] صُداعُ رأسِه لذهَلَ عن جميعِ مَلاذِّ[٦] الدنيا، فكيفَ بمن يُغمَسُ في النارِ؟

قالَ الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ إلى قولِه: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

والصِّلِيُّ: غمْسُ الشخصِ في النارِ، لا التَّلويحُ[٧].

وقالَتْ[٨] خولةُ امرأةُ حمزَةَ رضِيَ الله عنها: سمِعْتُ رَسول الله ﷺ يقولُ: «**إنّ رِجالًا يَتَخَوَّضُونَ[٩] في مالِ الله بِغَيْرِ حَقٍّ، فلَهُمُ[١٠] النّارُ يَوْمَ القِيامَةِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[١١].

فهذا كتابُ ربِّنا وسنّةُ نبيِّنا ﷺ ناطقانِ بما حذَّرْتُ منه ونبَّهْتُ عليه، وهُما الحجَّةُ والبرهانُ على الإنسانِ، لا فعْلُ فُقهاءِ السُّوءِ، وصوفيةِ[١٢] المَزبَلةِ[١٣]،

---

(١) «بها» ليس في (د).
(٢) في (س)، (ب): «وتعذر الخلاص حين لا تحين مناص».
(٣) في (د): «يحب».
(٤) في (د): «فو الله».
(٥) في (د): «أشد».
(٦) في (س): «بلاد».
(٧) انظر: «الصحاح» (٦: ٢٤٠٣)، و«القاموس المحيط» (١٣٠٣).
(٨) في (د): «وقال».
(٩) في (د): «يتحولون».
(١٠) في (د): «وهو في».
(١١) «صحيح البخاري» (٣١١٨).
(١٢) في (س): «وصوفة».
(١٣) في (د): «الرجس».

إخوانِ الشيطانِ، والله عزَّ وجَلَّ المستعانُ، وعليه التُّكلانُ. [٦٦/ب]

قالَ رَسول الله ﷺ: «**إنّ أهْوَنَ أهْلِ النّارِ عَذابًا يَوْمَ القِيامَةِ، لَرَجُلٌ يُوضَعُ في أخْمَصِ**[١] **قَدَمَيْهِ جَمْرَتانِ يَغْلِي مِنْهُما دِماغُهُ، ما يَرَى أحَدًا أشَدَّ مِنْهُ عَذابًا، وإنّهُ لَأهوَنُهُمْ عَذابًا**». رَواهُ البُخارِيُّ[٢] ومُسلمٌ[٣] مِن حديثِ النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**يُؤْتَى بِأنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِنْ أهْلِ النّارِ يَوْمَ القِيامَةِ، فَيُصْبَغُ في النّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لا، والله يا رَبِّ. وَيُؤْتَى بِأشَدِّ النّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا، مِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ**[٤]**، فيُقالُ لَهُ: يا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ**[٥]**؟ فيَقُولُ: لا، والله يا رَبِّ ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأيْتُ شِدَّةً قَطُّ**». رَواهُ مُسلمٌ[٦] مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ الله عنه.

وعن عائشةَ رضِيَ الله عنها، قالَتْ: كانَ لأبي بكرٍ الصدِّيقِ غلامٌ يُخْرِجُ له الخَراجَ، وكانَ أبو بكرٍ يأكُلُ مِن خَراجِه، فجاءَ يومًا بشيءٍ فأكَلَ منه أبو بكرٍ، فقالَ له الغلامُ: أتدْرِي ما هذا؟ فقالَ[٧] أبو بكرٍ: وما هوَ؟ فقالَ: كنْتُ تكهَّنْتُ لإنسانٍ في الجاهليّةِ، وما أُحْسِنُ الكِهانَةَ إلا أنِّي خدَعْتُه، فلقِيَني فأعطاني

(١) في (ب): «خمص».
(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٦١).
(٣) «صحيح مسلم» (٢١٣).
(٤) قوله: «فيصبغ صبغة في الجنة» ليس في (س) و(ب) و(د).
(٥) قوله: «قط» ليس في (س) و(ب).
(٦) «صحيح مسلم» (٢٨٠٧).
(٧) في (د): «قال».

بِذَلكَ[١] هذا الذي أكلْتَ منه، فأدخَلَ أبو بكرٍ يدَهُ في فيهِ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطْنِه. رَواهُ البُخارِيُّ[٢].

وفي رِوايةٍ: فجعَلَ يتقيَّأُ، فلا تخرجُ اللُّقمةُ، فقيلَ له: أكُلُّ هذا لأجلِ لُقمةٍ؟ فقالَ: لو لم تخرُجْ إلا بنفسِي[٣] لأخرَجْتُها؛ سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كلُّ**[٤] **جَسَدٍ نَبَتَ عَلَى حَرامٍ، فالنّارُ أوْلَى بِهِ**»؛ خشِيتُ أن ينبُتَ شيءٌ مِن جَسَدِي مِن هذه اللُّقمةِ[٥].

وإذا كانَ هذا مِن لُقمةٍ، فكيفَ حالُ[٦] مَن غَداؤه وعَشاؤه مِنَ الحرامِ، وهوَ مستمِرٌّ على ذلكَ مدَّةً طويلةً والعياذ بالله تعالى!

[التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه]:

[١١] ومِنَ الأسبابِ المُهلكاتِ: التجسُّسُ والتَّسمُّعُ لكلامِ مَن يكرَهُ استماعَه[٧].

وقد نَهَى الله تعالى ورسولُه عن ذلكَ، وأخبَرَ رَسولُ الله ﷺ بما له مِن العذابِ، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، [٦٧/أ] وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**لا تَجَسَّسُوا، ولا تَحَسَّسُوا**». رَواهُ البخاريُّ[٨].

فهذا نهيٌ مِن الله عزَّ وجَلَّ ومِن رَسولِه ﷺ، فأينَ امتثالُ: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) في (س) و(د): «لذلك».

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٤٢).

(٣) في (د): «مع نفسي».

(٤) «كل» ليس في (س) و(د).

(٥) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣١).

(٦) «حال» ليس في (د).

(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٢)، و«الكبائر» للذهبي (٣١٥).

(٨) «صحيح البخاري» (٥١٤٣)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٣).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]؟! فإذا تجرَّأْتِ على المُخالفةِ فاستعدِّي لوبالِ المُخالفةِ؛ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنِ اسْتَمَعَ إلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وهُمْ لَهُ كارِهُونَ، صُبَّ في أُذُنَيْهِ الآنُكُ يومَ القيامَةِ**»[1]. رواهُ البخاريُّ مِن حديثِ ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

والآنك[2] ـ بضمِّ النُّونِ والمدِّ والكافِ ـ، هوَ: الرَّصاصُ المُذابُ[3]، نسألُ الله تعالى العافيةَ.

فإنِ انضافَ إلى ذلكَ نميمةٌ، وهيَ نقْلُ الكلامِ بينَ الناس على وجْهِ الإفسادِ[4] زادَ الإثمُ والعقوبةُ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمّامٌ**». رَواهُ البُخارِيُّ[5] ومُسلمٌ[6] مِن حديثِ حُذيفةَ رضِيَ الله عنه.

وقالَ ابنُ عبّاس رضِيَ الله عنهُما: مَرَّ رَسولُ الله ﷺ بقبرينِ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّهُما لَيُعَذَّبانِ، وما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ، بَلَى[7] إنَّهُ كَبِيرٌ[8]؛ أمّا أحَدُهُما فكانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأمّا الآخَرُ فكانَ لا يَسْتَتِرُ[9] مِنَ البَوْلِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[10] ومُسلمٌ[11].

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٠٤٢).

(٢) من قوله: «رواه البخاري» إلى هنا مثبت من (د).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٥٥٦)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٢: ٤٢٩).

(٤) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٢١: ١٩٤)، و«شرح المصابيح» لابن الملك (٥: ٢٣٨)، و«مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧: ٣٠٢٩).

(٥) «صحيح البخاري» (٦٠٥٦).

(٦) «صحيح مسلم» (١٠٥).

(٧) «بلى» ليس في (س).

(٨) قوله: «بلى إنه كبير» ليس في (د).

(٩) في (د): «يستنزه».

(١٠) «صحيح البخاري» (٦٠٥٥).

(١١) «صحيح مسلم» (٢٩٢).

نعوذُ بالله مِن عذابِ القبرِ.

ومَعْنى «وَما يُعَذَّبانِ في كَبِيرٍ» يعني في زعْمِهما «بَلَى إنَّهُ كَبِيرٌ»؛ لما فيه مِن المُخالفةِ التي أوجبَتْ هذه العقوبةَ التي لا تطيقُها الجبالُ.

وقيلَ: كبيرٌ ترْكُه عليهما؛ لأنّ النفسَ سرّاعةٌ[١] إلى الإفسادِ بطبْعِها، والحقُّ ثقيلٌ، فيثقُلُ ترْكُ النَّميمةِ عليهما[٢]؛ فإنِ انضافَ إلى ذلكَ نقْلُ الكلامِ إلى وُلاةِ الأمورِ زادَ الإثْمُ والعذابُ، وإنِ انضافَ إلى ذلكَ التوجُّهُ[٣] أنْ صارَتْ ذاتَ[٤] الوجهينِ زادَ إثْمُها، وصارَتْ شرَّ النّاسِ.

قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تَجِدُونَ شَرَّ النّاسِ ذا الوَجْهَيْنِ، الذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ**[٥]». رَواهُ البُخارِيُّ[٦] ومُسلمٌ[٧] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وقد ذمَّ الله تعالى مُتعاطِيَ ذلكَ، فقالَ: ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

وفيه إشارةٌ إلى جهلِ مَن فعَلَ ذلكَ بربِّه وبُعْدِه عنه، فلا مُصيبةَ أعظَمُ ممَّن[٨] الناسُ أعظَمُ في قلْبِه مِن ربِّه؛ حيثُ استخْفَى ممَّن لا يملِكُ لنفْسِه

---

(١) في (د): «نزاعة».

(٢) في (د): «عليها». وانظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ٢٠١)، و«العدة في شرح العمدة» (١: ١٤٠)، و«الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (٣: ٦٨).

(٣) فوقها في (س): «لعله».

(٤) في (س) و(ب) و(د): «ذا».

(٥) في (د): «بوجه آخر».

(٦) «صحيح البخاري» (٣٤٩٤).

(٧) «صحيح مسلم» (٢٥٢٦).

(٨) في (ب): «من».

ضرًّا ولا نفعًا، ولم يستخْفِ ممَّن بيدِه الملْكُ والملكوتُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ[١].

وقد كثُرَ ذو[٢] الوجْهيْنِ حتَّى لا تكادُ تجِدُ أحدًا خالصًا مِن ذلكَ، إلا مَن وفَّقَه الله تعالى وحَماهُ مِن هذه العقوباتِ، وذلكَ عزيزٌ.

وأكثَرُ ذوي[٣] الوجهينِ النساءُ؛ لضعْفِ عُقولِهنَّ ودِينِـهنَّ ويقينِـيهنَّ، ومَنْ هَذهِ صفتُها فإيمانُها[٤] مُزَلزَلٌ سريعُ التحوُّلِ، ولهذا كنَّ أكثَرَ أهلِ النارِ[٥].

تنبيه مهم يتعلق بالنميمة :

فكلُّ مَن حُمِلَتْ إليه نميمةٌ وقيلَ له: قالَ فلانٌ أو فلانةٌ فيكَ كذا، وجَبَ عليه ستَّةُ أُمورٍ[٦]، ولا تغفَلْ عن قولِي: (وجَبَ)؛ لأنَّ الواجبَ هوَ الذي يعاقَبُ الشخصُ على ترْكِه[٧].

---

(١) انظر تفسير الآية في «تفسير القرطبي» (٥: ٣٧٩)، و«البحر المحيط في التفسير» (٤: ٥٨).

(٢) في (س): «ذوو»، وفي (د): «ذا».

(٣) في (ب): «ذي»، وفي (د): «ذو».

(٤) في (س) و(ب) و(د): «ومن هذه صفته فإيمانه».

(٥) أخرج البخاري (٢٩) ومسلم (٢٧٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط». واللفظ للبخاري.

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٦)، و«الأذكار» للنووي (٣٤٨)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٣٨).

(٧) انظر: «البرهان في أصول الفقه» (١: ٢١٤)، و«قواطع الأدلة في الأصول» (١: ٢٣)، و«المستصفى» (٥٣)، و«المحصول» للرازي (٢: ٢٠٢).

الأمْرُ الأوَّلُ: ألا يصدِّقَ[١] النمّامَ؛ لأنّه فاسِقٌ بنصِّ القُرآنِ العظيمِ، والفاسِقُ لا يُقبَلُ قوْلُه، وقد أمَرَ الله تعالى بالتَّثبُّتِ في ذلكَ[٢]؛ فمَنْ صدَّقَه فقد خالَفَ الله تعالى.

الأمْرُ[٣] الثاني: أنْ ينْهاهُ عن ذلكَ، ويُقَبِّحَ فعْلَه، وينصَحَه بتحذيرِ ما أعدَّ الله تعالى له مِن العُقوبةِ.

الأمْرُ الثّالثُ: أن يبغضَه في الله تعالى؛ فإنَّ النمّامَ بَغِيضٌ[٤] الله تعالى؛ لأنّه شيطانٌ، فما أجهَلَ مَن لا يبغضُ من[٥] أبغَضَه الله تعالى، والبغْضُ في الله تعالى واجبٌ، ومَن رَأى مِنَّةَ مَن نقَلَ إليه نميمةً، فقد ورَّطَ نفْسَه في مهلكةٍ عظيمةٍ.

قالَ مجاهِدٌ رحمه الله: قالَ لي عبدُ الله بنُ عُمرَ رضِيَ الله عنهما: «أحِبَّ في الله، وأبغِضْ في الله، وعادِ في الله؛ فإنّكَ لا تنالُ ولايةَ الله إلا بذلكَ، ولا يجِدُ رجلٌ طعْمَ الإيمانِ وإن كثُرَتْ صلاتُه وصيامُه حتَّى يكونَ كذلكَ، وصارَتْ مؤاخاةُ الناسِ في أمْرِ الدنيا، وذلكَ[٦] لا يُجزئُ[٧] عن أهْلِه شيئًا»[٨].

الأمْرُ الرّابعُ: ألا يظُنَّ[٩] المنقولُ إليه بالمنقولِ عنه السُّوءَ؛ لقولِه تعالى:

---

(١) في (ب): «يصدقه».

(٢) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

(٣) «الأمر» ليس في (د) وكذا في المواضع التالية.

(٤) كذا في (ب) وحاشية (س)، وفي (س): «يبغضه».

(٥) في (س) و(د): «ما». (٦) في (د): «وأن ذلك».

(٧) في (ب): «يجوز».

(٨) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٣١٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٣٥٧).

(٩) «يظن» ليس في (ب).

﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢]، تنبَّه[١] لذلكَ، فبادرةُ[٢] النفسِ إلى التصديقِ أسرَعُ مِن البرْقِ، لا سيَّما إذا كانَ المنقولُ عنه عدوًّا؛ فإنْ [٦٨/أ] قوِيَ وازعُ الطبْعِ فاقمَعْه بوازِعِ الشرعِ، وإلا فأنتَ هالكٌ.

الأمْرُ الخامسُ: ألا يحمِلَكَ ما حُكِيَ لكَ عنِ[٣] التجسُّسِ والبحثِ عن تحقيقِ ذلكَ، فقد نَهَى الله تعالى ورسولُه عليه الصلاةُ والسلامُ عنِ التجسُّسِ كما تقدَّمَ.

الأمْرُ السّادسُ: ألا يرْضَى لنفسِه ما[٤] نَهَى النمّامَ عنه، فلا يحْكِي نميمتَه؛ لأنّه يصيرُ نمّامًا، وإذا صارَ نمّامًا فاتَه الثوابُ، وترتَّبَ عليه العقابُ، ومثْلُ هذا هوَ المُصابُ[٥].

قيلَ[٦]: دفعَ شخصٌ إلَى الصاحبِ بنِ عبّاد[٧] رُقعةً يحثُّه فيها على أخْذِ مالِ يتيمٍ، وكانَ مالًا عظيمًا، فكتَبَ الصاحبُ بن عبّاد[٨] على ظهْرِ الرُّقعةِ: «النَّميمةُ قبيحةٌ وإن كانَتْ صحيحةً، والميِّتُ رَحِمه الله، واليَتيمُ جبَرَه[٩] الله، والمالُ ثمَّره الله، والسّاعِي لعنَه الله عزَّ وجَلَّ»[١٠].

---

(١) في (د): «تنبيه».
(٢) في (د): «فمبادرة».
(٣) في (د): «علي».
(٤) في (د): «بما».
(٥) في (د): «المصائب العظام».
(٦) «قيل» مثبت من (د).
(٧) في (ب) و(د): «عبادة».
(٨) قوله: «ابن عباد» ليس في (س)، وفي (ب) و(د): «عبادة».
(٩) في (د): «خيره».
(١٠) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٧)، و«الأذكار» للنووي (٣٤٨)، و«رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» للفاكهاني (١: ٢٤٠). جاء في حاشية (ب): «يحكى أن تلميذ الفضيل ابن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة (يس)، فقال: =

[من الأسباب المهلكة: آفات اللسان][(١)]:

[١٢] **ومِنَ الأسبابِ المهلكةِ: اللِّسانُ.**

وله آفاتٌ لا تكادُ تنحصِرُ، وهوَ معَ كثرةِ آفاتِه سريعُ الحركةِ[(٢)]، هيِّنُ الانفعالِ، قليلُ الكَلِّ، يَكادُ ماءُ القطْرِ ينفدُ[(٣)] وحركاتُه لا[(٤)] تنفد[(٥)]، بكلمةٍ منه معَ قِلَّتِها يهلَكُ سائرُ الجسدِ، معَ ذهابِ النفسِ وحُصولِ غضَبِ الرَّبِّ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إذا أصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فإنّ الأعْضاءَ كُلَّها تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ لهُ[(٦)]: اتَّقِ الله تَعالَى فينا، فإنّما[(٧)] نَحْنُ بِكَ، فإن اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنا، وإن اعْوَجَجْتَ[(٨)] اعْوَجَجْنا**». رَواهُ الترمذِيُّ[(٩)].

= يا أستاذ لا تقرأ هذه؟ فسكت ثم لقنه، فقال له: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أقولها؛ لأني منها بريء، ومات على ذلك. فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يومًا ولم يخرج من البيت، ثم رآه في المنام وهو يسحب إلى جهنم أجارنا الله منها بمنّه، فقال: بأي شيء نزع الله المعرفة من قلبك، وكنت أعلم تلامذتي؟ فقال: بثلاثة أشياء: أولها: النميمة؛ فإني قلت لأصحابي بخلاف ما قلت لك. والثاني: بالحسد؛ فإني حسدت أصحابي. والثالث: كان بي علة فجئت إلى طبيب وسألته عنها فقال: تشرب في كل سنة قدحًا من خمر فإذا لم تفعل تبقى بك العلة، فكنت أشربه. نعوذ بالله من سخطه الذي لا طاقة لنا به. ذكر هذه الحكاية: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في «منهاج العابدين»». اهـ. وانظر: «سراج الطالبين على منهاج العابدين» (٢: ٢٦٦-٢٦٧)، و«شرح صحيح البخاري» للسفيري (١: ٢٩٨)، و«فيض القدير» (١: ٥٢٦).

(١) ما بين المعقوفين جاء على حاشية (ب).

(٢) في (د): «الحركات».

(٣) في (د): «ينفذه».

(٤) «لا» ليس في (د).

(٥) في (د): «تنفذ».

(٦) «له» مثبت من (د).

(٧) في (د): «فإنا».

(٨) في (ب): «اعوجت».

(٩) «جامع الترمذي» (٢٤٠٧)، قال الترمذي: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد، ولم يرفعوه».

ومَعْنى «تُـكَفِّرُ اللِّسانَ»: أيْ[1]: تَذِلُّ[2] وتخضَعُ له[3].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الشَّخْصَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله عزَّ وجَلَّ لا يُلْقِي لَها بالًا، يَهْوِي بِها في جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا**». رَواهُ البُخارِيُّ[4] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وفي حديثٍ آخَرَ: «**إنّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ ما يَتَبَيَّنُ فيها، يَزِلُّ بِها إلَى النّارِ أبْعَدَ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**». رَواهُ البُخارِيُّ[5] ومُسلمٌ[6].

ومَعْنى «يَتَبَيَّنُ»: يفكِّرُ[7] أنّها خيرٌ أم شر[8].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله عَزَّ وجَلَّ ما كانَ يَظُنُّ أنْ تَبْلُغَ ما بَلَغَتْ، يَكْتُبُ الله عَزَّ وجَلَّ لَهُ بِها سَخَطَهُ إلَى يَوْمِ يَلْقاهُ**». [٦٨/ب]

رَواهُ مالِكٌ رحمه الله في «الموطَّأ»[9] مِن حديثِ أبي عبدِ الرحمنِ بلالِ بنِ الحارِثِ المُزنِيِّ، وكذا الترمذِيُّ[10]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) «أي» ليس في (س). (٢) في (س): «تنزل»، وفي (د): «تترك».

(٣) انظر: «المفاتيح في شرح المصابيح» (٥: ١٨٢)، و«قوت المغتذي على جامع الترمذي» (٢: ٥٨٤).

(٤) «صحيح البخاري» (٦٤٧٨). وفيه: «إن العبد». وقوله «سبعين خريفًا» ليس عند البخاري وإنما عند الترمذي (٢٣١٤).

(٥) «صحيح البخاري» (٦٤٧٧). (٦) «صحيح مسلم» (٢٩٨٨).

(٧) في (د): «ينكر».

(٨) في (س): «أم لا». وانظر: «شرح النووي على مسلم» (١٨: ١١٧)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين» (٨: ٣٤٢).

(٩) «موطأ مالك» (٣٦١١).

(١٠) «جامع الترمذي» (٢٣١٩)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٦٩)، و«صحيح ابن حبان» (٢٨٠)، و«مستدرك الحاكم» (١٣٦). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح».

وقالَ سُفيانُ بنُ عبدِ الله رضِيَ الله عنه، قلْتُ: يا رَسولَ الله، حدِّثْني بأمرٍ أعتصِمُ به، قالَ: «**قُلْ رَبِّيَ الله ثُمَّ اسْتَقِمْ**»[1]، قلْتُ: يا رَسولَ الله، ما أخوَفُ ما تَخافُ عليَّ؟ فأخَذَ عليه الصلاةُ والسلامُ بلسانِ نفْسِه، ثمَّ قالَ: «**هَذا**». رَواهُ الترمذِيُّ[2]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وإتيانُ[3] السائلِ بصيغةِ (أخوفُ) التي هيَ صيغةُ (أفعَلِ التفضيلِ)، فإقرارُه[4] عليه الصلاةُ والسلامُ له وجوابُه يفيدُ أنّ اللِّسانَ أخوفُ المَخوفاتِ، فلتنتبه لذلكَ.

وقالَ عقبةُ بنُ عامرٍ رضِيَ الله عنه: قلْتُ: يا رَسولَ الله، ما النَّجاةُ؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ**[5] **لِسانَكَ، ولْيَسَعْكَ**[6] **بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**». رَواهُ الترمذِيُّ[7]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وقالَ مُعاذٌ رضِيَ الله عنه: قلْتُ: يا رَسولَ الله، أخبرني بعملٍ يُدخِلُني الجنةَ ويُباعِدُني مِن النارِ؟ قالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وإنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ الله عَلَيْهِ: تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتِي الزَّكاةَ، وتَصُومُ رَمَضانَ**»، ثمَّ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ألا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ الماءُ النّارَ، وصَلاةُ الرَّجُلِ في**

---

(١) «صحيح مسلم» (٣٨).

(٢) «جامع الترمذي» (٢٤١٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٢)، و«مسند أحمد» (١٥٤١٨).

(٣) في (د): «فإتيان».

(٤) في (س): «وإقراره».

(٥) «عليك» ليس في (د).

(٦) في (س): «ويسعك».

(٧) «جامع الترمذي» (٢٤٠٦)، و«مسند أحمد» (١٧٣٣٤)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٧٨٤). وعند الترمذي: «أملك عليك..».

جَوْفِ اللَّيْلِ»، ثُمَّ تَلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ حتَّى بلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

ثمَّ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ألا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قلْتُ: بلى يا رَسولَ الله، فأخَذَ بلسانِه[١]، وقالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذا**»، قلْتُ: يا رَسولَ الله، وإنّا لمُؤاخَذونَ بما نتكلَّمُ به؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وهَلْ يَكُبُّ النّاسَ في النّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٢]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: سُئِلَ رَسولُ الله ﷺ عن أكثَرِ ما يُدخِلُ الناسَ النارَ؟ فقالَ: «**الفَمُ والفَرْجُ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٣]، وقالَ: «حديثٌ صحيحٌ»[٤].

[٦٩/أ] وكثيرٌ مِن النساءِ، بل أكثَرُ النساءِ بهذه الصِّفةِ؛ لأنّهنَّ سريعاتُ الانفعالِ والانقيادِ، أسيراتُ الشبهاتِ والشهواتِ، يَمِلنَ[٥] معَ كلِّ ريحٍ، ولهنَّ[٦]

(١) جاء في حاشية (ب): «قال النووي في «أذكاره»: بلغنا أن قسَّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا، فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تُحصى، والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب، ووجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال: ما هي: قال: حفظ اللسان». اهـ. وانظر: «الأذكار» للنووي (٣٣٥).

(٢) «جامع الترمذي» (٢٦١٦)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٣)، و«مسند أحمد» (٢٢٠١٦)، و«مستدرك الحاكم» (٣٥٤٨). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(٣) «جامع الترمذي» (٢٠٠٤)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢٤٦)، و«مسند أحمد» (٧٩٠٧)، و«صحيح ابن حبان» (٤٧٦)، و«مستدرك الحاكم» (٧٩١٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٤) في (ب): «حديث حسن صحيح»، وفي «جامع الترمذي»: «حديث صحيح غريب».

(٥) في (د): «يمكن».

(٦) في (س) و(ب): «ولهم».

أعوانٌ مِن جنسهِنَّ يفزعنَ[١] إلى كلِّ[٢] ناعقٍ، هنَّ[٣] أتباعُ[٤] الدَّجّالِ[٥]، لهنَّ[٦] مِن العذابِ والنَّكالِ ما يأتِي إن شاءَ الله تعالى.



(١) في (س) و(ب) و(د): «يفزعون».
(٢) «كل» ليس في (ب).
(٣) في (س) و(ب): «هم».
(٤) في (س) و(ب) و(د): «تباع».
(٥) في (ب): «الرجال».
(٦) في (س) و(ب) و(د): «لهم».

[آفات اللسان]

وقد تقدَّمَ أنّ آفاتِ اللِّسانِ لا تنحصِرُ، فنذكُرُ نبذةً يسيرةً منها.

[١] منها: كثرةُ الكلامِ.

قالَ رَسول الله ﷺ: «**لا تُكْثِرُوا الكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ؛ فإنّ كَثْرَةَ الكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وإنّ أَبْعَدَ النّاسِ مِنَ الله عزَّ وجَلَّ القَلْبُ القاسِي**». رَواهُ الترمذِيُّ[١].

وسببُ ذلكَ: أنّ اللسانَ تَرْجُمانُ القلْبِ، والقلْبُ الخالي عنِ التلذُّذِ بالذِّكرِ وطيبِ المُناجاةِ والتمتُّعِ بالخلْوةِ بالحبيبِ مشحونٌ[٢] بالشهواتِ، متلوثٌ بالأخلاقِ المذمومةِ، يزخرِفُ له الشيطانُ لذَّةَ الاجتماعِ بالخلْقِ وطِيبَ المُناجاةِ معهم[٣]؛ ليصُدَّه عن ذكْرِ الله تعالى، الذي هوَ سببُ سعادةِ الدارينِ، فتنطَفِئُ مِن قلْبه أنوارُ[٤] الخوفِ، فيتصاعَدُ دُخانُ الهوَى فتعْمَى[٥] عينُ القلْبِ، ويسدُّ[٦] سمْعَهُ، فيُصَمُّ[٧] عنِ الوعظِ، ويعْمَى عن موضعِ الخطأِ[٨]، وهذا عينُ القَسوةِ، وبذلكَ

(١) «جامع الترمذي» (٢٤١١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٦٠٠). وقال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٢) في (د): «فمشحون».

(٣) في (س): «وطيب المنادمة».

(٤) في (د): «نور».

(٥) في (ب): «فتعم»، وفي (د): «فينعمي».

(٦) في (ب): «وسد».

(٧) في (د): «فينضم».

(٨) في (ب): «الحط»، وفي (د): «الحظ».

يحصُلُ الإبعادُ، نسألُ[١] الله عزَّ وجَلَّ العفوَ والعَافيةَ مِن طرْدِه وإبعادِه.

فما أشْقَى مَن تسبَّبَ في إبعادِه عمَّن بيدِه المُلكُ والملكوت، وتدلَّى بغُرورِ مَن أُبعدَ إبعادَ الأبدِ، فلا يأمَنُ مثْلَ أنْ يلحَقَ به فيَبْقَى في عذابٍ لا آخِرَ[٢] لَهُ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ[٣] سَقَطُهُ[٤]، ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، ومَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كانَتِ النّارُ أوْلَى بِهِ**». رَواهُ أبو حاتمٍ في «**رَوضةِ العُقلاءِ**»[٥]، ورَواهُ البيْهقِيُّ في «**شُعبِ الإيمانِ**»[٦]، والله أعلَمُ.

[من آفات اللسان: شهادة الزور][٧]

[٢] ومنها ـ أي: ومن آفاتِ اللِّسانِ ـ: شهادةُ الزُّورِ[٨].

وهي من المُهلكاتِ العظيمةِ، ولعِظَمِ أمْرِها نَهَى الله عنها غيرَ مرّةٍ، وبالَغَ رَسولُ الله ﷺ في أمْرِها، قالَ الله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبائِرِ؟**» قلْنا: بَلَى يا رَسولَ الله، قالَ: «**الإشْراكُ[٩] بِالله، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ**»، وكانَ مُتَّكِئًا فجلَسَ،

---

(١) في (د): «فنسأل».
(٢) في (ب): «لآخر».
(٣) «كثر» ليس في (ب).
(٤) في (ب): «سقوطه».
(٥) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (٤٤). موقوفًا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٦) «المعجم الأوسط» (٢٢٥٩)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٦٤٠)، و«الضعفاء الكبير» للعقيلي (٣: ٣١٦).
(٧) ما بين المعقوفين على هامش (ب).
(٨) انظر: «الكبائر» للذهبي (١٩٧)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٣٢٠).
(٩) في (د): «الشرك».

فقالَ: «**ألا وقَوْلُ الزُّورِ وشَهادَةُ الزُّورِ**» فما زالَ يكرِّرُها حتَّى قلْنا: ليتَه سكَتَ. [٦٩/ب] رَواهُ البُخارِيُّ[١] ومُسلمٌ[٢] مِن حديثِ أبي بكْرَةَ رضِيَ الله عنه، واسمُه: نُفَيعُ ابنُ الحارِثِ[٣].

فانظُر، كيفَ قرَنَها بالإشراكِ بالله عزَّ وجَلَّ، وجعَلَها مِن أكبرِ[٤] الكبائرِ كقتْلِ النفسِ، وشرْبِ الخمْرِ، وأكْلِ مالِ اليتيمِ.

وقولُهم: «حتَّى قلْنا: ليتَه سكَتَ»، رحمةً له مِن شدّةِ ما حصَلَ له مِن التحذيرِ منها[٥].

وقولُه تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، يفيدُ أنّ ما ليسَ[٦] يتحقَّقُه الإنسانُ ويجزِمُ به فهوَ مِن شهادةِ الزُّورِ؛ لأنّ العلْمَ لا يقبَلُ التَّشكيكَ، حتَّى لو غلَبَ على ظنِّ الشخصِ شيءٌ، وقوِيَ ظنُّه قوةً شديدةً بحيثُ يجوزُ له[٧] الحلِفُ عليه، لا يجوزُ له أن يشهَدَ؛ فإنْ شهِدَ[٨] معَ قوَّةِ هذا الظنِّ، فهيَ شهادةُ الزُّورِ[٩].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٧٦). (٢) «صحيح مسلم» (٨٧).

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٨٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٤٨٩)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (٣: ١٤٢).

(٤) «أكبر» ليس في (ب).

(٥) «منها» ليس في (ب). وانظر: «شرح النووي على مسلم» (٢: ٨٨)، و«الكواكب الدراري» (١١: ١٧٥)، و«فتح الباري» لابن حجر (٥: ٢٦٣).

(٦) «ليس» ليس في (د).

(٧) «له» ليس في (د).

(٨) قوله: «فإن شهد» ليس في (ب).

(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٧: ٤٤٧)، و«تفسير القرطبي» (١٠: ٢٥٧).

ألا تَرَى إلى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ مُشيرًا إلى الشمسِ: «**عَلَى مِثْلِها فاشْهَدْ أوْ دَعْ**»[١].

ومِن شهادةِ الزُّورِ: ما يعتادُه أهلُ الأسواقِ والحاراتِ من كلمةٍ يقولُها شخصٌ إمّا كذبًا أو ظنًّا؛ لاعتمادِه على شيءٍ، ثمَّ تفْشُو تلكَ الكلمةُ حتَّى تشيعَ في تلكَ السُّوقِ أو الحارةِ، فيشهَدُ الشخصُ بذلكَ، أو يقولُ[٢] ولدُه الصغيرُ: جَرَى كيتَ وكيتَ، فيعتقِدُ أبوه أو أمُّه صِدقَه؛ لفرْطِ محبَّتِه، فيشهَدُ بما يقولُه، وذلكَ شهادةُ زورٍ، وقِسْ على ذلكَ.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن ذلكَ؛ فإنّ كثيرًا مِن الخلْقِ يَتساهلونَ في ذلكَ، فيَقَعونَ في هذه الكبيرةِ[٣] التي عاقبتُها وخيمةٌ.

[البذاءة]:

[٣] **ومنها** ـ أي: من آفاتِ اللِّسانِ ـ: **البذاءةُ**.

وهيَ خَصلةٌ خبيثةٌ، وهيَ معَ خبْثِها أكثَرُ مِن القطْرِ في ألسنةِ الرجالِ فضلًا عنِ النساءِ والناقصاتِ العقْلِ والدِّينِ، وهيَ سببُ بُغضِ الله عزَّ وجَلَّ لمُتعاطِيها، فيا ذلَّ مَن أبغَضَه الله تعالى.

قال رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله يُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٤]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (١٠٤٦٩)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٥٧٩)، و«مستدرك الحاكم» (٧٠٤٥). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «واهٍ». وانظر: «نصب الراية» (٤: ٨٢)، و«البدر المنير» (٩: ٦١٧).

(٢) في (د): «ويقول».

(٣) في (د): «المصيبة».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٠٠٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٢: ٥٠٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي =

و«**البَذِيءُ**»: هوَ الذي يتكلَّمُ بالفُحْشِ ورَديءِ الكلامِ[1].

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إيّاكُمْ والفُحْشَ، فإنّ الله لا يُحِبُّ الفُحْشَ ولا** [٧٠/أ] **التَّفَحُّشَ**». رَواهُ النسائيُّ في «**سُننِهِ الكُبْرى**»[2]، ورَواهُ الحاكِمُ[3] مِن حديثِ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنه وصحَّحَه، ورَواهُ ابنُ حِبّانَ[4] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

فيا خزيَ مَن أحَبَّ وتلذَّذَ بما لا يحِبُّه الله تعالى، وقد كثُرَ هذا في الناسِ حتَّى إنّهم يفتخِرونَ به، وهذا يدُلُّ على طرْدِ الله تعالى لهم؛ لأنّهم أبدَلُوا منفعةَ اللِّسانِ مِن الذِّكرِ، وما خُلِقَ له مِن التوحيدِ والتهليلِ والتسبيحِ وغيرِ ذلكَ بما لا يحِبُّه الله تعالى، وفيه رِضا الشيطانِ، وهذا غايةُ الخِذلانِ والخُسرانِ.

وقال رَسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله لا يُحِبُّ الفاحِشَ المُتَفَحِّشَ الصَّيّاحَ في الأسْواقِ**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[5] مِن حديثِ جابرٍ رضِيَ الله عنه، ورَواهُ الطبرانِيُّ[6] مِن حديثِ أسامةَ بنِ زيدٍ رضِيَ الله عنهُما بسندٍ جيِّدٍ[7] دُونَ لفْظِ: «**الصَّيّاحَ في الأسْواقِ**».

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**الجَنَّةُ حَرامٌ عَلَى كُلِّ فاحِشٍ أنْ يَدْخُلَها**». رَواهُ

= (٢٠٧٩٨).

(١) انظر: «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٧: ٣٠٤٤)، و«تحفة الأحوذي» (٦: ١١٨).

(٢) «مسند أحمد» (٩٥٦٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٥١٩).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٢٦).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٥١٧٧).

(٥) «الأدب المفرد» (٣١٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (١٩٠).

(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٩٩).

(٧) انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠١١).

ابنُ أبي الدنيا[١]، وأبو نُعيمٍ في «الحِلْيةِ»[٢] مِن حديثِ عبدِ الله بن عمرَ رضِيَ الله عنهُما.

وقال رَسولُ الله ﷺ: **«أرْبَعةٌ يُؤْذُونَ أهْلَ النّارِ عَلَى ما بِهِمْ مِنَ الأذَى، يَسْعَوْنَ[٣] بَيْنَ الحَمِيمِ والجَحِيمِ، يَدْعُونَ بالوَيْلِ والثُّبُورِ، رَجُلٌ يَسِيلُ فُوهُ[٤] قَيْحًا ودَمًا فيُقالُ لَهُ: ما بالُ الأبْعَدِ قَدْ آذانا عَلَى ما بِنا مِنَ الأذَى؟ فيَقُولُ: إنّ الأبْعَدَ كانَ يَنْظُرُ إلَى كُلِّ كَلِمَةٍ بَذِيئَةٍ[٥] خَبِيثَةٍ فيَسْتَلِذُّها[٦]، كَما يَسْتَلِذُّ الرَّفَثَ»**.
رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٧] مِن حديثِ شُفَيٍّ[٨] بْنِ ماتِعٍ[٩]، واختُلِفَ في صُحبتِه[١٠]، وذكَرَه أبو نعيمٍ[١١] في الصحابةِ رضِيَ الله عنهم.

---

(١) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٣٢٢).
(٢) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٨٨).
(٣) في (د): «يسعرون».
(٤) في (ب): «فاه»، وفي (د): «بدنه».
(٥) «بذيئة» ليس في (ب).
(٦) في (د): «فيستلذ بها».
(٧) «الزهد» لأسد بن موسى (٤٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٣٢٣)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (٦٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٢٢٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٢٠٩): «رواه الطبراني في «الكبير»، وهو هكذا في الأصل المسموع، ورجاله موثقون».
(٨) «شفي» ليس في (ب).
(٩) في (س) و(ب) و(د): «رافع». وانظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٥١٣)، و«التاريخ الكبير» (٤: ٢٦٦)، و«الجرح والتعديل» (٤: ٣٨٩)، و«المنتظم» (٧: ١٠٠).
(١٠) قال مغلطاي: «قال أبو نعيم: مختلَف في صُحبته، وقال أبو موسى: أورده الطبراني، والحضرمي، وابن شاهين، وغيرهم في الصحابة، وقال الطبراني: مختلف في صحبته، وذكره في جملة الصحابة أيضًا الطبري، وأبو الفرج، والصغاني في «النقعة»، وذكره جماعة كثيرة في التابعين، منهم: العجلي، وابن يونس، وابن حبان، وابن سعد، وخليفة، والهيثم بن عدي، ومسلم». وانظر: «أسد الغابة» (٢: ٣٧٤)، و«الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم من الصحابة» لمغلطاي (١: ٢٨٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٥: ٢٠٧).
(١١) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٤٩١).

وقد تكونُ الكلمةُ معَ بذاءتِها مُضحكةً، وهوَ الغالِبُ على ألسنةِ السَّفلةِ[١]، فهذه[٢] تزدادُ عُقوبتُه.

قالَ رَسول الله ﷺ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِها جُلَساءَهُ، يَهْوِي بِها في جَهَنَّمَ[٣] أبْعَدَ مِنَ الثُّرَيّا**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٤] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه بسندٍ جيِّدٍ[٥].

فإنْ[٦] وقَعَ ذلكَ في الخِصامِ فقَدْ زادَتْ مُصيبتُهما؛ لاتِّصافِهما بأبعدِ [٧٠/ب] الخلْقِ عن رحمةِ الله تعالى؛ قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**المُسْتَبّانِ شَيْطانانِ يَتَعادَيانِ[٧] ويَتَهاتَرانِ**». رَواهُ أبو داود الطيالسي[٨] مِن حديثِ عِياضِ بنِ حمارٍ[٩] رضِيَ الله عنه، وأصْلُه رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[١٠] بزيادةٍ، وسندُهما صحيحٌ.

والأحاديثُ في ذلكَ كثيرةٌ، وفيما ذكَرْتُه تذكرةً وموعظةً لمَنْ أرادَ الله بها خيرًا، والشَّقِيُّ مَن لا يتَّعظُ، نعوذُ بالله تعالى مِن الشقاوةِ، والله أعلَمُ.

---

(١) في (د): «ألسنة الرجال السفلة». (٢) في (د): «فهذا».

(٣) في (د): «النار».

(٤) «مسند أحمد» (٩٢٢٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٧١)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧١٦).

(٥) قال ابن القيسراني في «ذخيرة الحفاظ» (١: ٥٥٥): «الزبير بن سعيد من ولد مؤمل بن الحارث: عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة. يرويه عبد الله بن المبارك: عن الزبير. والزبير ليس بشيء في الحديث»، وانظر: «ميزان الاعتدال» (٢: ٦٧).

(٦) في (د): «فإذا». (٧) في (د): «يتعاونان».

(٨) «مسند أبي داود الطيالسي» (١١٧٦).

(٩) في (د): «حماد».

(١٠) «مسند أحمد» (١٨٣٤٢)، و«الأدب المفرد» (١٥٣)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧٢٦). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٧٥): «رجال أحمد رجال الصحيح».

[اللعن]:

[٤] ومنها ـ أي: ومن آفاتِ اللِّسان ـ: اللَّعنُ[١].

وهو كثيرٌ في ألسنةِ الأشرارِ، وكثيرٍ مِن الأخيارِ، لا سيَّما أهلُ الأسفارِ، ولِعِظَمِ عُقوبتِه[٢]، وخزْيِ مُتعاطِيه، قدِ اعتَنَى الشيطانُ بدسِّه على الخلْقِ، حتَّى أجراهُ على ألسنةِ الكبارِ والصغارِ، ودمَنَ عليه حتَّى ينطِقَ العاقلُ اللبيبُ به معَ كمالِ عقْلِه وتحرُّزِه، وقد حذَّرَ منه رَسولُ الله ﷺ تحذيرًا بليغًا، بالفعلِ تارةً، وبالإخبارِ تارةً، وبالنهيِ تارةً.

قالَ عِمرانُ بنُ حُصينٍ رضِيَ الله عنه: بينَما رَسولُ الله ﷺ في بعضِ أسفارِه، وامرأةٌ مِن الأنصارِ رضي الله عنها على ناقةٍ، فضجِرَتْ فلعنَتْها، فسمِعَ رَسولُ الله ﷺ ذلكَ، فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**خُذُوا ما عَلَيْها ودَعُوها؛ فإنّها مَلْعُونَةٌ**».

قالَ عِمرانُ: فكأنِّي أراها الآنَ تمْشِي في الناسِ ما يعرِضُ لها أحدٌ. رَواهُ مُسلمٌ[٣].

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعّانِ، ولا اللَّعّانِ**[٤]**، ولا البَذِيءِ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٥]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

---

(١) انظر: «الكبائر» للذهبي (٣١٦)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٩٢).

(٢) في (د): «عقوبة».

(٣) «صحيح مسلم» (٢٥٩٥).

(٤) في (د): «واللعان».

(٥) «جامع الترمذي» (١٩٧٧)، و«مسند أحمد» (٣٨٣٩)، و«الأدب المفرد» (٣١٢)، و«صحيح ابن حبان» (١٩٢)، و«مستدرك الحاكم» (٢٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين».

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «إنّ العَبْدَ إذا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إلَى السَّماءِ، فتُغْلَقُ أبْوابُ السَّماءِ دُونَها، ثُمَّ تَهْبِطُ إلَى الأرْضِ، فتُغْلَقُ أبْوابُها دُونَها، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وشِمالًا، فإذا لَمْ تَجِدْ مَساغًا رَجَعَتْ إلَى الذِي لُعِنَ، فإنْ كانَ أهْلًا لِذَلِكَ، وإلا رَجَعَتْ على قائِلِها». رَواهُ أبو داودَ[(١)].

وكَمْ مِن شخصٍ يلعَنُ دابّةً، ومَنْ باعَها، ومَنْ تسبَّبَ فيها، وغيرَ ذلكَ، وهؤلاءِ ليْسُوا مِن أهْلِها، لا سيَّما مَن[(٢)] يلعَنُ أبا أولئكَ، وهُم مَوْتى، فهذا شخصٌ قد تسبَّبَ في إهلاكِ نفْسِه؛ فإنّ اللَّعنَ عبارةٌ عنِ الطَّردِ والإبعادِ عنِ [٧١/أ] الله عزَّ وجَلَّ[(٣)].

فإنْ كانَ الملعونُ مُؤمنًا فقد وقَعَ اللاعِنُ بهذه الكلمةِ الخبيثةِ في أمرٍ عظيمٍ؛ قالَ رَسول الله ﷺ: «لَعْنُ المُؤمِنِ كَقَتْلِهِ». رَواهُ البُخاريُّ[(٤)] ومُسلمٌ[(٥)] مِن حديثِ ثابتِ بنِ الضحّاكِ الأنصاريِّ رضِيَ الله عنه، وهوَ مِن[(٦)] أهلِ بَيعةِ الرِّضوانِ[(٧)].

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٩٠٥)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٣٨١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٧٩٩).

(٢) «من» ليس في (ب).

(٣) انظر: «إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم» (١: ٣٣٧)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤: ٢٥٥)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ٦٧).

(٤) «صحيح البخاري» (٦١٠٥).

(٥) «صحيح مسلم» (١١٠).

(٦) «من» ليس في (د).

(٧) انظر ترجمته في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١: ٢٠٥)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٢: ٤٨).

وقالَ عبدُ الله بنُ عُمرَ رضِيَ الله عنهُما: «أبغَضُ عبادِ الله إلى الله عزَّ وجَلَّ كلُّ لَعّانٍ»(١).

فيا ذلَّ مَن رضِيَ لنفْسِه أن يكونَ أبغَضَ عبادِ الله إلى الله، وكثيرٌ مِن النّاسِ يغفَلُ عن هذا أو يجهَلُه(٢)، فإذا وقَعَ في ذلكَ وذكَّرَه شخصٌ؛ غَيرةً لله تعالى ونصيحةً له لِما أوقَعَ نفْسَه فيه، يقولُ(٣): والله من ألَمِ(٤) قلبي منه، فيقال له: لو علِمْتَ ما ترتَّبَ عليكَ مِن الآثامِ ومِن بُغْضِ الله عزَّ وجَلَّ لكَ ما قلْتَ ذلكَ، ولو قُرِضْتَ، وما نسبة غضبِ الله عليكَ مِن ألمِ قلْبِكَ(٥)، وما يدْرِيكَ أنّ هذه الكلمةَ سببُ ما ذكَرَه رَسولُ الله ﷺ.

قالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله تَعالَى، ما يَظُنُّ أنّهُ يَبْلُغُ بِهِ ما بَلَغَتْ، فيُكْتَبُ عَلَيْهِ بِها سَخَطُهُ إلَى يَوْمِ يَلْقاهُ**»(٦). حديثٌ صحيحٌ(٧)، وقد تقدَّمَ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لا يَرَى بِها بَأْسًا، يَهْوِي بِها سَبْعِينَ خَرِيفًا في النّارِ**»(٨). هذا لَفْظُ الترمذِيِّ، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ(٩) غريب».

---

(١) «الزهد والرقائق» لابن المبارك (٦٨٠)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٦٦٧).

(٢) في (د): «وكثير من الناس يفعل هذا بجهله».

(٣) في (ب): «فيقول».

(٤) في (س): «والله انفقع».

(٥) قوله: «ما قلت ذلك، ولو قرضت، وما نسبة غضب الله عليك من ألم قلبك» ليس في (ب).

(٦) «جامع الترمذي» (٢٣١٩)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٦٩)، و«صحيح ابن حبان» (٢٨٠)، و«مستدرك الحاكم» (١٣٦). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح».

(٧) في (د): «حديث حسن».

(٨) «جامع الترمذي» (٢٣١٤)، و«سنن ابن ماجه» (٣٩٧٠)، و«مسند أحمد» (٧٢١٥)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٦٩). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

(٩) «حسن» ليس في (د).

ويكونُ التذكيرُ بلُطفٍ، وحُسنِ سياسةٍ؛ لئَلا يكرِّرَ[١] اللَّعنَ، أو[٢] يقَعَ فيما هوَ أشدُّ منه؛ فإنْ تذكَّرَ فهوَ مُؤمنٌ، فإنّ الذِّكرى تنفعُ المُؤمنين، وإنْ لم يتذكَّرْ فهذا شخصٌ قد دخَلَ الشيطانُ في دماغِه يُخْشَى عليه من[٣] أنْ يقَعَ في كلمةٍ تؤدِّي إلى الكفْرِ والعياذُ باللهِ؛ فإنّ ألفاظَ الكفْرِ كثيرةٌ جدًّا، فكمْ مِن شخصٍ يتكلَّمُ بكلمةِ كفْرٍ وهوَ لا يشعُرُ؛ لجهْلِه، وهذه بُغيةُ الشيطانِ الذي حذَّرَنا اللهُ عزَّ وجَلَّ منه؛ فإنَّه يودُّ أن لا يموتَ أحدٌ على التوحيدِ حتَّى يخلُدَ معَه في [٧١/ب] عذابِ الأبدِ، فالحذَرَ الحذَرَ مِن اللَّعنِ؛ فإنّه مِن المُهلكاتِ، واللهُ المستعانُ، وعليه التُّكلانُ، واللهُ أعلَمُ.

[من آفات اللسان: الكذب]

[٥] ومنها ـ أي: ومن آفات اللِّسان ـ: الكذبُ[٤].

وهو في ألسنةِ الخلْقِ أكثَرُ من القطْرِ، معَ شُؤمِه، وسوءِ عاقبتِه في الدنيا والآخرةِ، وهوَ بابٌ مِن أبوابِ النِّفاقِ، كما قالَه رَسولُ اللهِ ﷺ. رَواهُ ابنُ عدي في كتابِه «**الكاملِ**»[٥] مِن رِوايةِ أبي أُمامةَ رضِيَ اللهُ عنه.

وهو أحدُ أركانِ النفاقِ، كما قالَه عليه الصلاةُ والسلامُ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ كانَ مُنافِقًا خالِصًا، ومَنْ كانَ فيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانَتْ فيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفاقٍ حَتَّى يَدَعَها: إذا اؤْتُمِنَ خانَ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عاهَدَ**

---

(١) في (د): «يكون».
(٢) في (د): «أن».
(٣) «من» ليس في (د).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٣٣).
(٥) «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (١: ٢٩). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٢٤): «أخرجه ابن عدي في «الكامل» بسند ضعيف».

غَـدَرَ، وإذا خاصَمَ فجَـرَ». رَواهُ البُخارِيُّ[١] ومُسلمٌ[٢] مِـن حديثِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنه.

وهو مِن أكبرِ الخيانةِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**كَبُرَتْ خِيانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وأَنْتَ فيهِ كاذِبٌ**». رَواهُ أبو داودَ[٣] مِن حديثِ سُفيانَ بـنِ أسدٍ، ورَواهُ الطبرانِـيُّ[٤]، والإمامُ أحمَدُ[٥] مِن حديثِ النوّاسِ بن سَمعانَ رضِيَ الله عنه بسندٍ جيِّدٍ[٦].

وهو دليلٌ إلى النارِ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وإنّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النّارِ، وإنّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله عَزَّ وجَلَّ كَذّابًا**». رَواهُ البُخارِيُّ[٧] ومُسلمٌ[٨] مِن حديثِ ابنِ مَسعودٍ رضِيَ الله عنه.

وقـالَ أوسَطُ بـنُ إسماعيلَ بـنِ أوسطَ: سمِعْتُ الصدِّيـقَ رضِيَ الله عـنه يخطُبُ بعدَ وفاةِ رَسولِ الله ﷺ، فقالَ: «قامَ فينا رَسولُ الله ﷺ مَقامِي هذا عامَ أَوَّلٍ»، ثمَّ بَكَى وقالَ: «إيّاكُمْ والكذبَ؛ فإنّه معَ الفجورِ، وهما في النارِ». رَواهُ ابنُ ماجَه[٩] وابن السُّنِّيِّ بسندٍ حسنٍ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤). (٢) «صحيح مسلم» (٥٨).
(٣) «سنن أبي داود» (٤٩٧١)، و«الأدب المفرد» (٣٩٣)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٨٤٦).
(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٦٤٠٢). (٥) «مسند أحمد» (١٧٦٣٥).
(٦) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٢٤): «أخرجه البخاري في كتاب «الأدب المفرد»، وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد، وضعفه ابن عدي، ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٩٨): «رواه أحمد والطبراني، وفيه: عمر بن هارون وهو ضعيف».
(٧) «صحيح البخاري» (٦٠٩٤). (٨) «صحيح مسلم» (٢٦٠٧).
(٩) «سنن ابن ماجه» (٣٨٤٩)، و«مسند أحمد» (٥)، و«مسند أبي داود الطيالسي» (٥)، و«مسند =

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**التُّجّارُ هُمُ الفُجّارُ**»، فقيلَ: يا رَسولَ الله، أليسَ الله عزَّ وجَلَّ أحلَّ البيعَ؟ فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**نَعَمْ، ولَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فيَأْثَمُونَ، ويُحَدِّثُونَ فيَكْذِبُونَ**». رَواهُ البيْهقِيُّ[1]، والإمامُ أحمَدُ[2]، [٧٢/أ] والحاكِمُ[3]، وقالَ: «صحيحُ الإسنادِ».

وهو ينقِصُ الرِّزقَ، كما قالَه رَسول الله ﷺ. رَواهُ أبو الشَّيخِ ابنُ حِبّانَ في «**طبقاتِ الأصبهانيِّينَ**»[4]، ورَواهُ غيْرُه[5].

وقالَ سمُرَةُ بنُ جُندبٍ رضِيَ الله عنه: كانَ رَسولُ الله ﷺ يكثِرُ أن يقولَ لأصحابِه: «**هَلْ رَأى أحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيا؟**» فيقُصُّ عليه مَن شاءَ الله أن يقُصَّ، وأنّه قالَ لَنا[6] ذاتَ غداةٍ: «**إنّه أتانِي اللَّيْلَةَ آتِيانِ**[7]**، وأنّهُما قالا لِي: انْطَلِقْ، وإنّي انْطَلَقْتُ مَعَهُما، وإنّا أتَيْنا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وإذا آخَرُ قائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وإذا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فيَثْلَغُ رَأْسَهُ فيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هاهُنا، فيَقَعُ الحَجَرُ فيَأْخُذُهُ، فلا يَرْجِعُ إلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ما فعَلَ في المَرَّةِ الأُولَى**».

= الحميدي» (٧)، و«الأدب المفرد» (٧٢٤)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧٣٤)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٩٤) عن معاوية. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١: ٩٣): «رواه الطبراني في «الكبير»، وإسناده حسن».

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٤٥٠٥).

(٢) «مسند أحمد» (١٥٥٣٠).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٢١٤٥).

(٤) «الفوائد» لأبي الشيخ الأصبهاني (٦١).

(٥) «مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١١٣)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٢٥): «إسناده ضعيف».

(٦) في (س) و(ب): «كنا».

(٧) في (ب): «اثنان».

قالَ: «قُلْتُ لَهُما: سُبْحانَ اللهِ ما هَذا؟ قالا لِي: انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفاهُ، وإذا آخَرُ قائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وإذا هُوَ يَأْتِي أحَدَ[1] شِقَّيْ وجْهِهِ فيُشَرْشِـرُ شِدْقَهُ إلَى قَفاهُ، ومَنْخِرَهُ إلَى قَفاهُ، وعَيْنَيْهِ إلَـى قَفاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إلَى الجانِبِ الآخَرِ، فما يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجانِبُ كَما كانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فيَفْعَلُ بِهِ[2] مِثْلَ ما فعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأولَى».

قالَ: «قُلْتُ: سُبْحانَ اللهِ ما هَذا؟ قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ، فأحْسَبُ أنَّهُ قالَ: فإذا[3] فيهِ لَغَطٌ وأصْواتٌ، فاطَّلَعْنا فيهِ، فإذا فيـهِ رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، وإذا هُمْ[4] يَأْتِيهِمْ لَهِيبٌ[5] مِنْ أسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوا، قُلْتُ: ما هَؤُلاءِ؟ قالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى نَهَرٍ، حَسِبْتُ أنَّهُ قالَ[6]: أحْمَرَ، مِثْلِ الدَّمِ، وإذا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سابِحٌ يَسْبَحُ، وإذا عَلَى شَطِّ النَّهَـرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ[7] عِنْدَهُ حِجـارَةً كَثِيرَةً، وإذا ذَلِكَ السّابِحُ يَسْبَحُ ما يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِـي ذَلِكَ الذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجارَةَ، فيَفْغَرُ لَهُ فاهُ، [٧٢/ب] فيُلْقِمُهُ حَجَرًا فيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إلَيْهِ، كُلَّما رَجَعَ إلَيْهِ فغَرَ لَهُ[8] فاهُ فألْقَمَهُ حَجَرًا، قُلْتُ لَهُما: ما هَذانِ؟ قالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا، فأتَـيْنا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآى، أوْ كَأكْرَهِ ما أنْتَ راءٍ رَجُلًا مَـرْآى[9]، وإذا هُوَ عِنْدَهُ نارٌ يَحُشُّها ويَسْعَى حَوْلَها، قُلْتُ لَهُما: ما هَذا؟ قالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فانْطَلَقْنا[10]...» إلى أن قالَ:

«قُلْتُ لَهُما: فإنِّي رَأيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةَ عَجَبًا، فما هَذا الذِي رَأيْتُ؟ قالا لِي:

---

(١) في (ب): «إحدى».

(٢) «به» ليس في (ب) و(د).

(٣) في (ب): «هذا».

(٤) في (ب): «هو».

(٥) في (ب) و(د): «لهب».

(٦) قوله: «أنه قال» في (ب) و(د): «أنه كان يقول».

(٧) في (د): «وضع».

(٨) «له» ليس في (ب).

(٩) «مرأى» ليس في (ب).

(١٠) جاء في حاشية (س): «هنا بياض نحو أربعة أسطر».

أما إنّا سَنُخْبرُكَ؛ أمّا الرَّجُلُ الأوَّلُ الذِي يُثْلَغُ رَأْسُهُ بالحَجَرِ، فإنّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فيَرْفُضُهُ، ويَنامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ، وأمّا الرَّجُلُ الذِي يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إلَى قَفاهُ، ومَنْخِرُهُ إلَى قَفاهُ، وعَيْنُهُ إلَى قَفاهُ، فإنّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ، وأمّا الرِّجالُ والنِّساءُ العُراةُ الذِينَ في مِثْلِ بناءِ التَّنُّورِ، فإنّهُمُ الزُّناةُ والزَّوانِي، وأمّا الرَّجُلُ الذِي يَسْبَحُ في النَّهَرِ ويُلْقَمُ الحَجَرَ، فإنّهُ آكِلُ الرِّبا، وأمّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآى، الذِي عِنْدَ النّارِ يَحُشُّها ويَسْعَى حَوْلَها، فإنّهُ مالِكٌ خازِنُ[١] جَهَنَّمَ». رَواهُ البُخارِيُّ[٢].

وفي رِوايةٍ: «**فانْطَلَقْنا إلَى ثَقْبٍ[٣] مِثْلِ التَّنُّورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وأسْفَلُهُ واسِعٌ، يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نارٌ، فإذا ارْتَفَعَتِ ارْتَفَعُوا حَتَّى كادُوا أنْ[٤] يَخْرُجُوا، فإذا خَمَدَتْ رَجَعُوا فيها، وفيها رِجالٌ ونِساءٌ عُراةٌ، والذي رَأيْتَهُ يَشُقُّ[٥] شِدْقَهُ فكَذّابٌ يُحَدِّثُ بالكَذْبَةِ[٦] فتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفاقَ، فيُصْنَعُ بِهِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ، والذي رَأيْتَهُ يُشْدَخُ[٧] رَأْسُهُ فرَجُلٌ عَلَّمَهُ الله تَعالَى القُرْآنَ فنامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، ولَمْ يَعْمَلْ بِهِ بالنَّهارِ، فيُفْعَلُ بِهِ إلَى يَوْمِ القِيامَةِ**»[٨].

قوله: «**يُثْلَغُ رَأْسُهُ**»، هوَ بالثّاءِ المُثلَّثةِ والغينِ المَنقوطةِ، معناه: يَشدَخه[٩] ويشقُّه[١٠].

---

(١) في (ب): «خان».
(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٤٧).
(٣) في (س) و(ب): «نقب».
(٤) «أن» مثبت من «صحيح البخاري».
(٥) في (س) و(ب): «يشد».
(٦) في (ب): «بالكذب».
(٧) في (ب): «يشرح».
(٨) «صحيح البخاري» (١٣٨٦).
(٩) في (س): «يشرحه»، وفي (ب): «شرحه»، والشدخ: كسر الشيء الأجوف. تقول: شدخت رأسه فانشدخ. وشدخت الرؤوس. انظر: «تهذيب اللغة» (٧: ٣٨)، و«الصحاح» (١: ٤٢٤)، و«تاج العروس» (٧: ٢٧٧).
(١٠) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٥٦٤)، و«الكوثر الجاري» (١٠: ٥٠٩)، =

وقوله: «يَتَدَهْدَهُ»، يعني: يتدحرَجُ[١].

و«الكَلُّوبُ»: بفتْحِ الكافِ وضمِّ اللامِ المشدَّدةِ، هوَ هذا المعروفُ الذي تُسمِّيه العامّةُ: كُلابٌ[٢].

[٧٣/أ] وقولُه: «يُشَرْشَرُ»؛ أي: يُقطَعُ[٣].

وقولُه: «ضَوْضَوا»، بضادينِ مَنقوطتينِ، يعْنِي: صاحُوا[٤].

وقوله: «فَيَفْغَرُ فاهُ»، هوَ بالفاءِ والغينِ المَنقوطةِ، أي: يفتَحُ[٥].

وقوله[٦]: «يَحُشُّها»، هوَ بفتحِ الياءِ وضمِّ الحاءِ المُهملةِ وبالشينِ المَنقوطةِ: يعْنِي: يوقِدُها[٧].

[من آفات اللسان: الغيبة]

[٦] ومنها - أي: ومن آفاتِ اللِّسانِ -: الغِيبةُ[٨].

= و«شرح القسطلاني» (١٠: ١٦٣).

(١) انظر: «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٧: ٣١٣)، و«الكوثر الجاري» (١٠: ٥٠٩).

(٢) قال الحموي في «المصباح المنير» (٢: ٥٣٧): «الكلاب: خشبة في رأسها عقافة منها أو من حديد»، وانظر: «تاج العروس» (٤: ١٦٨).

(٣) انظر: «أعلام الحديث» (٤: ٢٣٢٢)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٢: ٤٤٢)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٤: ١٧٣).

(٤) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢: ٣٦)، و«الكواكب الدراري» (٢٤: ١٤٠)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٣٢: ٢٦٤).

(٥) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٢: ٣٦)، و«الكواكب الدراري» (٢٤: ١٤٠)، و«الكوثر الجاري» (١٠: ٥١٠).

(٦) «وقوله» ليس في (ب).

(٧) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٥٦٤)، و«التوشيح شرح الجامع الصحيح» (٩: ٤١٢٠-٤١٢١).

(٨) انظر: «ذم الغيبة والنميمة» لابن أبي الدنيا (١٣)، و«إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٣)، =

وهيَ من أقبحِ المعاصِي، ومعَ قبْحِها فهيَ فاشيةٌ في الخلْقِ، حتَّى لا يكادُ يسلَمُ منها أحدٌ، وقد جعَلُوها فاكهتَهم، حتَّى إنّ التّاليَ للقُرآنِ يَتعاطاها، وهوَ يقرأُ آيةَ النهيِ، وإن كانَ مُعتكفًا في الجامعِ وفي رمضانَ لا يكونُ بالقلْبِ[1] وحدَه، وهيَ حرامٌ بالكتابِ والسُّنّةِ وإجماعِ الأمّةِ[2].

وحدُّها: ذكْرُكَ أخاكَ بما فيه بما يكرَهُ[3]، سواءٌ كانَ في بدنِه؛ كقولِكَ[4]: أعمَشُ، أحوَلُ، أعْمَى، صغيرُ العَينينِ، كبيرُهما، أقرَعُ، أكتَعُ، أعرَجُ، أحدَبُ، أسوَدُ، أصفَرُ، أشقَرُ، رقيقٌ، بطينٌ، طويلٌ، قصيرٌ، وغيرِ ذلكَ ممّا يوصَفُ به[5].

= و«الأذكار» للنووي (٣٣٦).

(١) في (د): «في القلب».

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (٣٣٦).

(٣) انظر: «التنوير شرح الجامع الصغير» (٧: ٤٦١)، و«شرح المشكاة» للطيبي (١٠: ٣١١٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١٦: ١٤٢).

(٤) في (د): «كقوله».

(٥) قال الإمام النووي في «روضة الطالبين» (٧: ٣٣) و«الأذكار» (٣٤٢): «الغيبة تباح بستة أسباب: أحدها: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه ممن ظلمه، فيقول: ظلمني فلان وفعل بي كذا. الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك. الثالث: الاستفتاء. بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي أو أخي بكذا، فهل له ذلك، أم لا؟ وما طريقي في الخلاص منه ودفع ظلمه عني؟ ونحو ذلك. الرابع: تحذير المسلمين من الشر، وذلك من وجوه. منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع، بل واجب؛ صونًا للشريعة. ومنها: الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته، ومنها: إذا رأيت من يشتري شيئًا معيبًا، أو عبدًا سارقًا، أو زانيًا، أو شاربًا، تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة، لا بقصد الإيذاء والإفساد. ومنها: إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى فاسق أو مبتدع؛ يأخذ عنه علمًا، وخفت عليه ضرره، فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدًا النصيحة. ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها؛ لعدم أهليته أو فسقه، فتذكره لمن عليه ولاية؛ ليستبدل به، أو يعرف حاله فلا يعتبر =

أو كانَ فـي دِينِه[١]؛ كقولِكَ: سارقٌ، خائنٌ، ظالمٌ، سُكَرِيٌّ، شاهدُ زورٍ، تاركٌ للصلاةِ[٢]، تاركٌ للزكاةِ، أو: يزكِّي ولكِنْ يخرِجُها في غيرِ محلِّها، متساهِلٌ بالصلاةِ، وغيْرِها مِن العباداتِ، مثلَ[٣]: لا يتوقَّى النجاساتِ، متساهِلٌ[٤] بأمْرِ والدَيْه لا يزالُ يتجرَّأُ عليهما، نمّامٌ، مُغتابٌ، وغيرِ ذلكَ مِن الأوصافِ التي ترجِعُ إلى قلَّةِ الدِّينِ.

أو كانَ في دُنياه؛ كـ: قليلُ الأدبِ، يستهزِئُ بالنّاسِ، كبيرٌ في نفسِه، لا يَرَى لأحدٍ عليه حقًّا، كثيرُ الكلامِ، كثيرُ الأكْلِ، كثيرُ النَّومِ، ينامُ فـي غيرِ وقْتِه، ويجلِسُ في غيرِ موضِعِه، ونحوِ ذلكَ.

أو كانَ في والدَيْه؛ كـ: أبوه فاسقٌ، هنديٌّ، زنجِيٌّ، نبطيٌّ، فلاحٌ، زبّالٌ، حائكٌ، إسكافٌ، ونحوُ ذلكَ ممّا يشعِرُ بنقصٍ[٥].

أو كانَ فـي خُلُقِه؛ كـ: أحمقُ[٦]، سيئُ الخُلُقِ، شرِسٌ، صعْبُ المِراسِ،

= به أو يلزمه الاستقامة. الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته، كالخمر، ومصادرة الناس، وجباية المكوس، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر. السادس: التعريف، فإذا كان معروفًا بلقب، كالأعمش والأعرج والأزرق والقصير ونحوها، جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقصًا، ولو أمكن التعريف بغيره، كان أولى. هذا مختصر ما تباح به الغيبة». اهـ. بتصرف يسير.

(١) في (س): «بدنه».

(٢) في (د): «وتارك الصلاة».

(٣) «مثل» مثبت من (د).

(٤) في (د): «يتساهل».

(٥) قوله: «مما يشعر بنقص» ليس في (ب).

(٦) في (س): «كحمق»، وكتب في حاشيتها: «لعله: كأحمق».

نزقٌ[١]، متكبِّرٌ، عَجولٌ، عاجزٌ، جبانٌ، خالعٌ[٢]، عبوسٌ، مسخرةٌ[٣]، دنِيُّ النفسِ، خارجٌ، ونحوُ ذلكَ[٤].

أو كانَ فـي مَلبوسِه؛ كـ: طويلُ الذَّيلِ، طويلُ الكمِّ، واسِـعُ الكمِّ، ضيِّقُ [٧٣/ب] الكمِّ، يلبَسُ ثوبَ الشُّهرةِ، وسِخُ الثِّيابِ، فعْلُه فعْلُ[٥] المُخَنَّثِينَ[٦]، أو الفلاحينَ[٧]، ونحوُ ذلكَ.

أو كانَ في مِشيتِـه[٨]؛ كيتبختَرُ، يتمَشَّى، يبالِغُ[٩] في تحريكِ يدَيْه، يسرِعُ في مِشيتِـه، بطيءُ المشيةِ، ونحوُ ذلكَ[١٠].

أو كانَ في رُكوبِه كَيتورَّكُ على الدابَّةِ، ويميلُ شقَّهُ، ويُظهِر صدرَهُ، ونحوُ ذلكَ[١١].

والحاصِلُ: أن يُذكَرَ الإنسانُ بما فيه بما يكرَهُ كما تقدَّمَ، سواءٌ كانَ في بدنِه، أو دِينِه، أو دُنياه، أو نفْسِه، أو خُلقِه، أو مالِه، أو ولدِه، أو والدِه، أو زوجِه[١٢]، أو خادمِه، أو مملوكِه، أو عِمامَتِه، أو ثوبِه، أو مشْيِه[١٣]، أو حركتِه، أو بشاشتِه، أو خلاعتِه، أو عبوستِه، أو طلاقتِه، أو غيرِ ذلكَ ممّا يتعلَّقُ به.

---

(١) في (د): «ترف».
(٢) في (د): «جائع».
(٣) في (س): «مصخرة».
(٤) بعدها في (س) جملة غير واضحة، يشبه أن تكون: «كبلا طعم بمكثه قليل».
(٥) في (د): «نعله نعل».
(٦) في (س): «المخبثين».
(٧) في (د): «كالفلاحين».
(٨) بعدها في (د): «بطيء المشية التبخير».
(٩) في (د): «يتابع».
(١٠) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٣)، و«الأذكار» للنووي (٣٣٦).
(١١) من قوله: «أو كان في ركوبه» إلى هنا مثبت من (د).
(١٢) في (د): «أو زوجته».
(١٣) في (د): «أو مشيته».

وسواءٌ ذكَرَه باللفظِ الصريحِ[١]، أو بالكنايةِ[٢]، أو بالإشارةِ باليدِ، أو الرأسِ[٣]، أو رمزٍ بالعينِ، أو الحاجبِ[٤]، ونحوِ ذلكَ؛ كالمشْيِ بالتَّعارجِ، والأكلِ بالتَّشدُّقِ[٥]، وتكبيرِ اللقمةِ وتصغيرِها، حتَّى مسكةِ القلمِ والقَدّومِ وغيرِ ذلكَ ممّا لا[٦] يكادُ ينحصِرُ.

والضابطُ: أن يوجَدَ منه كلُّ ما يُفْهِمُ المقصودَ، فهذا كلُّه مِن الغِيبةِ المحرَّمةِ؛ لأنَّ الغِيبةَ بالنُّطقِ إنّما حُرِّمَتْ؛ لحُصولِ الأذى، وهذه الأمورُ تفيدُ ذلكَ[٧].

وقد ورَدَ النَّصُّ في بعضِها كما سيأتِي إن شاء الله تعالى.

وأفحَشُ الغِيبةِ: غِيبةُ القُرّاءِ والطَّلَبةِ والمُتصوِّفةِ مِن الرجالِ والنساءِ؛ فإنّهم يَفهمونَ المقصودَ مِن الغِيبةِ على صِفةِ أهلِ الدِّينِ والصلاحِ، معَ إظهارِ التعفُّفِ وحُصولِ الثَّناءِ على الله تعالى بما حَمَى منه ممّا يرتكِبُه غيْرُه؛ كقولِ أحدِهم: الحمْدُ لله الذي عافانا مِن الدُّخولِ على الأمراءِ والتبذُّلِ؛ لأجْلِ هذا الحُطامِ، ونحوِ ذلكَ.

وكقولِه: نعوذُ بالله تعالى مِن قلَّةِ الحياءِ، ومِن الشرِّ والتَّطلُّعِ إلى ما في أيدي الناسِ، ونحوِ ذلكَ.

ومنهم مَن هوَ أغوصُ في المكْرِ؛ لأنّه يقدِّمُ مدْحَ مَن يريدُ غِيبتَه[٨]،

(١) «الصريح» ليس في (د).
(٢) في (د): «بالكتابة».
(٣) في (د): «بالرأس».
(٤) في (د): «بالحاجب».
(٥) في (د): «بالشره».
(٦) «لا» ليس في (د).
(٧) انظر: «الأذكار» للنووي (٣٣٨)، و«الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢: ٢٦).
(٨) في (د): «غشه».

فيقولُ: لا إله إلا الله، سُبحانَ مُقلِّبِ القُلوبِ! قد كانَ فلانٌ له قوَّةٌ في العباداتِ والمُجاهداتِ، وقد حصَلَ له فتورٌ[١].

وبعضُهم أغوَصُ في المكْرِ من هذا، فيذُمُّ[٢] نفْسَه أوَّلًا، فيقولُ: كُنّا على حالةٍ وصَلْنا فيها إلى أمورٍ ثمَّ فتَرْنا، وفلانٌ كانَ أقوى حالًا منِّي، ولكِنْ نَرْجُو مِن الله تعالى العودَ علينا، وقد بُشِّرْتُ بذلكَ مِن[٣] بعضِ القومِ دُونَ فلانٍ، [٧٤/أ] وقد لاحَ الأمرُ.

وهؤلاءِ أشرُّ أهلِ الغِيبةِ؛ لأنّهم جمَعُوا بينَ الغِيبةِ ومدْحِ النَّفسِ والرِّياءِ ونقْصِ الغَيرِ، وغيرِ ذلكَ مِن المعاصِي الخبيثةِ؛ حتَّى إنّ بعضَهم يظهِرُ الحُرْقَةَ والاغتمامَ لمَنِ اغتابَه أو اغتيبَ عندَه، وهوَ كاذبٌ؛ لأنّه لو كانَ صادقًا لأخْفى ذلكَ ولحسَمَ مادَّةَ ذلكَ، وهؤلاءِ بعضُهم لا يدْرِي أنّ مثْلَ ذلكَ غِيبةٌ؛ لجهْلِه، أو يدْرِي ولا يظهِرُ ذلكَ، وهذا متعرِّضٌ لمقْتِ الله عزَّ وجَلَّ[٤].

وإذا[٥] عرَفْتَ هذا فلنذكُرْ بعضَ الأدلَّةِ؛ لأنّ التطويلَ لا يفيدُ لمَنْ أشقاهُ الله عزَّ وجَلَّ، **ومَنْ أرادَ الله عزَّ وجَلَّ به خيرًا، دليلٌ واحدٌ يكْفيه طُولَ عُمُرِه**، ولا يفرَغُ مِن العملِ به، بل الخلْقُ كلُّهم في ذلكَ كواحدٍ، فعليكَ بالانقيادِ إلى الحقِّ ورفْضِ الباطِلِ، وبادِرْ إلى النجاةِ يا مغرورُ ولا تماطِلْ[٦]، وإذا قرَعَ سمْعَك قالَ الله عزَّ وجَلَّ، قالَ رَسولُ الله ﷺ، فأصغِ بقلْبِكَ، واستحضِرْ عظمَتَهما وسُوءَ مخالفتِهما، فإنْ حصَلَ لكَ واردُ[٧] الخوفِ فأبشِرِ بالنَّجاةِ[٨]، وإلا فاعلَمْ

---

(١) من قوله: «ومنهم من هو أغوص في المكر» إلى هنا ليس في (ب).

(٢) في (د): «فيقدم».

(٣) «من» ليس في (ب).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٥).

(٥) في (د): «فإذا».

(٦) من قوله: «ورفض الباطل» إلى هنا ليس في (د).

(٧) في (د): «زاد».

(٨) في (س): «النجاة».

أنّك[١] مَفتونٌ، واستعِدَّ لحفرةٍ مِن حُفرِ النّارِ؛ لسُوءِ لغَطِكَ ولفْظِكَ.

قالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ أي: حاضرٌ[٢].

وقالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أنّ الغِيبةَ تكونُ بالقلْبِ[٣].

وقالَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحجرات: ١٢]، نَهَى سُبحانَه وتعالَى عنِ الغِيبةِ[٤]، وأمَرَ بتَقْواه، فالمغتابُ مخالِفٌ لربِّه مِن وجهينِ؛ وذاكَ[٥] يفيدُ تكثيرَ العذابِ.

وقالَتْ عائشةُ رضِيَ الله عنها: «لا يَغْتَبْ[٦] أحدٌ أحدًا؛ فإني قلْتُ لامرأةٍ: إنّ[٧] هذه طويلةُ الذَّيلِ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**الفِظِي**»، فلفظْتُ قطعةً أو بضعةً[٨] لحمٍ».

[٧٤/ب] رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[٩] وابنُ مَرْدُويَه في «**تفسيره**»[١٠]، وفي سندِه امرأةٌ لا أعرِفُها.

---

(١) «أنك» ليس في (ب).

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٥: ٢٤٠)، و«تفسير القرطبي» (١٧: ١١).

(٣) في (د): «في القلب». وانظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٥٠)، و«الأذكار» للنووي (٣٤٤)، و«النجم الوهاج» (٩: ١٤٠)، و«الزواجر» (٢: ٢٨)، و«تحفة المحتاج» (٩: ١٢٠).

(٤) قوله: «عن الغيبة» ليس في (ب).

(٥) في (د): «ذلك».

(٦) في (ب) و(د): «لا يغتاب».

(٧) «إن» ليس في (د).

(٨) في (د): «مضغة».

(٩) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢١٥)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١٠١).

(١٠) انظر: «الدر المنثور» (٧: ٥٧١).

وقالَ أنسٌ رضِيَ الله عنه: أمَرَ رَسولُ الله ﷺ النّاسَ بصومِ يومٍ، وقالَ[١]: «**لا يُفْطِرَنَّ**[٢] **أحَدٌ حَتّى آذَنَ لَهُ**»، فصامَ حتَّى أمْسَوا، فجعَلَ الرَّجلُ يَجِيءُ، فيقولُ: يا رَسولَ الله، ظلِلْتُ صائمًا فأْذَنْ لي لأفطِرَ، فيأذَنُ له، حتَّى جاءَ رجلٌ، فقالَ: يا رَسولَ الله، فتاتانِ مِن أهْلِكَ ظلَّتا صائمتينِ، وإنّهما مُستحييتانِ[٣] أن يأتيانِك، فأْذَنْ لهما أن يفطِرا، فأعرَضَ عنه، فعاوَدَه، فقالَ رَسول الله ﷺ: «**إنّهُما لَمْ يَصُوما، وكَيْفَ صامَ مَنْ ظَلَّ اليَوْمَ يَأْكُلُ لُحومَ النّاسِ، اذْهَبْ فأْمُرْهُما إنْ كانَتا صائِمَتَيْنِ أنْ تَسْتَقِيئا**»، فرجَع إليهما فأمَرَهما فاسْتَقاءَتا، فقاءَتْ كلُّ واحدةٍ منهما علقَةً مِن دمٍ، فرجَعَ إلى النبيِّ ﷺ فأخبرَه، فقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**والذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ بَقِيَتْ في بُطُونِهِما لأَكَلَتْهُما النّارُ**».

رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في «**كتابِ الصمتِ**»[٤]، ورَواهُ ابنُ مَرْدُويَه في «**التفسير**»[٥]، وخرَّجَه الطيالسِيُّ في «**مُسندِه**»[٦] بسندِه، والله تعالى أعلَمُ.

وفي رِوايةٍ: إنّه لما أعرَضَ عنه جاءَه بعدَ ذلكَ، فقالَ: يا رَسولَ الله، لقد ماتَتا أو كادَتا أن تَمُوتا، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ائْتُونِي بِهِما**» فجاءتا فدَعا بِعُسٍّ أو قَدَحٍ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ لإحداهما: «**قِيئِي**»، فقاءَتْ مِن قيحٍ ودمٍ وصَديدٍ حتَّى ملأتِ القَدَحَ، وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ للأُخرى:

---

(١) في (ب): «قال».
(٢) في (س) و(د): «لا يفطر»، وفي (ب): «ولا يفطر».
(٣) في (س) و(ب): «مستحيان»، وفي (د): «يستحيان».
(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا (١٢٢).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٧: ٥٧٤).
(٦) «مسند أبي داود الطيالسي» (٢٢٢١)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٦٢٩٦). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٣٤): «أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»، وابن مردويه في «التفسير» من رواية يزيد الرقاشي عنه، ويزيد ضعيف».

«قِيئِي»، فقاءَتْ مثْلَ ذلكَ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: **«إنّ هاتَيْنِ صامَتا عَمّا أحَلَّ الله تَعالَى، وأفْطَرَتا عَلَى ما حَرَّمَ الله عَلَيْهِما، جَلَسَتْ إحْداهُما إلَى الأُخْرَى فجَعَلَتا تَأْكُلانِ لُحُومَ النّاسِ[1]»**.

وهذه الرِّوايةُ رَواها الإمامُ أحمَدُ[2] مِن حديثِ عُبيدٍ مَوْلى رَسولِ الله ﷺ، ورَواها أبو يَعْلى الموصليُّ[3]، وخرَّجَها البيْهقِيُّ مِن طريقينِ[4].

فهذا يدُلُّ على أنّ الغِيبةَ بمنزلةِ الأكْلِ.

[٧٥/أ] وقد ذهَبَ بعضُ العُلماءِ[5] إلى أنّها تفطِرُ الصائمَ[6]، ولا يستفيدُ بذلكَ إلا الجوعَ؛ قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: **«رُبَّ صائمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيامِهِ إلا الجُوعُ، ورُبَّ قائمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيامِهِ إلا السَّهَرُ»**. رَواهُ النسائيُّ[7] وابنُ ماجَه[8]، والحاكِمُ[9]، وقالَ: «صحيحٌ[10] على شرط البُخاريِّ».

---

(١) «الناس» ليس في (ب). (٢) «مسند أحمد» (٢٣٦٥٣).

(٣) «مسند أبي يعلى الموصلي» (١٥٧٦).

(٤) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ١٨٦-١٨٧)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (١٧١)، و«مسند الروياني» (٧٢٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣: ١٧١): «فيه رجل لم يسم».

(٥) «العلماء» ليس في (ب).

(٦) قال بذلك الأوزاعي. انظر: «الحاوي» للماوردي (٣: ٤٦٥)، و«البيان في مذهب الإمام الشافعي» (٣: ٥٣٥)، و«المجموع» (٦: ٣٥٦)، و«أحكام القرآن» لابن الفرس (١: ٢٠٧)، و«المغني» لابن قدامة (٣: ١٢١).

(٧) «مسند أحمد» (٨٨٥٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٣٢٣٦)، و«صحيح ابن خزيمة» (١٩٩٧).

(٨) «سنن ابن ماجه» (١٦٩٠).

(٩) «مستدرك الحاكم» (١٥٧١).

(١٠) في (س) و(د): «حديث صحيح».

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**خَمْسٌ يُفَطِّرْنَ الصّائِمَ: الغِيبَةُ، والنَّمِيمَةُ، والكَذِبُ، والقُبْلَةُ، واليَمِينُ الفاجِرَةُ**». رَواهُ الأَزدِيُّ مِن حديثِ أنسٍ رضِيَ اللهُ عنه[1].

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**مَنْ أَكَلَ لَحْمَ[2] أَخِيهِ في الدُّنيا قُرِّبَ إِلَيْهِ لَحْمُهُ في الآخِرَةِ، وقِيلَ لَهُ: كُلْهُ مَيِّتًا كَما أَكَلْتَهُ حَيًّا، فيَأْكُلُ ويَصِيحُ ويَكْلَحُ**». رَواهُ ابنُ مَرْدُويَه في «**تفسيره**»[3]، ورَواهُ أبو يَعْلى الموصلِيُّ[4].

وقالَتْ عائشةُ رضِيَ اللهُ عنها للنبيِّ ﷺ: حسْبُكَ مِن صفيّةَ كذا وكذا، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِماءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»[5].

وقولُها: «كذا وكذا»، يعني قصيرةً، وقد ورَدَ بذلكَ في بعضِ الرِّواياتِ[6].

قالَ الإمامُ العالِمُ المتَّفقُ على جلالتِه وصلاحِه[7] أبو زكريّا مُحْيي الدِّينِ النَّوويُّ: «مَعْنى «**مَزَجَتْهُ**»: خالطَتْه مخالطةً يتغيَّرُ بها طعْمُه أو ريحُه؛ لشدَّةِ نتْنِها وقبْحِها.

---

(١) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٢٩٧٩)، و«الموضوعات» (٢: ١٩٥). قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (٣: ١٤٤): «هذا حديث كذب، وميسرة بن عبد ربه كان يفتعل الحديث». وانظر: «الإكمال» (٢: ١١)، و«نصب الراية» (٢: ٤٨٣).

(٢) في (ب) و(د): «من لحم».

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٧: ٣٨٤)، و«الدر المنثور» (٧: ٥٧٢). قال ابن كثير: «غريب جدًّا».

(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا (١٧٨)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١٨٥)، و«المعجم الأوسط» (١٦٥٦)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٦١٥١). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨: ٩٢): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس ومن لم أعرفه».

(٥) «مسند أحمد» (٢٥٥٦٠)، و«جامع الترمذي» (٢٥٠٢)، و«سنن أبي داود» (٤٨٧٥).

(٦) «ذم الغيبة والنميمة» لابن أبي الدنيا (٢٧).

(٧) في (ب): «وصلاحته».

فهـذا[1] الحديثُ مِـن أعظَمِ الزواجرِ عن[2] الغِيبةِ، أو أعظَمِها، وما أعلَمُ شيئًا مِن الأحاديثِ يبلُغُ في الذَّمِّ لها هـذا المبلغَ، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[3] [النجم: ٣-٤]، فنسألُ الله الكريمَ لطْفَه، والعافيةَ مِن كُلِّ مكروهٍ»[4]. انتهى كلامه.

وإذا كانَ هذا في كلمةٍ هيَ في وصْفِ خلَقَها الله تعالى عليه، فكيفَ غيْرُها هيَ أبلَغُ في التَّأذِّي مِن لفْظِ «قصيرةٍ».

وكما تكونُ الغِيبةُ باللفظِ، كذا تكونُ بالإشارةِ كما تقدَّمَ، ويدُلُّ لذلكَ قولُ عائشةَ رضِيَ الله عنها: دخلَتْ علينا امرأةٌ، فلمّا ولَّتْ أومأْتُ بيدِي إنّها قصيرةٌ، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**اغْتَبْتِيها**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا[5]، وابن مَرْدُويَه في «**تفسيرِه**»[6]، ورجالُه ثقاتٌ، نعَمْ؛ في سندِه حسّانُ، وقد وثَّقَه ابـنُ حِبّانَ[7]، [٧٥/ب] ورَواهُ الدعولِيُّ[8]، وأنّها أشارَتْ بإبهامِها.

وفي «**الصحيحينِ**»[9]: مِن حديثِ أبي بكرةَ رضِيَ الله عنه، أنّ رَسولَ الله ﷺ قالَ في خُطبتِه يومَ النَّحرِ بمنًى في حجَّةِ الوداعِ: «**إنّ دِماءَكُمْ وأمْوالَكُمْ وأعْراضَكُمْ**

(١) في (د): «وهذا».
(٢) في (س): «من».
(٣) بعدها في (د): «﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]».
(٤) «الأذكار» للنووي (٣٣٨).
(٥) «مسند أحمد» (٢٥٠٤٩)، و«الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٠٧)، و«مساوئ الأخلاق» للخرائطي (١٩٧)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٦٣٠٤). وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» للعراقي (١٠٣٧).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٧: ٥٧١).
(٧) «الثقات» لابن حبان (٦: ٢٢٣).
(٨) هو: أبو العباس، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، الفقيه، إمام عصره بخراسان. انظر ترجمته في: «تاريخ نيسابور» (١٤٨٧).
(٩) «صحيح البخاري» (٦٧)، و«صحيح مسلم» (١٦٧٩).

حَرامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذا، فِي شَهْرِكُمْ هَذا، فِي بَلَدِكُمْ هَذا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

فهذا نصُّ الكتابِ والسُّنّةِ وإجماعُ الأمةِ على تحريمِ الغِيبةِ وسُوءِ عاقبتِها، سواءٌ كانَتْ باللِّسانِ، أو بالإشارةِ[١]، أو بالرَّمزِ، أو بالخطِّ؛ لأنّه أحدُ اللِّسانينِ.

والضابطُ في حدِّها: ما نطَقَ به سيِّدُ الأوَّلينَ والآخِرينَ ﷺ، قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟**» قالُوا: الله ورسولُه أعلَمُ، قالَ: «**ذِكْرُكَ أخاكَ بِما يَكْرَهُ**» قيلَ: أفرأيْتَ[٢] إن كانَ في أخِي ما أقولُ؟ قالَ: «**إنْ كانَ فيهِ ما تَقُولُ فقَد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فيهِ ما تَقُولُ فقَدْ بَهَتَّهُ**». رَواهُ النسائيُّ[٣] وأبو داودَ[٤]، والترمذِيُّ[٥]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، ورَواهُ مُسلمٌ في «**صَحيحِه**»[٦].

واعلَمْ أنّه كما تحرُمُ الغِيبةُ، كذلكَ يحرُمُ استماعُها وإقرارُ المُغتابِ عليها؛ لأنّ المُستمِعَ أحَدُ المُغتابينَ[٧]، وقد رَواهُ بعضُ الأئمَّةِ حديثًا[٨]، ولا أعرِفُ مَن خرَّجَه[٩].

---

(١) في (د): «أو الإشارة».

(٢) في (د): «أرأيت».

(٣) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٤٥٤).

(٤) «سنن أبي داود» (٤٨٧٤).

(٥) «جامع الترمذي» (١٩٣٤).

(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٨٩).

(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٥)، و«الأذكار» للنووي (٣٣٩).

(٨) «حديثًا» ليس في (د).

(٩) «المعجم الكبير» للطبراني (١٤١٣٦)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣١٢٢) (٧١٩٥)، و«تاريخ بغداد» (٩: ١٢٥). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٣٨): «أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر: نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة. وهو ضعيف».

وفـي القُرآن ما يُغْنِـي عنه؛ قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

فيجِبُ على المُستمع الإنكـارُ عليه؛ لأنّ فـي الغِيبةِ إذلالًا لمَـنِ اغتيبَ، قـالَ رَسـولُ الله ﷺ: «**مَـنْ أُذِلَّ عِنْـدَهُ مُؤْمِنٌ وهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أنْ يَنْصُـرَهُ فلَمْ يَنْصُـرْهُ، أذَلَّهُ الله عَـزَّ وجَلَّ يَـوْمَ القِيامَـةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِـقِ**». رَواهُ الطبـرانِيُّ[1] مِـن حديثِ سهلِ بنِ حُنيفٍ[2] رضِيَ الله عنه.

ولأنّ الغِيبةَ معصيةٌ يجِبُ إنكارُها، فعدَمُ الإنكارِ معصيةٌ، وهذا في القادِرِ على الإنكارِ بلسانِه؛ فإن لم يقدِرْ بلسانِه وقدَرَ على قطْعِها بطريقٍ آخَـرَ كقطْعِ كلامِ المستغيبِ[3] بأمْرٍ آخَـرَ وجَبَ عليه؛ لحُصولِ المقصودِ بذلكَ؛ فـإن لم يقدِرْ على ذلكَ وجَبَ عليه مفارقةُ المجلسِ، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. [٧٦/أ]

فإن لم تقدِرْ على مُفارقةِ المجلسِ؛ لعُذرٍ وكانَ[4] عاجزًا عنِ الإنكارِ، أو أنكَرَ[5] فلم يفِدْ، فخلاصُه أن يسُدَّ سمْعَه ويشتغِلَ بذكْرِ الله عزَّ وجَلَّ، إلى أن يقدِرَ على الذَّهابِ[6].

---

(١) «مسند أحمد» (١٥٩٨٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٥٥٤). ولفظه: «من أذل عنده مؤمن ولم ينصره، وهو يقدر على أن ينصره، أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧: ٢٦٧): «رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات».

(٢) في (ب): «حبيب».

(٣) في (ب): «المستعيب».

(٤) في (د): «فإن كان».

(٥) في (س) و(ب): «وأنكر».

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣: ١٤٦)، و«الأذكار» للنووي (٣٣٩).

والحاصِلُ: أنّه يجِبُ عليه الإنكارُ بلسانِه، أو بيدِه، أو بغيرِ[1] ذلكَ حتَّى بقلْبِه، وإلا وقَعَ في مَحذورٍ عظيمٍ.

قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**ما مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ الله تَعالَى في أُمَّةٍ قَبْلِي إلا كانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ وأصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ[2] بأمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ من[3] بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ[4]، فَمَنْ جاهَدَهُمْ[5] بيَدِهِ فهُوَ مُؤْمِنٌ، ومَنْ جاهَدَهُمْ[6] بلِسانِهِ فهُوَ مُؤْمِنٌ، ومَنْ جاهَدَهُمْ بقَلْبِهِ فهُوَ مُؤْمِنٌ، ولَيْسَ وراءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». رَواهُ مُسلمٌ[7].

فتنبَّهْ لذلكَ، فخلْقٌ كثيرٌ لا[8] يَهتدونَ لذلكَ، وربَّما يسمَعُ شخصًا يغتابُ آخَرَ وليسَ له تعلُّقٌ به فيصْغِي إليه، وربَّما يساعِدُه على ذلكَ، حتَّى إنّ المستغيبَ يقولُ: فعَلْتُ معَه[9] كذا وكذا هذا الفاعِل، ويذكُرُ كلامًا فيه أنواعٌ مِن الغِيبةِ، وما يتضمَّنُ مدْحَ نفْسِه مِن جهةِ الإحسانِ إليه، فيقولُ المستمِعُ: هذا ولدُ زنا، فيقَعُ في المعاصي[10]؛ **منها**: سماعُ الغِيبةِ، وتحسينُها لهُ، وإقرارُه على مدْحِ نفسِه، والتعاونُ على الإثمِ والعُدوانِ، وقد نَهَى الله تعالى عنهُما[11] في كتابِه العزيزِ، ووجوبُ حدِّ القذفِ عليه، قالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

---

(١) في (د): «أو غير».
(٢) في (د): «ويعتقدون».
(٣) «من» مثبت من المصادر.
(٤) في (د): «يؤمنون».
(٥) في (ب): «جاهده».
(٦) قوله: «بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم» ليس في (ب).
(٧) «صحيح مسلم» (٥٠).
(٨) في (ب): «أبلا».
(٩) في (د): «مرة».
(١٠) في (س) و(ب) و(د): «معاصي».
(١١) في (د): «عنها».

وقد وصَفَه الله بأنّه عظيمٌ؛ فالله عزَّ وجَلَّ يعلَمُ قدْرَ عظمِه، فيا ذلَّ مَن أوقَعَ نفْسَه في هذه المُهلكاتِ[١]، وفوَّتَ نفسَه خيرًا عظيمًا.

[٧٦/ب] قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيهِ، رَدَّ الله تَعالَى عَنْ وجْهِهِ النّارَ يَوْمَ القِيامَةِ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٢]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ».

وفي رِوايةٍ للطَّبرانِيِّ[٣]: «**كانَ لَهُ حِجابًا مِن النّارِ**». وكلاهُما رَواهُ مِن حديثِ أبي الدَّرداءِ رضِيَ الله عنه[٤].

ورَواهُ الطبرانِيُّ[٥] والإمامُ أحمَدُ[٦]: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخِيهِ بالغَيْبةِ**[٧]**، كانَ حَقًّا عَلَى الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يَعْتِقَهُ مِن النّارِ**». رَوياهُ مِن حديثِ أسماءَ بنتِ يزيدَ[٨].

ورَوَى ابنُ أبي الدنيا: «**رَدَّ الله عَنْ عِرْضِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**»[٩].

[من الأسباب المهلكة: الاستدراج والغفلة عن اليوم الآخر]

[١٣] **ومِنَ الأسبابِ المُهلكةِ**[١٠]: الاستدراجُ والغفلةُ عن سكراتِ الموتِ

---

(١) في (ب) و(د): «المهالك».

(٢) «جامع الترمذي» (١٩٣١)، و«مسند أحمد» (٢٧٥٤٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٧٢٢٩).

(٣) في (د): «الطبراني». وهو في: «مكارم الأخلاق» للطبراني (١٣٤).

(٤) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٠٣٨): «كلاهما ضعيف».

(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (٤٤٣).

(٦) «مسند أحمد» (٢٧٦٠٩)، و«مسند أبي داود الطيالسي» (١٧٣٧)، ولفظ أحمد والطبراني: «من ذب عن لحم أخيه...»، وعند أحمد: «بالغيبة» وعند الطبراني: «في المغيب».

(٧) في (س): «بالغيب».

(٨) في (د): «زيد».

(٩) «الصمت» لابن أبي الدنيا (٢٣٩). ولفظه: «كان حقًّا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة».

(١٠) في (د): «المهلكات».

وهوْلِ المطْلعِ وأهوالِ القبرِ، ورُؤيا مُنكرٍ ونَـكيرٍ وسؤالِهما، والبعثِ والنُّشورِ والعرْضِ على الجبّارِ، والميزانِ، والصِّراطِ ودقَّتِه مع حدَّتِه، ثمَّ فصْلِ القضاءِ، إلى غيرِ ذلكَ مِن الأمورِ المهولةِ.

ثم لا يدْرِي إلى أينَ مَهبطُه، فلعلَّه هبَطَ[1] إلى نارٍ[2] «**أمَرَ الله عَزَّ وجَلَّ أنْ يُوقَدَ عَلَيْها أَلْفَ عامٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْها أَلْفَ عامٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ[3]، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْها أَلْفَ عامٍ حَتَّى اسَوَدَّتْ، فهِيَ سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ**»[4]، قالَه عليه الصلاةُ والسلامُ.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ في النّارِ لَحَيّاتٍ مِثْلُ أعْناقِ البُخْتِ، يَلْسَعْنَ اللَّسْعَةَ، فيَجِدُ حَمْوَتَها أرْبَعِينَ خَرِيفًا**». رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[5].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لَوْ أنّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّوم قَطَرَتْ في بِحارِ الدُّنْيا، لأفْسَدَتْ عَلَى أهْلِ الدُّنْيا مَعايِشَهُمْ، فكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعامُهُ ذَلِكَ!**».

رَواهُ ابنُ ماجَه[6] مِن حديثِ ابنِ عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما، وكذا التِّرمذِيُّ[7]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

---

(١) في (د): «يهبط».   (٢) في (د): «النار».

(٣) في (ب): «ابيض».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٥٩١)، و«سنن ابن ماجه» (٤٣٢٠)، و«صفة النار» لابن أبي الدنيا (١٥٧)، و«المعجم الأوسط» (٢٥٨٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠ : ٣٨٧): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلام الطويل، وهو مجمع على ضعفه».

(٥) «مسند أحمد» (١٧٧١٢)، و«صحيح ابن حبان» (٧٤٧١)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٥٤). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ولفظ أحمد: «إن في النار حيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفًا».

(٦) «سنن ابن ماجه» (٤٣٢٥).

(٧) «جامع الترمذي» (٢٥٨٥)، و«مسند أحمد» (٣١٣٦)، و«صحيح ابـن حبان» (٧٤٧٠)، =

وقالَ أبو هُريرةَ رضِيَ الله عنه: كنّا عندَ أو معَ رَسولِ الله ﷺ، إذ سمِعَ وَجْبَةً(١)، فقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**هَلْ تَدْرُونَ ما هَذا؟**» قلْنا(٢): الله ورسولُه أعلَمُ، قالَ: «**هَذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ في النّارِ مِنْ**(٣) **سَبْعِينَ خَرِيفًا، وهُوَ يَهْوِي في النّارِ الآنَ، حِينَ**(٤) **انْتَهى**(٥) **إلَى قَعْرِها**». رَواهُ مُسلمٌ(٦).

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «**آخِرُ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ النّارِ يُعَذَّبُ سَبْعَةَ آلافِ سَنَةٍ**». رَواهُ بعضُ الأئمَّةِ(٧)، ولم أعرِفْ مَن خرَّجَه! نعَمْ رَوَى الإمامُ أحمَدُ(٨) [٧٧/أ] وأبو يَعْلى الموصلِيُّ(٩): «**وَيَخْرُجُ**(١٠) **بَعْدَ أَلْفِ عامٍ، وأنَّهُ يُنادِي: يا حَنّانُ**

= و«مستدرك الحاكم» (٣١٥٨). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) قال الأزهري في: «تهذيب اللغة» (١١: ١٥١): «قال أبو إسحاق في قول الله جل وعز: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦]. أي سقطت إلى الأرض جنوبها، فكلوا منها. قال: ويقال: وجب الحائط يجب وجبة، أي سقط، ووجب القلب، يجب وجيبًا: إذا تحرك من فزع، ووجب البيع وجوبًا وجبة، والمستقبل في كله يجب». وانظر: «الصحاح» (١: ٢٣٢).

(٢) في (د): «قالوا».

(٣) في «صحيح مسلم»: «منذ».

(٤) في «صحيح مسلم»: «حتى».

(٥) في (د): «ينتهي».

(٦) «صحيح مسلم» (٢٨٤٤).

(٧) «نوادر الأصول» (٦٢٠). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٣٦٠): «أخرجه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث أبي هريرة بسند ضعيف».

(٨) «مسند أحمد» (١٣٤١١).

(٩) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٤٢١٠)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٣١٥). ولفظ الحديث: «إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة: يا حنان، يا منان». وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣: ٢٦٧)، وقال: «هذا حديث ليس بصحيح». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (١٠: ٣٨٤): «رواه أحمد وأبو يعلى، ورجالهما رجال «الصحيح» غير أبي ظلال، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان».

(١٠) في (د): «يخرج».

يا مَنّانُ»[١]. وكانَ الحسَنُ البصرِيُّ يقولُ: «يا ليتَنِي ذلكَ الرَّجلُ»[٢].

وإنما قالَ الحسَنُ هذا؛ خوفًا مِن سُوءِ الخاتمةِ التي تقتَضِي عذابَ الأبدِ في هذه النّارِ التي ذكَرْتُ بعضَ أوصافِها.

فمَنْ غفَلَ عن هذه الأهوالِ فقد ورَّطَ نفْسَه في أمرٍ عظيمٍ، لا سيَّما المُستدرَجُ بتوالِي النِّعمِ عليه، قالَ الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤-٤٥]، قيلَ: كلَّما أحدَثُوا ذنبًا أحدَثَ لهم نعمةً[٣].

ولهذا قالَ عليٌّ رضِيَ الله عنه: «كمْ مِنْ[٤] مُستَدرَجٍ بالإحسانِ[٥] إليه، وكم مِن مغرورٍ بالسَّترِ عليه»[٦].

فالحذَرَ الحذر مِن الغُرورِ بالدنيا وزهرتِها، الحذَرَ الحذَرَ ممّا أمامَكَ، واستعِدَّ للموتِ وسكراتِه، ولعَمْري لو لم يكُنْ بينَ يَدَيِ[٧] العبْدِ كربٌ إلا سكراتُ

---

(١) جاء في حاشية (ب): «وقال حجة الإسلام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»: «وذكر عن الحسن: أن آخر من يخرُج من النار رجل يقال له: هنادٌ، عذب ألف عام، ينادي: يا حنان يا منان! فبكى الحسن، وقال: يا ليتني كنت هنادًا، فتعجبوا منه». اهـ. وانظر: «منهاج العابدين» (١٥٥)، و«سراج الطالبين على منهاج العابدين» (٢: ٢٩٠).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ١٨٨)، و«شرح مسند أبي حنيفة» (١: ٢٤).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١: ٢٠٩)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣: ٦١٨).

(٤) «من» مثبت من المصادر.

(٥) في (د): «الإحسان».

(٦) انظر: «الفنون» لابن عقيل (١: ٤٣). وورد في «الزهد» للإمام أحمد (١٥١٤)، و«الكشف والبيان» للثعلبي (١٠: ٢٣)، و«النكت والعيون» للماوردي (٦: ٧٢)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٥: ٣٥٣)، و«التدوين في أخبار قزوين» (٢: ٤٥٧)، و«تفسير القرطبي» (١٨: ٢٥١)، على أنه من كلام الحسن البصري رحمه الله، وفي: «سير السلف الصالحين» (١٢٧٩)، و«المدخل» لابن الحاج (٣: ١٤٨)، من كلام أبي القاسم الحكيم السمرقندي.

(٧) في (د): «أيدي».

الموتِ فضلًا[١] عمّا بعدَه لكانَ جديرًا بأن يتنغَّصَ عيْشُه ويتكدَّرَ سُرورُه، وكانَ حقيقًا بأن يطولَ في ذلكَ فكْرُه[٢]، ويعظُمُ استعدادُه، لا سيَّما والعبْدُ في كلِّ نَفَسٍ بصددِ أن يُؤخَذَ، فيذيقُه ملَكُ الموتِ لطماتِ الموتِ وسكراتِه، الذي قيلَ: إنّها أشَدُّ مِن[٣] ضرْبٍ بالسَّيفِ، ونشْرٍ بالمِنشارِ، وقرْضٍ بالمَقاريضِ.

قالَ شدّادُ بنُ أوسٍ رضِيَ الله عنه: «الموتُ أشدُّ مِن نشْرٍ بالمَناشيرِ[٤]، وقرْضٍ بالمَقاريضِ، وغَليٍ بالقُدورِ، ولو أنّ الميِّتَ نُشِرَ فأخبَرَ أهلَ الدُّنيا بالموتِ لما انتفَعُوا بعيشٍ، ولا لذُّوا بنومٍ»[٥].

والبدَنُ تُجذَبُ منه الـرُّوحُ مِـن كلِّ عِـرقٍ ومِن كلِّ[٦] عضوٍ، ولو كـانَ المجذوبُ عِرقًا واحدًا لكان ألَمُه عظيمًا، فكيفَ بجميعِ العُروقِ، ولكلِّ عِرقٍ سَكرَةٌ، وكذا لكلِّ عُضوٍ سَكرَةٌ، فكَمْ مِن سَكرةٍ، ولهذا كانَ عليه الصلاةُ

---

(١) في (ب): «فضا».

(٢) في (د): «ذكره».

(٣) «من» ليس في (ب).

(٤) في (ب) و(د): «بالمنشار».

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٤١٦).
جاء في حاشية (ب): «قال حجة الإسلام الغزالي في كتابه «منهاج العابدين»: «وروي أن بعض الصالحين قال: كان لي ابن استشهد فلم أره في المنام إلا ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، إذا تراءى إليَّ تلك الليلة فقلت: يا بني ألم تك ميتًا؟ فقال: لا، ولكني استشهدت وأنا حي عند الله تعالى أرزق، فقلتُ: ما جاء بك فقال: نودي في أهل السماء ألا لا يبقى نبي ولا صديق ولا شهيد إلا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز، فجئت لأشهد الصلاة ثم جئتكم لأسلم عليكم. والآخر: ما رُوي عن هشام بن حسان أنه قال: مات لي ابنٌ حدثٌ فرأيتُه في النوم، فإذا هو أشيب، فقلت: يا بني ما هذا الشيب؟ قال: لما قدم علينا فلان زفرت جهنم؛ لقدومه زفرة لم يبق منا أحد إلا شاب. نعوذ بالله الرحيم من عذابه الأليم». اهـ. انظر: «سراج الطالبين على منهاج العابدين» (٢: ٢٧٧).

(٦) «كل» ليس في (ب).

والسلامُ يقولُ: «**اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَراتِ المَوْتِ**»[١].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ أَهْوَنَ المَوْتِ بِمَنْزِلَةِ حَسَكَةٍ وقعت في صوف**[٢]**، فهَلْ تَخْرُجُ الحَسَكَةُ إلا ومَعَها صُوفٌ**»[٣]. رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «**الموتِ**».

وقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعد أن ذكَرَ الموتَ وغُصَّتَه وألَمَه : «**هُوَ قَدْرُ** [٧٧/ب] **ثَلاثِ مئةِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ**». رَواهُ ابنُ أبي الدُّنيا في كتابِ «**الموتِ**» مِن روايةِ الحسَنِ، عنِ النبيِّ ﷺ، وهوَ مُرسَلٌ؛ لأنّ[٤] الحسَنَ لم يدرِكِ النبيَّ ﷺ، لكن رِجالُه كلُّهم ثِقاتٌ، والحسَنُ رضِيَ الله عنه جليلُ القدرِ[٥]، عظيمُ العلْمِ والدِّينِ، لو لم يصِحَّ هذا عندَه لما قالَه.

قيل[٦]: ولمّا ماتَ إبراهيمُ الخليلُ عليه السَّلام قالَ الله عزَّ وجَلَّ له[٧]: «كيفَ وجَدْتَ الموتَ يا خليلِي؟» فقالَ: «كسَفُّودٍ جُعِلَ في صُوفٍ رَطبٍ ثمَّ جُذِبَ»، فقالَ الله سُبحانَه وتعالَى: «أما إنّا قد هونّا عليكَ الموتَ»[٨].

---

(١) «جامع الترمذي» (٩٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٦٢٣)، و«مسند أحمد» (٢٤٣٥٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٠٦٤)، و«مستدرك الحاكم» (٣٧٣١). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». ولفظه: «اللهم أعني على سكرات الموت».

(٢) قوله: «وقعت في صوف» ليس في (س).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٢)، و«التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١٥٣).
قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٤١): «أخرجه ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلًا».

(٤) في (ب): «كأن».

(٥) في (س): «المقدار».

(٦) «قيل» ليس في (س) و(ب).

(٧) «له» ليس في (ب).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٣)، و«التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (١٥١).
جاء في حاشية (ب): «يحكى عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: أنه لما احتضر نظر =

وقالَ عمرُ لكعبِ الأحبارِ: «حدِّثْنا عنِ الموتِ»، فقالَ: «نَعَمْ، هوَ كغُصنٍ كثيرِ الشَّوكِ أُدخِلَ في جوفِ رجلٍ، وأخذَتْ[1] كلُّ شوكةٍ بعِرقٍ ثمَّ جذَبه رجلٌ شديدُ الجَذْبِ[2]، فأخَذَ ما أخَذَ، وأبْقَى ما أبْقى»[3].

وكانَ عِيسى عليه الصلاةُ والسلامُ إذا ذكَرَ الموتَ يقطُرُ جلْدُه دَمًا[4].

وكانَ داودُ عليه الصلاةُ والسلامُ إذا ذكَرَ الموتَ والقيامةَ يبْكِي حتَّى تنخلِعَ أوصالُه[5].

وكانَ رَسولُ الله ﷺ عندَه قَدَحٌ عندَ الموتِ يجعَلُ يدَه فيه، ثمَّ يمسَحُ وجْهَه، ويقولُ: «**اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَى مُحَمَّدٍ سَكَراتِ المَوْتِ**»[6] وفاطمَةُ تقولُ: «واكرْبَ أبتاهُ». رَواهُ الشَّيخانِ[7].

وفي رِوايةِ ابنِ خُزيمةَ[8]: «واكرباهُ لكربِكَ يا أبتاهُ»، وهوَ يقولُ: «**لا كَرْبَ عَلَى أبِيكِ بَعْدَ اليَوْمِ**[9]». ....

= إلى السماء فضحك، فقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

(١) في (د): «فأخذت».

(٢) في (ب): «الحرب».

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٦٤٣)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٣).

(٤) في (س) و(ب): «ماء». انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٥١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٤٦٩)، و«البداية والنهاية» (٢: ٥٠٦).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٥١)، و«العاقبة في ذكر الموت» (٤٠).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) «صحيح البخاري» (٤٤٦٢). ولم أجده عند مسلم.

(٨) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٣٣٨٠). ولم أجده عند ابن خزيمة.

(٩) في (ب): «الموت».

وفي الترمذيِّ[١]: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَراتِ المَوْتِ وسَكَراتِهِ».

وإذا كانَتْ هذه سكراتِ الموتِ على أوليائِه وأصفيائه[٢]، فكيفَ حالُ المُنهمكِ في الذنوبِ والمعاصِي! لا سيَّما الظَّلَمةُ مِن الحُكّامِ[٣] وغيرِهم وأتباعِهم؟ فهؤلاءِ يَتوالَى عليهم معَ سكراتِ الموتِ آفاتُ الذنوبِ، ودواهي الموتِ.

ومن ذلكَ: مشاهدَةُ مَلَكِ الموتِ، ودخولُ الخوفِ منهُ، وروعةُ القلْبِ، ومشاهدةُ المَلَكينِ الحافظينِ، فيقولانِ لهُ[٤]: لا جزاكَ الله عنّا خيرًا، كمْ مِن مجلسِ سُوءٍ أجلسْتَنا، وعملٍ غيرِ صالحٍ أحلَلْتَنا، وكلامٍ قبيحٍ قد أسمَعْتَنا[٥].

ومشاهدةُ العُصاةِ منازلَهم/ مِن النارِ، حتَّى إنّ بعضَهم يتمَنَّى أن يبْقَى في [٧٨/أ] النَّزعِ معَ شِدَّتِه خوفًا مِن موتِه على غيرِ التوحيدِ، وفي هذه الحالةِ يحرِّضُ[٦] الشيطانُ جُنْدَه عليه، ويقولُ لهم[٧]: إنْ فاتَكم في هذه الحالةِ لا تدْرِكُوه أبدًا، فيأتُونَ إليه في صُورةِ أبٍ وأمٍّ وأخٍ[٨] وشيخٍ وصديقٍ، وغيرِ ذلكَ، ويقولونَ له: قد مُتْنا على دينِ كذا غيرِ دينِ الإسلامِ ووجَدْناهُ حقًّا، وخِفْنا عليكَ الموتَ على الإسلامِ فتهلِكُ، فلا يزالونَ بهِ كذلكَ حتَّى يفتِنُوه عنْ دينِ الإسلامِ، فيهلِكُ هلاكَ[٩] الأبدِ، إلا أن يكونَ قد سبَقَتْ له السعادةُ، فيموتُ على التوحيدِ،

(١) «جامع الترمذي» (٩٧٨). ولفظه: «اللهم أعني على غمرات الموت أو سكرات الموت».

(٢) «وأصفيائه» مثبت من (د).

(٣) في (ب): «الأحكام».

(٤) «له» ليس في (ب).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٤).

(٦) في (ب): «يحرص»، وفي (د): «يحضر».

(٧) «لهم» ليس في (د).

(٨) «وأخ» ليس في (س).

(٩) من قوله: «فلا يزالون به» إلى هنا ليس في (د).

وحينئذٍ يحْثُو الشيطانُ على رأسِه التُّرابَ، ويقولُ: ويْلَكُم كيفَ تفلَّتَ[1] هذا منكم؟

اللَّهمَّ إني أعوذُ بك أن يتخبَّطَنِيَ الشيطانُ عندَ الموتِ[2].

«بكى[3] رَسولُ الله ﷺ وجِبْريلُ عليه الصلاة والسلام؛ خوفًا مِن الله، فأوْحَى إليهما: لِمَ تبكيانِ[4] وقد أمَّنْتُكُما؟ فقالا: ومَنْ يَأْمَنُ مَكْرَكَ»[5]. رَواهُ ابنُ شاهينَ في «**شرحِ السُّنّةِ**»، وهوَ مذكورٌ في «**أمالي أبي سعيدٍ النَّقّاشِ**».

فإذا ماتَ أقبلَ أهْلُه بِرَنّةٍ وبكاءٍ، فيأخُذُ ملَك الموتِ[6] بعُضادَتي البابِ ويقولُ: «ما أكَلْتُ له رزقًا، ولا أفنَيْتُ له عُمرًا، ولا أنقَصْتُ له أجلًا، وإنّ لي فيكم عودةً ثمَّ عودةً حتَّى لا أبقِيَ منكم أحدًا»[7].

قالَ الحسنُ: «فوالله لو يرَوْنَ مقامَه ويسمعونَ كلامَه لَذهِلُوا عن ميِّتِهم وبكَوا على أنفسِهم»[8].

فإذا غُسِّلَ وحُمِلَتْ[9]، قالَ أبو سعيدٍ الخدْريُّ رضِيَ الله عنه: قالَ

---

(١) في (د): «فلت».

(٢) من دعاء النبي ﷺ. «مسند أحمد» (٨٦٦٧)، و«سنن أبي داود» (١٥٥٢)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٨١٤).

(٣) في (د): «فبكى». (٤) في (د): «تبكيا».

(٥) انظر: «قوت القلوب في معاملة المحبوب» (١: ٣٨٢). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٥٢٠): «رواه الطبراني في «الأوسط»، وابن شاهين في «شرح السنة» من حديث عمر، ورويناه في مجلس عن أمالي أبي سعيد النقاش، بسند ضعيف».

(٦) «الموت» ليس في (س).

(٧) انظر: «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٣: ٩٠٥)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٨).

(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٦٨). (٩) في (د): «وحمل».

رَسولُ الله ﷺ: «إذا وُضِعَتِ الجِنازَةُ، فاحْتَمَلَها[١] الرِّجالُ عَلَى أعْناقِهِمْ، فإنْ كانَتْ صالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُونِي، وإنْ كانَتْ غَيْرَ صالِحَةٍ قالَتْ: يَا وَيْلَهَا[٢] أيْنَ تَذْهَبُونَ بِها؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إلا الإنْسانَ، ولَوْ سَمِعَ الإنْسانُ لَصَعِقَ». رَواهُ البُخارِيُّ[٣].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «أسْرِعُوا بِالجِنازَةِ، فإنْ تَكُ صالِحَةً فخَيْرٌ تُقَدِّمُونَها، وإنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقابِكُمْ». رَواهُ البُخارِيُّ[٤] [٧٨/ب] ومُسلمٌ[٥] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وفي رِوايةٍ لمُسلمٍ[٦]: «فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَها عَلَيْه».

فإذا وُضِعَ في القَبْرِ رَأى شيئًا مهولًا، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «ما رَأيْتُ مَنْظَرًا إلا والقَبْرُ أفْظَعُ[٧] مِنْهُ». رَواهُ ابنُ ماجَه[٨]، والترمِذيُّ[٩] وحسَّنَه، والحاكِمُ[١٠] وصحَّحَه.

وكانَ عُثمانُ رضِيَ الله عنه إذا وقَفَ على قبرٍ يبْكِي حتَّى تبَلَّ لحيتُه، فقيلَ له: تذكُرُ النارَ فلا تبْكِي، وتبْكِي إذا وقَفْتَ على قبرٍ؟ فقالَ: سمِعْتُ رَسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنّ القَبْرَ أوَّلُ مَنازِلِ الآخِرَةِ؛ فإنْ نَجا مِنْهُ صاحِبُهُ فما بَعْدَهُ أيْسَرُ،

---

(١) في (د): «واحتملها».
(٢) في (س): «لأهلها».
(٣) «صحيح البخاري» (١٣١٦).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣١٥).
(٥) «صحيح مسلم» (٩٤٤).
(٦) «صحيح مسلم» (٩٤٤).
(٧) في (س): «أوضع».
(٨) «سنن ابن ماجه» (٤٢٦٧).
(٩) «جامع الترمذي» (٢٣٠٨).
(١٠) «مستدرك الحاكم» (٧٩٤٢). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وإنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فما بَعْدَهُ أشَرُّ». رَواهُ الترمذِيُّ[١]، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ»، ورَواهُ الحاكِمُ[٢] وصحَّحَه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**القَبْرُ إمّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ[٣] النّارِ، أوْ رَوْضَةٌ[٤] مِنْ رِياضِ الجَنَّةِ**». رَواهُ الترمذِيُّ[٥].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**يَقُولُ القَبْرُ لِلْمَيِّتِ حِينَ يُوضَعُ فيهِ: ويْحَكَ[٦] يا ابْنَ آدَمَ ما غَرَّكَ[٧] بِي؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي بَيْتُ الفِتْنَةِ، وبَيْتُ الظُّلْمَةِ، وبَيْتُ الوَحْدَةِ، وبَيْتُ الدُّودِ؟ ما غَرَّكَ بِي؟ أَكُنْتَ تَمُرُّ بِي فِدادًا؟**». رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في «كتابِ القُبورِ»، ورَواهُ الطبرانِيُّ والحاكِمُ[٨].

والفِدادُ: الذي يقدِّمُ رِجلًا ويؤخِّرُ أُخرى[٩].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنَّ المَيِّتَ يَقْعُدُ وهُوَ يَسْمَعُ خَطْوَ مشيعيهِ[١٠]**

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٣٠٨).

(٢) «سنن ابن ماجه» (٤٢٦٧)، و«مسند أحمد» (٤٥٤)، و«مستدرك الحاكم» (٧٩٤٢). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وفيهم: «أشد» بدلًا من «أشر».

(٣) «حفر» ليس في (ب).

(٤) في (ب): «روض».

(٥) «جامع الترمذي» (٢٤٦٠)، و«المعجم الأوسط» (٨٦١٣). ولفظه: «إنما القبر روضة...». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣: ٤٦): «فيه محمد بن أيوب بن سويد، وهو ضعيف».

(٦) في (د): «ويلك».

(٧) في (ب): «عزك».

(٨) «المعجم الكبير» للطبراني (٩٤٢)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٨٧٠). ولم أجده عند ابن أبي الدنيا ولا الحاكم.

(٩) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٤٢٠). قال ابن الأثير: «وفيه: إن الأرض تقول للميت: ربما مشيت علي فَدّادًا، قيل: أراد ذا أَمَلٍ كثير وخيلاء وسعي دائم».

(١٠) في (س) و(ب): «مشيعه».

ولا يُكَلِّمُهُ إلا قَبْرُهُ، يَقُولُ: ويْحَكَ يا ابْنَ آدَمَ! أَلَيْسَ قَدْ حُذِّرْتَنِي، وحُذِّرْتَ ضِيقِي ونَتْنِي وهَوْلِي ودُودِي، فما أَعْدَدْتَ لِي؟».

رَواهُ ابنُ أبي الدُّنيا في كتابِ «**القُبورِ**» مُرسَلًا، ورجالُه ثقاتٌ، ورَواهُ ابنُ المُباركِ في كتابِ «**الزُّهدِ**»[1].

ويضمُّه[2] القبرُ؛ قالَ[3] عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إنّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ نَجا مِنْها أحَدٌ لَنَجا سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**». رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[4] بسندٍ جيِّدٍ[5].

[٧٩/أ] وقالَ أنسٌ: تُوفيتْ زينبُ بنتُ رَسولِ الله ﷺ وكانَتِ امرأةً مِسْقامةً[6]، فتَبِعَها[7] رَسولُ الله ﷺ، فلمّا انتَهَيْنا إلى القبرِ دخَلَهُ عليه الصلاةُ والسلامُ فالتمَعَ وجْهُه صُفرةً، فلمّا خرَجَ أسفَرَ وجْهُه، فقُلْنا: يا رَسولَ الله، رَأَيْنا منكَ شيئًا فمِمَّ ذلكَ؟

قالَ: «**ذَكَرْتُ ضَغْطَةَ ابْنَتِي زَيْنَبَ**[8]**، فأُخْبِرْتُ أنّه قَدْ خُفِّفَ عَنْها، ولَقَدْ**

---

(١) «الزهد والرقائق» لابن المبارك (١٧٦٠). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٨٢): «أخرجه ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال بلغني ولم يرفعه».

(٢) في (د): «وتضميمة».

(٣) في (د): «وقال».

(٤) «مسند ابن الجعد» (١٥٤٨)، و«مسند أحمد» (٢٤٢٨٣)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٣٩٢).

(٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٣: ٤٦): «رواه أحمد، عن نافع، عن عائشة، وعن نافع، عن إنسان، عن عائشة، وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح».

(٦) في (د): «مستقامة». وجاء بعدها في (ب): كلمة غير واضحة. والمسقام: الممراض. أي المريض. انظر: «الصحاح» (٣: ١١٠٦)، و«لسان العرب» (٧: ٢٣١)، و«القاموس المحيط» (٦٥٤).

(٧) في (د): «فتبعتها».

(٨) في (س) و(ب): «فاطمة».

ضُغِطَتْ ضَغْطَةً سَمِعَ صَوْتَها ما بَيْنَ الخافِقَيْنِ»[١]. رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «الموتِ».

ثم يأتِي مُنكرٌ ونَـكيرٌ بهولِـهِما:

قالَ البراءُ بنُ عازبٍ رضِيَ الله عنه: خرَجْنا مـعَ رَسولِ الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ مِـن الأنصارِ، فجلَـسَ رَسـولُ الله ﷺ على قبـرِه مُنكِّسًا رأسَـهُ، ثمَّ قـالَ: **«اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ»**[٢] ثلاثًا.

وفي الحديثِ: **«وَإنَّه يَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ، إذا ولَّوا مُدْبِرِينَ»**، وفيه: **«مَنْ رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ؟ ومَنْ نَبِيُّـكَ؟ فيَقُولُ** ـ يعْنـي المُؤمنُ ـ: **رَبِّـيَ الله، ودِينِـيَ الإسْلامُ، ونَبِيِّي**[٣] **مُحَمَّدٌ، فيَنْتَهِرُونَهُ انْتِهارًا شَدِيدًا، وهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى المَيِّتِ، فإذا قالَ**[٤] **ذَلكَ نادَى مُنادٍ: أنْ**[٥] **صَدَقْتَ، وهُوَ مَعْنى قَوْلِـه تَعالَى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، **ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ في أحْسَنِ وجْهٍ**[٦]**، طَيِّبُ الرّائِحَةِ، حَسَنُ الثِّيابِ، فيَقُولُ: أبْشِرْ بِرَحْمَةِ**[٧] **رَبِّكَ وجَناتٍ فيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ، فيَقُولُ: وأنْتَ بَشَّرَكَ الله بِخَيْرٍ، مَنْ أنْتَ؟**

---

(١) «نوادر الأصول في أحاديث الرسول» (٢: ١٠٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٢: ٤٣٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣: ٢٣٢): «هذا حديث لا يصح من جميع طرقه»، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥): «أخرجه ابن أبي الدنيا في «الموت» من رواية سليمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه». وانظر: «علل الدارقطني» (١٢: ٢٥١) (٢٦٧٩)، و«اللآلئ المصنوعة» (٢: ٣٦٠)، و«تنزيه الشريعة المرفوعة» (٢: ٣٧١).

(٢) «مستدرك الحاكم» (١٠٧)، و«مسند الروياني» (٣٩٢).

(٣) في (ب): «نبي».

(٤) «قال» ليس في (د).

(٥) في (د): «قد».

(٦) في (د): «صورة».

(٧) في (د): «بوجه».

فَيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الصّالِحُ، واللهِ إنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا في طاعَةِ اللهِ بَطِيئًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فجَزاكَ اللهُ خَيْرًا، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: افْرِشُوا لَهُ مِنْ فُرُشِ الجَنَّةِ، وافْتَحُوا لَهُ بابًا إلَى الجَنَّةِ، وأمّا غَيْرُهُ فيُقالُ لَهُ[١]: مَنْ رَبُّكَ؟ وما دِينُكَ[٢]؟ ومَنْ نَبِيُّكَ؟

فَيَقُولُ: لا أدْرِي، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ آخر[٣] قَبِيحُ الوَجْهِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ[٤]، قَبِيحُ الثِّيابِ، فيَقُولُ لَهُ: أبْشِرْ بسَخَطِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ وبِعَذابٍ أليمٍ، فيَقُولُ لَهُ: بَشَّرَكَ اللهُ بِشَرٍّ، مَنْ أنْتَ؟ فيَقُولُ: أنا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، واللهِ إنْ كُنْتَ لَسَرِيعًا[٥] في مَعْصِيَةِ اللهِ، بَطِيئًا عَنْ طاعَةِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، فجَزاكَ اللهُ شَرًّا، فيَقُولُ: وأنْتَ فجَزاكَ[٦] اللهُ [٧٩/ب] شَرًّا، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أصَمُّ أبْكَمُ أعْمَى، مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْها الثَّقَلانِ عَلَى أنْ يَنْقِلوها[٧] لَمْ يَسْتَطِيعُوا، لَوْ ضَرَبَ بِها جَبَلًا لَصارَ تُرابًا، فيَضْرِبُهُ بِها ضَرْبَةً فيصير تُرابًا، ثُمَّ تَعُودُ فيهِ الرُّوحُ فيَضْرِبُ[٨] بِها عَيْنَيْهِ[٩]، فيَسْمَعُها مَنْ عَلَى الأرْضِ إلا الثَّقَلَيْنِ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ: افْرِشُوا لَهُ لَوْحَيْنِ[١٠] مِنْ نارٍ، وافْتَحُوا لَهُ بابًا إلَى النّارِ، فيُفْعَلُ ذَلِكَ».

رَواهُ أبو داودَ[١١] بأكمَلَ مِن ذلكَ، وكذا الحاكِمُ[١٢] وصحَّحَه، وقالَ: «إنّه على شرطِ الشَّيخينِ»، ورَواهُ ابنُ ماجه[١٣]، والنسائيُّ[١٤] مُختصرًا.

---

(١) «له» ليس في (ب).
(٢) قوله: «وما دينك» ليس في (ب).
(٣) «آخر» مثبت من (د).
(٤) في (ب): «الرائحة».
(٥) في (د): «سريعًا».
(٦) في (د): «جزاك».
(٧) في (س): «ينقلونها»، وفي (ب): «يقلبوها»، وفي (د): «يقلوها».
(٨) في (د): «فيضربه».
(٩) في (د): «عينه».
(١٠) «لوحين» ليس في (د).
(١١) «سنن أبي داود» (**٤٧٥٣**).
(١٢) «مستدرك الحاكم» (١٠٧).
(١٣) «سنن ابن ماجه» (**١٥٤٩**).
(١٤) «سنن النسائي» (٢٠٠١).

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ لعُمرَ رضِيَ الله عنه: «كَيْفَ بِكَ إذا أَنْتَ مِتَّ وانْطَلَقَ بِكَ قَوْمُكَ، فقاسُوا[1] لَكَ ثَلاثَةَ أَذْرُعٍ في ذِراعٍ وشِبْرٍ، ورَجَعُوا إِلَيْكَ وغَسَّلُوكَ وحَنَّطُوكَ[2]، ثُمَّ احْتَمَلُوكَ حَتَّى يَضَعُوكَ فيهِ، ثُمَّ يُهِيلُوا عَلَيْكَ التُّرابَ ويَدْفِنُوكَ، فإذا انْصَرَفُوا عَنْكَ أتاكَ[3] فَتّانا[4] القَبْرِ مُنْكَرٌ ونَكِيرٌ، أَصواتُهُما كالرَّعْدِ القاصِفِ، وأَبْصارُهُما كالبَرْقِ الخاطِفِ، يَجُرّانِ أَشْعارَهُما، ويَحْفُرانِ الأَرْضَ بِأَنْيابِهِما، فيلفانِ[5] وراءَكَ، كَيْفَ بِكَ عِنْدَ ذَلِكَ يا عُمَرُ؟».

رَواهُ ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «القُبورِ» مُرسلًا، ورجالُه ثقاتٌ[6].

وقالَ البيْهقِيُّ[7]: «رُوِّيناه مِن وجهٍ صحيحٍ». ووصَلَه ابنُ بطَّةَ في «الإبانةِ» من حديثِ ابن عبّاسٍ رضِيَ الله عنهُما.

فبينَما[8] هم في قُبورِهم إذْ[9] قرَعَ سمْعَهم نفخةٌ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وأنت فيهم مُغبرًّا[10] مَبهوتًا من شدَّةِ الصَّعقةِ، شاخصًا نحْوَ النِّداءِ، قد أزعجَكَ الرُّعبُ مُضافًا إلى خوفِ عاقبتِكَ، فلو لم يكُنْ بينَ يديكَ إلا هولُ هذه النَّفخةِ لكانَ جديرًا بكَ ألا تلْهُوَ ولا تَنْعَمَ أبدًا.

ويكونُ ملوكُ أهلِ الأرضِ هم أذلُّ الجميعِ[11] وأحقَرُهم؛ كأمثالِ الذَّرِّ[12] يُوطَئونَ بالأقدامِ[13].

---

(١) في (د): «وقاسوا».
(٢) في (س): «وحنوط».
(٣) في (س): «فأتاك».
(٤) في (س): «أتايا فتايا».
(٥) في (س): «فيليان».
(٦) «البعث» لابن أبي داود (٧).
(٧) «إثبات عذاب القبر» للبيهقي (١٠٥). وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (١٨٨٧).
(٨) في (د): «فبينا».
(٩) في (ب): «إن».
(١٠) في (د): «مغيرًا».
(١١) في (س): «الجمع»، و(د): «أهل الجمع».
(١٢) في (د): «الذرة».
(١٣) في (د): «الأقدام».

فسُبحانَ مَن قصَمَ بالموتِ رِقابَ الجبابرةِ، وكسَرَ به ظُهورَ الأكاسرةِ، وقصَّرَ به آمالَ القياصرةِ، لم تزَلْ قلوبُهم عنِ الموتِ نافرةً، حتَّى جاءَهم الوعدُ[1] [٨٠/أ] الحقُّ، فإذا[2] هم بالسّاهرةِ، تَقلِبُهم[3] مِن نُورِ المُهودِ إلى ظُلمةِ اللُّحودِ[4]، ومِن مُلاعبةِ الجوارِي والغِلْمانِ إلى مُضاجعةِ الهوامِّ والدِّيدانِ، ومِن التنعُّمِ بالطعامِ والشرابِ إلى تَعفيرِ الخُدودِ بالترابِ، ومُشاهدةِ هولِ الحسابِ، ومِن أُنسِ العِشْرةِ إلى الأهوالِ والحَسرةِ.

فانظُرْ واعتبِرْ يا عاقِلُ[5]، هل وجَدُوا مِن ذلكَ حِصنًا، أمِ اتَّخذُوا مِن دُونِه حِجابًا وحِرزًا، وهل تحسُّ منهم مِن أحدٍ أو تسمَعُ لهُ رِكزًا؟!

ثمَّ تقبلُ الوُحوشُ مِن الجبالِ وغيرِها منكِّسةً رُؤوسَها، مختلِطةً بالخلائقِ بعدَ توحُّشِها، ذليلةً ليومِ النُّشورِ مِن غيرِ خطيئةٍ، لكِنْ حشَرَهم شدَّةُ الصَّعقةِ.

ثمَّ يُساقونَ[6] حُفاةً عُراةً إلى أرضِ المَحشَرِ، وهوَ صعيدٌ واحدٌ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضاءَ عَفْراءَ كَقُرْصِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فيها[7] مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**». رَواهُ البُخارِيُّ[8] ومُسلمٌ[9].

فَإذا اجتمَعَ[10] الخلائقُ تناثَرَتْ مِن فوقِهم[11] نُجومُ السماءِ، وطُمِسَتِ الشمسُ والقمَرُ، وأظلَمَتِ الأرضُ لِخُمودِ[12] سِراجِها، فبينَما هم كذلكَ إذ

---

(١) في (د): «الموعد».
(٢) في (س): «وإذا».
(٣) في (س) و(د): «نقلهم».
(٤) في (د): «القبور».
(٥) في (س): «غافل».
(٦) في (د): «يقامون».
(٧) في (ب): «فيهما».
(٨) «صحيح البخاري» (٦٥٢١).
(٩) «صحيح مسلم» (٢٧٩٠).
(١٠) في (ب) و(س): «اجتمعا».
(١١) في (د): «فوق رؤوسهم».
(١٢) في (ب) و(س): «بخمود».

تَزلزَلَتِ السماءُ مِن فوقِ رُؤوسِهم، وانشَقَّتْ معَ غِلظِها[١] وهوَ[٢] خمسُ مِئةِ عامٍ، والملائكةُ قيامٌ على أرجائِها.

فيا هوْلَ انشقاقِها في سمْعِكَ، ثمَّ تتناثَرُ وتَصِرُّ[٣] وتشتبكُ[٤]، فتصيرُ كالفَراشِ المَبثوثِ، وهم: عُـراةٌ حُفاةٌ مُشاةٌ، وبعضُهم يمشِي على وجْهِه، فيزدَحِمُ في الموقْفِ أهلُ السماواتِ السبعِ وأهلُ الأرضينَ السبعِ من مَلَكٍ وإنسٍ وجنٍّ، ووحشٍ، وطائرٍ، وقد أشـرقَتْ عليهمُ الشَّمسُ وتضاعَفَ حرُّها، وأُدنِيَتْ مِـن رُؤوسِ العالَميـنَ قابَ قوسينِ أو أدْنى، فاشتَدَّ الغمُّ والكرْبُ مِن وهجِها معَ حرِّ الأنفاسِ واحتـراقِ القُلوبِ بنارِ الخوفِ، ففاضَ العـرَقُ حتَّى سالَ علـى صعيدِ القيامةِ، ثمَّ ارتفَعَ العـرقُ[٥] على أبدانِهم على قـدْرِ منازِلِهم، فبعضُهم يبلُغُ رُكبتَيْه، [٨٠/ب] وبعضُهم يبلُغُ حقْوَه، وبعضُهم إلى شَحمةِ أُذنَيْه، وبعضُهم يكـادُ يغيبُ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**يَعْرَقُ[٦] النّاسُ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ في الأرْضِ سَبْعِينَ ذراعًا[٧]، ويُلْجِمُهُمْ حتى يَبْلُغَ[٨] آذانَهُمْ**».

رَواهُ البُخارِيُّ[٩] ومُسلمٌ[١٠] مِن حديثِ[١١] أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأرْضِ يَوْمَ القِيامَةِ فيَعْرَقُ النّاسُ؛ فمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ عَقِبَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ نِصْفَ ساقَيْهِ[١٢]، ومِنْهُمْ مَنْ**

---

(١) في (د): «عظمها».
(٢) في (د): «وهي».
(٣) في (س) و(د): «وتصير».
(٤) كأنها في (س): «وتستفيك». وقوله: «وتصر وتشتبك» ليس في (ب).
(٥) «العرق» مثبت من (د).
(٦) في (س): «يغرق».
(٧) في (س) و(ب) و(د): «باعا».
(٨) في (س) و(ب): «ويبلغ».
(٩) «صحيح البخاري» (٦٥٣٢).
(١٠) «صحيح مسلم» (٢٨٦٣).
(١١) في (د): «رواية».
(١٢) في (د): «ساقه».

يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ فخِذَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ خاصِرَتَهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ فاهُ، ومِنْهُمْ مَنْ يُغَطِّيهِ عَرَقُهُ»، وضرَبَ رَسولُ الله ﷺ على رأسِه. رَواهُ الإمامُ أحمَدُ[١].

وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**يُبْعَثُ النّاسُ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ، وبَلَغَ شُحُومَ الآذانِ**[٢]»، قالَتْ سَودةُ رضِيَ الله عنها زوجُ النبيِّ ﷺ، ـ وهيَ راويةُ الحديثِ ـ: قلْتُ: يا رَسولَ الله، واسَوْأَتاهُ ينظُرُ بعْضُنا إلى بعضٍ؟ قالَ: «**شُغِلَ النّاسُ عَنْ ذَلِكَ؛ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**».

رَواهُ الثَّعْلَبيُّ[٣] والبغوِيُّ[٤]، وهوَ في «**الصَّحيحينِ**»[٥] مِن حديثِ عائشةَ رضِيَ الله عنها، وهيَ القائلةُ: «واسَوْأَتاهُ».

ورَواهُ الطبرانِيُّ في «**مُعجمِه الأوسَطِ**»[٦] مِن حديثِ أمِّ سلمةَ رضِيَ الله عنها، وهيَ القائلةُ: «واسَوْأَتاهُ».

ثم يشتَدُّ الأمْرُ حتَّى إنَّ منهم مَن يُنادِي: ربِّ ارحمْنِي مِن هذا الكرْبِ والانتظارِ ولو إلى النارِ، وكلُّ ذلكَ ولم يلْقَوا بعدُ حِسابًا ولا عِقابًا، وإنّما ذلكَ مِن شدَّةِ ذلكَ اليومِ وطولِه.

قالَ الحسَنُ: «ما ظنُّكَ بقومٍ[٧] يَقومونَ على أقدامِهم خمسينَ ألفَ سنةٍ،

---

(١) «مسند أحمد» (١٧٤٣٩)، و«مسند الروياني» (٢٢٩)، و«صحيح ابن حبان» (٧٣٢٩)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٠٤). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
(٢) في (د): «آذانهم».
(٣) في (ب): «الثعالبي». وهو في: «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» (٢٨: ٤٥٣).
(٤) «تفسير البغوي» (٥: ٢١٣).
(٥) «صحيح البخاري» (٦٥٢٧)، و«صحيح مسلم» (٢٨٥٩).
(٦) «المعجم الأوسط» (٨٣٣).
(٧) في (د): «بيوم».

لا يأكلُونَ أكلةً، ولا يشربونَ شربةً، حتَّى تنقطِعَ[1] أعناقُهم عَطشًا، وتحترِقَ أجوافُهم جوعًا»[2].

وقالَ عبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ رضِيَ الله عنه: تَلا رَسولُ الله ﷺ هذه [٨١/أ] الآيةَ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]، ثمَّ قالَ: «**كَيْفَ بِكُمْ إذا جَمَعَكُم الله عَزَّ وجَلَّ كَما[3] يُجْمَعُ النَّبْلُ في الكِنانَةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لا يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ**». رَواهُ الطبرانِيُّ في «**مُعجمِه الكبيرِ**»[4].

فتفكَّرِي يا مسكينةُ طُولَ ذلكَ اليومِ وشدَّةَ أهوالِه، وطولَ الانتظارِ حتَّى يخِفَّ عليكِ[5] الصَّبْرُ عنِ الشهواتِ والمعاصِي في عُمرِكِ القصيرِ المحتَقَرِ بالنِّسبةِ إلى ذلك[6] اليومِ؛ يومَ يغضَبُ فيه الرَّبُّ غضبًا لنْ يغضَبَ قبْلَه مثْلَه ولن يغضَبَ بعدَه مثْلَه، يومَ تذهَلُ فيه[7] ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

يومَ[8] يؤخَذُ فيه بالنَّواصِي والأقدامِ، يومَ[9] ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ

---

(١) في (د): «تتقطع».
(٢) انظر: «البعث والنشور» للبيهقي (٢٤٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٥).
(٣) في (د): «فقال كما».
(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٨٥)، و«مستدرك الحاكم» (٨٧٠٧). وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».
(٥) في (س): «عليكي».
(٦) في (ب) و(س): «تلك».
(٧) «فيه» ليس في (ب).
(٨) «يوم» ليس في (د).
(٩) «يوم» ليس في (ب).

﴿ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، يومَ الحسرةِ، يومَ الخِزي، يومَ المُحاسبةِ، قالَ الله تعالى[١]: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

يومَ العدْلِ، قالَ رَسولُ الله ﷺ: «**لَتُؤَدُّنَّ[٢] الحُقُوقَ إلَى أهْلِها يَوْمَ القِيامَةِ، حَتَّى يُقادَ لِلشّاةِ الجَلْحاءِ مِنَ الشّاةِ القَرْناءِ**». رَواهُ مُسلمٌ[٣] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ الله عنه.

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

فالويلُ كلُّ الويلِ لنا معشرَ الغافلينَ؛ يُرسَلُ إلينا[٤] سيِّدُ الأوَّلينَ والآخرينَ، وينـزَلُ علينا الكتابُ المُبينُ، ويخبِرُنا بهذه الصفاتِ مِن نُعوتِ يومِ الدِّينِ، فنتْلُوه بألسنتِنا ونحنُ عنه غافلونَ، فنعوذُ بالله مِن هذه الغفلةِ التي عاقبتُها هذه الأهوالُ والحَسرةُ[٥].

فبينَما هم في هذه الأهوالِ إذ نزلَتْ ملائكةٌ مِن أرجاءِ السماءِ بأجسامٍ عِظامٍ، وأشخاصٍ ضخامٍ، غلاظٌ شدادٌ، قد أُمِرُوا بأخْذِ النَّواصِي والأقدامِ[٦] إلى العرْضِ[٧] على الجبّارِ، وقد رَأَوا ما بَدا[٨] مِن غَضبِ الجبّارِ، وعندَ نُزولِهم لا يَبْقى صالحٌ، ولا صدِّيقٌ، ولا نبيٌّ، إلا ويخِرُّ لذَقْنِه؛ خوفًا مِن أن يكونَ هوَ المأخوذُ، فإذا كانَ هذا حالَ المُقرَّبينَ، فكيفَ حالُ المُقصِّرينَ؟

---

(١) من قوله: «إلى مضاجعة الهوام» إلى هنا سقط من (د).
(٢) في (ب): «التؤدي».
(٣) «صحيح مسلم» (٢٥٨٢).
(٤) في (ب): «لنا».
(٥) في (د): «الخسران».
(٦) «والأقدام» مثبت من (د).
(٧) في (د): «بالعرض».
(٨) في (ب): «بُدَّ».

[٨١/ب] فيُبدَأُ بالرُّسلِ ، فيقولُ الله تعالى: ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ فيقولونَ: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]، فيا شدَّةَ هولِ يومٍ تُذْهَلُ فيه عُقولُ الرُّسلِ حتَّى لا يدْرُونَ ماذا يُجيبونَ.

ثمَّ تُقْبِلُ الملائكةُ فيُنادُونَ واحدًا واحدًا باسمِه[١]: هُلَمَّ إلى موقِفِ العرْضِ، فعندَ ذلكَ ترتعِدُ الفرائصُ، وتضطرِبُ الجوارِحُ، وتُبهَتُ العُقولُ، حتَّى يتمنَّى أقوامٌ أن يُذهَبَ بِهم إلى النارِ، ولا تُعرَضُ[٢] قبائحُ أعمالِهم على الجبّارِ، ولا تُكشَفُ أستارُهم على الخلائقِ، ويظُنُّ كلُّ واحدٍ أنّه المقصودُ دُونَ غيْرِه، فيقولُ الجبّارُ لجبْريلَ عليه السلامُ: ائتِني بالنارِ، فيقولُ لها جِبْريلُ: أجيبي الجبّارَ[٣]، ويُصادِفُها[٤] على غيْظِها وغضَبِها، فلا تلبَثُ بعدَ نِدائِه أن تثُورَ وتزفَرَ[٥] إلى الخلائقِ، فيَسمَعُ الخلائقُ تغيُّظَها[٦] وزفيرَها، وتبثُّ[٧] خرابَها إلى الخلائقِ[٨]؛ غضَبًا[٩] على العُصاةِ، فتمتلئُ قلوبُ الخلائقِ رُعبًا، ويتساقطونَ على رُكَبِهم[١٠]، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

---

(١) لعله يشير إلى قوله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم، وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسماءكم». «سنن أبي داود» (٤٩٤٨)، و«مسند أحمد» (٢١٦٩٣).

(٢) في (ب): «وتعرض».

(٣) انظر: «التوهم في وصف أحوال الآخرة» (١٧)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٨).

(٤) في (س): «ويصادقها».

(٥) في (ب): «ونزفر».

(٦) في (س) و(د): «بغيظها».

(٧) قوله: «وتبث» غير واضح في (س).

(٨) قوله: «فيسمع الخلائق تغيظها وزفيرها، وتبث خرابها إلى الخلائق» ليس في (ب).

(٩) في (س) و(د): «غضاب».

(١٠) بعده في (د): «قوله تعالى».

وينـادِي الظَّلَمةُ وأعوانُهم وهم تحتَ أرجلِ الخلْقِ بالويلِ والثُّبورِ جزاءً لهم مِن جنسِ صَنيعِهم بالخلْقِ في الدنيا، وينادِي الصدِّيقونَ[1] كلٌّ منهم: نفْسِي نفْسِي.

فبينَما هُم كذلكَ إذ زفَرَتِ النارُ زفرةً ثانيةً، فيتضاعَفُ خوْفُهم، ويظنُّونَ أنّهم مَأخوذونَ[2]، ثمَّ تزفَرُ الثالثةَ فيتساقَطُ الخلائقُ[3] لوُجوهِهم ويَشْخَصونَ بأبصارِهم ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]، وتنهضِمُ عند ذلكَ قلوبُ الظالمينَ، فتبلُغُ لدى الحناجرِ كاظمينَ، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[4] [غافر: ١٨].

ثمَّ يَسألُ كلَّ واحدٍ واحدٍ ربُّه شِفاهًا عن قليلِ عمَلِه وكثيرِه، وعنْ سِرِّه وعلانيتِه، وعن جميعِ جوارحِه وضمائرِه، فيقولُ: ألَم أنْعِمْ عليكَ بالشبابِ، فَفيمَ[5] ذا أبلَيْتَه؟ ألَم أمهِلْ[6] لك في العُمُرِ، فَفيمَ[7] أفنيْتَه؟ ألَم أرزُقْكَ الأموالَ، فمن أينَ اكتسبْتَها وفيمَ[8] ذا أنفقتَها؟ ألم أعلِّمْكَ العلْمَ فماذا عمِلْتَ فيه[9]؟

---

(١) في (ب): «الصديون».
(٢) في (ب): «مأخذون».
(٣) في (د): «الخلق».
(٤) في (س) و(ب): «ما لهم من ولي ولا حميم».
(٥) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «وفيما».
(٦) في (ب): «أمهلك».
(٧) في (س) و(ب) و(د): «ففيما».
(٨) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «وفيما».
(٩) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٨). جاء في حاشية (س): «روى ابن حبيب بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا، فقال: يا أيها الناس، إذا عملتم سبعًا حل بكم سبع: إذا ظهر فيكم الزنى كثر الموت، وإذا جُرْتم في الحكم قحط المطر، وإذا خفرتم الذمة كانت الدولة لغيركم، وإذا منعتم الزكاة ماتت الماشية، وإذا فشت شهادة الزور كثر الجراد، وإذا طففتم المكيال والميزان، نقصت البركة، وإذا غللتم دخل =

[٨٢/أ] قالَ رَسولُ الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَما عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فيما أَفْناهُ، وعَنْ عِلْمِهِ فيمَ(١) فعَلَ بِهِ، وعَنْ مالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيمَ(٢) أَنْفَقَهُ، وعَنْ جِسْمِهِ فيمَ(٣) أَبْلاهُ».

رَواهُ الترمذِيُّ(٤) مِن حديثِ أبي برزةَ رضِيَ الله عنه، وقالَ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقالَ رَسولُ الله ﷺ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمانٌ، فيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، ومِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ فلا يَرَى إلا النّارَ تِلْقاءَ وجْهِهِ، فاتَّقُوا النّارَ ولَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

رَواهُ البُخارِيُّ(٥) ومُسلمٌ(٦) مِن حديثِ عديِّ بنِ حاتمٍ رضِيَ الله عنه.

ويقولُ له سُبحانَه وتعالَى: أما(٧) استحيَيْتَ منِّي! تبارِزُني بالقبيحِ، وتستحِي مِن خلْقِي، أكنْتُ أهونَ عليكَ مِن عبادِي، استخفَفْتَ بنظرِي إليكَ، واستعظَمْتَ(٨) نظَرَ غيْرِي، أظننْتَ أنّكَ لا تلْقانِي، ألم أُرسِلْ إليك رَسولًا يتْلو

= الرعب في قلوبكم. معنى خفرتم الذمة أي: نقضتم العهد، ومعنى طفاف المكيال: ما علاه. وروى مالك في «الموطأ» (١٦٧٠)، بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ما ظهر الغلول في قوم، إلا ألقي في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنى في قوم إلا فشا فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق، ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو». اهـ.

(١) في (س) و(ب): «ففيما».

(٢) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «وفيما».

(٣) في (س) و(ب): «ففيما»، وفي (د): «فيما».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٤١٧)، و«سنن الدارمي» (٥٥٤)، و«المعجم الأوسط» (٢١٩١).

(٥) «صحيح البخاري» (٧٥١٢).

(٦) «صحيح مسلم» (١٠١٦).

(٧) في (د): «ما».

(٨) في (د): «وأعظمت».

عليكَ كتابي[١]؟ ومن يقدِرْ على هذا الخطابِ؟ فما أعظَمَ مُصيبةَ مَنْ فرَّطَ في طاعةِ مَوْلاه، واتَّبعَ هَواهُ.

ثم لا تغفَلِي عنِ الميزانِ وتطايُرِ الصُّحفِ، وحولَ الميزانِ زبانيةٌ[٢] عليهم ثيابٌ مِن نارٍ، وبأيديهم مقامِعُ مِن حديدٍ، قالَ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فمن رجَحَتْ سيئاتُه أخذَتِ الزَّبانيةُ بناصيتِه وأُهويَ به[٣] في النارِ، قالَ الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٩-١١].

[الميزان][٤]:

والميـزانُ أمْرُه[٥] خطرٌ، ولا ينْجُو مِن خطرِه إلا مَن[٦] حاسَبَ نفْسَه في هذه المغرارةِ الغرّارةِ، ووزَنَ أقوالَه وأعمالَه وخطراتِه في جميعِ لحظاتِه بميزانِ الشرعِ، فإنْ كانَ اقترَفَ[٧] ذُنوبًا تدارَكَها بالتَّوبةِ النَّصوحِ[٨] التي أمَرَ الله عزَّ وجَلَّ بها المُؤمنينَ في كتابِه العزيزِ، فيرُدُّ المظالِمَ ذرَّةً ذرَّةً؛ فإنْ ماتَ قبلَ ردِّ المظالِمِ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٥١٩).

(٢) في (س) و(ب) و(د): «ملائكة».

(٣) في (س): «بها».

(٤) قوله: «الميزان» ورد على حاشية (ب).

(٥) في (د): «أمر».

(٦) في (د): «كل».

(٧) في (د): «قد غرق».

(٨) من قوله: «ويوم الخزي» إلى هنا ليس في (د). وجاء في حاشية (س): «بذنوب قوم تذهب البركات، وتغير النعماء والخيرات، ويزول عن أهل الضلال نعيمهم بعقابهم إن تعقب الأزمات، لم يشكروا الرزاق إذ والاهم أفضاله، بل ضيعوا أوقات خلواتهم وصلاتهم، وتعودوا أكل الربا، فهم له أدوات، والحنث في الإيمان أكثر فعلهم، والنجس أحيوا والحلال أماتُوا، لا تنكروا ما نحن فيه قومنا، بذنوب حلت بنا الآفات».

[٨٢/ب] أحاطَتْ به خُصماؤُه، فهـذا يأخُذُ بيدِه، وهـذا بعضُدِه، وكلُّ واحـدٍ متعلِّقٌ[١] به، ويذكُـرُ مَظلمتَه، فيقولُ: هذا شتَمَنـي، ويقولُ الآخَـرُ: هـذا خذَلَنـي، ويقولُ الآخَـرُ: سـاءَ مُعاملَتـي، ويقولُ الآخَـرُ: هذا[٢] سـاءَ جُـوارِي، ويقولُ الآخَـرُ: هذا نظَرَ إلـيَّ فأرعبَنِي، ويقولُ الآخَـرُ: طفَّفَ عليَّ المكيالَ والميزانَ، ويقولُ الآخَرُ: هذا غشَّنِي في صنعَتِه، ويذكُرُ كلٌّ ما ظُلِمَ فيه، حتَّى سكوتَه عن نصرتِه، ولـو بكلمةٍ[٣]، وهذا يقولُ: وجدَنِي مُحتاجًا فلم يسُدَّ حاجتِي، إلى[٤] غيرِ ذلكَ ممّـا لا يكادُ ينحصِرُ[٥].

فبينَما أنتَ مبهوتٌ متحيِّرٌ من كثرتِهم، وقد حقَّتْ[٦] عليكَ الطّلبةُ، وضعُفْتَ عنِ المقاومةِ، مدَدْتَ عينَ الرَّجاءِ إلى مولاكَ، إذ قرَعَ سمْعَكَ نداءُ الجبّارِ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧]، فَعِندَ ذَلكَ يَنْخَلعُ قلبُكَ، وتُوقِنُ بِالبَوارِ[٧]، وتَـتَذكَّرُ قولَه تعالى[٨]: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

---

(١) في (د): «يتعلق».

(٢) «هذا» ليس في (د).

(٣) قوله: «عن نصرته ولو بكلمة» في (د): «عمن يضربه ولو معلمه».

(٤) في (د): «وإلى».

(٥) جاء في حاشية (س): «روى الطلمنكي في كتابه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «للزاني ست عقوبات: ثلاثة في الدنيا، وثلاثة في الآخرة، أما التي في الدنيا: فذهاب بهاء الوجه، وطول الفقر، وقصر العمر، وأما التي في الآخرة: فسخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار». اهـ.

(٦) في (د): «خفت».

(٧) قوله: «بالبوار» غير واضح في (د)، ولعل ما أثبت هو الصواب.

(٨) من قوله: «فعند ذلك ينخلع قلبك» إلى هنا مثبت من (د).

[الصراط][(١)]:

ثمَّ بعدَ هذه الأحوالِ لا تنْسَيِ[(٢)] الصِّراطَ، وهوَ جسرٌ ممدودٌ على متنِ جهنَّمَ؛ أحَدُّ مِن السَّيفِ، وأرقُّ مِن الشَّعرِ[(٣)]، قالَ ﷺ: «**يُضْرَبُ الصِّراطُ[(٤)] عَلَى ظَهْرانَي جَهَنَّمَ، فأكُونُ أوَّلَ مَنْ يُجِيزُ[(٥)] بِأُمَّتِي مِنَ الرُّسُلِ، ولا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إلا الرُّسُلُ، ودَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: رَبِّ سَلِّمْ رَبِّ سَلِّمْ، وفي جَهَنَّمَ كَلاليبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدانِ، غَيْرَ أنَّهُ لا يَعْلَمُ[(٦)] قَدْرَ عِظَمِها إلا اللهُ عَزَّ وجَلَّ، تَخْطِفُ النّاسَ بِأعْمالِهِمْ، فمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ[(٧)]، ومِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو**».

رَواهُ البُخاريُّ[(٨)] ومُسلمٌ[(٩)] مِن حديثِ أبي هُريرةَ رضِيَ اللهُ عنه.

فالحذَرَ الحذَرَ مِن هذا الصراطِ وما عليه[(١٠)]، فمَنْ أرادَ النجاةَ فليستَقِمْ في الدنيا على الصراطِ المُحمَّديِّ، ومَن عدَلَ عنه وركِبَ بُنَيّاتِ[(١١)] الطريقِ، وعدَلَ عنِ الاستقامةِ في الدنيا، وأثقَلَ الظهرَ بالأوزارِ، زَلَّ بأوَّلِ قدمٍ، فلو لم يكُنْ في الآخرةِ مِن الأهوالِ إلا خطَرُ الصراطِ لكانَ[(١٢)] جديرًا بأنْ يهتَمَّ الشخصُ له.

---

(١) قوله: «الصراط» ورد على حاشية (ب). (٢) في (د): «تنس».
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (١: ١١٥)، و«قواعد العقائد» (٢٢٣).
(٤) في (ب): «الطراب».
(٥) في (د): «يجوز».
(٦) قوله: «لا يعلم» ليس في (د).
(٧) في (ب) و(د): «يوثق».
(٨) «صحيح البخاري» (٨٠٦).
(٩) «صحيح مسلم» (١٨٢).
(١٠) في (د): «وما عليه من السؤال».
(١١) في (د): «ميزان».
(١٢) في (س): «فكان».

[الحوض][(١)]:

ومعَ هذا[(٢)] كلِّه لا تأمَنُ طَرْدَكَ عنِ الحوضِ، وسحْبَك إلى نارٍ فيها[(٣)] سبعونَ ألفَ وادٍ، في كلِّ واحدٍ سبعونَ ألفَ شِعبٍ، في[(٤)] كلِّ شِعبٍ سبعونَ ألفَ ثعبانٍ وسبعونَ [٨٣/أ] ألفَ عقربٍ. رَواهُ بعضُ الأئمَّةِ حديثًا[(٥)].

عافانا الله عزَّ وجَلَّ وأحبابَنا مِن ذلكَ، ومِن جميعِ الأهوالِ، إنّه على ما يشاءُ قديرٌ، وبالإجابةِ جَديرٌ.

* *

---

(١) قوله: «الحوض» ورد على حاشية (ب). (٢) في (د): «ذلك».

(٣) في (د): «إلى النار وفيها».

(٤) في (د): «وفي».

(٥) «صفة النار» لابن أبي الدنيا (٧٤)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٣٩٠)، و«البعث والنشور» للبيهقي (٤٧٨).

جاء في حاشية (س): «روى الترمذي (٣٢٥٢) بسنده عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يصيب عبدًا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر، ثم قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]». وروى البزار (٦١٧٥) بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم، ولا نقصوا المكيال إلّا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم، وأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وإذا لم يحكم أئمتهم بكتاب الله جعل الله بأسهم بينهم». وروى الترمذي (٣٠٦١) بسنده عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: «أنزلت المائدة من السماء خبزًا ولحمًا، وأُمِرُوا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد، فخانوا وادخروا لغد، فمسخوا قردةً وخنازير». اهـ.

[خاتمة المؤلف]

والحمْدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلَّى الله على سيِّدِ[1] الأوَّلينَ والآخِرينَ، وأكرمِ السّابقينَ واللاحقينَ، ورضِيَ الله عنِ الصحابةِ أجمعينَ، وعنِ التابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ، وحسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيلُ.

* *

[خاتمة الناسخ]

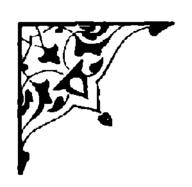
فرغَ من كتابتِهِ: نهارَ الأحدِ سلخَ شهرِ شوّالٍ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وثمانِ مئةٍ.

والحمْدُ لله وكَفَى، وسلامٌ على عبادِه الذينَ اصْطَفَى، ربِّ اغفِرْ وارحَمْ وأنتَ خيرُ الراحمينَ، يا ربَّ العالَمينَ، آمينَ آمينَ آمينَ[2].



(١) في (ب): «سيدنا».

(٢) قيد الفراغ من النسخة (س).




الفهارس العلمية للكتاب

وتشتمل على:

١ـ فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ـ فهرس الأعلام.

٤ـ فهرس الأشعار.

٥ـ فهرس المصادر والمراجع.

٦ـ فهرس المحتويات.




فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾	٥٤	٢٢٧
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾	٧٨-٧٩	٢٦٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾	١٠٥	٢٦٤
﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾	١٠٩	٣٧٦
سورة الأنعام		
﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾	٣١	٢٨٦
﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	٣٢	٢٧١
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ﴾	٦٨	٣٥٤
﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	١٤١	٢٤٧
سورة الأعراف		
﴿الٓمٓصٓ * كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	١-٢	٢٧٦
﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٣١	٢٧٤
سورة الأنفال		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾	١٥-١٦	١٩٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾	٥٨	٢٤٨



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الراوي	الصفحة
أبشري فما بينك وبين أن تلقي محمدًا ﷺ والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد.	ابن عباس	٧٩
أبغض عباد الله إلى الله عز وجل كل لعان.	عبد الله بن عمر	٣٣٦
أتخافون أن أدع الإسلام؟	ابن سيرين	١٠٥
أتدرون ما أخبارها؟	أبو هريرة	١٢٩
أتدرون ما الغيبة؟		٣٥٣
أتدرون ما المفلس؟	أبو هريرة	٢٨٥
اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل.		٥٥
أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك، فأنلني معروفًا من معروفك.	مالك بن دينار	١٠٨
أثقل شيء على العبد: الذنوب، وأخف شيء عليه: التوبة.	زبدة	١٢٣
اجتنبوا السبع الموبقات.		٢٩٤
أحب حديثكن، فإذا قمت إلى الصلاة نسيتكن.	أم البنين	٢٠٦
أحب في الله، وأبغض في الله، وعاد في الله.	ابن عمر	٣٢٠
احتجبا منه.	أم سلمة	٣٠٠
آخر من يخرج من النار يعذب سبعة آلاف سنة.		٣٥٨
الآخرة أقرب من الدنيا.	أخت الفضيل	١٣٦

الحديث	الراوي	الصفحة
غفر الله عز وجل لعمر، لغيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني.	زينب بنت جحش	٨٨
فإذا وجبت؛ فلا تبكين باكية.		١٤٩
فبلغني أن سفيان تزوج بها.	ابن المبارك	١٣٥
فقالت: أستودعك الله خير مستودع.		٢٢١
الفقراء كلهم أموات.	أبو سليمان الداراني	٢٠٧
الفقير إن لم تكن الدنيا في نظره هكذا ويفتح كفه وإلا فلا.		٢٩٧
الفم والفرج [أكثر ما يدخل الناس النار].	أبو هريرة	٣٢٥
فما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم: الإسلام.	ثابت البناني	١٠٢
فهلا ما هو خير، هو حر لوجه الله عز وجل.	ابن عمر	٢٦٩
في الرياء شوائب أخفى من دبيب النمل.		٥٥
القبر إما حفرة من حفر النار.		٣٦٦
قبض النبي ﷺ وإن درعه لمرهونة عند رجل من يهود.	ابن عباس	٦٣
قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه.	عبد الرحمن بن عوف	١١٨
قد أفلح من أسلم، وكان رزقه كفافًا	ابن عمر	٦٧
قد حل لنا الخمر، هذا القاضي قد شرب الخمر.		٢٧٨
قد كان بيننا ما يكون بين الضرائر فغفر الله لي ولك ما كان من ذلك.	أم حبيبة	٨٦
قد نقض الله تعالى ذلك.		٩٨



فهرس الأعلام



فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

- **الإبانة الكبرى**، لعبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري، المعروف بابن بطة العكبري (ت٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى عام: ١٤١٥هـ.
- **آثار البلاد وأخبار العباد**، للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت٦٨٢هـ)، طبعة دار صادر، بيروت، عام: ١٣٨٩هـ.
- **الأحاديث الطوال**، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الزهراء بالموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **أخبار الشيوخ وأخلاقهم**، لأحمد بن محمد بن الحجاج، أبي بكر المروذي (ت٢٧٥هـ)، حقَّقه وقدَّم له وخرَّج نصوصه: عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- **الآداب**، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبي بكر البيهقي (ت٤٥٨هـ)، اعتنى به وعلَّق عليه: أبو عبد الله السعيد المندوه، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- **الأدب المفرد**، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- **الأذكار**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

- **الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى**، لابن عبد البر النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: عبد الله مرحول السوالمة، الناشر: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **الاستيعاب**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- **أصول السنة**، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، الناشر: دار المنار، الخرج، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **الأعلام**، للأستاذ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
- **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، حقَّقه: محمد عزير شمس، خرَّج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.
- **الإفصاح عن معاني الصحاح**، للإمام يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبي المظفر، عون الدين (ت٥٦٠هـ)، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، سنة النشر: ١٤١٧هـ.
- **إكمال المعلم**، للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **الأمثال للهاشمي**، لزيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبي الخير الهاشمي (ت بعد ٤٠٠هـ)، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **إنارة الفكر**، لبرهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: سليمان بن مسلم الحرش، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **الأنساب المتفقة**، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧هـ)، المحقِّق: دي يونج، طبعة: ليدن، بريل، ١٢٨٢هـ.
- **الأنساب**، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ.

- **البحر المحيط**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ.
- **البحور الزاخرة**، لمحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، المحقق: عبد العزيز أحمد بن محمد بن حمود المشيقح، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
- **البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**، لأبي سعيد الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، (ت١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.
- **بغية الطلب في تاريخ حلب**، لكمال الدين بن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، لأبي الفيض محمد الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، بتحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: وزارة الإعلام، الكويت.
- **تاريخ أصبهان**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، المحقِّق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
- **تاريخ الإسلام**، للحافظ الذهبي (ت٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار النشر: دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.
- **التاريخ الأوسط**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، المحقق: محمود إبراهيم زايد، الناشر: دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- **التاريخ الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، طُبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
- **التاريخ المعتبر في أنباء من غبر**، للمؤرخ مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (ت٩٢٨هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ = ٢٠١١م.

- **تاريخ بغداد**، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- **تاريخ دمشق**، للإمام حمزة بن أسد بن علي بن محمد، التميمي، المعروف بابن القلانسي (ت٥٥٥هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

- **تاريخ دمشق**، للحافظ أبي القاسم بن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق: أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ.

- **التبصرة**، لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.

- **التبيان في آداب حملة القرآن**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة، الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

- **التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

- **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م.

- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

- **تخريج أحاديث الإحياء = المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت٨٠٦هـ)، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، الناشر: دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

- **التذكرة الحمدونية**، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبي المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- **تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ)، المحقق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- **تفسير الجلالين**، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.
- **تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- **تفسير السمعاني**، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- **تفسير الطبري = جامع البيان في تأويل القرآن**، لأبي جعفر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.
- **تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة**، لأبي منصور، محمد بن محمد بن محمود، الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.

- **تلبيس إبليس**، لأبي الفرج، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، لأبي بكر الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم (ت٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
- **التنوير شرح الجامع الصغير**، لأبي إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، الأمير (ت١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
- **تهذيب الأسماء واللغات**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، عُنِيَت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، لأبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، جمال الدين بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.
- **تهذيب اللغة**، لأبي منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- **التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
- **الثقات**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، الدارمي، البستي (ت٣٥٤هـ)، طُبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان، مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م.
- **جامع الترمذي = الجامع الكبير**، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

- **جامع بيان العلم وفضله**، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، طبعة: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض.
- **الجرح والتعديل**، للإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ.
- **جمهرة اللغة**، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- **حسن التنبه لما ورد في التشبه**، لنجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشرة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى ابن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.
- **الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، خرَّج أحاديثه: زائد ابن أحمد النشيري، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **الدر الفريد وبيت القصيد**، لمحمد بن أيدمر المستعصمي (ت٧١٠هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور = تفسير السيوطي**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت.

- **دلائل النبوة**، لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- **الرسالة القشيرية**، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، الناشر: دار المعارف، القاهرة.
- **رفع الإصر عن قضاة مصر**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: الدكتور علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.
- **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، الدارمي، البستي (ت٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، لأبي العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري (ت٦٩٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.
- **الزهد**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، الناشر: دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م.
- **الزهد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.
- **سنن ابن ماجه**، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.

- **سنن أبي داود**، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
- **سنن الدارمي**، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ٢٠٠٠م.
- **السنن الكبرى**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدَّم له: عبد الله ابن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- **السنن الكبرى**، للإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، ومعه: الجوهر النقي لعلاء الدين علي الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ.
- **سير أعلام النبلاء**، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- **سير السلف الصالحين**، لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، الملقب بقوام السنة (ت٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- **شرح السنة**، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- **شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- **شرح ديوان المتنبي**، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (ت٦١٦هـ)، المحقق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

ـ **شرح سنن أبي داود**، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي (ت٨٤٤هـ)، تحقيق: عدد من الباحثين بدار الفلاح، بإشراف: خالد الرباط، الناشر: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الفيوم، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م.

ـ **شرح صحيح البخاري**، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ابن بطال (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

ـ **شرح مشكل الآثار**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

ـ **شعب الإيمان**، لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت٤٥٨هـ)، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م.

ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، لأبي الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، الناشر: دار الفيحاء، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.

ـ **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعماد الطيار، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

ـ **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: ياسر حسن، وعز الدين ضلي، وعماد الطيار، الناشر: مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.

- **صفة الصفوة**، لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة ١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
- **صيد الخاطر**، لأبي الفرج، جمال الدين، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: حسن المساحي سويدان، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.
- **الضوء اللامع**، للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ابن عثمان بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، من منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- **طبقات الأولياء**، لأبي حفص بن الملقن سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق: نور الدين شريبة، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.
- **طبقات الحنابلة**، لأبي الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
- **طبقات الشافعية الكبرى**، للإمام تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **طبقات الشافعية**، للإمام أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين بن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، طبعة عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **طبقات الصوفية**، لأبي عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري (ت٤١٢هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.
- **طبقات الفقهاء الشافعية**، للإمام عثمان بن عبد الرحمن، أبي عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
- **طبقات الفقهاء**، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

- **الطبقات الكبرى**، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي، المعروف بابن سعد (ت٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م.
- **العاقبة في ذكر الموت**، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (ت٥٨١هـ)، المحقق: خضر محمد خضر، الناشر: مكتبة دار الأقصى، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- **العبر في خبر من غبر**، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام**، لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود بن سلمان ابن سليمان، علاء الدين بن العطار (ت٧٢٤هـ)، وقف على طبعه والعناية به: نظام محمد صالح يعقوبي، الناشر: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (ت٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **العين**، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ)، المحقق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- **غريب الحديث**، لأبي إسحاق، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)، المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **غريب الحديث**، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، المعروف بالخطابي (ت٣٨٨هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار الفكر، دمشق، عام النشر: ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

- **الغنية لطالبي الحق**، لأبي محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، محيي الدين الجيلاني (ت٥٦١هـ)، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
- **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف**، لشرف الدين الحسين ابن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
- **الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية**، لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت١٠٥٧هـ)، الناشر: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.
- **الفردوس بمأثور الخطاب**، لأبي شجاع الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (ت٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة.
- **فوات الوفيات**، للإمام محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.
- **الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية**، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت٩٢٠هـ)، الناشر: دار ركابي للنشر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.

- **فيض القدير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
- **القاموس المحيط**، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م.
- **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، لأبي طالب المكي، محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م.
- **الكاشف عن حقائق السنن = شرح المشكاة**، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت١١٦٢هـ)، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٣٥١هـ.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني، المشهور باسم: حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، طبعة مكتبة المثنى، بغداد، وصوَّرَتها عدة دُور نشر لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، تاريخ النشر: ١٩٤١م.
- **كشف اللثام شرح عمدة الأحكام**، لشمس الدين، أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، اعتنى به: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
- **كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح**، لصدر الدين أبي المعالي، محمد ابن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي ثم القاهري، الشافعي (ت٨٠٣هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- **كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**، لأبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن معلى

الحسيني الحصني، تقي الدين الشافعي (ت٨٢٩هـ)، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي، الناشر: دار الخير، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن**، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **لسان العرب**، للإمام محمد بن مكرم بن علي، أبي الفضل، جمال الدين بن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م.
- **لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح**، لعبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي الحنفي (ت١٠٥٢هـ)، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ = ٢٠١٤م.
- **مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن**، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، قدَّم له وحقَّقه: مصطفى محمد حسين الذهبي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م.
- **المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ﷺ من صحيح الإمام البخاري**، لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (ت٩٥٦هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٤م.
- **المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي**، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- **مجمع الأمثال**، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، حقَّقه: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المأمون للتراث.

- **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ليوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي (ت٩٠٩هـ)، المحقق: عبد العزيز ابن محمد بن عبد المحسن، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
- **المحكم والمحيط الأعظم**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
- **مختصر منهاج القاصدين**، لنجم الدين أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، قدَّم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، للإمام أبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، للإمام شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله، المعروف بـ: سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: محمد بركات، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
- **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفي الدين (ت٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت١٤١٤هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- **المسالك في شرح موطأ مالك**، للقاضي محمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت٥٤٣هـ)، قرأه وعلَّق عليه: محمد بن الحسين السليماني وعائشة بنت الحسين السليماني، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

- **المستدرك على الصحيحين**، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه ابن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
- **المستطرف في كل فن مستظرف**، لأبي الفتح، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي (ت٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **مسند ابن الجعد**، لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.
- **مسند أبي داود الطيالسي**، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م.
- **مسند أبي يعلى**، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- **مسند أحمد**، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.
- **مسند البزار = البحر الزخار**، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- **مسند الشاميين**، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.
- **مسند الشهاب**، لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، بدون تاريخ.
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، للإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- **مصنف ابن أبي شيبة**، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **مصنف عبد الرزاق**، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **المعارف**، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.
- **معاني القرآن وإعرابه للزجاج**، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، الزجاج (ت٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- **معجم الألفاظ الفارسية المعربة**، للسيد أدي شير، طبعة دار العرب للبستاني، الطبعة الثانية، عام: ١٩٨٨م.
- **المعجم الأوسط**، لأبي القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة.
- **معجم البلدان**، لياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.
- **المعجم الصغير**، لأبي القاسم الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الطبراني (ت٣٦٠هـ)، المحقق: محمد شكور محمود، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.
- **المعجم الكبير**، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م.

ـ **معجم المؤلفين**، لعمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ **معجم متن اللغة**، لأحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧-١٣٨٠هـ.

ـ **معرفة السنن والآثار**، لأبي بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩١م.

ـ **معرفة الصحابة**، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

ـ **المعرفة والتاريخ**، ليعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي (ت٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

ـ **المعلم بفوائد مسلم**، لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري المالكي (ت٥٣٦هـ)، المحقق: فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الناشر: الدار التونسية للنشر، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.

ـ **مفاتيح الغيب = تفسير الرازي**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

ـ **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه وقدَّم له: محيي الدين ديب مستو، وأحمد محمد السيد، وغيرهما، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

ـ **مقاتل الطالبيين**، لأبي الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي (ت٣٥٦هـ)، المحقق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

ـ **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة**، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت٩٠٢هـ)، المحقق: محمد عثمان الخشت، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م.

- **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م.
- **موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**، لأبي الحسن، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، عبده علي الكوشك، الناشر: دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، للإمام أحمد بن علي بن عبد القادر، أبي العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **المؤتلف والمختلف**، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان ابن دينار البغدادي الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، للإمام يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبي المحاسن، جمال الدين (ت٨٧٤هـ)، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.
- **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، للإمام المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبي علي (ت٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، الناشر: دار صادر، عام النشر: ١٣٩١هـ.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لبرهان الدين، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي ابن أبي بكر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، للإمام أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.
- **النهاية في غريب الحديث**، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

- **هدية العارفين**، لإسماعيل باشا الباباني البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف، بإسطنبول، سنة ١٩٥١م.

- **الوافي بالوفيات**، للمؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وغيرهما، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، للحافظ أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر بن خلكان البرمكي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت.

- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، لأبي منصور الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.



فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة